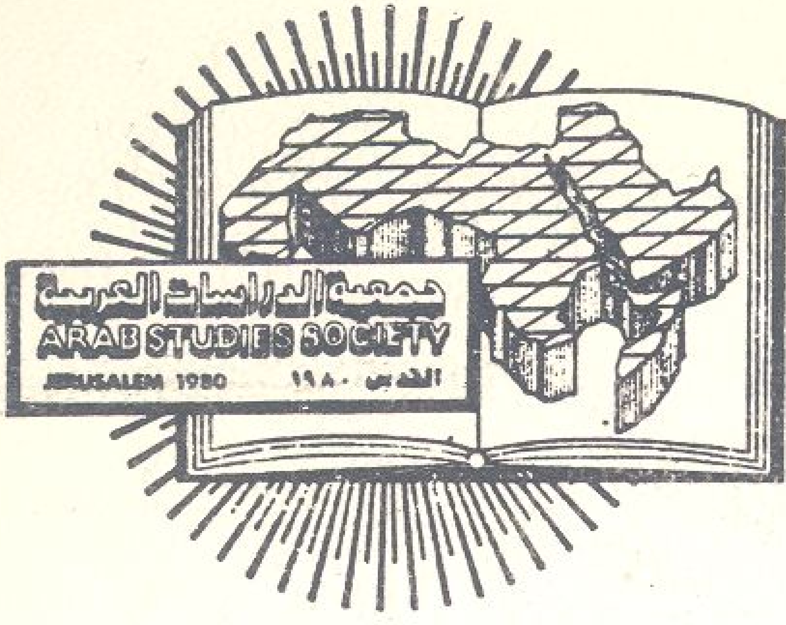


فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها

١٩١٤ـ ١٩٢٠



د. بهجت صبري

فلسطين

خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها

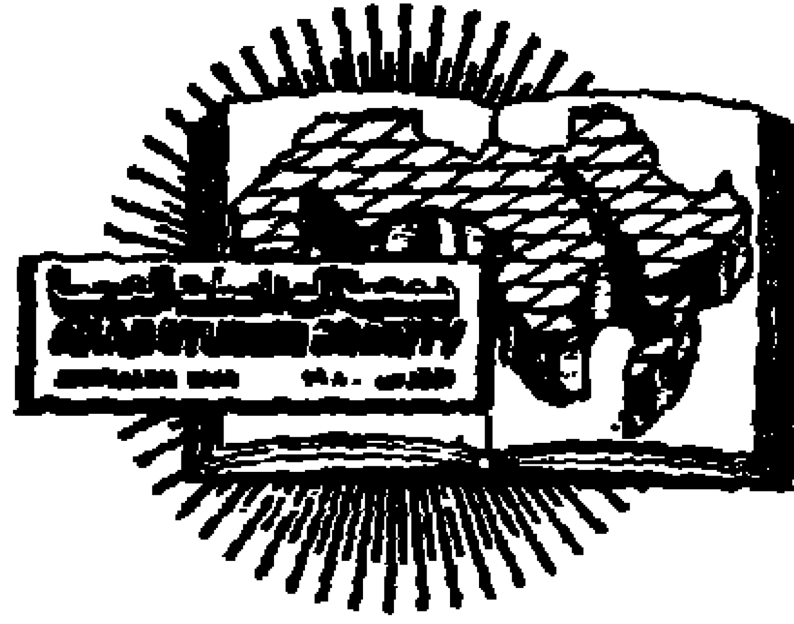
١٩١٤ — ١٩٢٠

تأليف

د. بهجت صبري

جمعية الدراسات العربية

١٩٨٢



جمعية الدراسات العربية

علميـــة ـ فكريـــة

المصرارة ـ عمارة العارف

ص . ب ٢٠٤٧٩

القـدس تلفـون ٢٨٢٣٦٩

المحتويات

القسم الاول

القسم الثاني

" كلمـــة الجمعيـــة "

ان جمعية الدراسات العربية تبدأ بهذا الكتاب في نشر واصدار سلسلة من الدراسات والكتب والموءلفات التي تعالج التاريخ الفلسطيني والعربي ، ورغم وجود دراسات متعددة حول هذا الموضوع فاننا نعتقد أن جوانب هامة لاخطر وأهم مراحل التاريخ الفلسطيني والعربي لا تزال مجهولة وغير مدروســـة .

ان هذا الكتاب يتناول الاوضاع السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت فلسطين في الفترة بين عامي ١٩١٤ و ١٩٢٠ وهي الفترة التي شهدت غروب شمس الامبراطوريـــة العثمانية عن فلسطين وانحسارها عن الوطن العربي وشروق شمس الامبراطورية البريطانية علـــى فلسطين والمشرق العربي .... وهذه الفترة بالذات هي من أخطر الفترات التي مرت بهـــا فلسطين في تاريخها الحديث ، ذلك أن هذه السنوات التي تقع ما بين عامي ١٩١٤ و ١٩٢٠ كانت البدايات والمقدمات والمداخل الى الاوضاع التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني ومعـه أمته العربية الان .

ان الدكتور بهجت حسين صبرى رئيس قسم التاريخ في كلية الاداب ــ جامعة النجـــــاح يساهم بهذا الكتاب في اثراء الدراسات المتعلقة بالتاريخ الفلسطيني من حيث أنه يغطي احدى أهم الجوانب غير المدروسة في التاريخ الفلسطيني .

وهذا الكتاب هو في الاصل رسالة قدمها الاستاذ بهجت صبرى لنيل درجة الدكتوراه من قسم التاريخ بكلية الاداب جامعة عين شمس وأشرف عليها الدكتور أحمد عزت عبد الكريـــم .

ان جمعية الدراسات العربية اذ تضع هذا الكتاب بين يدى القراء فانها تأمل أن تكون قد ساهمت في اثراء المكتبة التاريخية داخل الوطن وخارجـــــه .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

تمر قضية فلسطين في الوقت الحاضر في مرحلة دقيقة ذات ابعاد مصيرية بسبب تصدع الموقف العربي الذى انعكس على هذه القضية .

ولما كان فهم قضية فلسطين ـ كغيرها من القضايا ـ لا يتأتى الا بدراسة خلفيات هذه القضية لذا كانت هذه القضية ـ ولا تزال ـ موضع بحث ودراسة أمام العديد من الباحثين ، فقد سبق وان تقدمت بدراسة عن أوضاع لواء القدس تحت الحكم العثماني في الفترة الزمنية الواقعة بين عامي ١٨٤٠ ـ ١٨٧٣ لنيل درجة الماجستير ، أبرزت خلالها بداية حركة الاستيطان اليهودى التي شهدتها فلسطين مع بداية سبعينيات القرن التاسع عشر ، وقد تطورت هذه الحركة فيما بعد وانتهت الى ما انتهت اليه من حركة استيطان يهودى واسعة في فلسطين ، كما قدم الاستاذ عبد العزيز عوض دراسة قيمة عن فلسطين خلال الفترة ١٨٧٣ ـ ١٩١٤ أبرز خلالها التطورات الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع العربي في فلسطين ، كما أبرز حركة الاستيطان الصهيوني في فلسطين خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى .

واستكمالا لهذه الدراسات التي تركزت حول بيان أوضاع المجتمع الفلسطيني من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية بالاضافة الى أوضاعه السياسية اتقدم بهذه الاطروحة لتوضيح خلفية القضية الفلسطينية خلال فترة الحرب وحتى التسوية ١٩٢٠ ، فقد تميزت هذه الفترة موضع البحث ١٩١٤ ـ ١٩٢٠ بزخم الاحداث السياسية التي تمخضت عن خلق فلسطين كوحدة سياسية وجغرافية تحقيقا للاطماع البريطانية الصهيونية كما أبرزها تصريح بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧ وكما أقر ذلك في صك الانتداب ١٩٢٠ .

أبرزت الاحداث السياسية التي سبقت الحرب العالمية الاولى حركتين هامتين في المنطقة العربية هما الحركة العربية والحركة الصهيونية ، كان لكل منهما دور بارز في مجريات الحرب حيث سعت كل منها الى تحقيق الاهداف التي شكلتها أحداث ما قبل الحرب فقد كان على كل حركة أن تختار ما بين الوقوف الى جانب الدولة صاحبة السيادة في البلاد أم الوقوف الى جانب أحدى الدول الاوروبية التي تحاول أن تجد لها مكانا في هذه المنطقة أو تحاول تدعيم وجودها في وقت اتضحت فيه أطماع الدول الاوروبية في المنطقة العربية .

هكذا كان ترتيب الصورة عشية الحرب ، فكيف تحركت الدول الاوروبية ذات الاطماع في المنطقة العربية ؟ وكيف تحركت الدولة العثمانية تجاه هذه الحركات ؟ وما هي النتائج التي اسفرت عن ذلك ؟

هذا ما سيعالجه القسم الاول من الرسالة الذى يقع في أربعة فصول عالجت فيها على التوالي عدة جوانب : الدولة العثمانية والحركة العربية في فلسطين ، الدولة العثمانية والحركة الصهيونية في فلسطين ، فلسطين في وعود بريطانيا ، المجتمع العربي الفلسطيني خلال الحرب من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية .

أما القسم الثاني من الرسالة فقد جاء أكثر تفصيلا من القسم الاول فهو يقع في تسعة فصول عالجت من خلالها الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين منذ بداية تأسيسها حيث مرت بعدة مراحل ارتبطت بتوسيع العمليات العسكرية الى حين الانتهاء من اعادة تنظيم وافتتاح الدوائر والمؤسسات في فلسطين التي شملت عدة مجالات : القضاء والامن ، الادارة المالية وما يرتبط بها من اجراءات العملة والضرائب ، ثم أوضحت في فصول أخرى من هذا القسم أعمال الادارة العسكرية لمواجهة الاوضاع الاقتصادية التي خلفتها الحرب ومدى تأثير هذه الاجراءات على ابناء البلاد .

وكذلك أعمال الادارة العسكرية في مجال الخدمات الاجتماعية كالصحة وأعمال الاغاثة والتعليم والمجالس البلدية .

وكان لا بد من توضيح موقف أبناء عرب فلسطين من ابعاد السياسة البريطانية التي بدت متحالفة مع الاطماع الصهيونية خاصة بعد صدور تصريح بلفور وتسرب أخباره الى فلسطين في وقت وصلت البعثة الصيهيونية الى فلسطين لتأخذ في اعداد البلاد لتنفيذ تصريح بلفور بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، أما الفصل الاخير من هذا القسم فقد خصصته لتوضيح مصير الوعود والاتفاقات التي ابرمتها بريطانيا مع كل من العرب وفرنسا والصهيونية كما بحثت في مؤتمر الصلح في باريس وقد انتهى الامر بفصل فلسطين عن سورية الام تنفيذا لتصريح بلفور الذى صدر في ٢ نوفمبر ١٩١٧ .

ولما كنت ممن يعيشون على أرض فلسطين اطلعت على سجلات بعض المجالس البلدية والمحاكم الشرعية التي ما زالت وثائق لم تنشر بعد . وقد اعتمدت على هذه السجلات في بيان أعمال المجالس البلدية مع بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين وحتى انتهاء الحكم العسكرى وقيام الادارة المدنية .

كما وأني اعتمدت على بعض السجلات التركية في أرشيف رئاسة الوزراء الاسرائيلية بالقدس الذى يضم عدة سجلات تركية اعتمدت على السجلات الخاصة باعمال مجلس اللواء العمومي في القدس خلال الفترة التي سبقت اشتراك تركيا في الحرب ، كما أن هذا الارشيف يضم بالاضافة الى ذلك جميع الوثائق البريطانية المتعلقة بفلسطين وقد اطلعت على معظم هذه الوثائق خلال الفترة ما بين ١٩١٧ ــ ١٩٢٠ .

واطلعت على المراجع العربية في هذا الموضوع وكذا المراجع الاجنبية للوقوف على وجهة النظر الاخرى في هذا الشأن .

وبحكم توقف الصحف العربية في فلسطين خلال الحرب لذا رجعت للعديد من الصحف العربية التي كانت تصدر في مصر خاصة المقطم والمؤيد التي كانت تنشر من حين لاخر الاخبار عن الاوضاع العامة في فلسطين ومدى تأثير هذه الحرب على الاهالي ، كما اعتمدت على الصحيفة التى كانت تصدرها الادارة العسكرية البريطانية في القاهرة وهي جريدة فلسطين وكذلك اعتمدت على جريدة الكوكب التي كانت تصدر في القاهرة أيضا وهي من الصحف الموالية للسلطة العسكرية .

وفي هذه المناسبة انوة بالشكر لجميع العاملين الذين هيأوا لي فرصة الاطلاع على المراجع من كتب ودوريات في الجامعات العربية وغيرها التي قمت بزيارتها .

وان أنسى لا أنسى توجيهات وارشادات استاذى الكبير الدكتور أحمد عزت عبد الكريم صاحب اليد البيضاء فقد كنت ممن ضمهم شرف التتلمذ على يديه والسير على هديه في كتابة الماجستير وكذا الامر في كتابة اطروحة الدكتوراة ، أمد الله في عمر استاذنا الكبير ليكون نبراسا لنا في بحوثه القيمة لاجتلاء حقيقة تاريخ الامة العربية .

والله ولي التوفيق

بهجت حسين صبرى

تمهيد

الادارة العثمانية في فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى

قبل الحديث عن أساليب وأنظمة الحكم التي استخدمتها الدولة العثمانيه في ادارتها لهذه البلاد كغيرها من المناطق العربية نعرض أولا للتقسيمات الادارية التي كانت عليها فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى ٠

لم تكن فلسطين وحدة ادارية منفصلة ضمن التقسيمات الادارية التي أوجدتها الدولة العثمانية خلال فترة حكمها للبلاد العربية بل كانت تعرف بسورية الجنوبية في تبعيتها الادارية على عدة ولايات حسب الترتيب الاتي :

سنجق عكا : يتبع ولاية بيروت ويضم أقضية : عكا ، حيفا ، صفد ، الناصرة طبرية ٠

سنجق نابلس : ويتبع أيضا ولاية بيروت ويضم أقضية : نابلس ، جنين ، طولكرم

سنجق القدس المستقل : يخابر الاستانة مباشرة ويضم أقضية : القدس ، يافا ، الخليل ، غزه ، بئر السبع (١)

هذه الصورة من التقسيمات الادارية التي كانت عليها فلسطين أواخر العهد العثماني تختلف عما كانت عليه التقسيمات الادارية منذ أوائل القرن التاسع عشر أو قبل ذلك ، وذلك انسجاما مع سياسة الدولة العثمانية في اجراء التغييرات الادارية من وقت لاخر بدوافع تحددها طبيعة المنطقة الادارية وأهميتها السياسية أو الدينية أو الجغرافية ٠

ولفهم طبيعة التغييرات الادارية وبالتالي فهم الصورة الادارية التي كانت عليها فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى لا بد من بيان الخلفية الادارية للولايات التي كانت تتبعها الوية (سناجق) عكا ، نابلس، القدس ٠

وهذه الولايات هي :

ولاية بيروت :

منذ بداية القرن التاسع عشر وسورية تضم أربعة ولايات هي حلب ، دمشق ، طرابلس ، صيدا ، غير أن مركز ولاية صيدا ما لبث أن انتقل من عكا الى بيروت ضمن التغييرات الادارية التي أحدثتها الدولة العثمانية عند عودتها الى حكم بلاد الشام ١٨٤٠ ونتيجة لاحداث ١٨٦٠ الغيت ولاية صيدا لمدة ربع قرن أعيد تشكيلها بعد ذلك في عام ١٨٨٨ تحت اسم جديد عرفت به هو ولاية بيروت وذلك نظرا لاهمية المواقع الساحلية من الناحية التجارية وربط بهذه الولاية الجديدة والتي أصبح مركزها مدينة بيروت عدة أقضية هي طرابلس ، اللاذقية ، عكا ، نابلس (٢) ٠

وهي بهذا تشكل القسم الاعظم من سواحل سورية حيث يحدها شمالا ولاية حلب وشرقا ولايتا حلب وسورية وجنوبا لواء القدس وغربا البحر الابيض المتوسط (٣)

---

(١) (1) Harry Luke and Edward Keith-Roach: The Handbook of Palestine and Trans-Jordan, p. 208.

(٢) عبد الكريم غرايبة : سورية في القرن التاسع عشر ص ٩٣ – ٩٤ ٠

(٣) محمد بهجت ورفيق التميمي : ولاية بيروت – القسم الجنوبي ص ٧ – ٨ ٠

وتشكل فلسطين لوائين (١) من الوية ولاية بيروت هذه هما لواء نابلس ، ولواء عكا .

لواء عكا :

أكبر الوية ولاية بيروت مساحة لكنه أقلها سكانا وقد ضم هذا اللواء عدة أقضية :

قضاء عكا :

شملت التغييرات الادارية التي أحدثتها الدولة العثمانية هذا القضاء كغيره من الاقضية فقد كان هذا القضاء يضم في عام ١٨٨٩ ثلاث نواحي و ٥٨ قرية موزعة على عدة نواحي: ناحية الساحل وتضم ١٨ قرية، وناحية الشاغور ١٥ قرية، وناحية شفا عمرو ٢٥ قرية وقد فصل ١٠ قرى من ناحية شفا عمرو وضمت الى قضاء الناصرة (٢) ، عندما الحق هذا القضاء خلال الفترة ١٩٠٦ — ١٩٠٩ الى متصرفيه القدس تسهيلا للحجاج القادمين الى القدس بحيث يكونون ضمن وحدة ادارية واحدة ، غير أن قضاء الناصرة هذا أعيد ثانية الى تبعيته الادارية السابقة (٣) .

قضاء حيفا :

طرأ تغير اداري في هذا القضاء أصاب عدداً من النواحي التابعة له فبعد أن كان هذا القضاء يضم في عام ١٨٩٩ ناحية واحدة فقط هي ناحية قيسارية والتي تضم ٢٥ قرية (٤) أصبح هذا القضاء في عام ١٩١٤ يضم ناحية اخرى الى جانب قيسارية هي ناحية أجزم وقد جاء الاجراء الاداري في نطاق أعمال المجلس العمومي لتطوير لواء عكا اداريا (٥).

قضاء صفد :

يبدو أن التغييرات الادارية التي أصابت هذا القضاء كانت أكثر من غيره من الاقضية فبعد أن كان هذا القضاء في عام ١٨٩٩ محروما من وجود النواحي أصبح في عام ١٩١٤ يضم ناحيتين هما : ترشيحا ، وجسر بنات يعقوب ، وقد جاء هذا الاجراء أيضا ضمن

---

(١) يقضي التقسيم الاداري العثماني بأن الامبراطورية العثمانية تضم عدة ولايات والولاية تضم عدة الوية والالوية عدة أقضية والاقضية تضم عدة نواحي .
(٢) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين — الجزء السابع — القسم الثاني ص ١٥٥ — ١٥٩ .
(٣) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس — رسالة دكتوراه غير منشورة — جامعة عين شمس .
(٤) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين — الجزء السابع — القسم الثاني ص ٤٥٢ — ٤٥٦ .
(٥) الكرمل : ٤٠١ — ٣٠ كانون الثاني ١٩١٤ .

محاولة المجلس العمومي في تطوير أقضية لواء عكا من الناحية الادارية والناحية التعليمية .

قضاء طبرية :

أصاب هذا القضاء من التطورات الادارية ما أصاب قضاء صفد حيث لم يكن في هذا القضاء حتى عام ١٩١٤ أية ناحية ، لكن بعد هذا التاريخ شكلت نواح جديدة تابعة لهذا القضاء منها ناحية الغور ومركزها الباكورة وناحية الشفا ومركزها لوبيه والحق بهذا القضاء أيضا عدة قرى أهمها ياقوت وعيلبون والغوير (١) .

قضاء الناصرة :

تبدلت تبعية هذا القضاء بين لواء عكا التابع لولاية بيروت وبين لواء القدس المستقل حيث فصل هذا القضاء لفترة قصيرة عن لواء عكا والحق بلواء القدس كاجراء اداري خدمة للحجاج القادمين الى القدس ، غير أن هذه التبعية قد فكت وربط القضاء ثانية بلواء عكا نظرا لوجود روابط اقتصادية بين هذه الاقسام الادارية (٢) ، وحتى عام ١٩١٤ لم يكن في قضاء الناصرة أية ناحية شكل بعدها ناحية صفورية وربطت بهذا القضاء ضمن ترتيبات المجلس العمومي في الولاية خدمة لاغراض ادارية وتعليمية (٣) .

لواء نابلس :

أصيب هذا اللواء كغيره من الالوية والولايات العربية بتقلبات في التبعية الادارية فمع بداية القرن التاسع عشر كان هذا اللواء من ضمن ألوية ولاية الشام ثم ولاية صيدا والقدس الى أن استقر في تبعيته الادارية لولاية بيروت التي شكلت في عام ١٨٨٨ (٤) ويحتل هذا اللواء المرتبة الثانية من حيث المساحة لكن التقلبات الادارية كانت تعمل في ذبذبة هذه المساحة من حين لاخر فقد وصل عدد الاقضية التابعة لهذا اللواء ما بين ٢ ـ ٥ أقضية هي :

قضاء نابلس :

يقع هذا القضاء في منتهى الجنوب من لواء نابلس ويعتبر من الاقضية الاولى التي ضمها هذا اللواء وبلغ عدد النواحي التابعة له أربع نواحي تضم ٩٦ قرية وهي ناحية جماعين ٤٥ قرية وناحية مشاريق البيتاري ٢٩ قرية وناحية وادي الشعير ١٥ قرية وناحية مشاريق جوار ٧ قرى (٥) .

---

(١) الكرمل : ٤٠١ ـ ٣٠ كانون الثاني ١٩١٤ .

(٢) عبد العزيز عوض : متصرفيه القدس ـ رسالة دكتوراه غير منشورة .

(٣) الكرمل : ٤٠١ ـ ٣٠ كانون الثاني ١٩١٤ .

(٤) أكرم الراميني : نابلس في القرن التاسع عشر ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ الجامعة الاردنية عمان ١٩٧٧م .

(٥) محمد بهجت ورفيق التميمي : مرجع سبق ذكره ص ١٧١ ـ ١٧٤ .

قضاء جنين :

من ضمن الاقضية التي أصابها التطور الاداري،فبعد أن كانت جنين ناحية أصبحت منذ عام ١٨٨٢ قضاء من ضمن الاقضية التابعة للواء نابلس وضم هذا القضاء الجديد مع نهاية القرن التاسع عشر ناحيتين هما:الشعراوية الشرقية ومشاريق جرار التي يبدو أنها فصلت عن قضاء نابلس والحقت بهذا القضاء الجديد (١) ويبدو القطور واضحا داخل هذا القضاء حيث تضاعف فيه عدد النواحي التابعة له حتى أصبحت أربع نواحي (٢) . الا أن هذا الاجراء لم يستمر طويلا حيث فصلت ناحية من نواحي هذا القضاء في عام ١٩١٤ هي ناحية غوربيسان وأصبحت قائمقامية تابعة لنابلس وهذا الاجراء الاداري أيضا كان من ضمن اجراءات المجلس العمومي في الولاية تطويراً للاوضاع الادارية والتعليمية في اللواء (٣).

قضاء بني صعب :

شكل هذا القضاء بعد تشكيل ولاية بيروت فبعد أن كان ناحية أصبح منذ عام ١٨٩٢ قضاء من أقضية لواء نابلس ومنذ البداية ربط بهذا القضاء الجديد ناحية واحدة هي ناحية الحرم ومركزها قلقيلية زيد عددها أواخر العهد العثماني حتى أصبحت ثلاث نواحي هي ناحية وادى الشعير وناحية بني صعب وناحية الشعراوية (٤) .

قضاء جماعين :

طورت ناحية جماعين الى قضاء واتخذت من سلفيت مركزا لها وضم هذا القضاء الجديد ناحيتين هما : جماعين أول وجماعين ثاني .

قضاء البلقاء :

كان هذا القضاء من ضمن الوية نابلس قبل تشكيل ولاية بيروت ١٨٨٨ لكن بعد ذلك فصل هذا القضاء وأصبح من الاقضية التابعة للواء الكرك ضمن ولاية الشام (٥) (دمشق).

لواء القدس المستقل :

يبدو أن المسار الاداري الذى سارت فيه الوية نابلس وعكا ضمن تبعيتها الادارية لولاية بيروت اختلف عن المسار الذى سار عليه لواء القدس ففي الوقت الذى تقلبت فيه الوية نابلس وعكا في تبعيتها الادارية من ولاية لاخرى حتى أواخر العهد العثماني كان لواء

---

(١)أكرم الراميني : مرجع سبق ذكره .
(٢) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ـ الجزء الثالث ـ القسم الثاني ص ٣٥ .
(٣) الكرمل : ٤٠١ ـ ٣٠ كانون الاول ١٩١٤ .
(٤) محمد بهجت ورفيق التميمي : مرجع سبق ذكره ص ١٧٥ .
(٥)أكرم الراميني : مرجع سبق ذكره .

القدس قد تقلب هو الاخر في التبعية الادارية بين ولاية صيدا وولاية دمشق غير أن هذا اللواء لم يستمر في هذا التقلب الادارى والتبعية حيث تحرر من ذلك منذ عام ١٨٧٤، وأصبح هذا اللواء يتصل مباشرة مع الاستانة ولعل هذا الاجراء الادارى الهام الذى وضع القدس في وضع ادارى يختلف عن الاقسام الادارية الاخرى قد جاء من منطلق عدة اعتبارات منها مكانة القدس وفلسطين بشكل عام دفع بالعديد من الدول الاجنبية مثل بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية الى دارسة هذه المناطق ومحاولة الكشف عن مكانة هذه المدينة لوضع صورة عن ذلك أمام القارئ الاوروبي ثم توفر وسائل المواصلات خاصة البواخر دفع بالعديد من الحجاج والزوار من مختلف الدول المسيحية الى زيارة هذه الاماكن المسيحية المقدسة وبدا اهتمامهم بذلك في ترميم أو تشييد الكنائس في البلاد وكذلك اهتمام السلاطين بالقدس نفسها عن طريق انشاء أو ترميم المزيد من أماكنها المقدسة وكان للاحداث التي دخلت المنطقة العربية بقدوم محمد علي باشا الى بلاد الشام تأثير في السياسة العثمانية تجاه سوريا حاولت الدولة على أثرها تقوية قبضتها على هذه المنطقة لكن اتضح أن هذه السياسة لم تكن كافية لذا عند اعلان قانون الولايات سنة ١٨٦٤بدأ العمل بتوحيد الولايات السورية فقد أدمجت ولاية دمشق وولاية صيدا في ولاية واحدة هي ولاية سورية الا أن هذه السياسة قد تغيرت بمجيئ محمود نديم (١) الذى عمل على فصل لواء القدس عن ولاية سورية ليكون اتصال هذا اللواء مباشرة مع الاستانة .

ومن هنا يمكن القول أن الاعتبارات السابقة دفعت بالدولة العثمانية الى الاهتمام بهذا اللواء بشكل مباشر وفصله عن ولاية دمشق حتى يكون تحت اشرافها وحتى تتمكن من سرعة انجاز معاملاته التي تضخمت وتعقدت بازدياد المصالح الاوروبية وأصبحت ذات معنى خاصة أمام نشاط وتلهف الدول الاجنبية في ايفاد ارسالياتها الى القدس وما أحاط هذا النشاط التبشيرى من تنافس واضح (٢) .

بعد هذا نعود الى تتبع التقسيمات الادارية داخل هذا اللواء المستقل الذى يعامل على اعتباره متصرفيه ممتازة ، حيث نجد استقرار الحدود الادارية لهذه المتصرفية منذ بداية تشكيلها حتى أواخر العهد العثماني باستثناء ما أصاب قضاء الناصرة الذى ربط بلواء القدس المستقل ثم أعيد فصله عن هذا اللواء وذلك خلال الفترة ١٩٠٦ — ١٩٠٩ ، ومهما يكن من أمر فان متصرفية القدس ضمت منذ بداية تشكيلها ١٨٧٣ حتى أواخر العهد العثماني عدة أقضية هي :

قضاء القدس :

تبدو التغيرات الادارية داخل هذا القضاء من خلال مقارنة مكانة هذا القضاء

---

(١) الصدر الاعظم كان على رأس حزب من الرجعية في تركيا . انظر ارنست رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ص ٤٢ .

(٢) (2) B. Abu Manneh: The Rise of Sanjak of Jerusalem in the late 19th Centuray, pp. 1-14.

الادارية كما كانت عليه في عام ١٨٨٩ مع مكانته في عام ١٨٩٢ ، ففي الحالة الاولى كان هذا القضاء يضم ١٢٦ قرية ومزرعة اما في عام ١٨٩٢ فقد أضيف الى هذه القرى ناحية واحدة وكذلك مقارنة هذه الاحوال مع حالة هذا القضاء الادارية في عام ١٩١٠ حيث انخفض عدد القرى وارتفع عدد النواحي التابعة لهذا القضاء حتى وصلت الى خمس نواحي ويفسر هذا بأن عددا من القرى في هذا القضاء قد تحولت الى نواحي كما حدث بالنسبة لاريحا حيث رفعت في عام ١٩٠٨ من قرية الى ناحية والنواحي الخمس التي ضمها القضاء في عام ١٩١٠ هي ناحية بيت لحم ،رام الله ،أريحا ،عبوين ،حيفا ،هذا بالاضافةالى وجود تسع قبائل بدويةفي هذا القضاء (١)

قضاء يافا :

أصاب هذا القضاء تطورات متتابعة حيث ضم في عام ١٨٨٨ عدد من القرى وناحية واحدة هي ناحية الرملة وفي عام ١٩٠٥ أضيفت ناحية أخرى الى هذا القضاء وهي ناحية نعلين الى جانب عدد من القرى والمزارع واستمر هذا القضاء في التطور الادارى حتى أصبح عام ١٩١٠ يشمل ثلاث نواحي هي يافا ، نعلين ، الرملة (٢) ٠

قضاء غزة :

استمرارا للتغيرات الادارية التي أصابت أقضية لواء القدس المستقل فقد وجد في قضاء غزة في عام ١٨٩٢ ٧١ قرية ومزرعة بدون وجود نواحي ادارية ما لبثت هذه الصورة الادارية أن تغيرت في عام ١٩٠٥ الى أربع نواحي هي : غزة ، خان يونس ، المجدل ، الفالوجة (٣) ٠

قضاء الخليل :

تطور هذا القضاء من حيث عدد القرى ومن حيث استحداث النواحي الادارية فقد كان هذا القضاء يشمل في عام ١٨٨٨ ٥٠ قرية ومزرعة ارتفع عددها في عام ١٩١٠ الى ٦٢ قرية وناحيتين (٤) ٠

قضاء بئر السبع :

كانت هذه المنطقة التي تشكل القسم الجنوبي من فلسطين تدار بواسطة قائمقام غزة الا أن الدولة العثمانية عملت منذ عام ١٨٩٩ على تشكيل قضاء جديد بحيث يكون مركزه

---

(١) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، الجزء الثامن ، القسم الثاني ، ص ٢٣ ــ ٢٥٠

وانظر كذلك : عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ، ص ٣٢٩ ــ ٣٣٠ ٠

(٢) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ــ الجزء الرابع ــ القسم الثاني ص ٩٢ ــ ٩٤٠

(٣) عارف العارف : تاريخ غزة ص ١٩٥ ــ ١٩٨ ٠

وانظر كذلك عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ص ٣٢٩ ــ ٣٣٠ ٠

(٤) عبد العزيز عوض: متصرفيه القدس ــ رسالة دكتوراه غير منشورة ٠

بئر السبع ، وقد تمكنت الدولة العثمانية من تنفيذ ذلك في عام ١٩٠١ وكان قصد الدولة العثمانية من ذلك الاجراء الاداري السيطرة على هذه المنطقة الحساسة لقربها من الحدود المصرية تلك الحدود التي كانت سببا في خلق خلافات بين بريطانيا والدولة العثمانية (١) ، كما قصدت الدولة العثمانية من تشكيل هذا القضاء احكام سيطرتها على القبائل البدوية المتنازعة خاصة الترابين والعزازمة عن طريق تحضيرهم وتوطينهم ، ومن ناحية أخرى تعمل الدولة العثمانية بتشكيلها هذا القضاء على ضمان تحصيل الضرائب بالشكل السليم من هذه المناطق (٢) .

ونجحت الدولة العثمانية في تحضير البدو في هذه المنطقة حيث أقبلت القبائل البدوية على بناء البيوت السكنية في وقت زادت الحكومة فيه من تشييد مبانيها الحكومية في القضاء (٣) ، كما حرصت الحكومة العثمانية على تعيين حكام اداريين لقضاء بئر السبع على جانب كبير من المقدرة لمعالجة الخلافات بين القبائل التي كانت الحكومة تحرص على تسويتها بمنتهى الحذر والدقة (٤) ومن ناحية أخرى زادت الحكومة من

---

(١) قصة الخلاف حول هذه الحدود قصة قديمة تعود الى فترة فتوحات محمد علي باشا في بلاد الشام . حيث أن اتفاقية لندن ١٨٤١ قد حددت المناطق التي ستكون تحت سيطرة هذا الوالي ضمن الحدود المصرية وكانت شبه جزيرة سيناء تتبع ادارة مصر من نقطة شرقي العريش تمتد الى الجنوب الشرقي لتشمل بعض النقاط الحصينة في الحجاز على الساحل الشرقي للبحر الاحمر بقصد تأمين طريق الحج المصرى وكان لهذا الموقع أهمية استراتيجية حتى قبل شق قناة السويس أو الاحتلال البريطاني لمصر وترجع هذه الاهمية لوقوعها على طريق الهند . لذا رأت بريطانيا أن الحل للسيطرة على هذه المنطقة هو ابعاد تركيا عن فلسطين وكذلك ابعاد محمد على باشا عن طريق استيطان اليهود لفلسطين ومنذ تلك الفترة وبريطانيا تساند المشاريع الاستيطانية الزراعية في فلسطين كان آخرها مشروع بول فريد مان الذى عزم على اقامة مملكة اسرائيلية في الاراضي المقدسة وتمكن بول فريد مان من شراء بعض الاراضي في جهة المويلح مما دفع الوالي العثماني في الحجاز الى ابعادهم غير أن الامر تطور في موقع آخر هو ضبه مما دفع بالقوات المصرية والعثمانية الى التحرك الى هذا الموقع مما دفع قوات عثمانية الى رفع علامات الحدود السابقة في رفح وأقامت علامات جديدة مما دفع بالقوات البريطانية الى تقديم انذار للحكومة العثمانية تراجعت على أثره لتسوية الحدود بين الطرفين وانتهى الامر في عام ١٩٠٦ الى تسوية الحدود في خط يبدأ من طابه على خليج العقبة وينتهي بالقرب من رفح .

انظر خيرية قاسمية : قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الاولى شئون فلسطينية العدد الخامس ـ تشرين الثاني ١٩٧١ ص ١٦٢ ـ ١٧٤ .

(٢) عبد العزيز عوض : متصرفيه ـ رسالة دكتوراه غير منشورة .

(٣) ارشيف استنابول ـ داخلية ١٣١٨ هـ .

(٤) نفس المرجع ـ داخلية شعبان ١٣٢٢ هـ .

المخصصات المالية لهذا القضاء لمواجهة الاعمال التطويرية الواسعة (١) ٠

قضاء الحفير :

يبدو أن مسائل الحدود لم تستقر حيث ظهر نشاط من قبل الانجليز على الحدود المصرية الفلسطينية كان مثارا للحكومة العثمانية مما دفعها الى اقامة مركز ادارى متقدم عرف باسم قضاء العوجا ـ الحفير وقد دعم هذا القضاء الجديد بمخفر للجنود ودار للحكومة وقد استغل هذا الموقع المتقدم في الحرب العالمية الاولى من قبل الاتراك حيث اتخذ مستودعا للذخيرة ومركزا لتحركاتهم نحو قناة السويس ٠ (٢)

وعملت الحكومة العثمانية على تأمين مصاريف العديد من المشاريع المنتظرة في هذا القضاء عن طريق اعطاء حصة المنافع لتأسيس المصرف الزراعي وحصة المعارف لتشييد مدرسة زراعية ، أما حاصلات الاعشار فلزيادة مرتبات الموظفين والعاملين في القضاء (٣) ٠

وبهذا تكون الدولة العثمانية قد اتخذت المزيد من الاجراءات الادارية بقصد تدعيم الادارة المركزية في البلاد وهذا واضح من اقدامها على تشكيل متصرفية القدس الممتازة نظرا لاهميتها الدينية ، وتأسيس ولاية جديدة هي ولاية بيروت سنة ١٨٨٨ لتعزيز المكانة التجارية في المناطق الساحلية ، ونتيجة لذلك يمكن القول أن التغييرات الادارية التي جرت في الجزء الجنوبي من سورية قد خدمت سياسة الدولة العثمانية في محاولتها لتدعيم مركزها ومكانتها في هذه البلاد ولكن الدولة العثمانية لم تعتمد على هذه الاجراءات الادارية وحدها بل ان الامر امتد الى الاعتماد على تدعيم أجهزة الحكم والادارة في البلاد ، وهذا ينقلنا الى الحديث عن أساليب وأنظمة الدولة العثمانية من خلال أجهزتها المتعددة التي مارست بواسطتها تنفيذ سياستها ، ثم مدى تأثير هذه السياسة العثمانية على فلسطين ٠

من الاجهزة التي عملت بها الدولة العثمانية تدعيما لتنفيذ سياستها المركزية في البلاد الجهاز الادارى الذى وردت تشكيلاته في نظام الولايات الذى صدر سنة ١٨٦٤ أما اختصاصات العاملين بهذا الجهاز فقد وردت في قانون ادارة الولايات العمومية الذى صدر سنة ١٨٧١ ٠

فعلى رأس الجهاز الادارى في اللواء كان المتصرف الذى تمتع بصلاحيات واسعة مكنته من الاشراف على شئون اللواء فهو مسئول عن ادارة الامور المالية والمدنية والامنية واجراءات الاحكام الجزائية والحقوقية ضمن الدائرة الادارية المخصصة له وامتدت مسئوليته الى الاقسام الادارية داخل المنطقة الادارية التي يشرف عليها وذلك من حيث تعيين موعد اجتماع مجالس النواحي والاقضية وتحصيل الايرادات والتكاليف كما كلف المتصرف بالعمل لاجل رفع مستوى المتصرفية في المجالات التعليمية والزراعية والصناعية والقيام بجولات

---

(١) نفس المرجع ـ داخلية ١٣٢٦ هـ ٠

(٢) عارف العارف : تاريخ بئر السبع وقبائلها ص ٦٣ ـ ٦٥ ٠

(٣) ارشيف استنابول ـ داخلية ١٣٢٦هـ ٠

تفتيشية للوقوف على حـال المتصرفية عن قـرب (١) ٠

وضمن هذه الصلاحيات مارس المتصرفون عملهم في جميع الالوية التي شكلت القسم الجنوبي من سورية ، ففي لواء القدس حقق بعض المتصرفين انجازات كبيرة للواء شملت جوانب متعددة أصابت التعمير في المدنية والعمل على ارساء قواعد المساواة بين الطوائف في البلاد ، وفي نفس الوقت وجد بعض المتصرفين ممن أساءوا الخدمة فكانوا عرضة للتبديل فكان لذلك تأثير واضح في عدم استمرارية العمل أو الانجازات الادارية التي كانت تتعطل بسبب هذا التغيـير (٢) ٠

وفي لواء نابلس ساهم بعض المتصرفين في تحقيق انجازات عمرانية أصابت المدارس مثل المدرسة الرشادية الشرقية والرشادية الغربية وتشييد حديقة المنشية (٣) ٠ وأصابت هذه الانجازات العمرانية كذلك تعمير وانشاء الجوامع والسبل والموءسسات الخيرية التي لم تقتصر على مركز اللواء بل امتدت الى القرى والمناطق المجاورة لهذا اللـواء كما حدث في سبسطية وبيت أمريـن وجنـين (٤) ٠

ومن العاملين في اللواء أيضا المحاسب الذى وكل له مهمة الاشراف على الشئون المالية داخل اللواء ومدير تحريرات اللواء المسوءول عن اجراء الامور الكتابية الرسمية في اللواء وجميع القيود والمحافظة عليها وادارة الامور التحريرية بواسطة قلم التحريـرات والامور القيدية (٥) ، ومدير المعارف المسئول عن أمور التعليم في اللواء ورئاسة مجلس المعارف في اللواء (٦) ، ومأمور الدفتر الخاقاني لادارة وتنفيذ التعليمات المرسلة من مدير دفتر الولاية الى المتصرف بوساطة الوالي ، أما مأمور النفوس فأوكلت له مهمة ادارة المعاملات الخاصة بالنفوس والاملاك العمومية وتذاكر المرور وجوازات السـفر (٧) ٠

والى جانب هوءلاء العاملين حسب ما نصت عليها الانظمة العثمانية في تشكيلات اللواء وجدت مناصب ادارية أخرى في لواء القدس شغلها مدير الامور الاجنبية ومدير الزراعة والتجارة ومدير قوة الامن ومدير النافعة وهذه المناصب الادارية هي من التنظيمات الادارية في الولاية ، ويبدو أن ذلك الاجراء كان بسبب مكانة القدس الادارية حيث رفعـت الـى متصرفية ممتازة فاقتضى الامر وجود التشكيلات الادارية المعمول بها في الولاية فـي هـذه المتصرفيـة (٨) ٠

أما الجهاز الادارى في القضـاء فقد ترأسـه القائمقام باعتباره الممثـل الاعلـى

---

(١) الدستور : المجلـد الاول ص ٣٨٧ – ٣٨٨ ٠

(٢) ارشـيف اسـتانبول : داخليـة ١٣٢٢ هـ ٠

(٣) احسـان النمر : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ـ الجزء الثالث ص ١٢٣– ١٢٤ ٠

(٤) ارشـيف اسـتانبول : داخليـة ـ ٣ شـعبان ١٣١٢هـ ٠

(٥) الدسـتور : المجلـد الاول ص ٣٨٧ ٠

(٦) الدسـتور : المجلـد الثانـي ص ١٧٨ ٠

(٧) نفـس المرجـع : المجلـد الاول ص ٤٠٦ ٠

(٨) عبد العزيـز عـوض : متصرفية القـدس ـ رسالة دكتـوراه غـير منشـورة ٠

للمتصرف في القضاء وكان يعين من قبل لجنة انتخاب تشكلها الدولة لاختيار هذا المسئول الاداري الذى حددت مهمته في الامور المدنية والمالية والضابطية وتنفيذ أوامر المتصرف في القضاء ، وتحصيل واردات الدولة وارسالها الى مركز اللواء (١) وخول كذلك حق انتخاب مدراء النواحي وعقد جلسات النواحي في مركز القضاء .

وكان على القائمقام أن يبحث المشاكل البارزة في القضاء المسئول عنه وقد اختلفت المشاكل في أقضية لواء لقدس من قضاء لاخر ، ففي قضاء غزة مثلا برزت مشاكل القبائل البدوية على غيرها من المشاكل ومن هنا جاء حرص الحكومة العثمانية على تعيين الحكام الاداريين لهذا القضاء بحيث تتوفر فيهم الخبرة حتى يتمكنوا من تصريف شؤون هذا القضاء ، أما في قضاء الخليل فبحكم طبيعة المجتمع المحافظة في هذا القضاء فان الاهالي لم يتقبلوا الحكم المركزى وأبدوا تذمرهم نحو الحكام من حين لاخر مما دفع الحكومة العثمانية الى استبدالهم من وقت لاخر لعل في ذلك الاجراء تخفيفا من مفهوم الحكم المركزى حسب نظرة أبناء هذا القضاء لهذا الحكم ، أما في قضاء يافا فكانت شكاوى الاهالي في هذا القضاء تبرز بسبب تصرفات الحكام الاداريين أنفسهم (٢) لانهم كانوا مصدرا للتعديات وقد استجابت الدولة العثمانية لشكاوى أبناء هذا القضاء حيث عملت على استبدال الحكام المخالفين أو الذين أساؤا التصرف تجاه الاهالي فقد بلغ عدد من تولى أمور هذا القضاء من القائمقامين احدى عشر قائمقاما في مدى سنتين ، وقد صورت الصحف أبعاد عملية استبدال الحكام الاداريين على الاهالي في أن هذه الاجراءات كانت سببا في اعاقة الانجازات الادراية كما أن هذه الاجراءات كانت تضر بمكانة يافا وهيبتها أمام الاجانب المتواجدين بكثرة في هذه المدينة (٣) .

وأخيرا قضاء بئر السبع فقد راعت الدولة تعيين حكام اداريين لهذا القضاء على جانب كبير من المعرفة بشؤون البدو حتى يكون ذلك عونا على حل مشاكلهم المتعددة ، وقد احسنت الدولة اختيار الحكام في هذا القضاء لدرجة أن أهالي هذا القضاء تجاوبوا مع الاستقرار والتوطن والسير في مركب المدنية والتحضر ، ومع هذا النجاح الذى حققه الحكام الاداريين في هذا القضاء الا أن قضايا ومشاكل بقيت قائمة في هذا القضاء خاصة قضايا الحدود (٤) .

وراعت الدولة العثمانية عند تعيينها للحكام الاداريين أهمية ومتطلبات المكان نفسه ، فأهمية ميناء يافا باعتباره ميناء هاما ومعبرا للاجانب الى القدس دفعت الدولة العثمانية الى توخي تعيين قائمقام لهذه المدينة بحيث يكون ملما بلغة أجنبية حتى يتمكن من التفاهم أو بحث الامور المتعلقة بالاجانب (٥) .

---

(١) الدستور : المجلد الاول ص ٣٨٩ ــ ٤٠٧ .

(٢) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس ــ رسالة دكتوراه غير منشورة .

(٣) محمد القلقيلي : هنا وهناك ص ٥٥ ــ ٥٧ .

(٤) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس ــ رسالة دكتوراه غير منشورة .

(٥) ارشيف استانبول : داخلية ١٣٩٠ هـ .

وعانت بعض أقضية لواء نابلس من عملية استبدال القائمقام الشيء الكثير لان ذلك أثر على المشاريع الانشائية أو العمرانية الهامة بالنسبة للاهالي ففي قضاء طولكرم مثلا نظر القائمقام بالاشتراك مع رئيس البلدية أمر توفير المياه لاحدى القرى التابعة لهذا القضاء وبعد الاعداد لهذا المشروع وجمع التكاليف المقررة لذلك نقل القائمقام فكان ذلك سببا في تعطل المشروع الى حين تعيين قائمقام آخر الذى ربما لا يروق له هذا العمل أو الاجراء فيعمل على تعطيل هذا المشروع الحيوى لابناء هذا القضاء (١) ٠

أما في لواء عكا فقد عانى الاهالي من تصرفات بعض الحكام الاداريين ففي قضاء طبرية كان القائمقام سببا في تقديم الشكاوى ضده الى نظارة الداخلية لانه كان يتدخل في شؤون الاهالي بقصد التفريق فيما بينهم والتدخل في انتخابات مجلس المبعوثان كما كان لهذا المتصرف مواقف مكنت اليهود من اقامة مستوطنات جديدة في الاراضي الاميرية (٢) ٠

والى جانب القائمقام الذى يعتبر على رأس الجهاز الادارى في القضاء وجد من الموظفين منهم مدير مال القضاء الذى أوكلت له مهمة أمور القضاء المالية بعد أن كانت من اختصاصات القائمقام وعلى أن يكون هذا الموظف المالي مسئولا أمام المحاسب في اللواء كما وجد في القضاء عدد من الكتاب ومأمورى النفوس بقصد المحافظة على تحرير النفوس وتنظيم جداول وقوعات الاملاك وتذاكر المرور ٠

وأشرف على الجهاز الادارى في الناحية الذى كلف بتنفيذ أوامر الدولة وقوانينها وتبليغ الاقضية بالتحقيقات التي يجريها المخاتير بخصوص المواليد والوفيات ، وحددت شروط معينة لمن يتولى هذا المنصب الادارى في الناحية بحيث لا يكون محكوما عليه بجناية وأن يعرف القراءة والكتابة وأن يتجاوز عمره العشرين ٠

أما الجهاز الادارى في القرية فقد أشرف عليه المختار حيث وجد على رأس كل قرية مختار أو مختاران حسب عدد السكان ينتخبه الاهالي ثم يعين بعدها بعد موافقة القائمقام وأنيطت بالمخاتير مهمة تحصيل الاموال وسائر الخصوصيات والاشراف على النواطير (الحراس) وتوسعت صلاحيات المخاتير بعد صدور نظام ادارة الولايات العمومية ١٨٧١ بحيث أصبح المختار مسئولا عن ابلاغ الانظمة والقوانين المرسلة من قبل مدير الناحية الى الاهالي وتبليغ تذاكر الاحضار والدعاوى وابلاغ مدير الناحية بالمواليد والوفيات في القرية ومساعدة الدولة في القضاء القبض على المذنبين وابلاغ الحكومة عن الاراضي المكتومة (٣) ٠ أى الاراضي التي يستولي بعض الاهالي عليها بطريقة غير شرعية ويكتمون خبرها عن الدولة ٠

بروح هذه الانظمة حاول بعض المتصرفين في الالوية تنفيذ سياسة الدولة الجديدة الرامية الى توطيد دعائم الحكم المركزى ، غير أن هذه المحاولة اصطدمت بظاهرة تكاد تكون عامة وهي فساد الجهاز الادارى ويبدو أن هذا الفساد يرجع الى ناحيتين :

---

(١) الكوكب : ١٥١ – ٢٩ يوليه ١٩١٩ ٠

(٢) الكرمل : ٢٦٨ – ٢٤ أيلول ١٩١٢ ٠

(٣) الدستور : المجلد الاول ص ٤٠٧ – ٤٠٩ ٠

الموظفون حيث أصبح من المألوف أن يتولى المناصب الادارية من هم غير أهـل لذلك ووسيلتهم في ذلك الرشوة والمحسوبية وكان المستوى الاداري للوظيفة هو الذي يحدد المبلغ الذي يقدم لشـــراء الوظيفـة .

المركزية في الحكم أدت الى خلق مشاكل ادارية لدرجة أن هذه السياسة أدت الى ضياع العديد من الولايات بسبب التعقيدات الادارية التي حرمت أبناء البلاد من التمتـــع بحقهم في التصرف بشـــؤونهم . (١)

وهناك أسباب أخرى أدت الى هذه النتيجة من الفساد وعدم تحقيق الاجراءات والانجازات الادارية هي عدم أخذ الدولة العثمانية بالاجراء الاداري القائم على تعيين وكيل لحاكم اللواء ــ كما كان معمولا به خلال الادارة المصرية لبلاد الشام ــ لينوب عن الحاكـــم في حالة استبداله بآخر ومع أن الدولة كانت تلجأ أحيانا الى تشكيل لجنة مؤلفة من القاضي والمفتي ونقيب الاشراف الا أن هذه اللجنة لم يكن لها فعالية الوكيل مما كان يخلق نوعا من الاضطراب الاداري (٢) وقد صور صحفي فلسطيني أصناف المتصرفين في فلسطين وسورية أثناء جولة له في هذه المناطق في عام ١٩١٢ على النحو التالـــي :

رجل وطني أمين نشيط لكن طبيعة الاستبداد وشكل الحكومة لم تمكنه من العمل .

رجل يشارك الاول في العديد من أوصافه لكنه ضعيف الارادة .

رجل خبيث الطبع لا تهمه الا رغباتـــه .

رجل لا يتكلم أكثر مما يتكلم من حولـــه .

رجل تحت سيادة المنفذين والوجهـــاء .

رجل ســيء التصرف ويتخبط في أعمالــه . (٣)

ان مثل هذا الانطباع المبالغ فيه عن المتصرفين في فلسطين وسورية يعطي صـورة عن الفساد الذي أصاب الجهاز الاداري باعتبار أن القائمين على هذا الجهاز هو رأس الداء وقد انعكست هذه الحالة على باقي العاملين في هذا الجهاز ، يضاف الى هذه الحالـــة السيئة أن تصرفات بعض المتصرفين في الالوية كثيرا ما كانت تجد توافقا لها مع بعض العاملين ضمن الجهاز الاداري نفسه حيث أن العديد من الشكاوى كانت لا تصل الى الوالـــي والسبب في ذلك الصلة التي كانت قائمة بين من هم حول الوالي مع هؤلاء الاداريين ، وأشارات أخرى تدل على مدى الاضطراب والفساد الاداري أن البعض من الحكام الاداريـين كانوا ينقلون الى مناصب أخرى في مناطق غير المناطق التي أساءوا التصرف فيها ودون أن يوقع عليهم العقاب اللازم أو المفـــروض (٤) .

لعل سوء الحال هذا الذي أصاب الجهاز الاداري دفع بالدولة العثمانية الى اعتماد وسيلة أخرى لتوطيد مركزها ومكانتها ولتكون بهذه الدعامة اداة رقابة على الجهاز الاداري

---

(١) الكوكب : ٥٨ ــ ٤ سبتمبر ١٩١٧ .

(٢) (2) Finn: Stirring Times, Vol. 1. p. 405.

(٣) محمد القلقيلي : مرجع سبق ذكره ص ٣٥ ــ ٤١ .

(٤) محمد القلقيلي : مرجع سبق ذكره ص ٣٩ ــ ٤١ .

ومن هنا اعتمدت الدولة العثمانية على المجالس الادارية كدعامة جديدة لتدعيم حكمها .

فقد نص نظام الولايات الذى صدر في سنة ١٨٦٤ على طريقة انتخاب المجالس المحلية في الولايات في حين وردت اختصاصات هذه المجالس في نظام ادارة الولايات من العمومية سنة ١٨٧١ ، وقد وجد في فلسطين خلال الحكم العثماني العديد من المجالس الادارية فقد وجد في القدس مجلس المتصرفية العمومي،فحسب ما نص عليه نظام الولايات ١٨٦٤ شكل في مركز كل ولاية مجلس عمومي بنسبة عضوين مسلمين وعضوين من الملل الاخرى من كل ولواء وينتخب أعضاء المجلس العمومي من قبل أعضاء مجالس الادارة في الاقضية ، ويترأس المجلس العمومي في الولاية الوالي الذى يترأس جلسات هذا المجلس التي تعقد دورة كل عام وتمتد لمدة أربعين يوما (١) .

وتطبيقا لهذه التعليمات ومع اعتبار القدس ذات مرتبة ممتازة شكل فيها مجلس عمومي ضم خمسة أعضاء بنسبة عضو عن كل قضاء من أقضية اللواء ثم اتسعت عضوية هذا المجلس حيث أصبح عدد الاعضاء في عام ١٩١١ ــ ١٢ عضوا موزعين حسب الترتيب الاتي

القدس : محمد يوسف العلمي ، جرجي أبو زخريا ، البرت عنتابي .

غزة وبئر السبع : أحمد عارف ، خليل بسيسو ، فرح ترزى ، طه زقوت .

يافا : عبد الله شفيق ، عمر البيطار ، توفيق الغصين .

الخليل: سليم طهبوب ، أمين عمرو (٢) .

أما اختصاصات هذا المجلس حسب ما جاء ذلك في نظام الولايات العمومية ١٨٧١ فهي العمل على تسوية الطرق والمعابر واصلاحها وتسهيل التجارة ونشر المعارف والاداب وتقسيم الويركو وتحسين البذار والحيوانات والاهتمام بالابنية العمومية وبحث دفاتر توزيع تكاليف الالوية السنوية ومضابط مجالس ادارة الالوية وتعديلها وبحث ما يقدم من استدعاءات للاقضية وعرضها على الباب العالي ، وتجرى المذاكرة داخل المجلس بحضور ثلثي أعضاء المجلس (٣) وبروح هذه التعليمات اتخذ مجلس المتصرفية العمومي عدة قرارات منها تشكيل خمس لجان عمل من بين أعضائه بحيث يقوم أعضاء اللجان بتقديم اللوائح والتقارير وتنظيمها وعرضها على المجلس العمومي وهذه اللجان هي :

لجنة المعارف :

ضمت خمسة أعضاء بواقع عضو واحد عن كل قضاء من الاقضية الاتية : غزة ، يافا الخليل ، أما القدس فقد شاركت بعضوين في هذه اللجنة .

لجنة الزراعة والتجارة والصناعة :

ضمت أربعة أعضاء حيث ساهم كل قضاء بعضو واحد وهذه الاقضية هي : أقضية

---

(١) الدستور : المجلد الاول ص ٣٨٥ ــ ٣٨٦ .

(٢) عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ص ٣١٦ .

(٣) الدستور : المجلد الاول ص ٤١٠ ــ ٤١٢ .

القـــدس ، يافـا ، الخليـل ، غـزة .

لجنة الاشـغال العامـة :

تتألف من أربعة أعضاء ساهم مركز اللواء بعضوين أما قضاءا يافا والخليل فقد ساهم كل منهمـا بعضو واحـــد .

لجنـة الماليـــة :

تألفت من أربعة أعضاء بواقع عضوين لكل من قضائي غزة والخليل (١) .

لجنـة الصحـــة :

شكلت من أربعة أعضاء كان نصيب القدس عضوين في حين كان لكل من يافـــا وغــزة عضو واحـــد .

يفهم من هذا أن عدد الاعضاء المشكلين لهذه اللجان وصل الى ٢١ عضو بواقـــع ٤ أعضاء لكل لجنة باستثناء لجنة المعارف التي تألفت من خمسة أعضاء ومعنى هذا أن بعض الاعضاء كانوا يشتركون في أكثر من لجنة لان أعضاء مجلس عموم المتصرفية يصل الى ١٢ عضوا ، ويلاحظ كذلك على التشكيلات المحلية داخل المجلس العمومي في المتصرفية أن بعض الاقضية كانت تشترك بواقع عضوين في لجنة ما في حين أن أقضية أخرى لم تشـترك بالعضوية ،لهذا لم يكن على ما يبدو ثمة تنظيم محددلهذه اللجان ومهمايكن فان هذهاللجان بدأت فيإعداد التقاريـر عن أعمالهـا وانجازاتهـا وتقديم ذلــك للدراسـة والبحث في مجلـــس اللـــواء العمومي ، ويمكن الوقوف على انجازات هذا المجلس من خلال التقارير التي رفعتها اللجان المختصة ، وقد اتيح لي الاطلاع على بعض هذه التقارير في أرشيف رئاسة الوزراء في القدس من ذلك ما قدمته لجنة المعارف من تقارير خصص على أثرها مبالغ مالية لا جل بناء بعـــض المدارس في أقضية اللواء منها مدرسة في باب الساهرة بالقدس ومدرسة ابتدائية وأخـــرى متوسطة في غزة وقد رصد لهذه المدارس ٤١١٠٠٠ قرش ويبدو أن الانجازات لم تكن سريعة وهذا واضح من محاولة المجلس العمومي استوضاح الامر من مديرية المعارف حيث أفـــادت المديرية بأن المخصصات قد تأخر صرفها بالرغم من الجهود التي بذلت (٢) . ومـــن انجازات لجنة المعارف أيضا تخصيص مبالغ لتغطية مصاريف ١٢ طالبا عربيا الحقوابمدرسة نيـــتر (٣) وهي المدرسة الزراعية التي انشأها اليهود بالقرب من يافا في عام ١٨٧٠

---

(١) أرشيف رئاسة الوزراء ، القدس : سجل مجلس اللواء العمومي لعام ١٣٣٠ – ١٣٣١ رومي – المحضر الثالث ٤ شـباط ١٣٣٠ رومـي .

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء ، القدس : سجل مجلس اللواء العمومي – المحضر الثامن ١٧ شـباط ١٣٣٠ رومـي .

(٣) ارشيف رئاسة الوزراء ، القدس : سجل مجلس اللواء العمومي – المحضر الخامس ١٠ شـباط ١٣٣٠ رومـــي .

بقصد تزويد المستوطنين اليهود بالخبرة الزراعية وتعليم المهن الزراعيــة (١) .

كما أن لجنه المعارف أوصت بضرورة التوسع في تشييد المدارس في القرى حيــث أن العديد من القرى كان محروما من المدارس (٢) والعمل على تدريب عدد من الطلاب في المدرسة السلطانية التي افتتحت في القدس مؤخرا عام ١٩١٤ وقد توصلت لجنة المعـارف الى الحاق عددمن الطلاب الى المدرسة لتدريبهم ليكونوا معلمين في مدارس القرى مجانا واعفاء الطلاب من الرسوم المدرسية المقررة على أن يتم استيفاء ذلك من مصاريف ميزانيــة المعـــارف .

أما لجنة الزراعة والتجارة والصناعة فقد بحثت جانب رئيسي من نشاطها هو الجانب الزراعي حيث رأت ضرورة غرس الاشجار في العديد من المناطق بعد أن أصـــاب العديد من هذه الاشجار التلف لعدم توفر الرعاية لها ويبدو أن المخصصات المقررة لزراعة الاشجار من قبل وزارة الزراعة لم تكن كافية ، ومع هذا رأت اللجنة امكانية الاستفادة مـــن الاشجار الملائمة لتجفيف المستنقعات وزراعتها في المناطق القريبة من المستنقعات (٣) ، وقد تم بالفعل زراعة ٤٠ ألف شجرة في مستنقعات وادى بولص ، (٤) ، كما بحثت لجنـــة الزراعة امكانية تقديم المساعدات المالية الى الفلاحين عن طريق المصرف الزراعي لاجـل مساعدة الفلاحين على تعويض ما فقدوه من حيوانات استولت عليها السلطة العسكرية أن هذه اللجنة قد قصرت نشاطها على الاعمال الزراعية حيث لم يرد في قرارات المجلـس العمومي للمتصرفية أية اشارات بشأن نشاط هذه اللجنة الى جانب انشطة كانت صناعيــة أو تجارية باستثناء محاولة هذه اللجنة ايفاد عدد من الطلاب للتدريب في المصانع الاوروبيــة حتى يمكن الاستفادة من خبرتهم بعد عودتهـــم (٥) .

وبحثت لجنة الاعمال العامة مخصصات الطرق في اللواء حيث قررت شق العديد من الطرق في اللواء من ذلك طريق يافا ، غزة وطريق القدس ، اريحا ، وطريق الخليل ، بيت جبرين ورصدت اللجنة لذلك حوالي ٨٠٢٧٠٠ قرش (٦) ، وكما واجهت لجنة المعـــارف الصعوبة في صرف المخصصات المالية واجهت هذه اللجنة صعوبة في صرف المخصصات المقررة لهذه الطرق وأحيانا كانت هذه اللجان تلجأ الى الاهالي للاعتماد على مساعدتهـم المالية كما واجهت هذه اللجنة مشاكل أخرى من حيث عدم توفر المتعهد لتنفيذ أعمـــال الاشغال العامة وقد تغلبت اللجنة على هذه المشكلة كما تغلبت على تأخر صرف المخصصات

---

(١) (1) Carpentar: The Holy Land and Syria, pp. 169-107.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء ، القدس : سجل مجلس اللواء العمومي ، المحضر السادس ١١ شـــباط ١٣٣٠ رومـــي .

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء ، القدس : سجل مجلس اللواء العمومي ، المحضر السابع ١٦ شـــباط ١٣٣٠ رومـــي .

(٤) نفس المرجع السابق ، المحضر الخامس ١٠ شباط ١٣٣٠ رومي .

(٥) نفس المرجع السابق ، المحضر السادس ١١ شباط ١٣٣٠ رومي .

(٦) نفس المرجع السابق ، المحضر العاشر ٢٤ شباط ١٣٣٠ رومي .

المالية عن طريق طرح مشاريع شق الطرق بصورة ائتمان تحت اشراف أحد المسؤولين لمراقبة الانجازات والعمل في هذه الطرق (١) . كما أن اللجنة كانت تستعين بالجيش لشق الطرق كما حدث ذلك بالنسبة لطريق بئر السبع ـ حيفا (٢) ، وقد زادت الحاجة الى شق العديد من الطرق مع اعلان الدولة العثمانية حالة النفير لعام ١٩١٤ في البلاد لذا زادت مخصصات اللجنة (٣) لتغطية الانشاءات الجديدة مثل طريق بئر السبع ـ الخليل أو طريق الخليل ـ يافا ومن ناحية أخرى استمرت عمليات صيانة وترميم الطرق في جميع أنحاء اللواء لمواجهة المتطلبات العسكرية التى ركزت بشكل خاص على توفير شبكة من الطرق خدمة للاغراض العسكرية خلال الحرب (٤) .

ودرست اللجنة المالية المنبثقة عن مجلس اللواء العمومي الامور المالية في الاقضية بقصد تسوية الميزانية من ذلك أن اللجنة المالية درست الوضع المالي في بلدية الخليل فاتضح لاعضاء اللجنة العجز المالي الواضح في ميزانية هذه البلدية ، لذا أقرت اللجنة العمل لسد هذا النقص وذلك عن طريق زيادة رسوم المسقفات والتمتع بنسبة خمسة في المائة وزيادة ضرائب الاملاك والعقارات بنسبة ٥ر٢ في المائة وزيادة رسوم التنظيفات في المدينة (٥) .

وبحثت اللجنة المالية أيضا نظام الضرائب الذى سيطبق على جميع المناطق باستثناء مناطق البدو كما درست اللجنة بنود الميزانية العامة حيث أقرت عدة بنود منها مخصصات المنافع العامة التي خصص لها ٧٦١ ٣٣٧ قرش والمعارف ٥٢٢ ٩٧٥ قرش والمسقفات ٢٣٧ ١٢٨ قرش والطرق ٨٩٤ ١٠٧٢ قرش ورسوم ذبيحة ٥٩٧ ١٥٩ قرش ، كما تقرر تأجيل دراسة بعض البنود الاخرى لاجل الوقوف على مخصصاتها من ذلك بنود المطبعة والجريدة الرسمية ورسوم الاملاك والعقارات ، كما ورد في قرارات اللجنة المالية أن رسوم العبور على جسر الشريعة يجب أن تخصص لمستشفى القدس التابع للبلدية (٦) .

وآخر اللجان المتفرعة عن مجلس اللواء العمومي هي لجنة الصحة التي وضعت تقريرا شاملا لارساله الى وزارة الداخلية بقصد المحافظة على الصحة العامة ومقاومة الامراض السارية وانشاء عدد من المستشفيات والملاجىء للعجزة ومطالبة الوزارة بتخصيص المخصصات اللازمة لذلك ، كما اقترحت اللجنة الصحية بقصد تنفيذ قراراتها الرامية الى تنظيم الامور الصحية في اللواء اقترحت ضرورة تنظيم جداول احصائية واجراء مسح شامل بقصد الوقوف على حقيقة الوضع الصحي في اللواء ومعرفة عدد الاطباء الموجودين وعدد الاطباء

---

(١) أرشيف رئاسة الوزراء ، القدس : سجل مجلس اللواء العمومي ، المحضر الثامن ١٧ شباط ١٣٣٠ رومي .
(٢) أرشيف رئاسة الوزراء ، المحضر الخامس ١٠ شباط ١٣٣٠ رومي .
(٣) نفس المرجع السابق ، المحضر السادس ١١ شباط ١٣٣٠ رومي .
(٤) نفس المرجع السابق ، المحضر السابع ١٦ شباط ١٣٣٠ رومي .
(٥) نفس المرجع السابق ، المحضر السادس ١١ شباط ١٣٣٠ رومي .
(٦) نفس المرجع السابق ، المضحر الثامن ١٧ شباط ١٣٣٠ رومي .

المطلوبين لتغطية احتياجات اللواء (١) . وضرورة مخابرة الوزارة بهذا الشـأن (٢) .

بالاضافة الى الانجازات السابقة التي قامت بها اللجان المتفرعة عن مجلس اللواء العمومي بحث هذا المجلس عدة أمور في الاقضية من ذلك البحث في قرار المجلس البلـدى في يافا بشأن اسقاط رئاسة البلدية عن عمر البيطار واسقاط عضوية آخرين في بلديات أخرى أو قبول أعضاء جدد في مجالس الادارة في الاقضية (٣) .

يبدو أن انجازات وأعمال مجلس اللواء العمومي خلال هذه الفترة القصيرة أن هذا المجلس كان يعقد جلسات متعددة كانت تصل من ٣ ـ ٤ جلسات اسبوعيا كما يلاحظ علـى قرارات هذا المجلس أن أعمال اللجان متفاوتة بحيث كانت لجنة الاشغال العامة أكثر عمـلا وانجازا وهذا واضح من المخصصات المالية التي تفوق مخصصات اللجان الاخرى والسبب فـي هذا هو اعلان الدولة العثمانية النفير لعام ١٩١٤ ثم العمل على اعداد وشق طرق جديـدة خدمة للاغراض العسكرية ، كما يلاحظ أيضا أن لجنة المعارف بالرغم من انها تضـم فـي عضويتها أكثر الاعضاء الى أن مخصصاتها وبالتالي نشاطها كان أقل من أنشطة وانجازات اللجان الاخرى وهذا يعطي صورة واضحة عن مدى قلة اهتمام الدولة بشئون التعليم كما يجب عليه الحال وأخيرا لجنة الزراعة والتجارة والصناعة فكانت أقل اللجان عملا حيث على مـا يبدو أن مخصصاتها المالية كانت غير كافيـة .

ووجد الى جانب مجلس اللواء العمومي مجالس ادارية في جميع الالوية التي شكلت الجزء الجنوبي من سورية (فلسطين) (٤) وقد أوضح نظام الولايات الذى أصدرته الدولة العثمانية عام ١٨٦٤ عملية انتخاب أعضاء مجلس ادارة اللواء وحسب بنود هذا النظام تشكل جمعية في كل لواء تعرف باسم جمعية التفريق تضم المتصرف والمحاسب والمفتي والقاضـي وروءساء الطوائف غير الاسلامية وكاتب التحريرات وتكون مهمة هذه الجمعية فرز أسـماء ثلاثة أمثال العدد المطلوب أى أربعة وعشرين اسماء سواء في اللواء أو في الاقضية يجتمع على أثرها مجلس ادارة كل قضاء ومجلس الدعاوى لانتخاب مثلى العدد المطلوب لكل مجلس أى ستة عشر شخصا تعاد بعد ذلك الى اللواء فتجتمع لجنة التفريق على أثر ذلك مرة ثانية لافراز ثمانية أشخاص حسب الاكثرية على اعتبار أن لكل قضاء صوتا واحدا ثم ترسل هـذه الاسماء الثمانية الى الوالي للمصادقة على تعيين أربعة منهم لمجلس الادارة والاربعة الاخرين لمجلس تميـيز الحـقوق (٥) .

ويضم المجلس الى جانب الاعضاء المنتخبين عدد من الاعضاء الطبيعين أى بحكـم وظيفتهم وهم المتصرف رئيسا والقاضي والمفتي ورئيس المحاسبة والمكتوبجي ومدير الامـور

(١) نفس المرجع السابق : المحضر الخامس ١٠ شباط ١٣٣٠ رومي .
(٢) نفس المرجع السابق : المحضر العاشر ٢٤ شباط ١٣٣٠ رومي .
(٣) نفس المرجع السابق : المحضر الاول ٦ شباط ١٣٣٠ رومي .
المحضر الثالث ٤ شباط ١٣٣٠ رومي .
(٤) سالنامة ولاية بيروت : دفعة أولى ١٣١١ و ١٣١٢ ص ١٧٥ ـ ١٩٦ .
(٥) الدستور : المجلد الاول ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ .

الاجنبية ومدير النافعة ومدير الزراعة ، من هذا يبدو بوضوح تفوق عدد الاعضاء المعينين على عدد الاعضاء المنتخبين مما يضمن سيطرة للرئيس على هذا المجلس (١) .

وحددت اختصاصات المجالس الادارية في الالوية حسبما جاء في نظام الولايات العمومية في التدقيق على ايرادات ومصاريف اللواء والتفتيش على الامور الحسابية بالنسبة لصناديق المنافع العمومية والاشراف على أموال الحكومية المنقولة وغير المنقولة والنظر في محاكمات المأمورين والاشراف على انشاء وشق الطرق وفحص المزايدات والمبايعات والمقاولات ، وتحضير التحقيقات الاولية لمجلس ادارة الولاية والمذاكرة بشأن تسهيل الزراعة والتجارة والمعارف والمنافع العمومية واجراء التدابير اللازمة للصحة العامة وتقسيم التكاليف المطروحة من مجلس ادارة الولاية على اللواء (٢) .

كما وجدت مجالس ادارية في جميع الاقضية التي شملتها الالوية الثلاثة وهي القدس نابلس ، عكا (٣) ، وطبقا لنظام الولايات ١٨٦٤ تجرى عملية انتخاب أعضاء مجلس ادارة القضاء بنفس الطريقة التي تجرى بشأن انتخاب أعضاء مجلس ادارة اللواء (٤) ، كما أن اختصاصات المجالس الادارية في الاقضية هي نفس اختصاصات المجالس الادارية في الالوية ولكن بصورة أقل اتساعا (٥) .

ووجد أيضا مجالس ادارية في النواحي حيث يشكل مجلس ادارة الناحية من مجالس اختيارية القرى بواقع أربعة أشخاص عن كل قرية من قرى الناحية ويجتمع هذا المجلس برئاسة مدير الناحية أربعة مرات سنويا وتكون مدة الدورة اسبوعا على الاكثر ومن اختصاصات مجلس ادارة الناحية المذاكرة بشأن التأسيسات النافعة (الاشغال العامة) والطرق والاشراف على غرس الاشجار البرية والمراعي والمشاتي والمذاكرة بشأن المطالعات المعروضة في مجالس اختيارية القرية بشأن الزراعة والصناعة والثروة الحيوانية والمحافظة على النظافة والتدقيق على قرارات مجلس اختيارية القرى (٦) .

وبموجب هذه التشكيلات وجدت مجالس ادارة الناحية في جميع الاقسام الادارية الصغرى حسب ما جاء في سالنامه ولاية بيروت (٧) .

وتأتي مجالس اختيارية القرية في أسفل الترتيب الاداري الذى نظمته القوانين والانظمة الادارية التي أصدرتها الدولة العثمانية وحسب هذه الانظمة يجرى انتخاب أعضاء مجلس اختيارية القرية بواسطة الاهالي ويتراوح عدد الاعضاء فيه من ٣ ـ ١٢ عضوا حسب عدد الطوائف في القرية ويحق الاشتراك في الانتخابات لكل من تزيد سنه عن ثماني عشرة

---

(١) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس ـ رسالة دكتوراه غير منشورة .

(٢) الدستور : المجلد الاول ص ٤١٢ ـ ٤١٤ .

(٣) سالنامه ولاية بيروت : دفعة أولى ١٣١١ و ١٣١٢ ص ١٧٥ ـ ١٩٦ .

(٤) الدستور : المجلد الاول ص ٣٩٣ .

(٥) نفس المرجع : المجلد الاول ص ٤١٥ .

(٦) الدستور : المجلد الاول ص ٤١٥ ـ ٤١٧ .

(٧) سالنامه ولاية بيروت : دفعة اولى ١٣١١ و ١٣١٢ ص ١٧٥ ـ ١٩٦ .

سنة وأن يكون من تبعة الدولة وقادرا على دفع ويركو ٥٠ قرشا • أما الشروط التي يجب أن تتوفر في المرشحين للانتخاب فهي أن تزيد سن الواحد منهم عن الثلاثين سنة ويكون من تبعة الدولة العثمانية ويدفع ١٠٠ قرش ويركو ، وعضوية هذا المجلس سنة واحدة قابلة للتجديد لفترة أخرى أو على الدوام ، وبعد الانتهاء من عملية الانتخاب السابقة الذكر يبلغ القائمقام أو مدير الناحية بالنتيجة (١) •

وحددت اختصاصات مجلس اختيارية القرية في بحث الدعاوى الخاصة بين الاهالي بالمصالحة والمذاكرة بشأن احتياجات القرية من النظافة وكذلك تسهيل أمور الزراعة والتجارة والاشراف على توزيع الاموال الميرية وتحصيلها واعلام مدير الناحية بوساطة المختار عن الاراضي الخالية والقابلة للزراعة والاشراف على المدارس وتعيين حصة القرية من العمال المكلفين في اشغال الطرق (٢) •

بهذه الصورة من التشكيلات الادارية التي كانت على عدة مستويات من المسئولية ابتداء من الولاية ونهاية بالقرية كان وضع فلسطين خلال فترة الحكم العثماني وينظر البعض الى هذه المجالس الادارية التي شكلت في البلاد على انها مجالس برلمانية صغيرة (٣) ، لكن حقيقة الامر في هذه المجالس أنها كانت في معظم الاحيان تحت سيطرة المتنفذين مما يعمل على عرقلة نشاط هذه المجالس أو عدم تمثيلها الاهالى تمثيلا صحيحا (٤) •

ويرتبط بالحديث عن المجالس الادارية حديث آخر عن المجالس البلدية التي انشئت بموجب المنشور السلطاني في عام ١٨٥٦ وقد جاء ذلك في نطاق الاصلاحات العثمانية التي تناولت العديد من المؤسسات كما صدر في عام ١٨٦٧ نظام أوضح أسس تشكيل المجالس البلدية في مراكز الولايات والالوية والاقضية (٥) ويبدو أن هذا النظام لم يكن شاملا لكافة الجوانب لان قانون ادارة الولايات ١٨٧١ أورد تفاصيل أخرى منها أن تشكيل المجلس البلدى يكون من الرئيس ومعاونه وستة أعضاء من الوظفين على رأسهم الكاتب والمحاسب ، ونص القانون أيضا على وجود عضوين استشاريين في المجلس هما طبيب ومهندس ، وان عملية انتخاب أعضاء المجلس تجرى بنفس الطريقة التي تجرى في اختيار أعضاء مجلس الادارة وتبحث المجالس البلدية في اجتماعاتها التي تكون مرتين في

---

(١) الدستور : المجلد الاول ص ٣٩٢ — ٤١٧ •

(٢) الدستور : المجلد الاول ص ٣٩٠ — ٤١٨ •

(٣) Omar Al Barghuthi: "Local-Self Government Past and Present."

— The Annals of American Academy of Political and Social Science, Philadelphia 1932.

— Palestine: A Decade of Development, Vol. 1. 164 November 1932, pp. 34-38.

(٤) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة •

(٥) محمد كرد علي : خطط الشام ، الجزء الخامس ص ١٤٤ •

الاسبوع كافة الامور المحلية في المدينة كمراقبة الموازين والمكاييل والاسعار والامور الصحية والنظافة العامة والتنويرات ومراقبة البناء وشق الشوراع (١) ٠ وقد أحدث نظام البلديات الذى صدر في عام ١٨٧٥ تغييرات كبيرة في الانظمة السابقة من حيث اختصاصات المجلس والرئيس وطريقة الانتخابات التي كانت مقتصرة على هيئآت محددة وتوسعت حتى شملت كل من يتوفر فيه الشروط من المواطنين وزاد عدد الاعضاء من ٦ الى ١٢ عضو وأوكل أمر تعيين الرئيس الى الحكومة المحلية من بين الاعضاء المنتخبين الذى حدد له راتب في حين باقي الاعضاء بدون راتب حسبما جاء في الانظمة السابقة كما أوضح قانون البلديات الذى صدر ١٨٧٥ شروط الناخب وهي أن يدفع ١٠٠ قرش ويركو وأن يتجاوز عمره العشرين وغير محكوم عليه بجناية ، أما واردات البلدية فقد حددها القانون في عدة بنود منها الرسوم والضرائب ورسوم الاملاك والانشاءات والجزاء النقدى ورسوم المكاييل والاوزان والذبائح والدخولية ، ونص القانون على تنظيم الميزانية تحت اشراف لجنة من أعضاء المجلس البلدى وأعضاء المجلس الادارى وتكون اجتماعات اللجنة مرتين في السنة الاولى في ابريل للنظر في حسابات وأعمال البلدية عن السنة السابقة والمرة الثانية في نوفمبر لتنظيم الميزانية القادمة ولاجل مساعدة البلدية في انجاز أعمالها صدر قانون الاستملاك الذى يخول البلدية حق استملاك ما يعود بالنفع للمصلحة العامة مقابل تعويضات مقبولة (٢) ٠

وتنفيذا لهذه الانظمة والقوانين التي أصدرتها الدولة العثمانية بقصد تنظيم المجالس البلدية فقد وجد في فلسطين آواخر الحكم العثماني ٢٢ مجلسا بلديا موزعة على النحو الاتي ١٠ مجالس في القسم الشمالي و ٨ مجالس في الجنوب و ٤ مجالس في منطقة القدس ، وهذه المجالس البلدية وجدت في مدن : عكا ، بئر السبع ، بيسان ، بيت جالا بيت لحم ، غزة ، حيفا ، الخليل ، يافا ، جنين ، القدس ، خان يونس ، لد ، مجدل نابلس ، الناصرة ، رام الله ، رملة ، صفد ، شفا عمرو ، طبرية ، طولكرم (٣) ٠

والان نتحدث عن بعض هذه المجالس لنقف على تشكيل وانجازات هذه المجالس من ذلك مجلس بلدية القدس الذى شكل في عام ١٨٦٣ من الرئيس ومعاونه وخمسة أعضاء (٣ مسلمين وعضو مسيحي وعضو آخر يهودى) الى جانب عدد من الاعضاء الاستشاريين من بينهم الطبيب والمهندس وقد تنافست الاسر المحلية على رئاسة وعضوية هذا المجلس كغيرها من المدن الفلسطينية وظهر ذلك في القدس بين آل الخالدى والحسيني والعلمي والدجاني (٤) ٠

وقد نظر هذا المجلس في الامور المحلية وتوفير ما يلزم الاهالي من الخدمات المدنية اليومية وسار المجلس بهذه الخطوات سيرا مقبولا ، غير أن مشكلة توفير المياه من خارج القدس كانت من المشاكل المستفحلة وقد كرس متصرف القدس جهوده في سبيل توفير

---

(١) الدستور : المجلد الاول ص ٤١٩ — ٤٢١ ٠

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام — الجزء الخامس ص ١٤٤ — ١٤٧ ٠

(٣) (3) Harry Like and Edward Keith-Roach: op. cit., p. 312

(٤) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ٠

المياه للاهالي وعمل على تنظيف الاحواض من حين لاخر (١) . الا أن هذه المهة قد أوكلت للمجلس البلدى بعد تشكيله وحاول المجلس حل الازمة حلا جذريا عن طريق الاستعانة بالخبرات من الخارج (٢) ، وفي سبيل توفير تكاليف هذا المشروع تم فرض رسوم على الاهالي بنسبة قرش واحد على كل مواطن (٣) .

أما مجلس بلدية غزة فقد جاء متأخرا في تأسيسه عن مجلس بلدية القدس فقد شكل في عام ١٨٩٣ برئاسة مصطفى العلمي ، ويفهم من هذا التأخير أن تطبيق الانظمة لم يكن بنفس المستوى في جميع المناطق وقدم هذا المجلس خدمات عدة للاهالي كالعمل على توفير الحياة أو شق الشوارع واقامة المباني العامة وقد تفاوتت مدة الرئاسة لهذه البلدية حيث لم يستمر بعض الرؤساء سوى سنة واحدة في حين امتدت الرئاسة للبعض الاخر منهم الى عشرة سنوات (٤) .

في حين جاء تشكيل مجلس بلدية الناصرة في وقت مبكر حيث شكل مباشرة بعد صدور قانون البلديات ١٨٧٥ برئاسة طنوس قعوار الذى استمر في هذا المنصب مدة عشر سنوات ، ويبدو أن مدة الرئاسة لم تكن محددة بفترة زمنية أو أن البعض كانت تجدد له هذه المدة حسب علاقته مع الحاكم الادارى في المنطقة ومنذ البداية نظمت الامور المالية في هذه البلدية حيث كانت تحت اشراف لجنة برئاسة القائمقام وبعض أعضاء المجلس البلدى ومجلس الادارة .

ويستدل من الميزانيات التي أعدها هذا المجلس لعدة سنوات أن الوضع المالي كان جيدا فمنذ تشكيل هذا المجلس وبند الايرادات ليس متفوقا على المصاريف فحسب بل ان ميزانية عام ١٨٨٥ أوجدت رصيدا فائضا حوالي ٨٤٩١١ قرش وحسب ميزانية عام ١٩٠٩ وصلت الايرادات الى ١٨ ٥٥٤ قرش وارتفعت الايرادات حسب ميزانية عام ١٩١٢ مبلغ ٧٠٠ جنيه والنفقات أقل من ذلك حيث وصلت الى ٦٦٧ جنيه ، ومن مقارنة ميزانية عام ١٩١٢ بميزانية ١٩١٣ نجد أن الميزانية الاخيرة جاءت بطريقة أكثر تنظيما وشملت تفاصيل أكثر حيث بلغ عدد بنود الميزانية لعام ١٩١٣ ٣٠ بندا في حين كانت ميزانية عام ١٩١٢حوالي عشر بنود فقط ، ويستدل من هذا مدى التطور الذى طرأ على هذا المجلس ودليل ذلك أن بنود الميزانية قد جاءت ببند جديد عن ايرادات الكهرباء ، وهذا يؤكد أن البلدية بدأت باستخدام الكهرباء في الانارة وغيرها . وقد اقتضى ذلك وجود عدد آخر من الموظفين والفنيين للاشراف على الكهرباء ويلاحظ أيضا مدى اهتمام البلدية بأمور النظافة حيث خصص لهذا البند أكثر من غيره في البنود حسب ميزانية عام ١٩١٣ ثم يأتي في المرتبة الثانية مرتبات مأمورى البلدية وفي المرتبة الثالثة المخصصات المقررة في بند التعويضات لهدم البيوت وهذا يعطي اشارة الى مدى اهتمام البلدية بالناحية العمرانية والتنظيمية

---

(١) أرشيف استانبول : داخلية وثيقة رقم ١٣٨٢٢٨ – ١٢٨٢ هـ .
(٢) الهلال : المجلد الثاني – ١٥ سبتمبر ١٨٩٣ ص ٣١٥ .
(٣) (3) F.O. 195/1047 – 21 February 1874.
(٤) عارف العارف : تاريخ غزة ص ٢٦٤ – ٢٦٦ .

داخل المدينة حيث اقتضى الامر شق عدة شوارع ومساحات عامة تتعارض مع بعض المباني لذا رصدت هذه المخصصات للتعويض على أصحابها ، أما أكبر دخل في ميزانية البلدية لعام ١٩١٣ فكان من باب الضرائب على الطرقات والمنازل والاسواق خاصة سوق الحنطة (١)

وعرفت مدينة نابلس المجالس البلدية مبكرا حيث شكل المجلس في المدينة في عام ١٨٦٨ برئاسة محمد أفندى تفاحه وقد جاء هذا التعيين بموجب مرسوم صدر من متصرف لواء البلقاء حدد فيه مهام الرئيس بالتعاون مع باقي أعضاء المجلس كمراقبة الاسعار والاشراف على نظافة المدينة وتحسين العمران . وقد شكل هذا المجلس بواقع سبعة أعضاء كان لكل حارة عضو واحد باستثناء حارة الحبلة حيث كان لها عضوان نظرا لإتساع رقعتها ، ووجد الى جانب هؤلاء الاعضاء أعضاء استشاريون هما طبيب ومهندس ، كما وجد في المجلس أيضا هيئة من الموظفين كمفتش الصحة ، كاتب البلدية ، أمين الصندوق ، مقيد ، جاويش ، معاون بوليس ، تحصيلدار للتنظيفات ومأمور تلقيح .

أما عن انجازات هذا المجلس والتي جاءت في نطاق صلاحيات المجالس البلدية وحسب ما أقرت في جلسات هذا المجلس منذ عام ١٩٠٩ نجد أن هذا المجلس قد عمل على معاقبة المخالفين من أصحاب المحلات أو المتخلفين عن دفع ما في ذمتهم لصندوق البلدية وفرض غرامات مالية ومراقبة الشئون الصحية في البيوت والمحلات وتوجيه الاهالي الى استخدام أفضل السبل في ذلك وتشجيعهم على عمليات التطعيم أو التلقيح ، كما عمل المجلس على ممارسة أعماله الاخرى كأحالة رسوم (أقلام) البلدية الى طالبيها مثل رسوم باج الحيوانات أو رسوم الغازخانه أو الكيالة والعمل على تنشيط الحركة التجارية المحلية بانشاء الاسواق اللازمة وترغيب الاهالي لاستعمال وشراء الحاجيات المحلية بدلا من الاجنبية ومن ناحية أخرى عمل المجلس على مراقبة أسعار اللحوم لدى القصابين وعدم البيع التالف منها .

ومن أعمال المجلس أيضا والتي أنجزها بالتعاون مع مجلس الادارة البحث في الشئون المالية للبلدية كاعداد الميزانية ودراسة بنودها أو دراسة الامور الاكثر أهمية وهي عدم التهاون بالامور المتعلقة بالاماكن المقدسة لغير المسلمين حيث يجب التقيد بحدود ومعالم هذه الاماكن كما هو مقر لها .

ومن ناحية أخرى كان المجلس يعمل على تنفيذ الاوامر الصادرة من الولاية أو نظارة الداخلية بشأن الامور المستجدة أو الطائرة مثل التعاون مع الجهات الصحية على تلقيح الاطفال في أوقات انتشار الامراض المعدية أو تسهيل عمل المأمورين القادمين من طرف الدولة في هذا الشآن ، أو العمل على تنشيط التجارة الداخلية ، ومن الامور الهامة التي نفذها المجلس استخدام اللغة التركية في الاستدعاءات المقدمة لمجلس المبعوثان ، كما نفذ المجلس أوامر الولاية بعدم بيع فضلات الطرق العائدة للبلدية بل تؤجر فقط وأخذ رسوم مضاعفة على الابنية التي اقيمت على الاراضي الاميرية بدون ترخيص .

يفهم من هذا العرض مدى اتساع صلاحيات ومهام المجلس البلدى بشأن الامور

---

(١) أسعد منصور : تاريخ الناصرة ص ٣٠٢ – ٣٠٥ .

المحلية حيث أن هذا المجلس قد أنجز بعض الامور منفردا وأمور أخرى يبحثها ويناقشها مع مجلس الادارة ، بالاضافة الى ما كان ينفذه من أوامر تصدر من قبل نظارة الداخلية بشأن الامور الطارئة المستجدة وقد عمل المجلس البلدي على اعداد ميزانية سنوية وعرضها على المتصرفية من ذلك الميزانية التي أعدها لعام ١٣٣٠ رومية (١٩١٤) وهي حسب الترتيب الاتي : (١)

الايرادات

البند	المبلغ بالقروش	البند	المبلغ بالقروش
رسوم ذبيحه	٩ر٨٠٧	القنطار	٤ر٤٠٠
رسوم المطاين	٢ر٠٠٠	العنب	٥ر٥٠٠
رسوم الدباغخانه	٧ر٠٠٠	البطيخ	٦ر٥٠٠
رسوم العربيات	٥ر٩٠٠	ايجار دكاكين	٣ر٧٣٣
رسوم الغازخانه	٢٠ر٠٠٠	دار البلدية	١ر٥١٥
رسوم التبن الناشف	٤ر٢٥٠	أجور الشويتره	٠ر٩٥٥
الدلاله	١ر٨٠٠	قهوه	١ر٨٠٠
الجبن	٨ر٦٣٠	رخص أبنية	٢ر٥٠٠
الفحم الغربي	٤ر١٢٠	ساحات عامة	٠ر٦٠٠
الحطب الغربي	٣ر٥٥٠	أولون رخصه	٠ر٤٠٠
الحطب الشرقي	٢ر٨٢٥	عقود	٠ر٤٠٠
ايجار الحديقة	٧ر٠٠٠	جزاء نقدى	١ر٠٠٠
الرشادية		رسوم قارمات	٠ر١٦٠
الفحم الشرقي	٢ر١٠٠	(يافطات)	
باج الحيوانات	٨ر٠٠٠	رسوم أرضية بيع	٢٢ر٤٣٤
القايق (الجر)	١٤ر٠٠٠	أغلال	

(١) سجلات المجلس البلدى ـ نابلس ١٩١٤ .

المصروفات

البنـــد	المبلغ بالقروش	البنـــد	المبلغ بالقـــروش
رئيـــس	٩ر٦٠٠	تنويـــرات	٢٧ر٢٧٥
كاتـــب	٦ر٠٠٠	مفروشـــات	٠ر٥٠٠
مفتـــش	٤ر٨٠٠	محروقـــات	٠ر٣٠٠
أمين صنـدوق	٤ر٢٠٠	قرطاســـية	٠ر٥٠٠
مقيـــد	٤ر٨٠٠	أجرة سفر مأمورى	٠ر٧٢٢
جاويش عدد (٥)	٣ر٠٠٠	الصحـــه	
أوطـه جـي	١ر٢٠٠	مأمور القبـــان	٤ر٠٠٠
معـاون كاتـب	٤ر٨٠٠	متفرقـــات	٠ر٥٠٠
مهنـــدس	٦ر٠٠٠	مجـارى ميـــاه	٢ر٠٠٠
امـام مســجد	١ر٢٠٠	ويركو أمــلاك	٠ر٨٥٠
ايجار غـاز خانـــه	١ر٠٠٠	البلديـــة	
متولـي جامـع	٠ر٣٠٠	حفـلات رسـمية	٢ر٨٠٠
بسـتاني الحديقة	١ر٥٩٦	البسه جاويشيـة	١ر٠٠٠
فقراء وغـربـاء	١٠ر٠٠٠	مستلزمات رمضان	٢ر٥٠٠
تنظيفـــات	٢٥ر٠٠٠	مصاريـف طارئه	١٠ر٦٠٣

أهم ما يلاحظ على هذه الميزانية التي أعدها المجلس البلدى في نابلس أن القسم الاكبر من ايرادات البلدية جاء من الرسوم المفروضة على الذبائح ومعامل الصابون والدباغخانه والعربيات ورسوم أرضية الغلال وجانب آخر من ايجار المحلات والدكاكين التابعة للبلدية . ولا تشكل رخص الابنية الا نسبة بسيطة بالنسبة للبنود الاخرى مما يعطي فكرة بأن الحركة العمرانية لم تكن مزدهرة بشكل واضح ، أما بالنسبة للمصاريف فنجد أن مرتبات رئيس البلدية وهيئة الموظفين تأخذ جانبا كبيرا من مصاريف المجلس البلدى ، ولعل ذلك العدد من العاملين قد استخدم لاجل القيام بمتطلبات جمع الرسوم التي كانت تشكل جانبا رئيسيا من ايرادات المجلس حيث كانت هذه الرسوم تجمع بطريق الامانة أى عن طريق موظفين عينوا خصيصا لهذا الغرض وأحيانا أخرى بطريق الالتزام كما أن هناك جانبا كبيرا من المصاريف قد خصص لاجل التنظيفات والتنويرات والخدمات الهامة بالنسبة للاهالي ، كما أن هناك مصاريف في الميزانية تتحملها البلدية وهي من مسئولية دوائر أخرى مثل مرتبات الائمة والمساعدات للفقراء والمحتاجين (١) .

ومن المجالس البلدية مجلس بلدية بيت لحم الذى جاء تشكيله تجاوزا للتعليمات والارادة السنية التي منعت انشاء دوائر بلدية في النواحي والقرى لكن تشكيل هذا المجلس قد تم بسبب أهمية بيت لحم من حيث كونها مركزا للناحية كما أنها مركز لتوافد الزوار والاجانب ، وفي هذا صدرت ارادة سنية خاصة لتأسيس هذا المجلس في عام ١٣١٠ روميه (٢) (١٨٩٤) م .

وحسب ما أشارت اليه سالنامه بيروت شكل مجلس بلدى في عكا من الرئيس وسبعة أعضاء والى جانبهم باشكاتب وأمين الصندوق ومفتش ومهندس وطبيب (٣) .

أما المجلس البلدى في يافا فقد عانى أزمة مالية حسب ميزانية عام ١٩١٣ مما أدى الى عرقلة انجازات المجلس البلدى لذا تم تشكيل لجنة برئاسة القائمقام و ١٤ عضوا لاجل النظر في الوضع المالي ولاجل وضع السبل للتغلب على ذلك ومن التدقيق في ميزانية هذا المجلس تبين أن هناك مصاريف زائدة لا تتحملها البلدية كالمساعدات للفقراء والمحتاجين كما لوحظ التهاون في عملية جمع الايرادات ومن هنا جاءت توصيات اللجنة بضرورة فرض رسوم اضافية على صناديق البرتقال والمطالبة بأن يكون للبلدية نصيب من رسوم المرور على طريق القدس يافا والعمل على ضبط عملية جمع الايرادات بالشكل السليم .

ويلاحظ أن أهم الاعمال التي ركزت عليها اللجنة موضوع اصلاح الطرق واعداد هيئة مختصة تضم مهندس البلدية وناظر عموم الاشغال وعدد من العمال والمعدات ، ويبرز هنا ثانية موضوع الاهتمام باصلاح الطرق أو شق الجديد منها والسبب في ذلك هو اعلان الدولة للنفير العام والاستعداد للحرب تتطلب مثل هذه الاجراءات لتأمين المواصلات

---

(١) سجلات المجلس البلدى نابلس — ١٩١٤ م

(٢) أرشيف استانبول : داخلية ١٣١٢ هـ

(٣) سالنامه ولاية بيروت : دفعة أولى ١٣١١ ، ١٣١٢ ص ١٧٦ — ١٩٤ .

الداخليـة على الوجـه السـليم (١) .

فاذا كان ابناء البلاد قد ساهموا في المجالس الادارية التي صورت على أنهـا برلمانات مصغرة فقد شارك أبناؤنا كذلك في الحياة البرلمانية في الدولة العثمانية منـذ تأسيسها فقد نص القانون الانتخابي الاول الذى صدر في ٢٨ أكتوبر ١٨٧٦ على أن الجمعية العامة أى البرلمان العثماني تضم مجلسين : مجلس المبعوثان المؤلف من ممثلـي الشعب حيث يجرى انتخابهم من قبل الاهالي ومجلس الاعيان المعين أفراده من قبل الدولة وأوضح هذا القانون طريقة انتخاب أعضاء مجلس المبعوثان بوساطة مجالس الادارة في مركز كل ولاية ولواء وقضاء لكون هذه المجالس منتخبة من قبل الشعب وبموجب هذا القانون جرت انتخابات البرلمان العثماني الاول ، وقد ساهم العرب في هذه الدوائر الانتخابية بسـتة عشر عضوا من بينهم نائب القدس يوسف ضيا الخالدى ، الا أن الانتخابات البرلمانية التي جرت في عام ١٩٠٨ كانت قد تمت بموجب قانون انتخابي آخر كان قد صدر في عام ١٨٧٧ ونص على اعتبار كل سنجق دائرة انتخابية وكل ناحية شعبة انتخابية وحدد لكل ٥٠ ألـف يكون لهم نائب واحد أيضا . أما اذا كان عددهم ١٢٥ ألف فلهم نائبان ، ونصت مواد هذا القانون كذلك على ضرورة اعداد لوائح " دفاتر أساسية " في كل قرية قضاء وسنجق يوضـح فيها أسماء الرعايا العثمانيين الذكور ويحتفظ بهذه الدفاتر في المجالس البلدية ، وبموجب هذا القانون أيضا تشكل هيئة تفتيشية برئاسة رئيس البلدية لفحص القوائم الانتخابية ، ويشكل في كل قرية هيئة انتخابية تضم رؤساء الاديان الثلاثة في الناحيـة .

ويعتبر كل من تنطبق عليه الشروط الانتخابية صاحب حق في الانتخاب من الدرجـة الاولى ولكل ٥٠٠ شخص الحق في انتخاب مرشح من الدرجة الثانية ويعطى هذا المرشـح بطاقة من الهيئة الانتخابية لاثبات انتخابه حيث سيشترك مع غيره من مرشحي الدرجـة الثانية في عملية انتخاب النواب وضمن العدد المطلوب من النواب يعتبر اولئك الذيـن ينالون أكثرية أصوات الناخبين الثانويين منتخبين كنـواب (٢) .

وعلى ضوء هذه الانظمة جرت الانتخابات البرلمانية في الدولة العثمانية لعام ١٩٠٨ وفاز خمسة نواب عن فلسطين في حين أن الانتخابات الاولى التي جرت في عام ١٨٧٦ لم يكن فيها سوى نائب واحد من القدس (٣) ، وهذا يعني اتساع الدائرة الانتخابية نتيجـة زيادة عدد السكان في فلسطين بعد الفارق الزمني الطويل نسبيا بين هذه الدورات الانتخابية ونتيجة لتوزيع عدد النواب بالنسبة لعدد السـكان .

كما جرت بموجب هذا القانون الذى صدر في عام ١٨٧٧ الانتخابات البرلمانيـة لعام ١٩١٤ ، ولنا من سير عملية الانتخابات التي جرت في لواء نابلس نموذج نتعرف مـن

---

(١) فلسطين : ٢٩٩ ـ ٢ ، ٤ كانون الثاني ١٩١٤ والعدد ٣٠٠ ـ ٣ . ٨ كانون الثانـي ١٩١٤ .

(٢) زيـن زين : التمثيل الشعبي وقوانين الانتخابات " مجلة الابحاث ـ الجزء الاول آذار ١٩٦١ ص ١٠٠ ـ ١٢٠ .

(٣) عمر الصالح البرغوثـي وخليل طوطـح : تاريخ فلسطين ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ .

خلاله على سير العملية الانتخابية ومدى تطبيق الانظمة العثمانية في هذه البلاد .

فبعد أن وصلت التعليمات من الحكومة العثمانية بشأن اجراء انتخابات مجلس المبعوثان ، وجهت الدعوات من قبل المجلس البلدى في نابلس الى أعضاء مجلس ادارة اللواء وأعضاء المجلس البلدى لاجل التشاور والمباحثة لضبط عملية الانتخابات وجاء الدعوة الموجهة الى كل عضو على النحو الاتي :

" بناء على الامر المبلغ لهذه الدائرة بلزوم المباشرة بمعاملات انتخاب المبعوثان اعتبار من شهر مارس الحالي لهذا قد صارت المبادرة باجراء المعاملة المقتضية في تنظيم الدفاتر الاساسية وحيث أن الهيئة التفتيشية لانتخاب المبعوثان تشكل من أعضاء مجلس ادارة اللواء وأعضاء المجلس البلدى فلاجل تشريفكم لدائرة البلدية للمذاكرة بالاسباب الايلة الى حسن جريان الانتخاب وأيضا المقتضى من المعاملة بالدفاتر الاساسية بادرنا باعلامكم لتداوموا على التشريف يوميا الساعة الثامنة لدائرة البلدية " .

وبعد اجتماعات متعددة في دائرة البلدية وضعت الهيئة التفتيشية مذكرة اشعارا بانتهاء عملية فحص الدفاتر الاساسية وجاء ت المذكرة على الصيغة الاتية :

" حيث قد تم تصحيح وقوعات دفاتر الانتخاب وجرى تدقيقهم تماما بمعرفتنا فوجدت مطابقتين وموافقتين للاحوال فبلغ نفوس الذكور البالغين من ٢٥ سنة وما فوق ١٦٤٨٥ ونفوس الاشخاص من الذين هم دون ٢٥ سنة حوالي ٢١٦٣٩ فعليه يكون المجموع ٣٨١٢٤ ، وعليه بموجب المادة السادسة عشرة من قانونامه المبعوثان صار تنظيم هذه المضبطة (١) .

واستكمالا لعملية الانتخابات في اللواء تم اعداد جداول يوضح فيها المراكز الانتخابية وتوابعها وكذلك أسماء المأمورين والكتبة والعاملين لاتمام العملية الانتخابية على ضوء الترتيبات السابقة جرت عملية الانتخابات البرلمانية في لواء نابلس ــ وهي الدفاتر التي أتيح لي الاطلاع عليها ــ بقصد اختيار المنتخب في الدرجة الثانية الذى سيكون له الحق في انتخاب مجلس المبعوثان وجاء ت النتائج بمرشحين من الدرجة الثانية لكل محل من محلات نابلس الاربعة وهي الغرب ، ياسمينة ، قريون ، حبله ، أما محلة القصبة ومحلة قيسارية فكان لكل منها مرشح واحد أما في القرى والمناطق التابعة لهذا اللواء فقد تم انتخاب مرشحين من الدرجة الثانية لكل من سلفيت وطوباس أما باقي القرى فكان لكل منها مرشح واحد وهي قرى : برقا ، بيت أيبا ، حوارة ، بورين ، بيت أمرين ، تل ، بيت دجن ، بيت فوريك ، مغير ، عقربا ، قيلان ، بيتا ، طمون ، طلوزة ، كفلحارس ، جماعين ، بديا ، ديرا استيا ، كفر الديك ، كفر قدوم .

بناء على النتائج السابقة أعطى لكل مرشح من الدرجة الثانية مضبطة الفوز من قبل مأمور شعبة الانتخاب وهي بالصيغة الاتية :

" جرى انتخاب المبعوثان في مركز ..... وتوابعها ضمن التعريفات القانونية ، ولدى فتح الصندوق وتعداد أوراق الانتخاب حسب الاصول تبين أن .... حاز على

---

(١) سجلات المجلس البلدى ــ نابلس ــ ١٩١٤ .

الاكثرية ...... لذلك تحررت هذه المضبطة الانتخابية على نسختين وصار التصديق عليها من طرفنا لتحفظ احداها بيد المنتخب ... والثانية لتبقى مع رئيس الناحية " .

واستكمالا لعملية الانتخابات وجهت الدعوات الرسمية الى كل من مفتي نابلس ورؤساء الطوائف المسيحية والسمرة في نابلس لاجل حضور عملية انتخاب المبعوثين بدائرة البلدية .

وعلى أثر الانتهاء من هذا الاجتماع أعدت قائمة بالاسماء وعدد الاصوات التي حصل عليها كل مرشح وأرسلت النتائج الى والي الولاية لرفعها الى وزارة الداخلية للمصادقة عليها .

بهذه الصورة جرت آخر انتخابات برلمانية في لواء نابلس ويمكن القول أن هذه الصورة من الانتخابات قد انسحبت على باقي الوية فلسطين في القدس وعكا فقد أشارت جريدة فلسطين (يافا) الى انتهاء عملية الانتخابات في البلاد بعد أن كانت تنشر من وقت لاخر أخبار الانتخابات في المدن والمراكز الانتخابية المتعددة ، وقد أنهت هذه الصحيفة حديثها عن ذلك بمقالة أوضحت فيها الى بعض الملاحظات على عملية الانتخابات الاخيرة لعام ١٩١٤ بمقارنة ذلك مع انتخابات (١) عام ١٩٠٨ فقالت " لقد رافق الانتخابات الاخيرة خطوات من التقهقر السياسي في حين أن الانتخابات لعام ١٩٠٨ كانت تخيف الحكومة المركزية لان الشعب كان غيورا باستقلاله الفكرى " .

ولعل هذا يفسر ما أشارت اليه هذه الصحيفة أيضا من أن هذه الانتخابات الاخيرة قد مرت بسرعة وبدون اهتمام كبير (٢) .

ويبدو أن الاحداث والاوضاع السياسية التي كانت تحيط بالاهالي في تلك الفترة كانت وراء هذا الفتور والاسترخاء في وقت دخلت فيه العلاقات بين العرب والترك مرحلة من اليأس والمماطلة من قبل الحكومة العثمانية للمطالب العربية التي أعلنها الشعب العربي في المؤتمر العربي في باريس ١٩١٣ وقد مثل فلسطين في هذه الانتخابات البرلمانية حسب ما أظهرت النتائج الاخيرة ثلاث نواب من لواء القدس ونائبان من لواء نابلس ونائب واحد من لواء عكا (٣) .

بعد أن تحدثنا عن الجهاز الادارى والمجالس الادارية ننتقل بالحديث لجهاز آخر من أجهزة الحكم والادارة التي عملت بها الدولة العثمانية تدعيما لمركزها وسلطتها هو الجهاز المالي الذى شرع بتنظيمه بعد أن شكلت الدولة نظارة المالية في عام ١٨٢٨ بدلا من دفتر دارية الدولة ، أخذت بعدها الدولة العثمانية باصدار نظام الادارة المالية الذى صدر في عهد السلطان عبد العزيز ١٨٦١ – ١٨٧٦ وقد عرف هذا النظام المأمور بقوله : كل من تجرى على يده أموال الدولة بطريق التحصيل أو بطريق الصرف أو يأمر بتحصيلها وصرفها كما حدد هذا النظام ضرورة وجود سندات صرف وقبض عند الاجراءات المالية ، وقد فسرت

---

(١) سجلات المجلس البلدى ، نابلس ١٩١٤ .

(٢) فلسطين ٣٢٢ – ٢٥ ، ٢١ آذار ١٩١٤ .

(٣) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح : مرجع سبق ذكره ص ٢٦٩ – ٢٧١ . ب

باقي مواد هذا النظام الذى جاءفي أربعة أبواب رئيسية تضم عدة فصول فسرت كيفية ادارة الامور المالية في الدولة العثمانية ابتداء من القرية وانتهاء بالولايـــة .

فقد حدد هذا النظام ايرادات القرية بثلاثة مصادر : الويركو الذى تجرى عملية جمعه بوساطة المخاتير والائمة بعد أن كانوا يقسمون الويركو المطلوب من القرية على أهاليها والنوع الثاني من الايرادات هو البدل العسكرى الذى يوءخذ من أهل الذمة ثم الاعشـــار والايرادات الرسومية التي كانت تستوفي بوساطة الملتزمين عن طريق المزاد العلني أو بوساطة جباة تكلفهم الدولة للقيام بهذه المهمـة .

اما ادارة أموال الدولة في القضاء فكان يشرف عليها كل من القائمقام ومدير المـال وأمين الصندوق فقد اسندت للقائمقام مهمة الاشراف على تحصيل الاموال وكان مدير المـال مسئولا عن تنظيم وفحص الحسابات أما صرف الاموال فكان يجرى عند موافقة الاثنين معا كما اوكلت لهما مهمة مشتركة أخرى هي اعداد دفتر القضاء الذى كان يصل مع بداية كل سنة مالية (مارس) من مركز اللواء ليسجلا فيه واردات ومصروفات القضاء ، أما الموظف الثالـــث وهو أمين الصندوق فقد كان مكلفا بتسلم الاموال ، وكان يضرف على الادارة المالية في اللواء ثلاثة من الموظفين اسندت لكل منهم مهمة خاصة بالاضافة الى المهام المشتركة فيما بي بينهم وهم : المتصرف المسئول عن تحصيل الاموال الاميرية في اللواء ، والمحاسب جـي مسئول عن تحصيل الاموال الاميرية في اللواء ، وأمين الصندوق مهمته اشتراك كل من المتصرف والمحاسب جي في ادارة أموال الدولة والمحافظة عليها وصرفها في المجـــلات المأذون بها ، كما يشتركان في اعداد دفاتر اللواء يوضح في الاول منها ايرادات ونفقـات اللواء والثاني مطلوبات اللواء من أموال السنوات السابقة وما عليه من ديون ، ويشـــترك الجميع في صرف الاموال في اللواء حيث يقدم السند أولا على المحاسب جي للتدقيق عليه ثم يقدم للمتصرف للمصادقة عليه ويعاد ثانية الى المحاسب جي لتسجيل ذلك في دفاتـــر اليومية ثم يقدم السند الى أمين الصندوق للتسجيل والصـرف (١) .

كما أصدرت الدولة العثمانية نظام ميزانية الولاية ١٨٧١ وحسب هذا النظام قسمـت النفقات فيالولاية الى ستة أقسامهي :الداخلية ، الشرعية ، التجارة ، المالية ، المعارف ، النافعــة (٢) .

ولفهم الوضع المالي في فلسطين أواخر العهد العثماني نورد الجدول الاتـــــي لايرادات ومصاريف الوية بلاد الشام لنقف على الوضع المالي لفلسطين بمقارنته مع الالويـة الاخرى وذلك حسب احصائية لعام ١٨٧١ وهي على النحو التالي :

---

(١) الدســتور : المجلـد الثاني ، ص ٤ ــ ١٤ .

(٢) الدســتور : المجلـد الثاني ، ص ٦٦ ــ ٧٠ .

اللــــواء	الايـــرادات بالقـــروش	المصروفــــات بالقــــروش
الشـــــام	١٧ ١٣٣ ٦٩١	١٥ ١٥٠ ٥٨٥
القـــــدس	١٠ ٣١٦ ٧٧٤	٦ ٣٤٨ ٦٤٠
بـــــيروت	٥ ٩٤٣ ٤٥١	٢ ٧٠٠ ١٢٢
طرابلـــــس	٩ ١٠٤ ٢٦٩	٢ ١٥٧ ٠٦٤
عكـــــا	٦ ٤٤٢ ٧٧٥	١ ٨١٣ ٠٨٣
حمـــــا	٧ ٧٩٤ ٤٤٩	٢ ١٩٣ ٥١٣
حـــــوران	٣ ٨١٤ ٢٠٤	٢ ٧٣٢ ٩٠٩
البلقـــــاء	٦ ٩٩٢ ٣٠٣	١ ٨٦٣ ٠١٧
المجمـــــوع	٦٧ ٥٤١ ٩٣٦	٣٤ ٩٥٨ ٩٣٣ (١)

يفهم من هذا الجدول أن ايرادات جميع الالوية تفوق مصاريفها وهذا يعطي فكرة أن الدولة أحسنت عملية جمع الايرادات بفضل الانظمة المالية التي أصدرتها لاجل ادخال الاصلاحات على هذا الجهاز كما يلاحظ أن ايرادات ومصاريف لوائي عكا والبلقاء (نابلس فيما بعد) متساوية خاصة جانب المصاريف التي تشكل نسبة بسيطة بالنسبة للايرادات كما أن مصاريف الالوية الثلاثة : القدس ، البلقاء ، عكا لم تكن على مستوى واحد حيث أن مصروفات لوائي عكا والبلقاء وصلت الى ٦٠ بالمئة من الايـرادات في حين أن مصروفـات لوائي البلقاء وعكا كانت ١٤ في المائة فقط من ايراداتها ، ولعل هذا التفاوت بين لواء القدس من جهة وبين لوائي عكا والبلقاء من جهة أخرى يرجع الى كون لواء القدس ذات مكانة دينية ، ولعل في هذه المصروفات الزائدة محاولة من الدولة في الاعداد الى عملية وضع القدس في مرتبة ممتازة وذات اتصال مباشر مع الاستانة وهي بهذا تحتاج الى متطلبات واحتيـاجـات الولايات كولاية الشام التي كانت أكثر الولايات ايرادا ، وفي نفس الوقت أكثر مصروفا نظرا لوجود العديد من الدوائر والمصالح الحكومية فيها أكثر من غـيرها .

وبهذا نرى أن الوضع المالي للالوية الثلاثة : عكا ، القدس ، البلقاء (نابلس) كان وضعا جيدا بحكم وجود فائض من المال ناتج عن الفرق بين الايرادات والمصروفات ومع هذا يمكن القول بأن الوضع المالي بشكل خاص والوضع الاقتصادى بشكل عام من الممكن أن يكون أفضل عند استغلال وتوظيف هذا الفائض المالي في أمور هامة بالنسبة للاهالي خاصة التعليم الذى كانت مخصصاته قليلة بشكل واضح عند اعداد الميزانيات في البــلاد .

غير أن هذا الوضع المالي بدأ يتغير مع مرور الوقت حيث أصبحت الايرادات توازى

---

(١) عبـد العزيـز عـوض : متصرفية القـدس ـ رسالة دكتـوراه غـير منشـورة .

النفقات بعكس ما كانت عليه الحال من قبل حيث وجد فائض كبير في الميزانية وتتضح هذه الصورة الجديدة للوضع المالي في لواء القدس منذ عام ١٩٠١ عندما أخذت الدولة العثمانية بتأسيس أقضية جديدة في هذا اللواء (١) مثل قضاء بئر السبع والحفير وما استلزم ذلك من مصروفات اضافية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن امكانية القدس الادارية الممتازة استلزمت مزيدا من المصروفات لتعامل بنفس الدرجة التي تعامل بها المتصرفيات الممتازة التي توازى مكانة الولاية ، غير أن الامر المالي لم يقف عند حد موازاة الايرادات مع المصروفات بل تغير الوضع المالي بحيث أصبح من الممكن ملاحظة مدى النقص الواضح في ايرادات المتصرفية ويتضح هذا الامر في طلب مجلس عموم اللواء والمساعدات المالية في الاستانة في السنة التي سبقت الحرب العالمية الاولى بقصد معالجة هذا النقص (٢) .

ويلاحظ أن الجهاز المالي في فلسطين كان يطابق التقسيمات الادارية بعكس الجهاز العسكرى حيث أن مالية متصرفية القدس كانت تدار مباشرة من قبل وزارة المالية في الاستانة بحكم مكانتها الادارية الممتازة في حين أن مالية لوائي عكا ونابلس كانت تدار من قبل ولاية بيروت بحكم تبعية الالوية لولاية بيروت من الناحية الادارية (٣) .

وتوضح الاحصائية الاتية ايرادات ولاية بيروت لعام ١٨٩٩ وهي حسب الترتيب الاتي

اللـــواء	الايرادات بالقـــروش
بـــيروت	٨ ٥٦١ ٣٩٧
عكـــــا	٦ ٤٦١ ٤٥٧
نابلـــس	٦ ١٧٢ ٠٤٨
طرابلـــس	٥ ٧٨٤ ٩٦٧
اللاذقيـــة	٥ ٠٤٢ ٥٥٥ (٤)

يفهم من هذا الجدول أن ايرادات لواء عكا بدأت تفوق ايرادات لواء نابلس بعكس الوضع السابق الذى كانت فيه ايرادات هذه الالوية متساوية ، ولعل ذلك بحكم أن المساحة أو المنطقة الادارية التي يشرف عليها لواء عكا أكثر اتساعا من مساحة لواء نابلس ، ومن ناحية أخرى قد يرجع ذلك الى أهمية عكا من الناحية العسكرية التي أصبحت حسب التقسيمات العسكرية الاخيرة مقرا للقيادة مما يشكل حركة داخلية في مختلف المجالات تساعد على زيادة الايرادات في اللواء . واعتمدت الدولة العثمانية على أجهزة أخرى لتنفيذ سياستها من ذلك الجهاز العسكرى وجهاز الامن فقد عملت الدولة العثمانية بعد

(١) أرشيف استانبول : داخلية ١٣٢٦ هـ .
(٢) فلسطين : ٣٠٣ – ٦ ، ٨ كانون الثاني ١٩١٤ .
(٣) سعيد حمادة : النظام الاقتصادى في فلسطين ص ٦٧٥ .
(٤) عبد العزيز عوض : الادارة العثمانية في ولاية سورية ص ٢٠٩ .

عودتها الى حكم بلاد الشام على اجراء تغييرات كبيرة في الجهاز العسكرى بعد أن تمكنت من القضاء على قوات الانكشارية في عهد السلطان محمود الثاني ١٨٢٦ : ومن هذه الاجراءات أنها قسمت الامبراطورية العثمانية الى سبع دوائر عسكرية خصصت لكل دائرة جيشا خاصا بها ، وحسب هذه التقسيمات العسكرية التي لا تطابق التقسيمات الادارية وزع الجيش الخامس على ولايات بلاد الشام الثلاث (حلب ، دمشق ، بيروت) بالاضافة الى ولاية أضنة ومتصرفيتي القدس ودير الزور لاهمية موقع دمشق الجغرافي المتوسط في بلاد الشام فقد اتخذت مقرا للجيش الخامس الذى عرف أيضا بجيش عربستان ٠

قسم الجيش الخامس الى أربع فرق مشاه كانت مركزها في دمشق ، عكا ، حلب ، أضنه وحسب هذا التقسيم كانت عكا مقرا للفرقة ١٨ وهي في هذا الاجراء توازى دمشق أو حلب أو أضنه من حيث الاهمية العسكرية وتضم هذه الفرقة لوائين هما : اللواء ٣٥ ومقره عكا واللواء ٣٦ ومقره في القدس وكل لواء من هذه الالوية يضم الايين ، فلواء عكا يضم الالاى ٢٩ ومركزه عكا والالاى ٧٠ ومركزه في نابلس ، أما لواء ٣٦ فمقره القدس والالاى ٧٢ في يافا ، كما كان كل الالاى حسب هذه التقسيمات العسكرية يضم أربعة طوابير (١) ٠

وبناء على هذه التقسيمات العسكرية يكون الوضع العسكرى في فلسطين أواخر العهد العثماني حسب الترتيب الاتي ٠

لواء عكا : مقر الفرقة ١٨ ومنها اللواء ٣٥ والالاى ٢٩ وطوابير في عكا ، صور ، صيدا ٠

لواء القدس : مقر اللواء ٣٦ والالاى ٧١ وطوابير في جماعين والبيرة ٠

لواء نابلس : فيها الالاى ٧٠ وطابور واحد ٠

قضاء يافا : فيها الالاى ٧٢ ٠

من هذا يبدو عدم تطابق التقسيمات العسكرية مع التقسيمات الادارية فمكانة القدس من الناحية الادارية كانت في نظر الدولة متصرفية ممتازة لكن حسب هذه التقسيمات العسكرية تأتي هذه المتصرفية في المرتبة الثانية بعد عكا ، كما يلاحظ أن قضاء يافا وهو من أقضية لواء القدس على نفس المستوى من حيث التقسيمات العسكرية مع لواء نابلس ٠

فتمتع لواء عكا بالمرتبة الاولى من حيث التقسيمات العسكرية بين الوية فلسطين الاخرى نابع من كون عكا مدينة ساحلية ذات موقع استراتيجي هام وبهذا تكون الدولة العثمانية قد أولت اهتماما خاصا لتدعيم المناطق الساحلية عن طريق زيادة القوات العسكرية بحكم أن القدس ذات مكانة دينية ولكثرة ما كان يحدث من منازعات بين الطوائف الدينية في وقت اتجهت فيه الاطماع الاوروبية التي أخذت تقف كل منها وراء طائفة ما مما كان يؤدى الى تطوير هذه الخلافات ذات الطابع المحلي الى طابع دولي ٠

أما لماذا وضع قضاء يافا على نفس الدرجة في التقسيمات العسكرية مع لواء نابلس فذلك على ما يبدو راجع الى أهمية يافا كميناء للحجاج القادمين الى القدس وبحكم موقع يافا الساحلي دفع الى تدعيم هذا القضاء تمشيا مع سياسة الدولة في تدعيم المناطق الساحلية ٠

---

(١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٥٠ ـ ٢٥٤ ٠

وبالاضافة الى قوات المشاه السابقة التي وجدت في فلسطين وجد أيضا قوات من الخيالة (الفرسان) وقد وزعت هذه القوات على المناطق الجبلية مثل نابلس التي وجد فيها الالاى ٢٥ من اللواء ١٣ من الفرقة الخامسة التي كان مقرها في دمشق كما وجد في عكا قوات من مدفعية الاستحكام تدعيما لموقع عكا الاستراتيجي (١) .

نظمت الدولة العثمانية عملية التجنيد الاجباري بعد صدور خط كلخانة ١٨٣٩ حيث جاء في هذا الخط أن الجندية فريضة على الاهالي وأن اعطاء العساكر لاجل محافظة الوطن هو من فرائض ذمة الاهالي (٢) .

واتبعت الدولة العثمانية في التجنيد أسلوب القرعة الشرعية حسب تنسيب دار الشورى العسكرية (٣) ، وراعت الدولة العثمانية ظروف الاهالي عند اجراء القرعة الشرعية حيث كانت تجرى ذلك بعد انتهاء موسم الحصاد بعد أن يكون الشباب قد قاموا بدورهم في العمل مع ذويهم ، ومع هذا فان القرعة الشرعية كانت ذات وقع شديد على الاهالي اذ كان بعض الاهالي يتهربون من التجنيد باحداث عاهة في الجسم (٤) . وعملت الدولة العثمانية أيضا على تنظيم عملية اجراء القرعة حيث أصدرت في عام ١٨٦٦ قانون أخذ العسكر كلف بموجبه جميع المسلمين في الامبراطورية العثمانية بأداء الخدمة العسكرية لمن بلغ سن العشرين ولمدة ٢٠ سنة موزعة على عدة فترات يخدم في المرحلة الاولى ومدتها ست سنوات في السلك العسكرى النظامي وثمان سنوات في سلك الرديف والسنوات الباقية في سلك المستحفظ غير أن مدة الخدمة هذه ارتفعت الى ٢٥ سنة أواخر العهد العثماني ، كما قسمت الامبراطورية الى دوائر لاجل أخذ العسكر بواسطتها . ومع أن الدولة العثمانية كانت تقبل البدل العسكرى بمقدار ٥٠ ليرة عثمانية من الشخص الواحد الذى يعفى بذلك من التجنيد الا أنها كانت تفرض على المتمتع بالاعفاء أن يخدم خدمة رمزية تصل الى خمسة أشهر فقط ، ومع هذا ونظرا لظروف الحرب العالمية الاولى عملت الدولة العثمانية على الغاء هذا البدل ووضع الجميع أمام الخدمة العسكرية بنفس المستوى من المسئولية وبالنسبة لغير المسلمين فانهم كانوا يدفعون (اعانة) عسكرية مقابل اعفائهم من الخدمة العسكرية (٥) .

ويبدو أن الخدمة العسكرية في القوات العثمانية كان لها وقع سيء بين الاهالي خاصة بين أصحاب العائلات بحكم أنهم مسؤولين عن اعاشة أسرهم حيث تشير سجلات المحكمة الشرعية في القدس الى وجود عدة طلبات رفعت الى المحكمة الشرعية طالبت فيها أصحابها تقدير النفقة أو المساعدة من أقرب أبناء الاسر اليها والتي سبق ذويها الى الخدمة العسكرية (٦) .

---

(١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٥٠ ــ ٢٥٤ .
(٢) الدستور : المجلد الاول ص ، ٥ ــ ١٠ .
(٣) المحكمة الشرعية في القدس : السجل رقم ٣٤٨ ــ ص ٨ .
(٤) (4) Finn: Palestine Peasantry, P. 16.
(٥) عبد العزيز عوض : الادارة العثمانية في ولاية سورية ص ١٣٥ ــ ١٥٥ .
(٦) المحكمة الشرعية في القدس : السجل ٤١٤ ص ١٥ .

أما الامن فقد أشرف عليه قبل عصر التنظيمات قوات من الضبطية وهي تتألف من الفرسان والمشاه (١) ، وقوات من الباش بوزق التي أوكل لها مهمة جمع الضرائب وحراسة البيوت وقوافل وحماية أهل الريف من اعتداءات البدو (٢) .

غير أن هذه القوات لم تؤد مهامها على خير وجه حيث أوجدت تذمرا بين الاهالي وليس السبب في ذلك هو عدم تدريب الباشبوزق (القوات غير النظامية) التدريب الكافي ولكن السبب هو سوء الاختيار لهذه القوات حيث تم اختيارها من حثالة المجتمع ومن القبائل نصف البدوية أو من الاقليات المحلية أو من الجنود المرتزقة من البانيا (٣) .

ولهذا أخذت الدولة العثمانية في اصدار عدة تعليمات بقصد اصلاح جهاز الامن من ذلك تعليمات بشأن مأمورى تفتيش الضابطة التي صدرت ١٨٦٧ وأوضحت عدة أمور منها الصفات التي يجب أن تتوفر في المأمورين وتصنيف المأمورين الى أربعة أصناف حسب مؤهلاتهم وخبرتهم التي تحدد بالتالي مرتباتهم وأوضحت كذلك وظائف مأمورى التفتيش في رؤية الاشغال اللازمة للبوليس في كل الوقوف على حالة أبناء السبيل ومراقبة جوازات السفر وتذاكر المرور ومراقبة البيع والشراء واجراء التحقيقات اللازمة بحق أى مصلحة بتكليف من الحكومة .

وأصدرت كذلك نظام العساكر الضابطة في عام ١٨٦٩ وقد عالج هذا النظام عدة أمور منها ترتيب العساكر الضابطة بحيث يتألف الالاى في الولاية من خيالة ومشاه ويقسم كل الاى الى طوابير والطابور الى بلوكات والبلوك الى طواقم ، وقد خص هذا اللواء من هذه العساكر طابورا يوزع على الاقضية . وصدر في نفس الوقت تعليمات أخرى بشأن وظائف عساكر الضابطة الملكية وهي المحافظة على السجون ومطاردة اللصوص وقطاع الطرق (٤).

وبموجب هذه التعليمات والانظمة التي أصدرتها الدولة العثمانية لتنظيم جهاز الامن وجد في فلسطين الوحدات الاتية للاشراف على الامن فيها وهي :

وحدة الجندرمه :

وجد في فلسطين خمس وحدات جندرمه ثلاثة منها وحدات راكبة (خياله) والباقي مترجلة (بيادة) ، وعلى رأس كل وحدة من هذه الوحدات الخمس ضابطان بالاضافة الى أن كل منها يشمل على ١٣ ضابط صف و ٧٠ من أفراد الجندرمة ووزعت الوحدات الثلاث من الجندرمة الراكبة على القدس ويافا حيث وجد في كل منها وحدة من الجندرمة ، أما الوحدة الباقية فقد وزعت على غزة والخليل وبئر السبع ، أما وحدات الجندرمة المترجلة فقد وجد منها وحدة في القدس واالخليل ووحدة موزعة على مدن يافا وغزة وبئر السبع .

---

(١) نفس المرجع : السجل رقم ٣٢٥ ص ١٩ .
(٢) (2) Maoz: Ottoman Reform in Syria and Palestine, pp. 55-57
(٣) (3) Maoz: Op. Cit., pp. 56-59.
(٤) الدستور : المجلد الثاني ص ٦٤٧ — ٦٦٠ .

وحـدات البوليـــــس :

أشرفت وحدات البوليس على التحقيقات عند وقوع المخالفات أو الحوادث ووجـد في القدس ١٥ من رجال البوليس و ١٠ أنفار في غزة و ١٠ أنفار في الخليل وبئر

ويستدل من هذه التشكيلات السابقة أن عدد القوات المسئولة عن الامن في فلسطين كانت قليلة بالنسبة للمناطق الواسعة التي كانت مسئولة عنها ، لقد كانت قلـــة العدد سببا من الاسباب التي حالت دون ضبط الامن في البلاد يضاف الى ذلك تعديـا ت البدو من حين لاخر تلك التعديات التي كانت تزيد حدتها وقت انشغال الدولة في حروبهـا الخارجيـــة •

وقد عكست حالة الامن في البلاد خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولـى جريدة الكرمل التي كانت تنشر من حين لاخر حوادث السلب والنهب والسرقة وطالبـــت الحكومة المحلية باجراء اللازم لمنع هذه التعديات كما حدث ذلك بشكل واضح في لـــــواء نابلـــس (٢) •

كما وقع حوادث أخرى على الطرق ما بين جنين ونابلس وبين جنين وحيفا وعكـــا والناصرة بدون أن تحرك الحكومات المحلية ساكنا أمام هذه التعديات التي لم تقتصر علـى أبناء البلاد بل شملت أيضا بعض السياح الالمان في منطقة حيفا (٣)

وأمام هذا النقص الواضح في عدد القوات المشرفة على الامن اعتمدت بعض المـدن على تعيين حراس للمحافظة على المحلات والدكاكين كما فعلت ذلك مدينة نابلس حيـــث عينت عدد من الحراس على محلاتها وأزقتها وبواباتها الرئيســية (٤) •

ومن أهم أجهزة الحكم التي اعتمدت عليها الدولة العثمانية هو الجهاز القضائـي الشرعي والنظامي ، فقد أشرف شيخ الاسلام بالدولة على الجهاز القضائي العثماني ضمن تنظيم قائم على أساس وجود دائرتين قضائيتين ويرأس الدائرة الاولى قاضي عسكـــر الروملي والثانية قاضي عسكر الاناضول وارتبطت بلاد الشام قضائيا مع الدائرة الثانيـــة وبناء على هذا التنظيم يعين شيخ الاسلام كبار القضاة في المدن الكبيرة مثل دمشق وحلـب والقدس في حين يقوم قاضي عسكر الاناضول بتعيين القضاة الصغار ضمن منطقة اختصاصه (٥)

وامتاز القضاء في العهد العثماني قبل عصر التنظيمات بالبساطة وسرعة البت فـي القضايا ، ولم يكن القضاة في مدن الدولة العثمانية على مستوى واحد من حيث الاهميـــة فقد تمتع قاضي القدس بنفوذ واشراف اداري واسع في اللواء وهذا واضح من الصلاحيات التي

(1) Abcarius: Palestine Through the fog of Propaganda, pp. 90-96.

(٢) الكرمل : ٢٦٧ ، السـنة الرابعـــة •

(٣) محمد القلقيلـي : مرجع ســبق ذكـره ١٧ – ١٨ •

(٤) احسان النمـر : تاريخ جبل نابلس والبلقاء – الجزء الثاني ص ٥١٠ – ٥١٤ •

(٥) عبد الكريـم غرايبـة : مرجع ســبق ذكـره ص ٥٢ – ٥٥ •

مارسها بحكم وظيفته وصلاحيات مشتركة مع بعض المجالس وصلاحيات يكون فيها دورة التبليغ فقط وصلاحيات تفويض من قبل الوالي (١) .

وقد اقتضت الضرورة بعد الاخذ بالانظمة الغريبة أن تعمل الدولة العثمانية على اعادة تنظيم الجهاز القضائي الشرعي ولهذه الغاية أصدر السلطان عبد المجيد ١٨٣٩ ــ ١٨٦١ نظام توجيهات القضاء ونوابهم في عام ١٨٥٥ أوضح فيه كيفية توجيه مناصب القضاء وطريقة توجيه هذه المناصب بواسطة قضاء الدوائر القضائية الكبرى في الروملي والاناضول وذلك بعد دراسة الشروط التي وضعت لهذه المناصب الهامة وبين النظام كذلك كيفية تجديد مناصب القضاء عند اللزوم ، أما نظام النواب فقد حدد أصناف النواب حسب أهليتهم ضمن خمسة أصناف وكيفية الانتقال من صنف لاخــــر .

وصدر خط هما يوني آخر في عهد هذا السلطان بقصد تنظيم رسوم المحاكم الشرعية حددت بموجبه مهام المحاكم الشرعية بحيث منع القضاة والنواب من اعطاء أية حجة مبايعة بالعقارات خارج دائرتهم وأن لا يجرى البيع الا بموجب سندات في يد البائع ، وجاء فـــي هذا النظام كذلك كــل ما يتعلــق بحجج الوقف وما يخص تحريــر التركات وأجــور خــدام الشرع (٢) .

واستمرارا لسياسة الدولة الهادفة الى الاصلاح صدر نظام الحكام الشرعيين عـــام ١٨٧٣ الذى أحدث تغييرات على التصنيف الذى ورد في نظام النواب السابق دون اجراء تعديل على عدد هده الاصناف (٣) ، واستكمالا لغرض الدولة العثمانية في اصلاح هـــــذا الجهاز صدرت مجلة الاحكام العدلية التي وردت في مقدمة ومقالتين جاء في الاولى تعريــف علم الفقه وتقسيمه وفي الثانية بيان القواعد الفقهية واشتملت المجلة أيضا على ستة عشـر كتبا عالجت مواضيع مختلفة في البيوع ، الاجارات ، الكفالة ، الحوالة ، الرهن ، الامانات الهبة ، الغصب ، الاتلاف ، الحجر والاكراه ، الشركات ، الوكالة ، الصلح والابراء ، الاقرار الدعوى ، البيانات والتحليف ، القضــاء (٤) .

من أهم نتائج هذه الاصلاحات التي جاء ت في الانظمة والقوانين السابقة أن حدث انكماش في صلاحيات القاضي الشرعي الواسعة ، فقد أخذت تظهر في عصر التنظيمات العديد من الدوائر الحكومية الجديدة والتي أخذت تمارس صلاحياتها ضمن ما حددبموجب قوانين وأنظمة الدولة ، والجدير بالذكر هنا أن الانكماش الذى طرأ على صلاحيــات القاضي قد أدى الى تقليص المعلومات التي كانت تذخر بها سجلات المحاكم الشرعية كمصــدر ذات أهمية في الدراسة التاريخيـــــة .

ولم تكن السلطة القضائية لقاضي القدس مطابقة للمساحة الجغرافية ولكنها امتــدت حتى نابلس حيث عين في هذه المدينة نواب عن القاضي لانجاز الامور القضائية غير أن

---

(١) سجلات المحكمة الشرعية في القدس : السجل رقم ٣٣٩ والسجل ٣٣٠ والسجل ٣٤٨.

(٢) الدســـتور : المجلـد الاول ص ١٣٠ ــ ١٤٣ ، ١٤٧ ــ ١٤٩ .

(٣) نفس المرجــع : المجلد الثانـــي ص ٦٤٣ ــ ٦٤٩ .

(٤) مجلة الاحكام العدلية : تنسيق نجيب هواويني ص ٣٨٩ ــ ٣٩٠ .

هذا الامر لم يستمر طويلا (١) حيث انكمشت هذه السلطة التي امتدت الى مناطق خارج المساحة الجغرافية لسنجق القدس عندما أصبحت نابلس دائرة مستقلة قضائيا عن القدس منذ عام ١٨٦٦ وقبل هذا كانت تبعية نابلس القضائية تتمثل في صلاحية قاضي القدس بتعيين نائب شرعي عنه في نابلس بموجب مرسوم يحدد فيه القاضي مهام النائب الشرعي التي تتمثل في فصل الاحكام المتعلقة بقضايا البيع والشراء والعقود والنظر في القضايا الجنائية والحقوقية والجزائية ولم تكن سلطة قاضي نابلس مقتصرة على نابلس فقط بل امتدت الى جنين حيث أرسل النائب الشرعي في نابلس نائبا عنه الى جنين بناء على تفويض من قاضي القدس في هذا الشأن (٢) .

وخلال فترة الحكم العثماني وجد في فلسطين عدة محاكم شرعية وهي موزعة على الالوية حسب الترتيب الاتي .

- لواء القدس : القدس ، يافا ، الخليل ، غزة ، بئر السبع ، الحفير .
- لواء نابلس : نابلس ، جنين ، طولكرم ، الرملة .
- لواء عكا : عكا ، حيفا ، صفد ، طبرية ، الناصرة (٣) .

وتوضح سجلات المحكمة الشرعية في القدس ميزانية (٤) لجميع المحاكم الشرعية في لواء القدس لعام ١٣٢٨ هـ / ١٣٢٦مالية ، ويلاحظ أن بنود هذه الميزانيات تدور حول ثلاث جوانب هي مرتبات المأمورين في المحاكم الشرعية ومرتبات العلماء والمصروفات العمومية ، واجمالا أن هذه البنود ضمن الاختصاصات باستثناء تعيين المدرسين حيث خصص مبلغ زهيد في هذه الميزانية لبعض المدرسين في اللواء ، وهذه مساهمة من المحاكم الشرعية بشأن التعلم وان كانت هذه المساهمة بسيطة ، وأن مخصصات النواب على مستوى واحد باستثناء المأمورين في الخليل ، كما أن المحاكم في جميع الاقضية ومركز اللواء لا تدفع ايجارات باستثناء الخليل وهذا يدل على مدى اهتمام المحاكم الشرعية في تشييد المباني اللازمة لها مما يخفف أعباء الميزانية .

ويرتبط بهذاالجهاز القضائي حديث عن الافتاء الذى ترأسه شيخ الاسلام ، وحددت مهمة المفتي في تقديم المشورة في المسائل الفقهية وقد وجد في لواء لقدس مفاتي منهم مفتي الحنفية والشافعية في القدس وكان الباقي موزعين على أقضية هذا اللواء وقد خصص لهم مرتب في ميزانية المحكمة الشرعية ويلاحظ أن هذا المنصب كان احتكارا لبعض الاسر في القدس ونابلس (٥) مثل عائلة آل الخالدى في القدس .

---

(1) Yehoshua: The Political Awakening of the Palestinian Arabs and their Leadership towards the end of the Ottoman Period, Jerusalem 1970.

(٢) اكرم الراميني : مرجع سبق ذكره .
(3) Harry Luke and Edward Keith-Roach: op. cit, pp. 212-218.(٣)
(٤) سجلات المحكمة الشرعية في القدس : السجل رقم ٢ ص ١٦٢ .
(٥) نفس المرجع : السجل ٢ ص ١٧٢ .

أما بالنسبة للقضاء النظامي (المدني) فقد بدأت الدولة العثمانية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر باصدار العديد من الانظمة ضمن سياستها الرامية الى اصلاح القضاء وقد صدر أول خط هما يوني باقتباس الانظمة الحديثة في القضاء في عام ١٨٥٦ وقد جاء في مقدمة وثلاث أبواب في ٢٦٤ مادة وأوضحت مقدمة هذا القانون أنواع الجرائم وعقوباتها وهي الجناية وعقوبتها القتل أو السجن المؤبد أو المؤقت مع التشهير ثم الجنحة وعقوبتها السجن لاكثر من أسبوع أو الطرد من المأمورية أو النفي المؤقت أو الجزاء النقدى ثم القباحة عقوبتها الحبس من ٢٤ ساعة الى أسبوع مع جزاء نقدى بسيط ، أما الابواب الثلاثة فقد شرحت المخالفات الخاصة بالجرائم والجنح السابقة وحددت عقوبة كل منها .

واتبعت الدولة ذلك بقانون آخر بشأن تأسيس الاحكام العدلية ١٨٦١ ثم نظام الولايات ١٨٦٤ الذى نص على تشكيل مجلس تمييز الحقوق في اللواء ويتألف من ستة أعضاء نصفهم من المسلمين والنصف الاخر من غير المسلمين ويكون هذا المجلس برئاسة القاضي وحددت صلاحيات هذا المجلس في فحص الدعاوى التي تحسم المحاكم الشرعية وللطوائف غير الاسلامية في ادارتهم الروحية والامور التجارية التي تبحث في مجالس التجارة (١) .

أما في مراكز الاقضية فقد نص النظام على استحداث مجلس للدعاوى على أن يتألف من ثلاثة أعضاء مسلمين ومثلهم من غير المسلمين وهذا المجلس تحت رئاسة القائمقام وحددت اختصاصات مجلس الدعاوى في القضاء في النظر في الدعاوى التي تحسم قانونا ونظاما والتدقيق على الامور القانونية وعلى ما كان في درجة الجنح والقبائح ما عدا دعاوى المسلمين حيث ينظر فيها في المحاكم الشرعية ولغير المسلمين في ادارتهم الروحية والدعاوى التجارية في محاكم التجارة (٢) .

وكذلك بشأن تشكيل دواوين المميزين في مراكز الولايات وديوان للاحكام العدلية المشكل من محكمتين : التمييز (الاستئناف) وديوان الاحكام العدلية (٣) .

وصدر نظام المحاكم النظامية في ١٨٧٢ لبيان أنواع المحاكم والتي حددت بموجب هذا النظام على درجتين :

- محاكم الدرجة الاولى : ومهمتها رؤية الدعاوى بداية وخولت مجالس الدعاوى في الاقضية القيام بهذه المهمة .
- محاكم الدرجة الثانية : أوكلت لها رؤية الدعاوى استئنافا وخولت دواوين التمييز في مراكز الولايات النظر فيها .

أما مجالس التمييز في مراكز الالوية فكانت في مركز وسط بين محاكم الدرجتين الاولى والثانية حيث خولت هذه المجالس فحص الدعاوى بداية واستئنافا (٤) .

وأسست تطبيقا لهذه التعليمات محكمة بداية تضم ثلاثة قضاء في كل قضاء ومحكمة

---

(١) الدستور : المجلد الاول ص ٣٢٣ ـ ٣٧٩ .

(٢) الدستور : المجلد الاول ص ٣٩١ .

(٣) نفس المرجع : المجلد الاول ص ١٥٣ .

(٤) نفس المرجع : المجلد الاول ص ١٧٣ ـ ١٧٦ .

استئناف مؤلفة من خمسة أعضاء أو أكثر في كل سنجق وبهذا وجد في فلسطين في أواخر العهد العثماني ثلاثة عشر محكمة بداية (ابتدائية) وثلاث محاكم استئناف بالاضافة الى حكام الصلح في المدن الرئيسية (١) ٠

ويحاول الصحفي الفلسطيني (محمد القلقيلي) محرر جريدةالكوكب أن ينقل صورة أخرى عن سوء الحال في الادارة العثمانية من خلال الاجراءات الملتوية التي كانت تضيع خلالها القضايا ولا تصل الى المحاكم للبت فيها حيث يعزو السبب في ذلك الى الرشوة التي تأخذ طريقها الى المأمورين ، ومهما يكن من أمر فان الصورة التي صورها الصحفي لا شك في أنها خدمة للسلطات البريطانية التي تحاول اعطاء صورة عن الحكم السابق لتأخذ مكانها بصورة أفضل فاذا كان هذا الفساد قد أصاب بعض المأمورين أو العاملين فان ذلك لا يعتمد عليه في اعطاء صورة عامة عن فساد الادارة العثمانية لان هذا الفساد يكاد يختفي في أجهزة أخرى ٠

---

(١) تقرير اللجنة الملكية الذى عرض على البرلمان البريطاني سنة ١٩٣٧ ص ١٩٩ ٠

القســـم الاول

=============

الفصل الاول : الدولة العثمانية والحركة العربية في فلسطين خلال الحرب ٠

الفصل الثاني : الدولة العثمانية والحركة الصهيونية في فلسطين خلال الحرب ٠

الفصل الثالث : فلسطين في وعود بريطانيـــــا ٠

الفصل الرابع : المجتمع العربي الفلسطيني خلال الحرب العالمية الاولى : أوضاعــه الاجتماعيـــة والاقتصاديـــة ٠

الفصـــــل الاول

=============

الدولة العثمانية والحركة العربية في فلسطين
خـــلال الحـــرب

———————————————

الاوضاع العامة وتأثيرها على الحركة العربية خلال الفترة ما بين نشوب الحرب حتى اشتراك الدولة العثمانية فيها ... موقف الدولة العثمانية المحايد ... اعلان التعبئة العامة ... المناخ الذى عملت خلاله الحركة العربية ... الفترة بين دخول تركيا الحرب الى ما قبل الثورة العربية ...كيف دخلت تركيا الحرب ... نشاط الجمعيات العربية خلال الحرب... سياسة جمال باشا في سوريا وتأثيرها على الحركة العربية ... فلسطين معبرا للحملات التركية نحو قناة السويس ...

أبرزت الاحداث التي سبقت الحرب العالمية الاولى حركتين هامتين في المنطقة العربية هما الحركة العربية والحركة الصهيونية كان لكل منهما دور بارز في مجريات الحرب العالمية الاولى حيث سعت كل منهما الى تحقيق الاهداف التي شكلتها أحداث ما قبل الحرب في وقت لم تحدد فيه هذه الحركات أساليبها في تحقيق أهدافها مما أضفى صعوبات أمام تحقيق هذه الاهداف ، فقد كان على كل حركة أن تختار ما بين الوقوف الى جانب الدولة صاحبة الامر والسيادة في البلاد أم الوقوف الى جانب احدى الدول الاوروبية التي تحاول أن تجد لها مكانا في هذه المنطقة أو تحاول تدعيم وجودها في وقت اتضحت فيه أطماع ونوايا الدول الاوروبية في المنطقة العربية ، فبريطانيا تعمل على تدعيم وجودها في مصر عن طريق الاستيلاء على المنطقة شرقي القناة ، وفرنسا ذات الاطماع التقليدية في سوريا في حين أن المانيا اتخذت وجها آخر لاطماعها عن طريق النفوذ الاقتصادى ، وروسيا اتخذت وجها دينيا في الاماكن المقدسة المسيحية في فلسطين (١) .

لذا كان أمام الحركة العربية التي كانت ترغب في تحسين أوضاعها داخل الدولة العثمانية حيث طالبت بالاستقلال الادارى الذى يضمن للعرب كيانهم ولغتهم أن تتفاهم مع الحكومة الاتحادية التي تسلمت زمام الامر والسلطة في الدولة العثمانية في ظل الواقع الجديد ، واقع الحرب بحيث يمارس العرب واجبهم المقدس في الوقوف الى جانب دولتهم مقابل ضمان تحقيق مطالبهم المعلنة أم أن هذه الحركة تتجه اتجاها آخر بحيث تتفاهم مع بريطانيا لعلها تكون أكثر تجاوبا للمطالب العربية .

وكذلك كان أمام الحركة الصهيونية أن تختار احدى الدول التي تضمن لها تحقيق مطالبها التي تدور حول اعطاء الحركة الاستيطانية صفة شرعية بعد أن كانت هذه الحركة تتم قبل الحرب العالمية باسلوب التسلل غير الشرعي ، والان تعمل الحركة الصهيونية على التوسع في توطين اليهود في فلسطين في ظل الشرعية ، فهل تتفاهم هذه الحركة مع الدولة العثمانية صاحبة الامر والسيادة في ظل ظروف الحرب والواقع الجديد أم تحاول التفاهم مع ألمانيا التي كانت تعطف عليها أو التفاهم مع دول غير هذه الدول خاصة مع بريطانيا .

هكذا كان ترتيب الصورة عشية نشوب الحرب العالمية الاولى ، فكيف تعاملت أو كيف تحركت الدول الاوروبية ذات الاطماع في المنطقة العربية وكيف تحركت الدولة العثمانية تجاه هذه الحركات أيضا ، وما هي النتائج التي أسفر عنها هذا التحرك الذى شغل مجريات الحرب العالمية الاولى ، وقبل الاجابة على ذلك نعرض بايجاز للحركة العربية العامة قبل الحرب العالمية الاولى حيث يمكن فهم الحركة العربية في فلسطين قبل الحرب العالمية من خلال دراسة الحركة العربية العامة بحكم أن فلسطين لم تكن تشكل وحدة ادارية أو جغرافية أو سياسية مستقلة بل كانت جزءا من المنطقة العربية ، ويفسر هذا الوضع بانتماء فلسطين عبر التاريخ لجزء من أجزاء الوطن العربي هو سورية . ولهذا عرفت فلسطين بسورية الجنوبية ويرجع هذا أيضا الى موقع فلسطين الجغرافي .

---

(١) ساطع الحصرى : يوم ميسلون ، ص ٣٥ – ٦٢ .

المتوسط بالنسبة للوطن العربي . يضاف الى ذلك الخطر الصهيوني الذى ربط القضية الفلسطينية بالقضية العربية خاصة اذا نظرنا الى هذا الخطر الصهيوني من زاوية اقليمية وزاوية عربية (١)

ولقد كان لليقظة القومية التي شهدتها أوروبا في القرن التاسع عشر والارساليات التبشيرية التي كانت بلاد الشام خاصة لبنان منفذا لتسرب التيار القومي ، لقد كان لهذا كله انعكاسات في الولايات العربية خاصة في مصر والحجاز ثم امتداد هذه اليقظة أواخر القرن التاسع عشر الى العديد من الولايات العربية الواقعة تحت الحكم العثماني وترتب على ذلك أن أخذ العرب يطالبون الدولة العثمانية بادخال الاصلاحات التي تضمن لهم مشاركة فعلية في نظم الحكم والادارة لان الاصلاحات التي أخذت لها الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر لم تكن كافية بحكم أنها فرضت خلالها حكما مركزيا ، ووقفت الحكومة العثمانية من هذه المطالب موقفا متأرجحا بين السلبية والايجابية الى أن تغلبت السلبية على موقفها مما أدى الى خلق رأى عام عربي ، اتخذ من الحملات الكتابية وجها له مطالبا من خلال ذلك بالاصلاحات العامة في الدولة العثمانية ، بصفة عامة والولايات العربية بصفة خاصة (٢)

وكان أول مظهر من المعارضة السياسية تجاه الحكم العثماني خلال حكم السلطان عبد الحميد قد ظهر عندما نشر نجيب عازورى كتابا له في عام ١٩٠٥ حيث دعا فيه الى تحرير بلاد الشام من السيطرة التركية واقامة دولة عربية تضم الاقسام الاسيوية دون الافريقية (٣) .

ومع لهذا لم يكن هذا الوجه السياسي من المعارضة تأثير كبير وسط سياسة السلطان عبد الحميد المركزية في الحكم ووسط السياسة التي انتهجها السلطان عبد الحميد نحو العرب بقصد التقرب اليهم وتمييع موقفهم مما أضعف مسيرة الحركة العربية الوئيدة (٤) .

ولما يكن هدف العرب الانفصال عن جسم الامبراطورية العثمانية لذا نظروا الى ثورة يوليو ١٩٠٨ التي أعادت العمل بالدستور فرصة مناسبة للحصول على الحرية والمساواة في ظل الدستور الجديد (٥) ومن هنا نجد أن الحركة العربية قد هدأت الى حين وأعلنت نيتها تجاه الاتحاديين وتمثل هذا الموقف في تشكيل أول جمعية عربية في سبتمبر ١٩٠٨ عرفت باسم " جمعية الاخاء العربي " بقصد التعاون مع جمعية الاتحاد والترقي للنهوض بكيان الدولة بما في ذلك الولايات العربية ، غير أن العمر لم يمتد بهذه الجمعية حيث حلت بعد سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على الحكم وخلع السلطان عبد الحميد في ابريل ١٩٠٩ ومع هذا أسس على أثرها ناد عربي في عام ١٩٠٩ .

---

(١) أنيس صايغ : فلسطين والقومية العربية ، ص ٥ – ٢٨ .

(٢) يوسف هيكل : القضية الفلسطينية ، ص ١٥ .

(٣) نجيب عازورى : كان نائب متصرف القدس خلال الفترة ما بين ١٨٩٩ – ١٩٠٤ ، استقال من منصبه هذا احتجاجا على الادارة العثمانية السيئة ، وانتقل الى باريس وانتهى به الامر في القاهرة ١٩١٦ .
انظر كذلك : Yehoshua Porath: op. cit., pp. 22-37:

(٤) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة .

(٥) يوسف هيكل : مرجع سبق ذكره ، ص ٥ – ١٦ .

عرف باسم المنتدى الادبي وذلك على أكتاف أبناء العرب الموجودين في الاستانة وكان من بينه أحد أبناء القدس هو جميل الحسيني وكان الهدف من تأسيس هذا النادى سد الفراغ بعد حل " جمعية الاخاء العربي " (١) .

وخلال سيطرة جمعية الاتحاد والترقى على الحكم تضعضعت مرحلة الوفاق بين العرب والترك حيث برزت عوامل جديدة أدخلت العلاقات العربية التركية مرحلة جديدة واتسمت بالفتور والتباعد . وعلى رأس هذه العوامل ما اتضح للعرب من ان سياسة الحكومة الاتحادية تعمل على تفضيل العنصر التركي على غيره من العناصر ومحاولتهم فرض اللغة التركية على مختلف عناصر الدولة على حساب لغاتها القومية، ومن ذلك آيضا السياسة التى طبعت الانتخابات النيابية حيث جاءت بنتائج تفوق فيها الترك على العرب بنسبة ٥:٢ مع أن نسبة السكان بين العرب والترك بنسبة ٣:٢ لصالح العرب ، وكان موقف الاتحاد يين اتجاه فلسطين قد أضاف عاملا اخرا حيث تم تعيين ممثل للمنظمة الصهيونية في الاستانة وتعطيلهم للصحف المعادية للصهيونية مثل المقتبس فى دمشق والكرمل في حيفا وفلسطين في يافا ، وذلك بعد أن آخذت هذه الصحف الثلاث تحمل على الهجرة اليهودية التى تزايدت حدتها ونشاطها في فلسطين خلال تلك الفترة (٢) .

وآخيرا تأسيس حزب اللامركزية في القاهرة أواخر عام ١٩١٢ ومساهمة أبناء فلسطين فى تأسيسه بقصدتنظيم الاهداف العربية فى الحكم اللامركزى.

وبدخول مرحلة النفور والجفاء بين العرب والترك أخذ العرب فى ترجمة مشاعرهم في تشكيل العديد من الجمعيات السرية وكان لابناء فلسطين دور في تأسيس هذه الجمعيات وهي :

جمعية القحطانية التي تأسست أواخر ١٩٠٩ بقصد ضم الضباط العرب في الجيش العثماني للمشاركة في الحركة العربية ، وجمعية العهد ١٩١٤ التى ضمت بين صفوفها عددا من الضباط العرب وأخيرا جمعية الفتاة العربية ١٩١١ التى وضعت هدفا لها هو السعى لاستقلال البلاد العربية والتخلص من السيطرة التركية (٣) ..

وازاء هذا النشاط السرى تحركت جمعية الاتحاد والترقي لعرقلة الموقف العربي عن المسير بابداء سياسة جديدة تهدف الى التقرب نحو العرب ، وعلى ما يبدو أن هذه السياسة التي أبدتها جمعية الاتحاد والترقي لم تكن ذات فعالية وجديه حيث ردت جريدة الكرمل على ذلك في احدى مقالاتها قائلة " جربوا طريقا جديداً " وأوضحت الصحيفة أن هذه السياسة لا قيمة لها حيث بقي الحكم المطلق دستور الهيئات الحاكمة (٤) .

ولذا يمكن القول أن المؤتمر العربي الاول الذى عقد في باريس ١٩١٣ كان انعكاسا لموقف الجمعيات العربية التي طالبت بالاصلاح على أساس الحكم اللامركزى دون استجابة

---

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١٧٥ - ١٨٠ .

(٢) محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ، ص ٣٥٠ - ٣٥٧ .

(٣) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس . رسالة دكتوراه غير منشورة .

(٤) الكرمل : ٣٣٢ - ١٢ أيار ١٩١٣ .

لذلك من قبل حكومة الاتحاديين عندما عرضت هذه المطالب على الحكومة الاتحادية مؤخرا من قبل لجنة الاصلاح في بيروت عام ١٩١٢ مما دفع بعض الجمعيات العربية الى عقد المؤتمر خارج المنطقة العربية ، وقدر الاتحاديون أهمية هذا الموقف العربي لذا وبعد أن فشلوا في حمل الحكومة الفرنسية على الغاء هذا المؤتمر بدأوا سياسة جديدة ترمي الى امتصاص وتمييع الموقف العربي عن طريق اتباع أساليب خاصة استجاب لهذه السياسة بعض المؤتمريين وعلى رأسهم رئيس المؤتمر حيث قبلوا ما عرض عليهم من مناصب جديدة بعد أن توصلوا الى قرارات تخالف قرارات المؤتمر الذى طالب بنظام الحكم اللامركزي واعتبار العرب أمة واحدة .

وقد أشارت صحيفة الكرمل الى هذه السياسة الجديدة ووصفتها بأنها " جميلة " ومع هذا طالبت الحكومة الاتحادية بضرورة استخدام شبيبة العرب ذات الخلفية الوطنية (١)

وبهذا أصيب الموقف العربي في المؤتمر الاخير الذى عقد في باريس ١٩١٣ بنكسة أخرى بعد أن كان العرب قد تلقوا من قبل نكسة أخرى في بيروت عند رفضهم مطالبهم الاصلاحية عام ١٩١٢ (٢) ويبدوا أن هذه النكسات المتتابعة لم تكن قاتلة حيث تابعت الجمعيات العربية السرية منها والعلنية نشاطها خاصة بعد أن تنكرت الحكومة الاتحادية للقرارات التي تم التوصيل اليها مع العرب خلال مؤتمرهم الاخير في باريس ١٩١٣ ، تلك القرارات التي لم تحقق المطالب العربية كاملة (٣) . ولقد كان هذا النشاط العربي الجديد سببا في زيادة التوتر بين العرب والترك قررت على أثره الحكومة الاتحادية عقد مؤتمر في ٢٤ يناير ١٩١٤ وأهم ما جاء في قرارات هذا المؤتمر :

- اقصاء ضباط العرب المقيمين في الاستانة .
- توليه القيادة في البلاد العربية للضباط الاتراك .
- الاسراع في تنفيذ سياسة التتريك للعناصر غير التركية .
- تكليف أحمد جمال باشا للاعداد لذلك .
- الغاء الاحزاب العربية كلها وتأليف شعبة سياسية في وزارة الداخلية للاشراف على الشؤون العربية .
- مقاومة الحركة الاصلاحية التي ظهرت في بيروت وباريس .
- اقصاء العرب الذين يعملون ضد الترك من الاستانة .
- تعزيز نفوذ جمعية الاتحاد والترقي في البلاد العربية والاكثار من المنتسبين اليها (٤) .

يفهم من هذه القرارت أنها وضعت بقصد مقاومة الحركة العربية العامة وكلف بهذه المهمة الخطيرة أحمد جمال باشا وكان اعلان الحرب العالمية الاولى فرصة مناسبة

---

(١) الكرمل : ٤٠١ - ٣٠ كانون الاول ١٩١٤ .

(٢) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ١٨٨ - ١٩٢ .

(٣) مؤتمر الشهداء : عصبة من الكتاب الاحرار ص ١١٩ - ١٢٥ .

(٤) محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ص ٤٧٣ - ٤٨١ .

للاتحاديين في الاستمرار في تنفيذ هذه السياسة الجديدة التي تعتمد في محورها على تتريك العناصر غير التركية ، ومع هذا فان هذه السياسة لم تؤثر الا في نقل الموقف العربي الى مرحلة جديدة تمثلت في المطالبة بالانفصال والاستقلال التام كما ظهر ذلك واضحا في الثورة العربية ، وبهذ دخلت العلاقات العربية مرحلة جديدة أثناء الحرب العالمية الاولى .

بهذه الصورة يمكن رؤية موقف عرب فلسطين تجاه الحكومة العثمانية من خلال الموقف العربي العام فهم بهذا لم ينفردوا بمواقف معينة بل شاركوا اخوانهم العرب في مطالبة الاتحاديين بالحقوق العربية من خلال الجمعيات العربية المتعددة والتي بلغ عدد أعضائها عشية الحرب العالمية الاولى ١٢٦ عضوا أسهم عرب فلسطين بحوالي ٢٢ عضوا في هذه الجمعيات (١) ويبدو أن هذه المساهمة كانت قليلة ، ولعل السبب في ذلك انشغال عرب فلسطين في مقاومة النشاط الصهيوني المتزايد على أرضه .

وبقيام الحرب العالمية الاولى نجد أن الحركة العربية العامة قد تأثرت في مسيرتها فخلال الفترة ما بين نشوب الحرب العالميةالاولى أواخر يوليو ١٩١٤ .

نجد أن الدولة العثمانية قدأعلنت موقفها المحايد في نفس الوقت الذى بدأت فيه بتعبئة جيوشها في جميع أنحاء البلاد ، لذا يمكن القول أن هناك ازدواجية في الموقف العثماني ، ولعل هذا يرجع الى أن الحياد العثماني المعلن كان معلقا ـ بمعنى احتمال اشتراك الدولة العثمانية في الحرب ـ بحياد دول البلقان حيث أخذت بعض هذه الدول مثل بلغاريا تستعد للحرب كما أن اليونان هي الاخرى أخذت في تعبئة جيوشها ، فهذا اشارة الى احتمال اشتراك الدولة العثمانية في الحرب ، ثم ما هو مصير الاسطول الروسي في مضايق البسفور هل يبقى محصورا ومعطلا عن ممارسة نشاطه في الحرب أم يحاول الاسطول التحرك ، ففي هذه الحالة على الاسطول أن يمر بالاستانة وبهذا يضع الدولة العثمانية أمام طريقين : أما السماح للاسطول الروسي بالتحرك والخروج من حصاره ، وهذا احتمال صعب في مثل هذه الظروف واما أن تحاول الدولة العثمانية منع تحرك الاسطول الروسي مما يؤدى بالتالي الى تهديد الدولة العثمانية ، وأخيرا ما هو المقصود من بقاء ضباط الالمان في الجيش العثماني في وقت دخلت فيه ألمانيا الحرب وبالتالي عليهم العودة الى بلادهم أسوة بغيرهم من الموظفين البريطانيين الذين عادوا الى بلادهم منذ نشوب الحرب العالمية الاولى (٢) .

ويورد السفير الامريكي في الاستانة هنرى مورجنثو ١٩١٣ ـ ١٩١٦ في مذكراته وجة نظر أخرى بشأن أسباب الحياد العثماني هذا فهو يعزو ذلك الى الموقف الالماني الذى كان يرى أن تبقى تركيا على الحياد ، فهو يقول " لم تكن ألمانيا قد عزمت على ادخال تركيا وطيس الحرب في الشهور الاولى من احتدام نارها لانها كانت تعتقد أنها تتمكن من احراز نصر سريع دون مساعدتها .

ويفهم من مذكرات السفير أيضا أن المانيا كانت تنظر الى تركيا على أنها دولة

---

(١) Yehoshua Porath: OP, Cit., p 22 - 37. (1)

(٢) المؤيد : ٧٣٥٣ ـ ٥ أغسطس ١٩١٤ .

مساندة ويمكن استغلالها وقت الحاجة أو بمعنى آخر أن يكون الجيش التركي جيش احتياط بالنسبة للجيش الالماني ومن هنا عملت على تدعيم هذا الجيش وتقوية الاسطول بادخال بارجتين الى الدردنيل هما غوبن وبرسلو على أن تستخدمها في الوقت الذين تقرره هي ، هكذا كانت خطتها قبل معركة المارن الاولى حيث عملت ألمانيا متفردة في العمليات العسكرية على أمل أن تحقق نصرا سريعا تنفرد بنتائجه بحيث لا تشاركها تركيا في ذلك ، لكن هذا الموقف الالماني تغير فيما بعد حيث تمكن الفرنسيون من قهر اعدائهم في المارن الاولى كما أن الالمان لم يدخلوا باريس كما كان مقررا من قبل القيادة الالمانية ، وفي نفس الوقت حقق الروس انتصارات كبيرة ضد الالمان ، هذه الاحداث دفعت ألمانيا الى اقحام تركيا في الحرب الى جانبها .

من هذا نرى مدى تأثير السلطة الالمانية على الحكومة التركية لدرجة أن تركيا دخلت الحرب ولم يكن علم لدى أصحاب الامر والسلطة في تركيا وفي هذا يقول جمال باشا عندما سمع الاخبار " لا أعلم عنها شيئا لم يحدث ذلك بأمر مني " (١) .

ومهما يكن من أمر فان هذا لا يسقط مسؤولية السلطات التركية التي سمحت بمثل هذا التواجد العسكرى الالماني في تركيا ويحاول طلعت باشا في مذكراته أن يبرر هذا الاتجاه والانسياق التام مع ألمانيا من واقع الظروف التي كانت تحيط بتركيا في تلك الفترة خاصة الخطر الروسي في وقت كانت سياسة دولته الخارجية تتصف بالتقلب وعدم الثبات فهي تتقلب من دولة لاخرى فقد وقفت الى جانب بريطانيا أو فرنسا لمواجهة الخطر الروسي غير أن هذه الدول قد تخلت في وقت قدمت ألمانيا خدماتها ومساعدتها لتركيا ولترجمة هذا الموقف الالماني الى واقع بدأت ألمانيا في اجراء مفاوضات منذ أوائل ١٩١٤ الى أن انتهت هذه المفاوضات بعقد محالفة سياسية حربية بين الدولتين وبعد التصديق على هذه المعاهدة نشبت الاحداث التي أدت الى اشتعال الحرب العالمية الاولى ، وبموجب هذه المعاهدة أخذت ألمانيا تطالب تركيا الدخول الى جانبها في هذه الحرب غير أن تركيا ترددت في ذلك وطالت محادثات الحكومة التركية في هذا الشأن الى أن وقع حادث الحشود الروسي في القوقاس فما كان من الحكومة الا اعلان الحرب (٢) .

بهذا الاسلوب يحاول طلعت باشا أن يعلل دخول تركيا الى جانب دول الوسط بقصد درء الخطر الروسي وبهذا التفسير الذى أورده طلعت باشا نقف على وجهة نظر أخرى بالاضافة الى وجهة النظر التي أوضحها السفير الامريكي في الاستانة الذى يفسر ذلك بقوله أن تركيا دخلت الحرب استجابة للرغبة الالمانية وفي الوقت الذى تحدده ألمانيا أيضا .

ومهما يكن من أمر فلا شك في الدور الالماني الذى دفع تركيا الى هذه الحرب التي لم تكن الدولة العثمانية مستعدة لها وعلى ذلك فان موقف الحكومة التركية يمتاز في هذه الفترة أى خلال الفترة التي أعلنت فيها الحرب ولم تدخلها تركيا بعد يمتاز بالازدواجية

---

(١) هنرى مورجنثو : مذكرات سفير أمريكا في الاستانة ص ٣٥ ــ ٤٥ .

(٢) هنرى مورجنثو : المرجع السابق أورد السفير الامريكي جانبا من مذكرات طلعت باشا ضمن مذكراته . ص ٩٩ ــ ١٠٦ .

أو يمكن القول عنه بأنه " حياد معلق " ، واستنادا الى هذا الموقف أخذت الحكومة التركية باعلان التعبئة العامة في البلاد لمن هم تحت السلاح وقد أعلنت ذلك بموجب " مناشير " (١) وزعت على المراكز الحكومية والعسكرية في جميع أنحاء المدن السورية بما في ذلك المدن الفلسطينية وقد استجابت الاهالي لهذا النداء وبهذا يفهم أن العرب قد تناسوا خلافاتهم مع الترك ولبوا نداء الوطن ووقفوا الى جانب دولتهم كما فعلوا ذلك من قبل في طرابلس والبلقان في وقت أعلن فيه الاتحاديون تقربهم تجاه العناصر العربية عن طريق افساح المجال أمامهم في مناصب مدنية أو عسكرية من ذلك تعيين زكي باشا الحلبي قائدا للجيش في سوريه ومن حوله عدد من الضباط العرب بقصد كسب ثقة العرب لضمان تنفيذ التعبئة العامة بالشكل الذى تريده الدولة (٢) ان أعلان التعبئة العامة في البلاد يعنى تجنيد أبناء البلاد وتسخير موارد بلادهم وتحت هذا الشعار أخذت الحكومة الاتحادية فى تشكيل لجان تشرف على تجنيد أبناء البلاد في الشام (سورية ، فلسطين ، لبنان) ممن هم في سن الجندية من ٢٠ ـ ٤٥ سنة أو أخذ البدل النقدى منهم مقابل الاعفاء من التجنيد باستثناء فترة قصيرة كان على من يدفع البدل النقدى أن يخدمها في الجيش ، وقدر البدل النقدى في هذه الحرب ٤٣ ليرة عثمانية وتحت هذا الشعار أيضا اخذت الحكومة الاعلانات النقدية والعينية وأخذت التكاليف الحربية التى كانت تفرض بمعرفة اللجان الخاصة التى عينت هذه التكاليف حيث فرض ٥٠٪ على الاملاك و ٢٥٪ على الارض و ٢٥٪ على الحيوانات (٣) وقد أعدت الحكومة لتخزين الارزاق وكل ما يجمع من تموين من الاهالي مداخر في كل منطقة بالاضافة الى المدخر الرئيسي في منطقة بئر السبع (٤) .

وعلى أثر اعلان التعبئة العامة في البلاد أعلنت الاحكام العرفية بقصد ضبط وتنفيذ عملية التعبئة بالشكل الصحيح وقد نصت هذه الاحكام على البنود الاتية :

- اناطة أمر الامن والراحة العامة الى عهدة الحكومة العسكرية .
- كل مخالف لتعليمات السلطة العسكرية يقدم للمحكمة العسكرية ويطبق عليه قانون الجزاء العسكرى .
- يمنع حمل السلاح داخل المدينة أو البلدة .
- يقدم للمحكمة العسكرية كل من يعمل على اخفاء الفارين أو يعمل على اخفاء الحيوانات المطلوبة .
- عدم التجول من مكان لاخر الا بموجب اذن من شعبه أخذ العسكر وكل من يخالف

---

(١) جاءت صورة المناشير على نحو شملت فيه شعار الدولة واسم السلطان في الجزء العلوى من المنشور وفي الجزء السفلي سجلت العبارة الاتية ، صدر أمر التعبئة والذين هم جنود يجب أخذهم تحت السلاح ابتداء من يوم الاثنين ٢١ تموز ١٩١٤ " انظر المقطم : ٧٧٢٠ ـ ١٤ أغسطس ١٩١٤ .

(٢) ثورة العرب ، مقدماتها ، اسبابها ، نتائجها ـ بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية ـ مطبعة المقطم ١٩١٦ ص ١٣٨ ـ ١٤٠ .

(٣) فايز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية ص ٤٣ ـ ٥٠ .

(٤) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح : مرجع سبق ذكره ص ٢٧٣ ـ ٢٧٧ .

ذلك يعرض نفسه للمحكمة العسكرية .

كما حثت هذه الاحكام العرفية المواطنيين على ضرورة القيام بهذا الواجب انطلاقا من عواطفهم العثمانية ومحبتهم الوطنية (١) .

وأمام هذه الاجراءات تساءلت احدى الصحف العربية ـ المؤيد ـ ضمن مقالة لها تحت عنوان " هل تخوض تركيا الحرب " طرحت من خلال هذا المقال عدة أسئلة منها ، اذا كانت الدولة ستخوض الحرب فاين ستقف الى جانب ألمانيا أم الى جانب الحلفاء ؟ كما أنها لمحت الى أن اشتراك الدولة العثمانية في الحرب والى جانب ألمانيا سيكون مجازفة ومخاطرة عظيمة بالبلاد (٢) .

ويهمنا الان أن نعرض لموقف أبناء البلاد أمام السياسة الاتحادية التي عملت على تنفيذ التعبئة العامة في وقت أعلنت فيه حيادها وعدم رغبتها في دخول الحرب .

لقد كان لهذه الاجراءات نتائج وتأثيرات واضحة من ذلك ارتباكات مالية واقتصادية كانت سببا في تذمر الاهالي (٣) وقلقهم من هذه المواقف والاوضاع الجديدة ، وقد كانت البنوك أولى المؤسسات التي تأثرت بهذه الظروف حيث أغلقت أبوابها أمام عملائها فكان لذلك تأثير واضح على أبناء البلاد يصفه خليل السكاكيني أحد كبار رجال التعليم في فلسطين بأن هذه الاوضاع علمتنا التوفير والاقتصاد في مستلزمات الامور المعيشية سواء في المأكل أو الملبس (٤) لذا كانت مطالب الاهالي في فلسطين وغيرها من الحكومة العثمانية أن تبقى على حيادها وتنصرف الى معالجة أمورها الداخلية الجديدة التي جاءت بنتائج الحرب (٥) .

ومما زاد في قلق الاهالي بالاضافة الى ذلك أنهم كانوا في موقف لم يتمكنوا من خلاله معرفة ما وراء هذه التعبئة في وقت عطلت فيه الصحف المحلية عن عملها ومنعت الصحف العربية من الدخول (٦) فقد حاول البعض تفسير هذه التعبئة لان الدولة العثمانية تريد مهاجمة روسيا للاستيلاء على القوقاس التي تضم نسبة كبيرة جدا من المسلمين ، في حين حاول البعض الاخر أن يعلل ذلك الاجراء أو الاستعدادات العسكرية بأن الدولة العثمانية تنوى استرجاع ما فقدته في البلقان (٧) .

ولعل سبب هذه التناقضات يرجع الى تناقض الاخبار التي كانت وكالات الانباء تنقلها وتنشرها بين الاهالي فوكالة الانباء الالمانية كانت تحرص على نقل ونشر الانباء التي تخدم مصلحتها وكذلك وكالة أنباء دول الحلفاء ، وبهذا لم يتمكن أبناء البلاد من تكوين

---

(١) فلسطين : ٣٤٣ ـ ٤٦ ـ ٢٦ تموز ١٩١٤ .
(٢) المؤيد : ٧٣٥٥ ـ ١٨ اغسطس ١٩١٤ .
(٣) انظر الفصل الرابع .
(٤) خليل السكاكيني : كذانا يا دنيا ص ٧٩ ـ ٨٠ .
(٥) المقطم : ٧٧٣٠ ـ ٢٧ اغسطس ١٩١٤ .
(٦) خليل السكاكيني : مرجع سبق ذكره ص ٧٩ ـ ٨٠ .
(٧) المقطم : ٧٧٦٨ ـ ١٠ أكتوبر ١٩١٤ .

فكرة عامة عن حقيقة تجمع هذه القوات العسكرية ومعداتها في سورية بهذا الشكل الضخم في وقت كانت فيه الدولة العثمانية تعلن من حين لاخر أنها سوف تعمل على الغاء التعبئة العامة في الجيـــــش (١) .

كما عملت الحكومة الاتحادية على تهدئة المشاعر القلقة باعلانها من حين لاخر بانها لا تزال عند موقفها وأنها ستعمل على ايقاف الحشود العسكرية نهائيا ، وبدأت بذلك حيث أعفت من التجنيد من هم في سن ٤٠ــ٤٥ وابطلت تجنيد المعيل والمعين استناد الى وعود الحكومة الانجليزية فى أنها ستحافظ على تركيا اذا بقيت على الحياد (٢)

ويبدو أن المحادثات مع الحكومة الانجليزية لم تنته الى نتيجة جديه مما دفع الحكومة العثمانية الى التشديد فى تنفيذ عملية تعبئة الجيش مما أدى الى‌تزايد عدد الجنود الوافدين الى دمشق ، وتعكس مذكرات السكاكيني‌هذه الحاله في فلسطين بقوله : لا تزال الحكومة تطمع في تكليف الاهالي بتدبير لوازم العسكر بحيث جاوزوا الحد وأخذ الناس يضجون من ثقل التكاليف (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن الحكومة لم تفكر في تجنيد غير المسلمين بحكم عدم درايتهم بالانظمة العسكرية لعدم ممارستهم هذه الخدمة من قبل كما أن الدولة كانت تفضل البدل النقدى الذى تتقاضاه منهم على تجنيدهم (٤) .

وقد أثارت اجراءات التعبئة الجديدة التى قامت بها الحكومة أثارت حفيظة دول الحلفاء وعكست جريدة التايمز موقف الحكومة الانجليزية الرافض لهذه الاجراءات كما أشارت الى خطورة هذا العمل حيث قالت : ان تركيا بدخولها الحرب الحاضرة تلعب دورا خطيرا على حياتها لان الاسطول الفرنسي والانجليزى لا يتأخران عن تخريب الثغور والسواحل العثمانية في البحرين الابيض والاحمر ويعمل الاسطول الروسي فعليهما في البحر الاسود (٥)

ويبدو أن الحكومة العثمانية قدرت خطورة هذا الموقف الدولي لذا أعلنت موقفها الحيادى في بلاغ رسمي أصدرته وسلمته الى سفراء الدول الكبرى جاء فيه أن تركيا تحافظ على حيادها طوال مدة الحرب ولن تسمح للسفن الحربية لدول الحلفاء بالدخول في مرافئ الدولة الا في حالات العطل الفني (٦).

غير أن الامور تطورت منذ منتصف اكتوبر ١٩١٤ شعرت على اثرها الدولة العثمانية بأنها ستخوض هذه الحرب‌بعد أن تواترت أنباء انقطاع العلاقات بين الحكومة العثمانية ودول الاتفاق الثلاثي في وقت قام فيه القنصل البريطاني بابلاغ رعاياه بالسفر من البلاد

---

(١) المقطـم : ٧٧٥٦ ــ ٢٦ سبتمـبر ١٩١٤ .

(٢) المقطـم : ٧٧٥٨ ــ ٢٩ سبتمـبر ١٩١٤ والمؤيد ٧٣٩٦ ــ ٢٩ سبتمـبر .

(٣) خليل السـكاكيني : مرجع سـبق ذكره ص ٧٩ ــ ٨٠ .

(٤) المقطم : ٧٧٦٨ ــ ١٠ اكتوبر ١٩١٤ .

(٥) المؤيـــد : ٧٤٠١ ــ ١٦ اكتوبـر ١٩١٤ .

(٦) المقطم : ٧٧٧٣ ــ ١٦ اكتوبـر ١٩١٤ والمؤيد ٧٤٠١ ــ ١٦ اكتوبر ١٩١٤ .

عمل على احراق الوثائق البريطانية الموجودة في القنصلية (١) .

عملت الحكومة العثمانية على أثر ذلك على اعلان الغاء الامتيازات الاجنبية في الممالك العثمانية واغلاق مكاتب البريد الاجنبية بعد اعطائها مهلة تتمكن خلالها من انهاء خدماتها لينفرد بعد ذلك مكتب البريد العثماني لهذه الخدمات لجميع الجهات (٢) ، وقد زادت هذه الاجراءات الجديدة من قبل الحكومة التركية زادت من قلق الاهالي الذى بدأ يتخذ الان صورا جديدة ظهرت في اطلاق الاشاعات المخيفة أو الكاذبة من ذلك ما أشيع بأن دول الحلفاء ستهاجم المناطق الساحلية خاصة بيروت مما أدى الى ترجمة هذا التخوف أو القلق الى عمليات هجرة داخلية الى المناطق الاكثر أمنا في نظرهم ، ولم تتوقف عمليات الهجرة الا بعد أن اعلنت الحكومة التركية بأن الخلافات مع دول الحلفاء قد حلت بالطرق السليمة وهذا بالتالي يعني أن الدولة العثمانية لا تزال وستبقى على الحياد .

وقد وصف أحد الصحفيين (٣) الوضع العام في سورية خلال هذه الفترة وهي التي سبقت اشتراك تركيا في هذه الحرب الى جانب دول الوسط بقوله في احدى مقالاته في جريدة المقطم تحت عنوان " ماذا في سورية " : وهو بهذا يعطي صورة واضحة عن الاوضاع في سورية بما في ذلك فلسطين فهو يقول : " في سورية قلق وخوف ولكن ليس فيها اضطراب بالمعنى المعروف ، فيها غلاء وضيق وقلة في مواد الغذاء ولكن ليس بها قحط ولا نفاذ ولا جوع ، فيها فوضى من الادارة لكنها ليست بلا حكومة ... فيها ظلم وضيق على الناس من اشيائهم وأموالهم ولكن ليس فيها اعتداء على أحد الا بما تقضي به سياسة الحرب فيها استياء عم الجميع وأريد بالجميع الاهالي وموظفي الحكومة .... أما استياء موظفي الحكومة فمن الحكومة لا من الاهالي . وأما استياء الاهالي فمن الحكومة وموظفيها والحالة التي صاوروا عليها .... " (٤)

هكذا عاش أبناء البلاد من سورية ولبنان وفلسطين مقدمات الحرب العالمية الاولى أى منذ نشوبها وقبل أن تدخلها تركيا ، ويبدوا أن اشتراك تركيا في الحرب أصبح واضحا فيمابعد حيث أخذت مقالات الصحف العربية تعكس ذلك من ذلك جريدة المقطم وميولها الانجليز ية المعروفة التي نشرت " ان الدولة العثمانية أمام مفترق طريقين : طريق يوءدي الى ألمانيا وطريق الى الحلفاء وانها توشك أن تختار الطريق الاول " ، وقد حذرت الجريدة في مقالتها هذه من خطورة اشتراك الدولة العثمانية في الحرب حيث قالت : اذا كانت الحكومة الاتحادية تفكر في محاربة الحلفاء وخدمة الالمان ظنا منها أن هذه فرصة فذلك شطط في الرأى وجهل بالعواقب " . ودعت في نفس الوقت من القائمين على أمور الدولة الى القيام بتدعيم واصلاح دولتهم بدلا من ادخالها في التهلكة (٥) .

---

(١) المقطم : ٨٣٧٤ — ٣ سبتمبر ١٩١٦ .
(٢) المقطم : ٧٧٥٧ — ٢٨ سبتمبر ١٩١٤ .
(٣) خليل زينيه .
(٤) المقطم : ٧٨١٣ — ٣ ديسمبر ١٩١٤ .
(٥) المقطم : ٧٧٧٧ — ٢١ اكتوبر ١٩١٤ .

يهمنا أن نذكر هنا أن هذه الاوضاع التي أوضحتها الصفحات السابقة كانت المناخ الذى عاشت خلاله الحركة العربية قبيل دخول تركيا الحرب ويمكن القول بأن هذه الاوضاع هيأت فرصة جديدة للعمل العربي حيث تجمع العدد الكثير من الشباب العربي الذى جاء أو جمع في مناطق التعبئة العامة ، كما أن هوءلاء الشباب مكثوا فترة طويلة في دمشق وذلك قبل نقلهم الى المناطق العسكرية المخصصة لهم ، كل هذا وخرجوا للعمل والتحرك بين العرب ، كما يلاحظ بأن الحركة العربية تأثرت بتلك الاوضاع التي سادت في البلاد حيث أن هذه الحركة أخذت تشارك وتحذر من اشتراك الدولة العثمانية في هذه الحرب ، ومن الجمعيات التي عكست نشاط الحركة العربية في هذه الفترة الحرجة حزب اللامركزية الذى أسس في القاهرة في عام ١٩١٢ وكان له عدة فروع في يافا ونابلس ، جنين وغزة وفي بعض المدن العربية الاخرى ، وكذلك جمعية العهد التي تأسست في الاستانة في ١٩١٣ وقصرت عضويتها على ضباط العرب وكان لها فروع في بيروت وحلب ، دمشق ، الموصل ، البصرة ، ومن الجمعيات أيضا جمعية الفتاة العربية التي تأسست في باريس ١٩١١ ثم نقلت مركزها الى بيروت مع تأسيس فرع لها في دمشق ، ويلاحظ أن نشاط الجمعيات العربية خلال هذه الفترة قد تركز على توجيه أنظار الرأى العام العربي الى ضرورة البحث في مصير البلاد وبحث سبل تحقيق استقلالها حيث أن هذه الجمعيات استشعرت مصير الدولة العثمانية في حالة دخولها الحرب (١) ٠

كما يهمنا أن نوضح هنا أن الحكومة الاتحادية حتى هذه الفترة لم تعمل على تنفيذ قرارات موءتمر يناير ١٩١٤ الذى تقرر فيه ضرب الحركة العربية ضربة قاضية أو لعل انشغال الحكومة الاتحادية في هذه الفترة في بحث أو تقرير موقفها من الحرب هو الذى شغلها عن تنفيذ سياستها تجاه الحركة العربية كما ظهر ذلك فيما بعد خاصة بعد اشتراك تركيا في الحرب وما تترتب على ذلك من تطور للحركة العربية التي أخذت تبحث فعلا عن الخطوات التي تصل بها الى الاستقلال وهذا ما سنوضحه في الفترة التالية وهي الفترة التي تبدأ باشتراك تركيا في الحرب ٠

دخلت تركيا الحرب الى جانب ألمانيا أثر تطور الاوضاع بين روسيا وتركيا حول المعابر المائية للبحر الاسود حيث وقعت مصادمات بين الاسطولين (٢) التركي والروسي نتيجة للاجراءات التركية في هذه المنطقة والتي أدت الى محاصرة الاسطول الروسي بعد أن بثت تركيا الالغام في مداخل الدردنيل والبسفور في وقت آوت فيه البواخر الالمانية المطاردة من قبل الاساطيل الفرنسية والانجليزية هبت على أثر هذه الاحداث كل من فرنسا وبريطانيا لمساندة روسيا انطلاقا من بنود الاتفاق الثلاثي ، قدمت بريطانيا على أثر ذلك مطالب الى الحكومة العثمانية لالزامها طرد البعثتين الالمانيتين البرية والبحرية من البلاد وطرد البحارة من على الباخرة الالمانية وذلك خلال ١٢ ساعة وعلى أثر رفض الحكومة

---

(١) محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ص ٣٦٥ ـ ٥٠٣ ٠

(٢) حسب ما ورد في مذكرات السفير من الاستانة أن الاسطول التركي الذى ضرب مدينة أودسا الروسية كان عليه بحاره ألمان مما يبرز الدور الالماني في الاجراءات التي أدت الى التصادم بين الاسطولين الروسي والتركي ٠ انظر مذكرات سفير أمريكا في الاستانة ص ٤٦ ـ ٤٨ ٠

العثمانية لهذه المطالب غادر سفراء الدول الثلاث الاستانة اشارة الى قطع العلاقات السياسية مع تركيا قامت على أثر هذا التطور الاساطيل الفرنسية والانجليزية بضرب مداخل الدردنيل وبهذا أصبحت الدولة العثمانية طرفا في هذه الحرب الى جانب ألمانيا .

وكانت النتائج المباشرة لهذا الحدث ـ أى دخول تركيا الحرب ـ على سورية ان بدأت الحكومة الاتحادية في اتخاذ المزيد من الاجراءات التي تمكنها من دعم سلطتها في المنطقة العربية ، (١) ولما كانت الدولة العثمانية قد عملت على تعبئة الجيش منذ بداية نشوب الحرب العالمية وقبل أن تدخلها ، لذا جاءت الاجراءات هذه المرة اجراءات يمكن وصفها بأنها اجراءات استكمالية سواء تجاه أبناء البلاد أو تجاه الرعايا الاجانب خاصة رعايا دول الاتفاق الثلاثي الذين أصبحوا بدخول تركيا الحرب من رعايا الدول المعادية ، فمن الاجراءات الاولية التي اتخذت في سوريا هو أن السلطات العسكرية عملت على ربط الاتصالات في بلاد الشام جميعها بمشيرية دمشق كما قطعت الاتصالات الخارجية ولهذا أصبحت البلاد منعزلة عن العالم ، كما وضعت يدها على ممتلكات الرعايا الاجانب مثل المدارس والشركات والبنوك والمتاجر والمؤسسات الدينية في دمشق وبيروت والقدس ونابلس والناصرة وغيرها من المدن : واتخذتها مراكز للجيش كما أقدمت السلطات العسكرية على اغلاق القنصليات الاجنبية وطلبت من الرعايا الاجانب الانتقال الى المناطق الداخلية خاصة من هم في المناطق الساحلية (٢) .

ومن ناحية أخرى عملت الحكومة العثمانية على اثارة مشاعر أبناء البلاد ليقفوا الى جانبها عن طريق الاجتماعات والقاء الخطب فقد شهدت القدس اجتماعا عاما في ساحة الحرم في ١٨ تشرين الثاني ١٩١٤ حضره أبناء المدينة على مختلف مذاهبهم قام فيهم الشيخ عبد القادر المظفر خطيبا بين فضائل الدولة وضرورة مساندتها ، ثم تابع الموكب مسيرته حتى وصل القنصلية الالمانية حيث خطب فيهم القنصل شاكرا العلاقات الودية بين تركيا وألمانيا وتمنى لهما النصر في هذه الحرب (٣) .

كما عملت الحكومة العثمانية على تدعيم المناطق الساحلية تحسبا لاية عمليات غزو من الدول المعادية خاصة في بيروت ويافا ، وطلبت من أبناء هذه المناطق بالانتقال الى المناطق الداخلية ، كما أغرقت المراكب الشراعية الراسية في هذه الموانئ حتى لا يستفيد منها العدو (٤) .

وقد أدت هذه الاجراءات الى تخوف الاهالي من هذه المناطق تحسبا من ضربات الاساطيل الفرنسية والانجليزية في وقت اتخذت فيه الدولة اجراءات أخرى عملت على زيادة هذه المخاوف عندما نقلت السجلات الموجودة في بيروت الى دمشق (٥) ، وعملت

---

(١) المنار : الجزء الثاني عشر ـ المجلد السابع عشر ص٩٥٨ ـ ٩٥٩ .

(٢) (2) Jemes Parkes: Whose Land p 247 - 258.

(٣) خليل السكاكيني : مرجع سبق ذكره ص ٨٠ ـ ٨٥ .

(٤) المقطم : ٧٧٩٥ ـ ١٢ نوفمبر والعدد ٧٨٠٣ ٢١ نوفمبر ١٩١٤ .

(٥) المقطم : ٧٧٩٩ ـ ١٧ نوفمبر ١٩١٤ .

على تشكيل مجلس لادارة المدينة والمحافظة على النظام فيها اذا ما اضطرت الحكومة المحلية الى مغادرة المدينة لذا فمهمة هذا المجلس استلام المدينة في الفترة ما بين خروج الحكومة المحلية ودخول المحتلين ، وقد ضم هذا المجلس أعضاء مجلس الادارة وأعضاء المجلس البلدى ونائبي بيروت بالاضافة الى الرؤساء الروحانين من جميع الطوائف والمذاهب (١) ٠

ومع تزايد هذه المخاوف لم يعد الامر متوقفا على انتقال الاهالي الى المناطق الداخلية بل الى هجرتهم الى مصر قادمين من بيروت ويافا (٢) من بينهم قناصل فرنسا وانكلترا (٣) ، كما أخذت الصحف في نقل مراكزها من بيروت الى دمشق في حين كانت بعض الصحف قد اغلقت بسبب نشرها أخبارا لا تخدم المصلحة الالمانية (٤) ٠

ونتيجة لهذه الاجراءات التي أنجزتها الدولة العثمانية في بلاد الشام تم اعداد جيش كبير قسم الى قسمين : القسم الجنوبي ويشرف على ولايتي سورية وبيروت ومتصرفية القدس ومقرة دمشق للزحف نحو الاقسام الجنوبية أما القسم الثاني من الجيش وهو القسم الشمالي فيشرف على ولاية حلب وينقل برا مع مهماته الى ضواحي الاستانة ليكون الى جانب الجيش المرابط للدفاع عن العاصمة (٥) ٠

وتلى ذلك عملية توزيع هذا الجيش على مراكزه ومواقعه حيث وصل الى القدس في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ جيش من الشام ليأخذ مواقعه في البلاد (٦) ٠

ومع ادراك أبناء البلاد لحقيقة هذه الحرب على أنها ألمانية وليست عثمانية (٧) وانطلاقا من المبادىء أو المفاهيم التي وضعتها الجمعيات العربية أمامها لاجل العمل من خلالها في الفترة التي سبقت اشتراك الدولة العثمانية في الحرب وهي نابعة من المطالب العربية في الحرية والاستقلال ، مع كل هذا أخذت الجمعيات العربية في ظل هذه الظروف التي وان كانت قاسية على زيادة نشاطها لان ظروف التعبئة هذه عملت على حشد أكبر قدر من الشباب العربي في دمشق وبالتالي فان ذلك وفر تربة صالحة لاجل نشر الافكار القومية وتوجيه الشباب نحو المطالب العربية (٨) ٠

ومع أن عمر هذا النشاط القومي من قبل هذه الجمعية كان قصيرا بسبب تغير الظروف في قيادة هذا الجيش المجتمع في سورية نحو قناة السويس لضرب بريطانيا في هذه المنطقة الهامة (٩) ٠

---

(١) المقطم : ٧٨١٣ — ٣ ديسمبر ١٩١٤ ٠

(٢) المقطم : ٧٨٣٥ — ٣٠ ديسمبر ١٩١٤ ٠

(٣) المقطم : ٧٨٠٣ — ٢١ نوفمبر ١٩١٤ ٠

(٤) المقطم : ٧٨٢٢ — ١٤ ديسمبر ١٩١٤ ٠

(٥) المقطم : ٧٨٢٣ — ١٥ ديسمبر ١٩١٤ ٠

(٦) خليل السكاكيني : مرجع سبق ذكره ص ٨٠ — ٨٦ ٠

(٧) المقطم : ٧٨١٣ — ٣ ديسمبر ١٩١٤ ٠

(٨) أحمد قدرى : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٣٧ ٠

(٩) مذكرات أحمد جمال باشا : تعريب أحمد شكرى ص ١٣١ — ١٣٣ ٠

نظر الاتحاديون الى أحداث الحرب العالمية الاولى بأنها فرصتهم لتنفيذ سياستهم التي تم وضع أسسها في مؤتمر يناير ١٩١٤ التي سبقت الاشارة اليه وقد جاء اختيار الاتحاديين لجمال باشا (١) بناء على ما عرف عن شخصية هذا القائد في تنفيذ سياسات القمع والابادة كان آخرها ما نفذه تجاه الارمن ، ويبدو أن أحداث الارمن قد أعطت جماعة الاتحاد والترقي مزيدا من الدفع للسير والتمادى في هذه السياسة الارهابية وتطبيقها على العرب بعد أن طبقوها على الارمن ٠

تقمص جمال باشا بعد وصوله الى دمشق شخصية غير شخصيته ، فأبدى تظاهرا واضحا بميله نحو تحقيق المطالب العربية بقصد تعزيز الروابط بين العرب والترك ومكنه ذلك من استمالة بعض الشخصيات العربية لتكون اداته في تنفيذ سياسته المرحلية الرامية الى الكشف عن العناصر الوطنية والمستنيرة في البلاد حتى تكون في متناول اليد في الوقت المناسب (٢) ٠

بهذه الروح وبهذا التمويه أخذ جمال باشا في بث سياسة حزبه تجاه العرب من خلال الخطب والتصريحات معلنا أن حزبه ينوى تنفيذ سياسة اصلاحية تحقق للعرب مطالب أوسع بكثير مما يخطر على البال (٣) ، وكان لتلك الخطب وقع حسن بين الاهالي وتمثل في حسن استقبالهم اياه معربين عن ذلك بالاناشيد والخطب الحماسية كما تمثل هذا الموقف في استجابة العديد من ضباط العرب في الانتقال الى خارج المنطقة العربية (٤) في تأديةواجبهم تجاه الدولة أمام الاخطار التي تحدق بها وحرص جمال باشا على أن ينال ثقة الاهالي لذا عمل على اشعار أبناء العرب بأن الدولة محتاجة اليهم والى مساندتهم ٠

ان الابتعاد السريع عن هذه السياسة يوحي بأن جمال باشا ما كان يعمل ذلك الا بقصد الوصول الى نقطة البدء التي تمكنه من الانطلاق في تنفيذ السياسة الاتحادية المعروفة تجاه الحركة العربية وبهذا يمكن القول ان جمال باشا تمكن خلال وجوده في دمشق من أن يتعرف تماما على الحركة العربية ، حيث تمكن من توجيه ضربته الى هذه الحركة بشكل قاتل وهذا واضح من الضربات المتعددة التي أخذ في توجيهها نحو أبناء الامة العربية من ذلك ارساله وكلاء الضباط العرب الى المناطق النائية قبل أن تنتهي المدة القانونية المحددة لتخريجهم ، ثم اقدامه على اعدام العديد من الجنود العرب بحجة مخالفتهم قانون التجنيد ، ومن لم ينطبق عليه هذا الاجراء أصابه اجراء آخر ، استحدثه جمال باشا عن طريق استبدال الضباط العرب بضباط أتراك بحيث نال الضباط العرب بعد ذلك الابعاد الى خارج مناطقهم (٥) ٠

هذه الاجراءات التي مارسها جمال باشا تركزت في بدئية الامر حول ابعاد الضباط والجنود العرب وتشتيتهم الى مناطق نائية بعد تجريدهم من أملاكهم وبيعها معللا ذلك بأنهم

---

(١) لورنس : أعمدة الحكمة السبعة ص ٣٤ ٠

(٢) ثورة العرب : مرجع سبق ذكره ص ١٣٩ – ١٤١ ٠

(٣) مذكرات أحمد جمال باشا : مرجع سبق ذكره ص ٢١٣ – ٢١٥ ٠

(٤) ثورة العرب : مرجع سبق ذكره ص ١٤١ – ١٤٤ ٠

(٥) المقطم : ٨٢٣١ = ١٣ ابريل ١٩١٦ ٠

سينالون مقابلها في المناطق والجهات التركية (١) .

ولعل هدف جمال باشا من هذا كان اخلاء المنطقة العربية منهم في وقت أمر فيه جمال باشا بأن تكون مراسلات الجنود العرب مع ذويهم باللغة التركية وهذا الاجراء حرم العديد من الجنود العرب الذين لا يعرفون اللغة التركية من الاتصال بذويهم مما يحرم الصلة بين الجنود العرب وأهاليهم (٢) ثم كانت المشانق التي نصبها جمال باشا في دمشق وبيروت استكمالا لسياسته المتوازية نحو أبناء البلاد المدنيين منهم والعسكريين . ولهذا الغرض أقام محكمة عسكرية ـ الديوان العرفي في عالية ـ لصوغ الاحكام الصادرة عن هذا المجلس بصيغة قانونية حسب مفهوم الحكومة الاتحادية ويبدو أن هذا المجلس العرفي كان صوريا اذ ما كان عليه من مهام سوى تنفيذ الاحكام التي تصل اليه من الاستانة ، ودليل ذلك أن أعضاء هذا المجلس الذين عينوا في البداية اعترضوا على تنفيذ الاحكام الصادرة بحق بعض العرب لعدم ثبوت ادانتهم لذا استبدلوا على الفور باعضاء آخرين عملوا على تنفيذ السياسة الاتحادية تنفيذا حرفيا ، وقد أصابت سياسة المشانق أول ما أصابت أقرب الشخصيات العربية الى جمال باشا وهو عبد الكريم الخليل الذى كان قد وقف الى جانب جمال باشا مؤيدا سلطة الدولة (٣) ، ولحق به عدد من الزعماء والادباء من أبناء الامة العربية مسحلين بذلك شهداء القافلة الاولى فقد نفذ حكم الاعدام في ٢١ رجلا بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩١٥ في بيروت بتهمة الانتماء الى حزب اللامركزية . أما القافلة الثانية من الشهداء فكانت في ٦ مايو ١٩١٦ اذ أعدم ٦٠ شهيدا الصقت بهم تهمة العمل على سلخ سورية وفلسطين والعراق عن جسم السلطنة العثمانية (٤) والاتصال بدول أجنبية معادية الامر الذى استنكره العرب في بيان رسمي نشرته جريدة المقطم في ٦ أغسطس ١٩١٦ (٥) ، وقد أصابت هذه القوافل من الشهداء أبناء الامة العربية في العديد من المدن الفلسطينية كالقدس ، حيفا ، يافا ، نابلس وغيرها من المدن العربية (٦). فقد أصاب مدينة القدس وحدها ١٢ شخصا عدا الاحكام الغيابية ضد البعض الاخر من أبناء هذه المدينة كما أصيبت البلاد بابعاد العديد من أعيان فلسطين وصل عددهم لحوالي ٣٠٠ أبعدوا الى آسيا الصغرى (٧) .

ولم يكن الامر في البلاد الاخرى أفضل ، فقد نفذت أحكام الاعدام في العديد من أبناء العراق من مدينة بغداد وكوت العمارة (٨) ، كما أصاب جمال باشا أبناء البلاد في

---

(١) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ـ الجزء الاول ص ١٨٦ — ١٩١ .

(٢) الكوكب : ٣٤ — ٢٠ مارس ١٩١٧ .

(٣) ثورة العرب : مرجع سبق ذكره ص ١٤٢ — ١٤٤ .

(٤) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ص ١٥٢ — ١٥٨

(٥) المقطم : ٨٣٣٥ — ١٦ أغسطس ١٩١٦ .

(٦) المقطم : ٨٣١٨ — ٢٦ يوليو ١٩١٦ .

(٧) جفريز : فلسطين ، اليكم الحقيقة ـ الجزء الاول ص ١٨٦ — ١٩١ .

(٨) المقطم : ٨٤١٣ — ١٦ نوفمبر ١٩١٦ .

أرزاقهم وأموالهم التي صودرت بالاضافة الى حيواناتهم التي كانت تستخدمها في النقل (١).

وقد ناشد عبد الغني العريسي أحد شهداء العرب بني جلدته قائلا : لا تتقاعسوا ولا تتقاعدوا ... عن نداء الوطن والحرية والاستقلال الذى يدعوكم الى الاتفاق والاتحاد والتعاضد

ووجه دعوته لمواجهة هذه السياسة بتأليف الجمعيات لاجل التفاهم في مصير البلاد (٢) ويلاحظ على الشبان العرب الذين سيقوا الى المشانق أنهم ليسوا جميعا ممن مارسوا العمل الحزبي حتى يكونوا هدفا لمثل هذا الاجراء أو بمعنى آخر لم يكن ذنبهم واحدا .

فاذا كان جمال باشا منفذا للسياسة الاتحادية فان أنور باشا كان مشرفا حيث أن زيارته للمنطقة العربية جاءت بعد أن أتم جمال باشا تنفيذ سياسته وهذا الامر يضع أمامنا احتمالا وان كان ضعيفا وهو أن أنور باشا ما قام بهذه الزيارة الا لاجل مباركة خطوات جمال باشا ، غير أن هذا الاحتمال يضعف أمام احتمال آخر أكثر قوة يفهم منه أن الهدف من وراء الزيارة انما كان استمالة العرب وقد يبدو تناقضا بين هذه الاحتمالات اذ أن الاحتمال الاول يفسر الزيارة على أنها زيارة مباركة في حين أن الاحتمال الثاني يفسر أمر الزيارة على أنها محاولة لاستمالة العرب الى جانب الترك .

وقد يستبعد هذاالتناقض اذا ما نظرنا الى ذلك من زاويتين : الاولى وهي أن الاستماله للجانب العربي ممكنه بعد أن تمت تصفية العناصرذات الاهمية القياديه ، والزاوية الثانية نظرتنا الى هذه المحاولة على انها سياسة اضطرارية جاءت بسبب سوء الاحوال العسكرية التي كانت عليها الدوله العثمانيه في تلك الفترة ، فتوغل الروس في أرمينيه مثلا أحدثتأثيرا سيئا بين الاتراك نظرا لاهمية هذه المنطقة من الناحيتين الحربية والاقتصاديه بالنسبه للدولة فهي مورد للرجال والمال بالاضافة الى هذه المنطقة في معظم اجزائها هي منطقة تركيه كما أن توغل البريطانيين في العراق كان لا يقل تأثيرا على الدوله عن أحداث توغل الروس في أرمينيه فخشي الترك مغبة انتفاضة عربية ، ومن هنا كان ايفاد أنور باشا لزيارة المناطق العربية (٣) ولكن العرب لم يقابلوا هذه الزيارة باهتمام كبير على الرغم من اطلاق سراح البعض وتخفيف الاحكام عن البعض الاخر .

الحملة التركية على قناة السويس :

مهمة أخرى أوكلت لجمال باشا مع بداية دخول تركيا الحرب الى جانب ألمانيا وكان لها تأثيرها في فلسطين هي قيادة الحملة التركية على قناة السويس بعد أن تم الاعداد لذلك من قبل ، أى منذ اعلان التعبئه العامة في بلاد الشام ــ سوريه ، لبنان ، فلسطين ــ اذ تم حشد قوات عسكريه استقرت في دمشق لتكون على أهبة الاستعداد وفعلا بعد أن دخلت تركيا الحرب اوكلت لهذا الجيش المتجمع في دمشق مهمتان :

---

(١) المقطم : ٨٦٤٠ – ١١ أغسطس ١٩١٧ .
(٢) الكوكب : ١٩ – ٥ ديسمبر ١٩١٦ .
(٣) المقطم : ٨٢١٣ – ٢٣ مارس ١٩١٦ .

المهمـــة الاولـــى :

حماية الشواطئ السورية في حالة غزو بريطاني أو فرنسي لهذه المناطق الساحليه .

المهمـــة الثانيــة :

هي ضرب بريطانيا في مصر عن طريق تجريد حملة على قناة السويس .

وقد وصف أحد المبشرين الامريكان القادمين الى مصر من فلسطين استعدادات الترك للهجوم على مصر عن طريق سحب معدات الجيش من دمشق الى غزة وعن طريق جمع الميرة (التموين) من الاهالي بالاضافة الى تكاليف بدو فلسطين بتقديم حوالى ٢٠٠٠ رجل جهزتهم الحكومة بالاسلحه اللازمه (١) .

ولكن انجلترا عملت على تقوية موقفها العسكرى في مصر ، ووضعت القيادة البريطانية خطتها العسكريه على أساس الاستفادة التامه من قناة السويس باعتبارها مانعا مائيا جيدا ، لذا سحبت قواتها من شبه جزيرة سيناء وركزت قواتها على الضفة الغربية لقناة السويس انتظارا لاى هجوم من الاتراك (٢) لذا لم يكن أمام الحمله التي توجهت نحو قناة السويس أية عراقيل عندما بدأت مسيرتها وقد اتخذت هذه الحملة من العريش وقلعة النخيل مركزين للتموين مرتبطين بالقدس بعد أن كان الاتصال مع دمشق . ولن ندخل في تفصيل العمليات الحربية مكتفين باخفاق الترك سواء في حملاتهم الاولى أو الثانيه في عبور قناة السويس .

أما المكانة العسكرية للجيش العثماني في فلسطين فيمكن فهمها من خلال التقارير التي كان يتبادلها القادة مع قيادتهم لاجل اتخاذ اجراءات سريعة بقصد الحيلولة دون تقدم القوات البريطانيه نحو فلسطين ، في الوقت انتقل فيه موقف بريطانيا العسكرى من الدفاع الى الهجوم بعد الانتصارات التي حققتها في سيناء (٣) .

كانت أول اشارة تسلمتها رئاسة أركان الحرب العموميه تكشف عن الوضع العسكرى بعد فشل الحملات التركية على قناة السويس برقيه بعث بها قائد الجيش الرابع أحمد جمال باشا بتاريخ ٧ يوليو ١٩١٧ حيث أوضح فيها استعدادات القيادة البريطانية لاجل الاستيلاء على فلسطين بقصد اخراج الترك من المنطقة العربية والزامهم بالخروج من الحرب ، وبناء على ذلك طلب من قيادته امدادات سريعة لتدعيم بعض المواقع في بيروت والرملة ويافا نظرا لنقص القوات في هذه المناطق كما طلب من القيادة اجراء عمليات استبدال القوات العربية باخرى تركيه في المواقع التي تضم أكثرية من الجنود العرب مثل موقع بئر السبع .

وعللت القيادة العامة رفضها عندما رفضت الاستجابة لمطالب جمال باشا بأن القوات البريطانية في حالة لا تمكنها من شن حملات كبيرة تجاه فلسطين ، ويبدو أنها بنت هذا الاعتقاد على أساس ضعف العمليات العسكرية التي من الممكن أن تقوم بها القوات البريطانية من حين لاخر في جهات غزة وتراجع القوات البريطانية لعدة مرات أمام القوات التركية المرابطة في

---

(١) المؤيـــد : ٧٤٧٠ ٢ يناير ١٩١٥ .

(٢) شكرى نديـم : مرجع سبق ذكره ص ٢٤ ــ ٢٦ .

(٣) شكرى نديم : مرجع سبق ذكره ص ٥٠ ــ ٦٥ .

الخطوط المقدمة ومهما يكن من أمر يمكن أن نفهم من تقرير جمال باشا مدى تخوفه من مقـــدرة القوات العاملة تحت امرته في حالة هجوم بريطاني شامل في وقت أبدى مخاوفه من موقف الجنود العرب في وقت أندلعت فيه الثورة العربية في الحجاز ويبدو ، أن انعكاسها بدأت تتسرب الى بلاد الشام (١) .

وأمام تصاعد الاستعدادات العسكريه من جانب بريطانيا في وقت توقفت عملياتها العسكرية في بغداد وبعد استرخاء الميادين الاخرى تأكدت لدى جمال باشا نوايا بريطانيا نحو الاستيلاء على فلسطين لذا سافر الى الاستانه للاجتماع بانور باشا بحضور القائد الالماني فون فولكنها بن وخلال المناقشات التي دارت في الاجتماع ظهر خلاف بين رأى جمال باشا وفون فولكنهابن فقد أصر جمال باشا على اتباع سياسة هجومية وتدعيم الجبهة الفلسطينية في حين رأى القائد الالماني تدعيم الجبهة الفلسطينية أيضا ولكن في نفس الوقت تقوم القوات التركية بمهاجمة سيناء لتعمل على زحزحة القوات البريطانية وبالتالي تراجعها من المواقع المتقدمه نحو فلسطين وأمام هذا التصادم خرج أنور باشا من هذا الموقف بأن يقوم القائد الالماني فولكنهابن بزيارة فلسطين ووضع تقرير عن الوضع والحالة العسكرية في فلسطين .

ويهمنا التقرير الذى رفعه القائد الالماني بعد أن أنهى زيارتة للجبهة الفلسطينية فقد جاء في هذا التقرير الذى رفع الى القيادة العامة في ٢٠ سبتمبر ١٩١٧ وصف للحاله العامه في فلسطين في أعقاب حملات الاتراك الفاشلة على قناة السويس خاصة هذا ويربط بين الحالة العامة في البلاد وبين الموقف العسكرى بمعنى أنه ركز على موقف الاهالي وضرورة اخراج الاهالي من حالة اليأس التي يعانون منها لان ذلك ، في تقرير القائد الالماني ، ضرورى لتدعيم ومساندة الموقف العسكرى وتعزيزه في المنطقة العربية بشكل عام وفلسطين بشكل خاص ، في وقت نما فيه الشعور الوطني في المنطقة وفي هذه النقطة يقول التقرير :

"ان الذى يستلف الانظار في الدرجة الاولى حالة البلاد العمومية ، فالحرب الحاضرة أوجدت في نفوس الامة يأسا شديدا من الموقف السياسي الحاضر . والذى زاد في خطورة هذا اليأس الشعور الوطني الذى بدأ يتجلى في نفوس العناصر التي تشكل الدولة العثمانية فالسوريون وهم عرب يتطلعون بشغف الى حركات العدو ويوءملون من وراء فوزه فوزا لهم لان هناك من العرب يحاربون في صفوف الاعداء وقد بدأوا ينظرون الى السلطتين الملكيه والعسكريه كقوة مستبده دفعتهم الى الموت وقتلت شعورهم الوطني " . ويصف القائد الالماني فولكنهابن في جانب آخر من تقريرهحالة الجيش العثماني بقوله : " لم تكن حالة الجيش العثماني تعد شيئا بالنسبه الى ما كان عليه هذا الجيش في ابتداء الحرب فقوى الجيش من الوجهه العموميه تضاءلت حتى لم يبق منها غير واحد من خمسه والبلاد غير قادرة على وجه من الوجوه على سد النقص الواقع في الرجال " .

نقطه ثالثه ألقى التقرير الضوء عليها هي التأكيد على نية القوات البريطانية بالتقدم نحوالجبهة الفلسطينية وذلك بعد أن وصلت العمليات العسكرية في الميادين الحربية الاخـرى

---

(١) جمال باشا (الصغير) : كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب ـ تعريب فؤاد ميدانـي ص ١ ـ ٥ .

الى استرخاء ، فالنية البريطانية الان تتجه نحو فلسطين للاستيلاء عليها لتحقق بذلك أغراضها الاستعمارية في وقت كانت فيه بريطانيا تضع اللمسات الاخيرة على تعهداتها نحو الشريف حسين أو نحو الصهيونية (١) .

وأمام هذه النقاط الثلاث حاول القائد الالماني أن يضع مخرجا لذلك حيث اقترح كسب ثقة الاهالي عن طريق اجراء المزيد من الاجراءات بشأن تدعيم الادارة العثمانية وتأمين الامور المعيشية للاهالي لان هذه الامور في تقديره تعمل على تدعيم الموقف العسكرى النابع من دعم ووقوف أبناء البلاد الى جانب القوات التركية الالمانية (٢) .

وفي الوقت الذى ساء فيه موقف الاتراك العسكرى بدأت المجاعة وانتشرت الامراض واضطربت الاوضاع الاقتصادية ، فبدأ أهل البلاد يعيشون ظروف الحرب القاسية فعاشوا المجاعة على أبشع صورها . ولعل ذلك يرجع الى سياسة الحكومة التي أخذت في جمع الغلال تحت اسم التكاليف الحربية . وقد أدى ذلك الى نقص في الغلال بشكل ملحوظ فارتفعت على أثر ذلك الاسعار بشكل واضح وتعذر على الجميع الحصول على القوت اليومي مما أدى الى كثرة الوفيات في فلسطين (٣) بعد أن كانت المجاعة مقتصرة على المدن الساحلية خاصة في لبنان الا أن ذلك امتد الى جميع المدن السورية (٤) .

عملت الحكومة التركية على معالجة هذه الحالة السيئة فسنت لذلك نظاما جديدا في توزيع القمح يقضي بأن يقدم كل مزارع بيانا الى الحكومة عن كميات القمح التي انتجتها أرضوعن مقدار الحبوب التي يحتاج اليها هو وأفراد اسرته لمدة ستة أشهر ، فاذا قبلت الحكومة المحلية هذه التقديرات استبعدت واشترت منه بقية المحصول ليكون رصيدا للحكومة وقت الحاجة الى توزيع المواد الغذائية غير أن هذه الاجراءات لم توافق رغبات الاهالي الذين كانوا فيه حريصين على توفير القمح أطول وقت ممكن بدأوا يفقدون فيه ثقتهم بالحكومة بسبب وعودها المتكررة التي لا تنفذ (٤) .

أما اذا لم توافق الحكومة على تقديرات المزارعين فتقوم هي بعملية التقدير التي تجريها حسب ما تريد . ومن هنا يبرز عامل آخر أدى الى زيادة تذمر الاهالي هو أن التقديرات في بعض الاحيان كانت تزيد عن منتوج الارض بأكمله الامر الذى كان يجبر الفلاح على شراء ما قدرته الحكومة عليه ، يضاف الى ذلك أن الحكومة كانت تدفع ثمن ما تأخذه بالعملة الورقية التي لم تكن محل ثقة الاهالي بسبب انخفاض قيمتها المستمرة (٦) .

ولعل هذه الاعتبارات دفعت الحكومة التركية الى تغيير سياستها هذه ، فبدأت بعدها

---

(١) جمال باشا (الصغير) : المرجع السابق ص ٢٦ ــ ٣٥ .

(٢) كان الترك يتخوفون من وجود أطماع للاجانب في فلسطين حتى قيل أن مصطفى كمال كتب تقريرا أشار فيه الى هذا المعنى .

(٣) الكوكب : ٢٧ ــ ٣٠ يناير ١٩١٧ .

(٤) المقطم : ٨٢١٣ ــ ٢٣ مارس والعدد ٨٣٢٩ ــ ١٩ أغسطس ١٩١٦ .

(٥) المقطم : ٨٣٠١ ــ ٦ يوليو ١٩١٦ .

(٦) الكوكب : ٢٧ ــ ٣٠ يناير ١٩١٧ .

سياسة جديدة ترمي الى شراء الحبوب من الاهالي وتكليف الافران بعمل الخبز على حسابها وبيعه الى الاهالي بموجب تذاكر يحصل عليها بعد دفع ثمنها للحكومة بواسطة مشايخ الحارات وفي سبيل تنفيذ هذه الاجراءات الجديدة عملت الحكومة على منع الاهالي من اعداد الخبز اليومي بل كان عليهم شراء ذلك من الافران المخصصة لذلك (١) ، ولعل القصد من ذلك هو الحد من استهلاك القمح حيث حددت لكل فرد أن يشترى من الفرن ١٢٠ درهما من الخبز (٢) ومع هذا فان هذه الاجراءات لم تحد من حدة المجاعة التي هددت أبناء البلاد لدرجة أن الدولة أخذت في نقل بعض الاهالي خاصة الفقراء منهم الى مناطق داخلية في حمص وحماة لعلها تكون أحسن حالا (٣) ٠

وزاد هذه الحالة سوءا وصول أسراب الجراد التي فتكت بالمحاصيل الزراعية في سورية وفلسطين (٤) ، وباصدار الحكومة أوراق مالية بدون أن يكون لها رصيد مما أدى الى تخفيض قيمتها من حين لاخر (٥) ٠ كما أن الحالة الصحية قد ساءت ٠ انتشرت الامراض المعدية ، ولم تجد طرق فعالة لعلاجها في مثل هذه الظروف التي قلت فيه الادوية والعلاجات والرعاية الصحية في ظروف الحرب (٦) ٠ كما اتخذ جمال باشا اجراءات شديدة تجاه الاهالي في وقت شعر فيه أن القوات البريطانية أصبحت الان على أبواب فلسطين لذا أخذ في اجلاء الاهالي عن المدن مثل القدس وغزة ويافا وعندما لم يتجاوب الاهالي في القدس لعمليات الاخلاء هذه شكل مجلسا عرفيا خاصا في القدس لتنفيذ عمليات الاخلاء والنفي للاسر والعائلات في القدس وغيرها (٧) ٠

حدث كل هذا في فلسطين وسورية ولبنان دون أن يكون لهذه الاحوال السيئة التي عاشها الاهالي في هذه المناطق أى انعكاس أو صدى في مصر وغيرها فنشرت جريدة المقطم في احدى مقالاتها ما يدل على ذلك فقالت : " حدث كل هذا ونحن لا نعلم من أمرهم شيئا بل نتوهم أنهم مثلنا " ٠ غير أن هذه الصورة تغيرت بوصول أحد القادمين من سورية وأخذ في نشر الاخبار من خلال صحيفة المقطم التي أعطت صورة واضحة عما كان يجرى في بلاد الشام بشكل عام وحلل أحد الكتاب أسباب سوء الحالة في هذه الجهات وقال :

" ان سوء الحالة في سورية وفلسطين يرجع الى سحب الايدى العاملة في البلاد بسبب التجنيد العام من سن ١٨ — ٥٥ مما أدى الى خلو البلاد من الطاقة المنتجة حيث لم يعد في البلاد سوى الفئات التي تعتمد أصلا في معيشتها على الفئات العاملة من الشباب كما أثر الحصار البحري والبرى على البلاد حيث قطع كل اتصال خارجي في وقت كان البعض من الاهالي يعتمدون على ما يردهم من ذويهم المهاجرين في الخارج ٠ "

---

(١) الكوكب : ١٨ — ٢٨ نوفمبر ١٩١٦ ٠
(٢) الكوكب : ٢٧ — ٣٠ يناير ١٩١٧ ٠
(٣) الكوكب : ٤٥ — ٥ يونيه ١٩١٧ ٠
(٤) المقطم : ٨٢١٣ — ٥ يونيه ١٩١٧ ٠
(٥) المقطم : ٨٢١١ — ٢١ مارس ١٩١٦ ٠
(٦) المقطم : ٨٦٨٣ — ١٢ أكتوبر ١٩١٧ والعدد ٨٣٠٨ ١٤ يوليه ١٩١٦ ٠
(٧) الكوكب : ٤٥ — ٥ يونيه ١٩١٧ ٠

وقد كان لهذه النداءات التي اطلقت في الصحف لاجل اغاثة الاهالي في سورية وفلسطين ولبنان صدى كبير تبلور في تشكيل لجنة للاشراف على عملية جمع المساعدات والاعانات من أبناء مصر الى اخوانهم في سورية وفلسطين ، وقد شكلت هذه اللجنة من رؤساء الطوائف الدينية والفئات العامة والموظفين في البلاد كما وضعت قانونها الداخلي الذى جاء فيه أن هدف هذه اللجنة هو تقديم المساعدات الانسانية وأن اللجنة ليست لها صبغة سياسية أو دينية ، ومن هنا أخذت اللجنة في تشكيل لجان فرعية في المدن لتأخذ مهمة جمع الاعانات وبعد أن سارت هذه اللجنة في طريقها لاجل ايصال هذه الاعانات الى المتضررين في سورية ولبنان وفلسطين ، والسبب في اختيار الولايات المتحدة الامريكية هو كون هذه الدول لا تزال على الحياد وبامكانها ايصال هذه المساعدات خاصة وأنها سبق أن قدمت مثل هذه الخدمات الى الطوائف اليهودية في فلسطين (١) .

وقد استجابت الحكومة التركية للطلب الامريكي فسمحت بتقديم المساعدات الى أبناء سورية ولبنان وفلسطين (٢) ، وقد نظمت عملية ارسال هذه المساعدات بواسطة السلطة العسكرية في مصر (٣) .

وهكذا يمكن القول ان السياسة الاتحادية تجاه الحركة العربية انتهت الى خلق تطلعات قومية استقلالية بين أبناء سورية في وقت بدأت فيه تطلعات أخرى في الحجاز ، فكان لقاء هذه التطلعات فرصة مناسبة لدولة تتطلع الى خلق وجود لها في هذه المنطقة في أن تتعامل مع هذه الحركة باسلوب آخر وهذا ما فعلته بريطانيا كما يلاحظ أن العمليات العسكرية الاخيرة التي كانت فلسطين معبرا لها قد انتهت بالفشل مما أدى الى نهاية الدور الهجومي الذى لعبته تركيا وألمانيا في هذه الحملات نحو السويس وأخذ بريطانيا زمام المبادرة فحولت موقفها الدفاعي الى هجومي نحو فلسطين وانتهت هذه العمليات العسكرية بالاحتلال البريطاني لهذه المنطقة .

---

(١) المقطم : ٨٢٧٨ — ٩ يونيه ١٩١٦ .

(٢) المقطم : ٨٤٠٨ — ١٠ نوفمبر ١٩١٦ .

(٣) المقطم : ٨٣٥٩ — ١٣ سبتمبر ١٩١٦ .

الفصــــل الثانـــي

الدولة العثمانية والحركة الصهيونية في فلسطين خلال الحرب

- حصيلة النشاط الصهيوني في فلسطين لفترة ما قبل الحرب .
- اجراءات الحكومـة الاتحاديـة قبـــل دخولهــا الحـــرب .
- تأثير ذلك على الوجـود الصهيونـــي في فلســــــطين .
- موقف اليهود والصهاينة من اعــلان التعبئـــة العامـــة .
- أوضاع اليهود والمستوطنات اليهوديـــة خـــلال الحـــرب .
- المستوطنات الجديـــدة التـــي أقيمـــت خـــلال الحـرب .

الدولة العثمانية والحركة الصهيونية في فلسطين خلال الحرب :

كانت حصيلة النشاط الصهيوني في فلسطين لفترة ما قبل الحرب اقامة المزيد من المستعمرات الاستطانية فقد وصل عددها عام ١٩١٤ حوالي ٤٧ مستوطنة بالاضافة الى العائلات اليهودية التي بلغ عددها حوالي ٧٣ ألف توزعت على المدن الفلسطينية : القدس ، طبرية صفد ، واطلق على هذه العائلات اسم المجتمع اليهودى Yishuv وبهذا يكون مجموعهم سواء في المدن أو المستعمرات حوالي ٨٥ ألف مشكلين ١٢ في المائة من مجموع السكان البالغ عددهم ٧٠٠ ألف ، فما هي الاجراءات التي اتخذتها الحكومة الاتحادية مع بداية نشوب الحرب تجاه هذا الوجود اليهودى والصهيوني وما موقفها ازاء ذلك لنصل من خلال ذلك الى صورة عن أوضاع اليهود والمستعمرات الاستيطانية خلال الحرب العالمية الاولى .

عاش أبناء العائلات اليهودية في المدن الفلسطينية على المساعدات المالية التي كانت تصل اليهم من الخارج ، خاصة من يهود روسيا ، في نطاق مساعدتهم لابناء جلدتهم في الاراضي المقدسة في حين أن المستعمرات الصهيونية اعتمدت بالاضافة الى ذلك على توظيف الاموال التي تصلهما في مجال العمل والانتاج ، لذا نجد منذ نشوب الحرب العالمية الاولى وخلال الاشهر القليلة التي سبقت دخول تركيا الحرب الى جانب دول الوسط أن اليهود تعرضوا لازمات مالية دفعتهم الى طلب المساعدة الفورية من الخارج موجهين نداء الى السفير الامريكي في الاستانة .. Henry Morgenthan الذى قدم بفوره لزيارتهم لتقصي أوضاع اليهود في فلسطين ويبدو أنه بناء على الاشارة التي أرسلها السفير الامريكي اشعارا برغبته في ارسال ٢٥ ألف فرنك لاجل توزيعها على اليهود في فلسطين الذين قاموا على أثرها بتشكيل لجنة برئاسة أرثر روبين Aruther Ruppin عضويه أهرون أهرونسون .. Aaron Aaronson أفرايم كوهين .. Aphriam Cohen بحيث أشرف كل منهم على منطقة من المناطق الرئيسية وهي يافا والمستعمرات المحيطة بها ومنطقة السامرة والجليل ومنطقة القدس والخليل ، وبوصول هذا المبلغ في ٦ أكتوبر ١٩١٤ تشكلت لجان فرعية في كل مدينة لاجل القيام بمهمة توزيع هذه المساعدات الفورية التي وصلت اليهم من الخارج (١) .

ومن الاجراءات الاخرى التي اتخذتها تركيا ، قبل أن تقحم في الحرب ، اقدامها على الغاء الامتيازات الاجنبية في ٩ سبتمبر ١٩١٤ (٢) .

---

(١) (1) Arthur Ruppin: Memories. Diaries, Letters. p 150 - 151.

(٢) من جملة ما نصت عليه الامتيازات الاجنبية تمتع أبناء الدول المسيحية المتواجدين في تركيا بحماية القنصلية التي يتبعونها وقد عومل اليهود بنفس هذه المعاملة على اعتبار أنهم لاجئين في تركيا لذا تقلبوا في تبعيتهم بين الحماية البريطانية أو الفرنسية أو الروسية أو الامريكية وبانسحاب دول الحلفاء نتيجة اشتراكها في الحرب العالمية الاولى أشرفت أمريكا على مصالح دول الحلفاء ، وبهذا أسقطت هذه الحماية المتعددة الاطراف واقتصرت على دولة واحدة هي أمريكا وعليه أصبحت أمريكا المشرفة الوحيدة على حماية اليهود . انظر : فرانك مانويل : بين أمريكا وفلسطين ، ترجمة يوسف حنا ص ١٧ — ٢٢

وقد أثر ذلك على أوضاع المجتمع اليهودي والمستعمرات الصهيونية بحكم أنها كانت تعيش تحت مظلة الحماية الاجنبية ، روسية كانت أو بريطانية أو فرنسية أو أمريكية وبموجب ذلك سقطت عنها هذه الحماية وأصبحت ومؤسساتها في عداد رعايا العـــدو .

غير أن الامر لم يبق معلقا بل أن الحكومة عملت على حل هذا الامر رغبة منها فـــي الوصول الى قرار في هذا الشأن في وقت كانت هي فيه على أبواب الحرب ، لذا خيرت اليهود بين الدخول تحـت الحماية الـتركية عن طريق تجنسـهم بالجنسـية العثمانية أو الخروج مـن البلاد (١) . وبناء على ذلك أخذ اليهود في تحديد موقفهم ، فقد قبل البعض منهم الجنسية الجديدة في حين أن البعض الاخر رفضها . ولعل ذلك كان يوحي من مقاومتهم فكرة الاندماج مع القوميات الاخرى ، تلك الفكرة التي طالما رفضوها عندما عرضت عليهم في أوروبا كحل لهم مع القوميات التي يعيشون معها أو أن ذلك جاء تهربا منهم من الخدمة العسكرية أو البدل النقدى ، وبناء على هذا الموقف من قبل الحكومة أخذت جماعات اليهود التي رفضت التجنس بالجنسية العثمانية وبالتالي أصبحت عرضة للخروج من البلاد ، أخذت هذه الجماعات اليهودية تصل تباعا الى الاسكندرية مشكلة بذلك هجرة جماعية معاكسة فقد هاجر خلال شهـر واحد ٧٠٠٠ يهودى فترتب على ذلك تضاؤل في عدد أفراد المجتمع اليهودى في فلسطين . وقد وصلت هذه الفئات المهاجرة على متن السفن الايطالية والامريكية من ميناءى حيفا وبيروت خاصة ، ويلاحظ أن تيار الهجرة هذا زاد بعد أن دخلت تركيا الحرب الى جانب دول الوسـط عندما أصدرت السلطات العسكرية تعليمات مشددة في ١٧ ديسمبر ١٩١٤ بشأن الابعاد الفورى لكل اليهود الذين تخلفوا عن الرحيل بحكم أنهم لا يزالون تحت الحماية الاجنبية في وقـــت اعتبر رعايا دول الحلفاء أسرى حــــرب (٢) .

وشكل توافد الاعداد المهاجرة من اليهود الى مصر للحكومة البريطانية مشكلة لا بد من حلها لذا تعاونت مع القنصليات الاجنبية بقصد العمل على ترحيلهم الى مواطنهم الاصلية أو بقصد الحد من ترحيلهم من فلسطين ، وقد استجابت الدول الاجنبية لهذه المطالب التي تقدمت بها الحكومة البريطانية ، ومن ذلك توقف السفن الامريكية عن عمليات التوصيـــل الى مصـــــر (٣) .

ولما كانت تعليمات الطرد هذه قد وافقت زمنيا وصول جمال باشا الى دمشق مكلفا من الحكومة الاتحادية بتنفيذ سياستها تجاه العناصر غير التركية ، حاول أحد زعماء الصهيونيـــة هو أرثر روبين أن يسعى لدى جمال باشا بقصد الغاء هذه التعليمات الصادرة ضد اليهود وذلك بوساطة أحد الضباط الالمان . لكن جمال باشا لم يستجب لهذا التدخل بل أصر على ضرورة الاستمرار في تنفيذ هذه التعليمات القاضية بترحيل اليهود الرافضين للتبعية العثمانية ، غير أن زعماء اليهود تابعوا محاولتهم هذه عندما وصل جمال باشا الى القدس في أوائل عام ١٩١٥ فقد عرض عليه عنتابي .- Antebi (مدير مدرسة الليانس) مطالب اليهود في فلســـــطين

---

(١) فرانك مانويل: المرجع السابق ص ٥١ – ٥٢.

(2) Aharon Cohen: Israel and the Arab World. p 112 - 113. (٢)

(٣) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ص ٢٦٩ .

التوقف عن تنفيذ اجراءات الترحيل والابعاد ومع أن هذا الاجتماع لم يتوصل الى الهدف المنشود الا أن جمال باشا عالج موضوع اليهود المنوى ابعادهم الى أنقرة وذلك بأن خفف الحكم عنهم بابعادهم الى طبريه بدلا من أنقرة وذلك ولمدة ١٥ يوما فقط وأن يطبق هذا على عدد محدد من اليهود وليس على جميع من كان مقررا ابعادهـــم (١) .

كما تطرق الحديث الى أمور أخرى كان جمال باشا هو البادئ في الحديث عندما عرض مفهومه عن نوايا الصهيونيه وأوضح عن نيته في اقامة دولة مستقلة عن الدولة العثمانيه تكون تحت الحماية البريطانيه وأوضح عن نيته في مقاومه تلك الفكرة مما أثار عنتابي الذى استنكرهذه التهمه على اليهود سواء الذين غادروا البلاد أو الذين بقوا في البلاد نتيجة تجنسهم ذكر لجمال باشا بأن اليهود لا ينسون حسن المعاملة التي قدمت لهم منذ أن طردوا من أسبانيا ولهذا فانهم سيبقون على اخلاصهم لتركيا مؤكدا له أن كل ما يطلبونه هو نوع من الاستقلال الثقافي الذى يضمن لهم احياء دينهم ولغتهم وتراثهم القديم والعمل على زراعه الارض واحيائها في ظل السيادة العثمانيه .

ويبدو أن جمال باشا قد وقف على مفاهيم واهداف جديدة عن الصهيونيه غير المفاهيم التي كان يعرفها من قبل لذا أجاب عنتابي قائلا : اذا كانت هذه هي غايتكم فدعوكم من زعمائكم الاجانب كهرتزل وأمثاله وأنا أقطعكم الارض التي تقيمون عليها مستعمراتكم وأمنحكم الحكم الذاتي في الدين والثقافه واساعدكم على تحقيق فكرة الصهيونيه " .

وهنا أجاب عنتابي " اذا فأنا أناديكم يا باشا زعيما ورئيسا للحركة الصهيونيه " (٢)

وهذه قصة ان دلت على شيء فانما تدل على تفهم جديد لاهداف الصهيونيه وقف عليه جمال باشا وهي تدل على أن جانبا من اليهود حتى ذلك الوقت كانوا يخفون أطماعهم الحقيقه في انشاء دولة لهم في فلسطين وأنهم استطاعوا خداع القائد التركي الكبير عن حقيقة نواياهم .

وبموجب ذلك كيف اليهود أنفسهم في ظل الظروف الجديدة وكان من الممكن أن تستمر الاوضاع على حالها لولا وقوع يهود فلسطين ، شأنهم شأن غيرهم من أبناء البلاد ــ تحت تأثير انعكاسات النفي العام الذى أعلنته الدوله العثمانيه استعدادا لدخول الحرب ، وكان هؤلاء اليهود قد بقوا في البلاد بحكم قبولهم الجنسية العثمانية في حين أن هدفهم الاساسي من ذلك كان هو الاستمرار في الاشراف على الاعمال الزراعيه في المستوطنات (٣) ، وفي ظل هذه الظروف التي انقطعت خلالها الموارد الاقتصاديه عانى اليهود خاصة بعد انقطاع مواردهم الماليه التي كانت تصلهم بواسطة البنوك (٤) .

كما أنهم عانوا بسبب ما أحدثته الحرب في الحد من عملية تطور الانتاج الزراعي في المستوطنات الصهيونية حيث أن الاتصال الخارجي قد انقطع فلم يعد في الامكان تصدير منتوجاتهـــم

---

(١) (1) Arthur Ruppin: OP. Cit., p 151 - 155.

(٢) فرانك مانويل : مرجع سبق ذكره ص٥٧ ــ ٦٣ .

(٣) (3) James Parkes: OP.Cit., p 277 - 280.

(٤) (4) Rufus Learsi: Ful Fillment, the Epic Story of Zionism p. 50 - 55.

الزراعية مثل البرتقال واللوز أو المنتجات الصناعية مثل الخمور ، كما أن الحرب حدت من عمليات استيراد الادوات أو المعدات اللازمة لتطوير الزراعة وتقدمها ، كما انعدمت من ناحية أخرى الوسائل الميكانيكية أو الادوية اللازمة لمكافحة أسراب الجراد التي أوقعت أضرار كبيرة في المزروعات كما أن توقف عملية الاستيراد من الخارج قد أثر على فعالية الادوات الزراعية التي تدار بالبترول الذى أصبح في عداد المفقود خلال الحرب (١) .

كما ساهم اليهود في تقديم ما فرض عليهم من ضريبة الحرب بالاضافة الى الضرائب العادية وقدموا العربات والدواب والاسلاك الشائكة وخطوط الانابيب وفي عملية التجنيد استدعى للجندية من هم في سن ٢١ ـ ٤٠ ثم استدعى فيما بعد من هم في سن ١٨ـ٥٠ وشاركوا أيضا في الاعمال الجماعية كشق الطرق أو بناء السكك الحديدة (٢) .

ويهمنا أن نوضح هنا أن المستوطنات الزراعية بالرغم من الظروف الاقتصادية التي تعرضت لها متأثرة بالاحوال الاقتصادية السيئة في البلاد ، أو بمساهمة أبناء هذه المستعمرات في الاغراض العسكرية لم يصل بهذه المستعمرات الى درجة الشلل التام . ولعل ذلك يرجع الى الدور الذى قامت به المرأة اليهودية العاملة في زراعة الخضر وغيرها (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن ظروف المستعمرات الاقتصادية كانت أفضل حالا مما كانت عليه حالة اليهود في المدن بسبب اعتمادهم على زراعة الخضر في نطاق محلي الامر الذى حرم أبناء المدن من ذلك بصعوبة الاتصال في ظروف الحرب (٤) .

ومهما يكن من أمر فان الارتباكات الاقتصادية وما سبقها من عمليات ترحيل لليهود في فلسطين كانت وراء النداءات التي وجهت من قبل اليهود في الاسكندرية وفلسطين الى الولايات المتحدة التي استجابت لذلك عن طريق قيام وزراة الخارجية الامريكية بتكليف الكابتن ديكر .. (قائد طراد أمريكي) للقيام بالتحقيق في أسس السياسة العثمانية من خلال سياسة جمال باشا تجاه اليهود ، وقد بدأت التحقيقات في الاسكندرية ثم انتقلت الى فلسطين حيث قابل ديكر الزعماء اليهود هناك ومن التحقيقات اتضح أن جمال باشا وسكرتيره بهاء الدين (٥) مارسا اجراءات يمكن تحديدها في النقاط الاتية :ـ

ـ أن سكرتير جمال باشا اتخذ اجراءات عدائية تجاه الموءسسات الصهيونية في يافا سواء في محاولته سحب الاسلحة من سكان المستعمرات أو محاولته استخدام اللغة العربية

---

(1) Elazari Volcani: " Jewish colonization Palestine". The Annals of the American Acadmy of Political and Social Science Palestine , A decade of Develipment, vol 164 - November , 1932. p. 84 -90. (١)

(2) Aharon Cohen: OP. Cit., p 112 - 113. (٢)

(٣) أديب قعوار : المرأة اليهودية من فلسطين المحتلة ، سلسلة دراسات فلسطينية رقم ٢٩ منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٨ ص ٢٢ ـ ٣٣ .

(٤) فرانك مانويل : مرجع سبق ذكره ص ٦٤ ـ ٦٥ .

(٥) بهاء الدين شاب تركي عمل في وزارة الداخلية في استانبول كخبير في شوءون اليهود .

والتركيـة في اللافتات مستبعدا بذلك اللغة العـبرية من الظهـور .

" أن جمال باشا عمم هذه الاجراءات على جميع المؤسسات الصهيونية في فلسطين في نطاق الاجراءات التي اتخذها بعد وصوله الى دمشق أوائل عام ١٩١٥ كما أن جمال باشا اتخذ اجراءات اضافيه منها مصادرة الاعلام اليهودية واقفال بنك الانجلو فلسطين وسحب السلاح من حراس المستوطنات .

غير أن هذه الاجراءات والمواقف المعلنة تلاشت نتيجة تدخل السفير الامريكي في الاستانة هنرى مورغنثو والممثل الصهيوني في الاستانة وهو LICHTHEIM وكذلك نتيجة مساعـــي السفارة الالمانية وبهذه السهولة تم تغير جذرى في السياسة الاتحادية تجاه اليهود مما يضعنـا أمام تساؤلات يصعب تفسيرها لان الامر لم يقف عند وقف عمليات الابعاد والتهجيـر بل انتهجت سياسة متعاطفة معهم من ذلك أنها سمحت لهم باستخدام اللغة العبرية في شؤونهم الخاصـة والعامـــة كما أن الحكومة التركية أعلنت موقفها تجاه الصهيونية في بلاغ نشر في ١٩١٥/١/٢٥ فـــي صحيفة هآرتس اليهوديـــة جـاء فيـــه :ـ

لقد بلغ مسامعنا أن البعض من العناصر المشاغبة قد حرف ما ذكر في بلاغاتنا وتصريحتنا وزعم أن أوامرنا تتناول اليهود جميعا وهذا افساد لنياتنا ان أوامرنا بمطاردة كل نشاط صهيوني لا شأن له باليهود من مواطنين فهؤلاء سيظلون بعون الله مخلصين أمناء للوطن أما أوامرنا تلك فلا تتناول سوى الصهيونيين ومؤسساتهم ونشاطهم ، ونحن نرجو لكل اليهود في بلادنا العثمانية من لا علاقة لهم بالصهيونية أن يعيشوا بيننا بالسلام والطمأنينة ... أما تلك العناصر الفاسدة التي تعمل على انشاء دولة في مملكتنا فهم أعداء لنا ونحن سنظل أعداء لهم الى آخر الدهر ". وكذلك سمحت لهم بتعيين الادون داود بلين مراقبا في فلسطين وقد أشار في احدى تقاريره الى السفير الامريكي في استانبول الى أن حالة اليهود طيبة جدا (١) .

وهذا مما حدا بأحد زعماء اليهود أن يصف هذا الموقف بالتقلب الملازم لطبيعة جمال باشا نفسه (٢) ويروى أرثر روبين وهو مؤسس المكتب الصهيوني في يافا ١٩٠٧ في مذكراته أنه " بصفته صهيونيا أبعد الى الاستانة بناء على أوامر جمال باشا في سبتمبر ١٩١٦ ، وقد يفهم من ذلك أن هذا الاجراء من جمال باشا يتنافى مع سياسته الجديدة تجاه الصهيونية لان الاعمال والاجراءات ، التي قام بها روبين في اثناء وجوده في الاستانة تدل على أنه قام بخدمات خطيرة وحساسة تجاه اليهود في فلسطين من شأنها أن تصبغ عملية نقله الى الاستانة بأنها عمليه جاءت لتتمشى مع سياسة جمال باشا وليست منافية لها .

فقد كان روبين في أثناء وجوده في الاستانة حلقة اتصال بين فلسطين والمركزالصهيوني

تكملـة (٥) عين في عام ١٩١٤ حاكما ليافا كان له موقف محدد تجاه اليهود نابع من دراستـه السابقة عن الصهيونية وقف من خلال ذلك على أهداف ومرام الصهيونية في فلسطين ، عزلته الحكومة التركية من هذا المنصب وعين سكرتيرا لجمال باشـا .

انظـر فرانـك مانويـــل : مرجـع ســبق ذكـره ص ٥٤ ـ ٥٦ .

(١) فرانـك مانويـــل : مرجـع ســبق ذكـره ٥٢ ـ ٥٩ .

(٢) خـيرية قاسميـه : النشـاط الصهيونـي في المشـرق العربـي ص ٢٧٠ .

الرئيسي في برلين وساعد في نقل المعلومات والرسائل والاموال من الخارج الى فلسطين وعمل على معالجة عملية نقل الاموال من الخارج الى فلسطين معالجة عملية ذلك لان هذه الاموال كانت تفقد قيمتها الرسمية أو سعرها الذى كانت عليه قبل الحرب ، والسبب في هذا أن أسعار البضائع أصبحت تحدد بالجنيه الذهب بالرغم من أن الجنيه الورق كان لا يزال هو العملة الرسمية المتداولة • لذا عمل روبين على نقل المساعدات المالية من الخارج قطعا ذهبية وليس أورقا مالية وذلك بعد أن نظم عملية النقل هذه بواسطة البنوك الالمانية وغيرها وبالفعل وصلت ستة صناديق من الذهب يحتوى كل منها على ألف قطعة ذهبية ، وبهذا الاجراء ضاعف من قيمة المساعدات المالية مضاعفة كبيرة وصلت الى ستة أضعاف سعر العملة الورقية •

ولم يكن روبين بعيدا عن الاحداث التي كانت تجرى في فلسطين ، فبعد الاجراءات التي اتخذها جمال باشا في ربيع عام ١٩١٧ عندما أمر باخلاء جهات يافا وتل أبيب من أهاليها سواء كانوا عربا أو يهودا أخذت على أثرها العائلات اليهودية المطرودة تصل الى المستعمرات الداخلية مثل بتاحتكفا وكفار سابا وعلى الاثر شكلت جمعية خاصة القصد منها الاعتناء بهؤلاء المهاجرين (١) •

وبعد هذا سعى روبين محاولا ابطال هذه الاجراءات ويبدو أن تأثر بحملة الدعاية الصهيونية التي رافقت هذه الاجراءات اذ أخذت الصحف مثل جويش كرونكل في نشر أخبارها الرامية الى تصوير هذه الاجراءات بأنها اجراءات وحشية ومقصودة تجاه اليهود بقصد الحصول على مزيد من المعونات من الخارج وقد واجهت السلطات المسؤولة في تركيا وألمانيا هذه الحملة عن طريق نشر بيانات لنفي هذه الاخبار المبالغ فيها وايضاح أن الامر لا يتعدى اجراءات تتطلبها الضرورة العسكرية لتأمين الاهالي بنقلهم الى المناطق الداخلية (٢) •

والحقيقة أن هذه الاجراءات كانت عادية حيث أنها لم تتخذ تجاه اليهود وحدهم اذ أن مجموع ما نقل من الاهالي وصل الى ٤٠ ألف منهم ٩٫٠٠٠ يهودى أى بنسبة ٢٢بالمئة من مجموع السكان المبعدين كما أن روبين نفسه الذى سعى لدى جمال باشا لابطال هذه الاجراءات ـ أصدر تصحيحا لما نشر في الصحف حول اجراءات الابعاد بقصد بيان صحة وجهة النظر التركية الالمانية الرامية الى المحافظة على سلامة الاهالي خاصة من المناطق الساحلية •

يضاف الى مهام روبين في الاستانة تجاه اليهود في فلسطين أنه عمل على تحقيق راحتهم بتسهيل عملية تبادل الرسائل مع الخارج خاصة وأن هذا الامر أصبح أكثر ضرورة منذ ديسمبر ١٩١٧ اذ أصبحت البلاد مقسمة الى قسمين جنوب فلسطين ويضم تل أبيب والقدس وتحتله القوات البريطانية والقسم الثاني وهو شمال فلسطين و يزال تحت الحكم التركي • وبهذا كان الاهالي في شمال فلسطين يرسلون رسائلهم الى روبين في الاستانة يقوم على أثرها بنقلها الى جنوب فلسطين بواسطة المكتب الصهيوني في كوبنهاجن والعكس بالعكس (٣) •

هذه صورة من الصور التي يمكن من خلالها أن نفهم الاوضاع التي كان عليها اليهود

---

(١) (1) Arthur Ruppin: OP. cit.,p 162 - 166.

(٢) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي ص ٢٧٢ •

(٣) (3) Arthur Ruppin: OP. cit.,p 164 - 166.

خلال الحرب فقد كانت الاموال والرسائل تصلهم حيث كانوا في ساحات القتال أو غيرها من الجهات ، ومع هذا هناك صورة أخرى تلقي الضوء على أوضاع اليهود في فلسطين يمكن الوقوف عليها من خلال المساعدات المالية التي بدأت تصل من اللجان والجمعيات في الولايات المتحدة التي أخذت على عاتقها مهمة جمع الاموال منها " اللجنة المتحدة لتوزيع الاموال الامريكية على اليهود المتضررين في الحرب " التي نالت مساندة ومؤازرة الرئيس الامريكي ولسون الذى خصص يوم السابع من يناير ١٩١٦ يوما لجمع الاعانات لليهود في فلسطين وغيرها من المناطق التي يوجد فيها اليهود (١) .

الا أن المساندة الامريكية لم تتوقف عند حد جمع الاموال والاعانات بل عملت على ايصال هذه المساعدات الى اليهود في فلسطين وذلك بعد أن تغلبت على العقبات التي كانت تعترض عملية نقل المساعدات من ذلك الحصار البحرى المفروض على السواحل السورية الذى يحول دون وصول مواد الاعانة نقدية كانت أم عينية لذا أخذت أمريكا تفاوض بريطانيا في هذا الشأن ، ومع أن الطلب الامريكي هذا قد وضع بريطانيا في موقف المتردد اذ من المحتمل أن تقع هذه المساعدات في يد الاتراك ، وبهذا الشكل تصبح مساندة ومساعدة لدولة هي عدوتها في الحرب ، الا أنها قررت الاستجابة للطلب الامريكي حرصا منها للحصول على المساعدات الامريكية في هذه الحرب .

وبرزت مشكلة أخرى وهي أن الحكومة العثمانية أرادت فرض رسوم جمركية على هذه الاعانات ، الا أن السفير الامريكي في الاستانة تمكن من تذليل هذه العقبة فسمحت السلطات العثمانية بايصال تلك الاعانات الى اليهود في فلسطين بدون رسوم جمركية .

بعد أن تم الحصول على الاذونات ، من الدولة المتحاربة ، بقيت مشكلة عملية ايصال هذه الاعانات وبواسطة أية سفن يمكن تنفيذ ذلك وبهذا جرت مراسلات لتقوم السفن الايطالية بنقل المساعدات الى اليهود في فلسطين ، الا أن الحكومة الايطالية رفضت ذلك لانها لم تكن قد حددت بعد موقفها من الحرب الدائرة ، الاأن الحل جاء سريعا عندما اقترح وزير البحرية الامريكية أن تقوم ناقلة الفحم الامريكية فولكان الموجودة في البحر لتزويد الاسطول الامريكي بعملية نقل المساعدات والاعانات من يهود أمريكا الى يهود فلسطين وبالفعل وصلت الباخرة فولكان الى فلسطين في منتصف آيار ١٩١٥ حاملة ما تم جمعه لليهود من اعانات من الولايات المتحدة الامريكية ، وبهذه الطريقة توالت المساعدات الى اليهود ، حتى بعد أن دخلت الولايات المتحدة الامريكية الحرب ضد تركيا كانت الامدادات تصل سرا الى اليهود (٢) .

وبتقهقر القوات التركية أمام القوات البريطانية المتقدمة نحو القدس اتخذت دمشق مقرا متقدما للقيادة العثمانية ونتيجة لهذه الاجراءات العسكرية تزايد عدد المهاجرين الذين تجمعوا في شمال فلسطين لذا تشكلت في دمشق لجنة يهودية برئاسةفيزنكوف بقصد تقديم كل ما يلزم للمهاجرين من مساعدات مالية أو عينية في الجهات التي لجأوا اليها (٣) .

---

(١) محمدعبد الرؤوف سليم :تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ــ القسم الاول ص ٢١٠ــ٢٢٠

(٢) فرانك مانويل : مرجع سبق ذكره ص ٦٤ ــ ٧١ .

(٣) محمدعبد الرؤوف سليم :تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، القسم الاول ص ٢١٠ــ٢٢٠

وبمقارنة أوضاع المدارس اليهودية في فلسطين بغيرها من المدارس ، نجـــد أن الدولة العثمانية عملت على اغلاق المدارس الاجنبية (١) في حين أبقت المدارس اليهوديـــة مستمرة في رسالتها مع ادخال تعديلات بسيطة أصابت لغة التدريس واستبدلت اللغات الاجنبية باللغـــة التركيـــة (٢) .

غير أن هذه التعديلات لم تكن ذات تأثير كبير لان اللغة التركية لم تكن جديدة على المدارس اليهودية فقد درست اللغة التركية في مدرسة التلمود للسفار ديم في القدس (٣) ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، فإن عملية استبدال اللغات الاجنبية باللغة التركية قـــد خلصت اليهود من قضية كانوا يعملون لاجل التوصل الى حل بشأنها وهي قضية الصراع بين المدارس العبرية وبين النشاط التعليمي لدى الجمعيات الاجنبية وقد أثيرت هذه القضية فـــي سنوات ما قبل الحرب حين كانت الدول الاجنبية تساهم في تأسيس عدد من المدارس مثـــل مدرسة الاليانس التي كانت تستخدم اللغة الفرنسية ومدرسة Evelina de Rothshild التي كانت تستخدم اللغة الانجليزية ثم المدرسة الالمانية Ezra ساهمت هي الاخرى في التعليم بين اليهود فعملت على افتتاح المزيد من المدارس كان آخر محاولة لها افتتاح معهد التخنيون Technion .. في حيفا ومحاولتها استخدام اللغة الالمانية في وقت طالـــب اليهود بادخال اللغة العربية الى جانب الالمانية (٤) الامر الذى أثار قضية استخدام اللغـــة الاجنبية في المدارس لدرجة دفعت بالمعلمين اليهود الى تشكيل لجنة التعليـــم .. .. .. Jewish Board of Education أشرفت على ١٢ مدرسة كانت العبرية هي اللغة المســـتخدمة في كل مواد التدريـــس وكان القصد من هذه اللجنة العمل على زيـــادة المـــدارس العـــبرية (٥) .

يفهم من هذا أن الاجراءات التي اتخذتها الدولة العثمانية كانت في الواقع خدمـــة لقضية اليهود القومية وهذا ما أشار اليه بعض الكتاب اليهود من أن معرفة العبرية قد زادت عند نهايـــة الحـــرب (٦) .

ومن ناحية أخرى فان ظروف الحرب منعت الدول الاجنبية (بريطانيا ، فرنسا ، ألمانيا) من تقديم المساعدات المالية وكانت المنظمة الصهيونية في أمريكا هي الوحيدة التي

---

(١) اميل الغوزى : فلسطين عبر ستين عاما ص ١١ — ١٢ .
(٢) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ص ٢٧٤ .
(٣) سجلات دائرة تسجيل الاراضي — نابلس .
(٤) (4) Berkson: " Jewish education in Palestine, Adecade of The Annals of American Acadmy of Political and Cocial Science. Palestine, Adecade of Development , vol 164- November 1932. Philadelphia. p. 140-141.
(٥) (5) Noah Nardi: Education in Palestine p 17-19.
(٦) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ص ٢٧٤ .

كان بامكانها ارسال المساعدات المالية الى المكتب الصهيوني في يافا وبهذا أصبحت المدارس ذات طابع صهيوني جديد مما دعم التيار الداعي الى تدعيم المدارس العبرية وزيادتها ، هذا وقد بلغت المساعدات المالية التي وصلت من الولايات المتحدة عام ١٩١٥ حوالي ٢٣٠٫٠٠٠ فرنك ، ثم ارتفعت المساعدات في الاعوام التالية الى ٥٠٠٫٠٠٠ فرنك عام ١٩١٦ ٠

يستدل من هذا على أن المدارس اليهودية كانت في نمو مستمر خلال الحرب العالمية في حين أن المدارس الاخرى لم تتطور بل على العكس من هذا فقد اغلقت : وهذه صورة أخرى توضح أوضاع اليهود في فلسطين خلال الحرب ، فقد استمرت المدارس ذات الطابع العبرى مفتوحة وكان عددها قبل الحرب ١٢ مدرسة فأصبحت في نهاية الحرب حوالي ٤٠ مدرسة كانت نواة للتعليم الحكومي العبرى فيما بعد (١) ٠

كما أن استمرار مكتب فلسطين الذى تأسس في يافا ١٩٠٧ تحت اشراف أرثر روبين دليل آخر في الدائرة التي تعمل على بيان أوضاع اليهود خلال الحرب فقد كان الهدف من افتتاح هذا المكتب الاشراف على الشؤون الصهيونية خاصة في المجالات الاقتصادية ٠ وقد وقع الاختيار على يافا لتكون مركزا لهذا المكتب على اعتبار أن يافا كانت مركزا للبنك الانجلو- فلسطين ثم لكون المدينة مركزا للعديد من المستعمرات الزراعية من حولها مثل ريشون لتسيون ورحبوت وبتاح تكفا ثم أن العديد من أبناء المجتمع اليهودى ٠٠ Yishuv كان يوجد في هذه المدينة بالاضافة الى حيفا والقدس (٢) ٠

وقد عمل هذا المكتب على تحسين وتنشيط الامور الاقتصادية لليهود ، لدرجة أن العلاقات التجارية بقيت مستمرة مع الولايات المتحدة الامريكية خلال الحرب من ذلك المحاولات التي جرت بشأن الحصول على اذن من السلطات التركية لتصدير الخمور الى الولايات المتحدة الامريكية (٣) وهي الخمور التي اشتهرت به مستعمرة ريشون لتسيون ٠٠ ٠٠ Rishon Le-zion التي كانت تنتج أجود الخمور نظرا لنجاح زراعة الكرمة (العنب) في فلسطين الامر الذى أدى الى تأسيس أقبية للخمور أشرفت على ادارتها في عام ١٩١١ جمعية تعاونيةضمت مستعمرتين هما زخرون يعقوب وريشون لتسيون وذلك بعد أن كانت تحت اشراف فردى الامر الذى مكن مجلس هذه الجمعية من العمل على تصريف الانتاج عن طريق افتتاح وكالات متعددة في أنحاء العالم منها وكالة في الولايات المتحدة الامريكية ، ومن هنا جاء هذا الطلب بحكم أن الولايات المتحدة كانت لا تزال دولة محايدة كما أن الاتصال بها كان لا يزال قائما في وقت بدأت تصل المساعدات العينية والنقدية من المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة ، وغيرها (٤) ٠

وثمة جانب آخر يلقي مزيدا من الايضاح على أوضاع المستعمرات اليهودية خلال الحرب هو أن عمليات شراء الاراضي استمرت فقد تمكن الصندوق القومي اليهودى من

---

(١) Noah Nardi: op. cit., p. 17-19.

(٢) Arthur Ruppin: op. cit., p. 81-84.

(٣) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ص ٢٧٥ ٠

(٤) The Jewish Wine Industray in Palestine, p. 1-5.

شراء ٤٠٠٠٠ هكتار (١) من الاراضي في فلسطين لتكون هي وما سبقها من الاراضي التي تـــم شراؤها قبل الحرب جاهزة لعطيات الاستيطان ليس فقط فبعد نهاية الحرب بل في أثنائهـــا فقد تم اقامة المستعمرات الاتية في الجليـــل :ـ

كفـــار جلعـــادى : Kefar Giladi

أول مستعمرة أقيمت أثناء الحرب في ٢١ أكتوبر ١٩١٦ على يد رجال جمعية الحراس (هاتشومير) (٢) ، ومع أن هذه المستعمرة كانت أكبر المستعمرات مساحة وعددا من السكان فقد بلغت مساحة اراضيها التي أشتراها عام ١٨٩٦ الصندوق القومي اليهودى حوالي ٦١٠٧ دونم الا أن اراضيها الصالحة للزراعة كانت أقل من غيرها فقد بلغت المساحة الصالحة للزراعة في هذه المستعمرة ٣٨١٣ أى بنسبة ٥٢ بالمئة من مجموع مساحتها الكليه وبقي حوالي ٢٩٢٤ دونم أراضي غير مستغلة أما عدد المستوطنين فيها فهو ٣٦ عائله (٣) ٠

تـــل حـــي : Tel Hai

تأسست هذه المستعمره عام ١٩١٦ على يد الهاشومر (جمعية الحراس) وقد اتحدت هذه المستعمرة مع المستعمرة الاولى بعد أن دمرت مستعمرة كفار جلعادى في عام ١٩٢٠ (٤) ٠

أيلات هشاحر : Ayelet Hashahar

أقيمت هذه المستعمرة في يونيه ١٩١٨ (٥) وهي في مرتبة ثانية من حيث المساحة ومن حيث صلاحية أراضيها للزراعة والبالغة مساحتها ٣٨١٢ دونما أى بنسبة ٨١ بالمئة من مجموع مساحة أراضي المستعمرة الكلي وهو ٤٦٦٦ دونما واستوطنها ٢٤ عائلة (٦) ٠

محـــانـــايم : Mahnaim

تأسست في عام ١٩١٨ على مساحة من الارض بلغت ٢٣٣٤ دونم اشتراها الصندوق القومي في عام ١٨٩٦ وهي بهذه المساحة تعتبر أصغر المستعمرات مساحة الا أن أراضيها تأتي في المرتبة الاولى من حيث صلاحيتها للزراعة اذ تصل مساحة أراضيها الزراعية ١٩٥٣ دونما أى بنسبة ٨٣ بالمئة من مجموع مساحتها الكلية واستوطنت هذه المستعمرة ٢٠ عائله (٧) ٠

---

(١) أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة ص ٢٤٩ وانظر كذلك مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين الجزء السادس والقسم الثاني ص ٢٤٤ ــ ٢٤٨ ٠

(٣) (3) Melchett and Frankel: Reports of the Experts, 1928,p27-37.

(٤) أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة ص ٩٧ ٠

(٥) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ــ الجزء السادس ــ القسم الثاني ص ٢٤٤ ــ ٢٤٧ ٠

(٦) (6) Melchett and Frankel: op.cit., p. 72-73.

(٧) (7) Melchett and Lee Frankel: op.cit., p. 72-73.

ويلاحظ أن هذه المستعمرات أقيمت على أراضي فلسطين في الاقسام الشمالية منها وبعد أن حدث تغيير واضح على سياسة جمال باشا تجاه اليهود ، بعد تلك السياسة المعادية التي انتهجها مع بداية الحرب العالمية الاولى ، كما أن هذه المستعمرات لم تقم على الاراضي التي تم شراؤها خلال الحرب بل أقيمت على أراضي كان الصندوق القومي اليهودى قد اشتراها من قبل أى في السنوات التي سبقت الحرب العالميـــة الاولـــى .

وبهذه الصورة التي تم ايضاحها حقق الزعماء اليهود في فلسطين والزعماء الصهاينة في الخارج أحد الاهداف الرئيسية التي وضعتها المنظمة الصهيونية لاجل تحقيقها خلال الحرب وتبرز في المحافظة على المجتمع اليهودى في فلسطين وابقائه بعيدا عن التهديدات الاقتصادية والسياسية التي تعرض لها أبناء البلاد والعمل على تنميته (١) .

---

(١)

(1) Aharon Cohen: op. cit., 118 - 119.

الفصل الثالث

==================

فلسطين في وعود بريطانيا

------- ---------- -------

السياسة البريطانية والحركة العربية ،

فلسطين في مراسلات الحسين مكماهون ،

فرنسا والحركة العربية ،

فلسطين في اتفاقية سايكس بيكو ،

بريطانيا والحركة الصهيونية ،

وعد بلفور ،

وضعت أحداث الحرب العالمية الاولى وما ترتب عليها من دخول تركيا هذه الحرب الى جانب دول الوسط ، وضعت بريطانيا في موقف جديد في المنطقة العربية (١) بدأت على أثر ذلك تتدبر سياستها وخططها في هذه المنطقة لمواجهة الخطر المحتمل من قبل تركيا بحكم وجودها في بلاد الشام والعراق واليمن والحجاز ، فتركيا بهذا الوضع تهدد الوجود البريطاني في مصر ومنطقة الخليج العربي بالاضافة الى سواحل البحر الاحمر التي تمكن الدولة العثمانية من تهديد جنوب الجزيرة العربية حيث القاعدة البريطانية في عدن (٢) .

ولمواجهة هذه الاخطار عززت بريطانيا قواتها العسكرية المتمركزة على امتداد قناة السويس واستعدت لاستغلال الغربة االعربية الساخطة على الاتراك التي تعددت مصادرها في بلاد الشام والحجاز ، ففي بلاد الشام وصلت العلاقات العربية التركية الى مرحلة من التباعد والنفور بعد تنفيذ السياسة الاتحادية في المنطقة العربية والتي جاءت بنتائج عكسية لانها خلقت لدى الجمعيات العربية في بلاد الشام تطلعات ثورية للتخلص من الحكم التركي ، وفي الحجاز أيضا تدهورت العلاقات بين الشريف حسين شريف مكة وبين السلطة الاتحادية التي حاولت ادخال بعض الانظمة والقوانين التي فسرها الشريف على أنها تمس حقوق وامتيازات الحجاز (٣) ، لذا كان على رأس الامور التي خالجت فكر الشريف حسين مع اعلان الحرب العالمية الاولى العمل على تحقيق استقلال الحجاز (٤) .

ومن ثم وقع اختيار بريطانيا على الشريف حسين ليقود ثورة العرب الى جانب انجلترا ضد الاتراك وقد مهدت بريطانيا لذلك بتبادل رسائل الشكر والمجاملة مع الشريف حسين نظير الخدمات "الدينية" التي يلقاها حجاج مسلمو الهند عند زيارتهم للاماكن المقدسة في الحجاز (٥) ، وانتهت هذه الرسائل بابداء بريطانيا استعدادها للوقوف الى جانب الشريف لتأمين مركزه في الجزيرة العربية ، ولما لم يكن هدف بريطانيا من الوقوف الى جانب الشريف خدمة قضية محلية في الحجاز ، لذا أخذت تعمل على اخراج الشريف من نطاقه المحلي الى دائرة أوسع ، خاصة الى بلاد الشام التي كانت أكثر قدرة للقيام بمهمة ضرب تركيا من الداخل ، ولكن بريطانيا استبعدت بلاد الشام من أن تكون منطلقا للثورة بسبب صعوبة التحرك أو العمل لاعداد الثورة فيها لوقوعها فى قلب المنطقة العربية وتحت الحكم العثماني المباشر ، لذا لوحت للشريف حسين بمنصب الخلافة العربية الاسلامية والزعامة على المنطقة العربية ليقوم بالاتصال مع الجمعيات العربية في بلاد الشام ، بغية توحيد جهودها في الثورة على الاتراك (٦) .

---

(1) Aharon Klisman: Foundation of British Policy in Arab World, p. 1-2.

(١)
(٢) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ١٩٩ — ٢٠٣ .
(٣) أمين أبو الشعر : مذكرات الملك عبد الله ص ٧٩ — ٩٢ .
(٤) أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ص ٣٧ — ٣٩ .
(٥) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ص ٣٥ — ٣٩ .
(٦) زين زين : دراسات الثورة العربية ص ٤٦ — ٤٩ .

لم تكن مهمة الاتصال بالجمعيات العربية في بلاد الشام بالمهمة السهلة ومرجع ذلك الى أن شخصية الشريف حسين لم تكن مقبولة لدى جميع الجمعيات العربية في بلاد الشام التي يصعب الاتصال معها في وقت عززت السلطة الاتحادية رقابتها على الجمعيات العربية مما خلق صعوبة أخرى أمام مهمة الشريف حسين وللتغلب على الاعتبار الاول استغل الشريف فرصة ما كان يجرى لزعماء العرب في عالية (١) من محاكمات وأحكام فأرسل في مارس ١٩١٥ برقية الى أنور باشا وزير الحربية موضحا أهمية الجانب العربي في مجريات الحرب العالمية وحاثا الوزير التركي على ضرورة الاهتمام بمطالب العرب القومية (٢) وراحت الدوائر العثمانية تشكك في حقيقة هدف الشريف حسين من برقيته فاستوضحت الامر من الامير فيصل (٣) •

ويبدو أن الاتصال بين الشريف حسين والوزير التركي وجه أنظار السوريين الى ما كان يجرى في الحجاز ، وبينما كان الشريف على هذا الحال حمل اليه مبعوث من قبل جمعية العربية الفتاة (فوزى البكرى) رسالة شفهية لعرض رغبة الزعماء الوطنيين في الشام والعراق لتحقيق مطالبهم الاستقلالية عن طريق الثورة (٤) •

ولما كانت النية متوفرة لدى الشريف (٥) ، لذا أوفد ابنة الامير فيصل الى الاستانة للبحث مع الصدر الاعظم قضية الخلافات مع الوالي التركي (وهيب باشا) كمهمة ظاهرية تغطية لمهمته الحقيقية وهي الاتصال بالجمعيات العربية في بلاد الشام •

كان اللقاء الاول بين الامير فيصل وزعماء الجمعيات العربية في بلاد الشام قد تم في دمشق أواخر مارس ١٩١٥ وسط هالة من الحذر من قبل الطرفين ما لبث هذا الحاجز أن زال وقبل الامير فيصل عضوا في جمعية الفتاة (٦) •

وبلورت الجمعيات العربية مطالبها في خطوط رئيسية رفعها الامير فيصل الى والده لتكون قاعدة للتفاوض مع بريطانيا ، وعلى ضوء ذلك قرر الشريف حسين في اجتماع الطائف القيام بالثورة على الترك ، ولاجل الاستعداد لهذا كلف الامير فيصل بمتابعة اتصالاته مع الزعماء العرب في دمشق ، وبدأ اتصالاته الرسمية مع بريطانيا عن طريق مكماهون المعتمد البريطاني في مصر • شغلت المراسلات بين الشريف حسين ومكماهون عشر رسائل تبادلها الطرفان ، التزم الشريف حسين في رسالته الاولى ١٤ يوليو ١٩١٥ بعرض مطالب العرب حسبما حددت في بروتوكول دمشق ، الا أن الرد الذى بعث به مكماهون في ٣٠ أغسطس ١٩١٥ استبعد قضية الحدود بحجة أن الوقت غير مناسب بسبب ظروف الحرب ، ومع هذا كرر الشريف حسين مطالبه في ضرورة بحث قضية حدود الدولة العربية المستقلة والمتوقع اعلانها بعد الحرب ،

---

(١) أحمد قدرى : مرجع سبق ذكره ص ٣٧ — ٥٠ •
(٢) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ص ٥١ — ٥٤ •
(٣) مذكرات جمال باشا : مرجع سبق ذكره ص ٢١٣ — ٢٤٥٠ •
(٤) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٢٣٢ — ٢٤٩ •
(٥) Yale: The Near East, P. 251-252.
(٦) محمود منسي : حركة اليقظة العربية ص ٢٤٩ — ٢٥٠ •

وأوفد مبعوثا الى الجنرال كلايتون ليؤكد له تصميم الجمعيات العربية في سوريا والعراق على التعاون مع بريطانيا مقابل مساعدتها في تحقيق استقلالهم (١) .

استجاب مكماهون لطلب الشريف مع ابداء بعض التحفظات تضمنتها رسالته في ٢٦ اكتوبر ١٩١٥ تلك الرسالة التي كانت مثارا للجدل والمناقشة فيما يتعلق بوضع فلسطين فقد أوضح مكماهون في هذه الرسالة :

" ان ولايتي مرسين واسكندرونه واجزاء من بلاد الشام في الجهة الغربية لولايات دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال أنها عربية محضة وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة . ومع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود . وأما بخصوص الاقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون أن تمس مصالح حليفتها فرنسا فاني مفوض من قبل حكومة بريطانيا أن أقدم المواثيق الاتية واجيب على كتابكم بما يأتي :

(١) انه مع مراعاة التعديلات المذكورة اعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بان تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها شريف مكـــة .

(٢) ان بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة (في الحجاز) من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدى عليها .

(٣) وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة .

(٤) هذا وان المفهوم من أن العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها وأن المستشارين والموظفين والاوربيين اللازمين لتشكيل هيئة ادارية قوية يكونون من الانجليز .

(٥) أما بخصوص ولايتي بغداد والبصرة فان العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الاجنبي وزيادة سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة .

واني متيقن من أن هذا التصريـح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتيـاب موقف بريطانيـا العظمـى نحو رغائب أصحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة دائمة ثابتة معهم من نتائجها المستعجلة طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الاتراك الذى أثقل كاهلهم السنين الطوال " (٢) .

يستدل من هذا العرض أن الموضوع الرئيسي الذى دارت حوله مراسلات الحسين ـ مكماهون هو استقلال العرب وأن هذه القضية الى جانب قضية الحدود كانت مثارا للجدال بين العرب وبريطانيا في تسويات ما بعد الحرب فوجهة النظر العربية تستبعد تماما أن تكون

---

(1) Isaiah Friedman: The Question of Palestine, P.69.

(٢) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ـ المجموعة الاولي ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ ص ١٤ ـ ١٦ .

فلسطين مستثناة من المناطق التي حددتها رسالة مكماهون في ٢٦ أكتوبر ١٩١٥ لان هذه الرسالة استثنت المناطق غربي دمشق ، وحلب ، وحماه ، وان فلسطين تقع في الجنوب وليس في الغرب وهذا واضح (١) ، كما أن مكماهون لم يورد اسم فلسطين ضمن المنطقة المستثناةفي وقت أصبح استخدام هذا الاسم مألوفا ومدرجا في جلسات مجلس العموم البريطاني منذ عام ١٩٠٤ (٢) وهناك دليل آخر على معرفة الانجليز لهذه المنطقة باسم فلسطين وهو انها وردت فيما بعد في تصريح بلفور تأسيس وطن قومي للشعب اليهودى في فلسطين (٣) ، ومن هنا نرى أن العرب قد فهموا ــ ولهم الحق في أن يفهموا ــ أن فلسطين جزء من الدولة العربية المستقلة المتوقع اعلانها بعد الحرب .

أما وجهة النظر البريطانية فترى أن فلسطين مستثناة من المنطقة العربية التي سيشملها الاستقلال وتستند على تأويل معنى كلمة (مناطق) على أنها (ولايات) ومن هنا فان ولاية دمشق تشمل اجزاء متعددة منها لواءا حوران ومعان ويعرف ذلك بشرقالاردن وأن هذا الجزء له أقسام ادارية أخرى غربي النهر تشمل سنجق القدس والاقسام الادارية التي تتبع ولاية بيروت وهي لواءا نابلس وعكا وهذا هو المقصود بفلسطين .

غير أن وجهة النظر البريطانية واهية لان المراسلات لم تذكر عبارة ولايات وانما مناطق وفلسطين لا تقع غربي مناطق دمشق وحمص وحلب وحماة ثم جاءت الاشارة في المذكرة البريطانية الى مصالح فرنسا لتؤكد ما ذهب اليه العرب من أن المقصودبهذه المناطق هو منطقة لبنان التي تنادى فرنسا بأن مصالحها في هذه المنطقة ترجع الى أيام العصور الوسطى .

اما قضية استقلال العرب فقد فسرتا الجانب العربي بمعنى أن العرب سيقفون الى جانب بريطانيا مقابل مساعدة بريطانيا للعرب في تحقيق استقلالهم التام في حين أن الجانب البريطاني المخادع نظر الى الاستقلال على أنه "التحرر من الخصوم" بمعنى تحرير العرب من السيادة التركية (٤) . أى الاستقلال عن حكم الترك أما ماهية الاستقلال ومداه فأمر لم توضحه المذكرة البريطانية وأن كان المفهوم أنه لا يستبعد انشاء حكومات عربية مستقلة تحدد علاقتها مع دول الحلفاء بعد الحرب .

وبرز الجدل ثانية حول مراسلات الحسين مكماهون عندما بسطت الحكومة البريطانية سياستها في عام ١٩٢٢ فقد أشارت الى أن مراسلات الحسين مكماهون استثنت فلسطين من وعود بريطانيا وحليفاتها للعرب (٥) .

فطلب العرب من الحكومة البريطانية نشر النص الكامل لهذه المراسلات الا أن الحكومة البريطانية

---

(1) Anttony Nathing : he Arbs ,A Narrative History from Mohamed to the presend p . 322 . (١)

(٢) كامل خله : فلسطين والانتداب البريطاني ص ١٨ ــ ٢٥ .

(٣) حسن صبرى الخولي : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين ــ المجلد الاول ص ١٤٩ ــ ١٥٥ .

(4) Isaiah Friedman : Op . Cit , pp . 83 . (٤)

(٥) حسن صبرى الخولي : مرجع سبق ذكره ــ المجلد الاول ص ١٥٥ ــ ١٦٠ .

نشر هذه المراسلات يضر بالمصلحة العامة "ويفسر البعض أن السبب الرئيسي لهذا التكتم الرسمي هو أن المراسلات تشجع الشريف حسين للتمرد على الدولة العثمانية وأن نشر هذه الحقيقة من الممكن أن يثيرموجة من السخط في العالم الاسلامي خاصة في الهند مما يخلق لبريطانيا اضطربات واسعة (١) .

وبقيت مراسلات الحسين مكماهون في طي الكتمان زمنا الى أن نشرتها الحكومة البريطانية رسميا في عام ١٩٣٩ عندما عقد مؤتمر المائدة المستديرة في لندن لبحث قضية فلسطين بشكل موسع .

هكذا كان وضع فلسطين في مراسلات الحسين مكماهون ، وهكذا كانت هذه المراسلات مثارا للجدل والمناقشة زمنا طويلا ، فقد كان الشريف حسين على اعتقاد راسخ بأن فلسطين جزء من الدولة العربية المستقلة والمستقبلية وأن الاستثناءات لا تنسحب على فلسطين ودليل ذلك أن الشريف لما علم بتصريح بلفور طلب من الحكومة البريطانية ايضاحا لاهداف هذا التصريح ، فلوكان الشريف حسين على اعتقاد غير هذا لما استوضح الامر من الحكومة البريطانية (٢) .

من المعروف أن الشريف حسين أعلن أن الثورة على الاتراك في ١٠ يونيه ١٩١٦ أى بعد مرور ثلاثة أشهر على انتهاء المراسلات، ولن يتطرق البحث لمجريات وأحداث الثورة العربية الا بالقدر الذى يوضح موقف عرب فلسطين من هذه الثورة في وقت ركزت فيه القيادة البريطانية جهودها لاستمالة العرب الى جانبها بعد أن أصبحت قضية الحلفاء وقضية استقلال العرب أمرا واحدا حسبما فهم من مراسلات الحسين مكماهون ، فمنذ الاشهر الاولى للثورة وخلال الاعداد للحملة العسكرية البريطانية نحو فلسطين أخذت القبائل العربية كقبيلة الحويطات تستعد للانضمام للثورة (٣) . كما أخذ الضباط السياسيون البريطانيون بتنظيم حملة دعائية لكسب أبناء البلاد الى جانبهم وذلك قبل البدء بالهجوم على فلسطين ، كان من نتائجها عقد اجتماع بين أحد الضباط البريطانيين (باركر) وشيخ مشايخ قبائل بئر السبع (فريح أبو مدين) في العريش بقصد مساعدة القوات البريطانية في عملياتها العسكرية (٤) ، ومن ناحية أخرى أخذت الطائرات البريطانية بالقاء نسخ من رسالة للشريف حسين موجهة الى الضابط العرب في الجيش العثماني تحضهم على الانضمام الى الثورة العربية " هلموا للانضمام الينا نحن الذين نجاهد لاجل الدين وحرية العرب " . وعلى الوجه الاخر من هذه الرساله طلبت القيادة البريطانية من أبناء البلادبالانضمام الى الجيش البريطاني " واغتنموا الفرصة لتهربوا وتأتوا الينا وسنتقبلكم كأصدقاء .. " (٥) .

ويبدوا أن هذه الدعاية قد أثمرت لان قبائل بئر السبع أنضمت الى قوات الجيش

---

(1) Isaiah Friedman : Op . Cit ., pp . 65 - 66 .

(١)

(٢) حسن صبرى الخولي : مرجع سبق ذكره ـ المجلد الاول ص ١٦٠ ـ ١٦٥ .

(٣) لورنس : الثورة في الصحراء ص ٣٣٥ ـ ٣٣٨ .

(٤) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٣٢٦ ـ ٣٣٥ .

(٥) جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ص ٢٨ ـ ٢٩ .

البريطاني الزاحف نحو فلسطين بعد أن كانت هذه القبائل حتى ربيع ١٩١٧ الى جانب القوات التركية كما أخذت أعداد كبيرة من الجنود العرب تتحول الى الجيش البريطاني المتقدم نحو القدس وقد مدت معلومات وافية عن تحركات وخطط الجيش التركي مما سهل عملية تقدم القوات البريطانية في احتلال الجزء الجنوبي من فلسطين (١) ٠

وخلال الاعداد للعمليات العسكرية نحو القسم الشمالي من فلسطين قدم وفد عربي من طرف الامير فيصل لحث عرب فلسطين على التطوع في الجيش العربي وتلقي احدى التقارير البريطانية الضوء على ذلك مشيرة الى أن أعضاء الوفد العربي لاقوا في دعوتهم تجاوبا من أبناء فلسطين " لقد قابلت البعثة العربية للتطوع تشجيعا ونجاحا في ضم المئات من المتقدمين " ٠٠ وقد جاء هذا الانطباع بسبب الخطب الحماسية التي القاها رئيس وأعضاء الوفد العربي وقد أشاروا في خطبهم الى انتصارات الجيش العربي والى ضرورة الانضمام الى هذا الجيش لتخليص باقي البلاد من الحكم التركي ٠

ومن الامور الهامة التى أشار اليها التقرير أن السلطات العسكرية البريطانية استبعدت اليهود من حضور الاحتفالات التي ضمت عددا من أبناء البلاد مسلمين ومسيحيين ، والسبب في ذلك وقوع مشاحنات بين العرب واليهود في اثناء عمليات التطوع التى جرت في وقت واحد للانضمام الى القوات البريطانية (٢) ٠

ويستدل من هذا مدى تناقض الموقف البريطاني لان كلا من العرب واليهود كان يعمل لمساندة القوات البريطانية بوحي من العهود والاتفاقات التي توصلت اليها بريطانيا مع العرب في مراسلات الحسين مكماهون ، ثم مع اليهود من خلال وعد بلفور ٠

وهكذا يمكن القول ان السياسة البريطانية من خلال مراسلاتها مع الشريف حسين حققت عدة مزايا للمصالح البريطانية وأهمها وقوف العرب الى جانبها وضمن تحفظات تخدم مصالحها ومصالح الاطراف الاخرى وأهمها ايجاد ثغرات في وعودها للحسين ستنفذ منها : فاستثناءات الحدود التي وردت في رسالة مكماهون في ٢٦ أكتوبر ١٩١٥ كانت خدمة للاطماع الصهيونية في فلسطين والاطماع الفرنسية في سورية (٣) ٠

ويلاحظ أيضا أن الحركة العربية أصيبت بضربة ثانية بعد أن كانت قد تلقت الضربة الاولى بسبب سياسة جمال باشا ، وقد حاولت هذه الحركة استجماع قواها في تسويات ما بعد الحرب العالمية فطالبت باستقلال المنطقة العربية في سورية والعراق ولكنها لم تتمكن من ذلك بسبب ما أصاب هذه الحركة من انقسام نتيجة تعدد ميول الفئات العاملة في الحركة العربية فمنهم من كان لا يزال يتمسك بالشريف حسين وبالمبادئ التي أعلنتها وفئة ثانية تحبذ الاستعانة بدولة أجنبية ودون تحديد من ستكون هذه الدولة وفئة ثالثة تحبذ الحماية الفرنسية والرابعة تغاير الفئة السابقة حيث تحبذ الحماية البريطانية بحكم ادراكهم للسياسة الفرنسية في

---

(١) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص٣٢٦ — ٣٣٥ ٠

(٢) (2) F O . 371 / 3409 / 137855 - 1918 .

(٣) كامل خله : مرجع سبق ذكره ص ١٨ — ٢٥ ٠

المنطقة العربية (١) .

فرنسا والحركة العربية / فلسطين في اتفاقية سايكس بيكو :

في الوقت الذى حددت بريطانيا موقفها من مطالب الحركة العربية من خلال مراسلات الحسين ــ مكماهون أخذت في التفاهم مع فرنسا بأسلوب آخر على اعتبار أن الحركة العربية كانت تسعى الى اقامة دولة عربية مستقلة على أرض هي صاحبة الحق فيها في حين أن فرنسا تسعى الى خلق وجود لها في المشرق العربي استكمالا لحلقة استعمارية بدأتها في المغرب العربي ، ومن هنا فان تفاهم بريطانيا وفرنسا لا يخرج عن كونه حلقة في سلسلة التفاهم الاستعمارى حول المنطقة العربية .

لقد جاء التحرك البريطاني للتفاهم مع فرنسا عندما عملت الاخيرة على صبغ أطماعها الدينية في سورية بصبغه استعمارية فقد صرح ريمون بوانكاره في خطاب له أمام مجلس الشيوخ الفرنسي في عام ١٩١٢ بقوله : " نحن مصممون على الدفاع عن حقوقنا ومصالحنا في سورية " (١) .

واتضحت الاطماع الفرنسية عشية الحرب العالمية عندما طالبت فرنسا بسورية من الاسكندرون حتى العريش ، ولتدعيم هذه المطالب أعدت الحكومة الفرنسية خططا شاملة لتنفيذ عدة مشاريع في ميناءى حيفا ويافا والعمل على ربط الخط الحديدى السورى بالخط الحديدى بين يافا والقدس (٢) ، كما أن فرنسا من ناحية أخرى رفضت تنفيذ الخطة البريطانية لانزال قوات عسكرية في ميناء الاسكندرونة للتغلغل في سورية لقطع الاتصال بين تركيا والبلاد العربية لان تنفيذ هذه الخطة سيؤثر على مستقبل سورية اذا ما دخلته قوات بريطانية . ولهذا فضلت فرنسا تنفيذ الاقتراح الثاني الذى قدمته الحكومة البريطانية لضرب الدولة العثمانية من الداخل عن طريق الاتفاق مع الشريف حسين (٤) .

لذا كان على بريطانيا البدء في المفاوضات مع فرنسا بعد أن وقفت على وجهة النظر العربية وبعد أن وقفت على وجهة النظر الفرنسية من خلال تصريح ساستها لان البدء في المفاوضات يمكن بريطانيا من تطويق أو ابطال رد الفعل المتوقع من فرنسا بسبب الاتفاق البريطاني العربي حول المنطقة العربية التي تتطلع اليها فرنسا خاصة وأنها كانت تدرك أن من أهداف السياسة البريطانية في المنطقة العربية العمل على ابعاد الاطماع الفرنسية في هذه المنطقة (٥) .

غير أن بريطانيا كانت تدرك أن اهمال الاطماع الفرنسية في المنطقة العربية يعرض

---

(١) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ، ص ٣١٨ — ٣١٩ .
(٢) أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ، ص ٦٠ — ٦١ .
(٣)
(3) Eugene Bovis : The Jerusalem Question . p . 1-3 .
(٤) ساطع الحصرى : يوم ميسلون ، ص ٢٥ — ٦٢ .
(٥)
(5) Isaiah Friedman : Op .Cit ., pp . 97 - 101 .

العلاقات الفرنسية البريطانية للخطر في غمرة أحداث الحرب العالمية (١) . ولهذا صرح أدورد غراى وزير الخارجية البريطانية بأنّ الوقت حان ليعلم السفير الفرنسي في لندن (بول كامبون) عن الموقف حرصا على مسيرة العلاقات الفرنسية البريطانية" (٢) .

حددت الحكومة البريطانية موقفها قبل البدء في مفاوضتها مع فرنسا التي انتهت باتفاقية سايكس بيكو بناء على تقرير أعدته لجنة دى بنس التى اوصت بضرورة استبعاد فلسطين من منطقة النفوذ الفرنسي في سورية لبحث مصيرها عند نهاية الحرب العالمية (٣) .

وخلال المحادثات التمهيدية التي جرت في لندن نوفمبر ١٩١٥ بين ممثل الحكومة الفرنسية جورج بيكو وممثل الحكومة البريطانية السير أرثر نيكلسون أصر المفاوض الفرنسي على موقف حكومته في أن تكون سورية وفلسطين تحت السيادة الفرنسية باستثناء القدس وبيت لحم التي ستكون تحت ادارة دولية (٤) .

هذا الموقف من جانب المفاوض الفرنسي كان سببا في قطع المحادثات لمدة شهر تقريبا أستؤنفت بعدها المحادثات في جو أكثر وضوحا لان المفاوض البريطاني عرض تفاصيل ما تم التوصل اليه مع الشريف حسين حيث أشار الى الاستثناءات التي ستطبق على الدولة العربية المستقلة والمستقبلية وهي المناطق غربي دمشق وحمص وحماه وحلب (٥) . هذا التوضيح اثر على سير المحادثات الفرنسية البريطانية لان الحكومة الفرنسية اقترحت على اثرها اقتسام المنطقة العربية مع بريطانيا .

دخلت المحادثات بعدها في مرحلة أكثر أهمية حيث توسعت قاعدة المحادثات بين الطرفين كما أن الحكومة البريطانية عينت مارك سايكس ممثلا لها في هذه المحادثات لانه سبق أن زار المنطقة العربية ووقف على حقيقة الوضع هناك من خلال اتصالاته مع الزعماء السوريين في القاهرة ومع الشريف حسين (٦) .

وبعد أن توصل الطرفان الى البنود الرئيسية للاتفاق فيما بينهما سافرا للتباحث مع سازونوف وزير الخارجية الروسية فتم وضع الخطوط الرئيسية لاقتسام الممتلكات الاسيوية للدولة العثمانية بين دول الوفاق (فرنسا ، بريطانيا ، روسيا) ، وحدد ذلك في معاهدة بطرسبرج ، وتنفيذا لهذه المعاهدة اجتمع سايكس وبيكو ووضعا اتفاقالاقتسام المنطقة العربية الى مناطق

---

(١) كامل خله : مرجع سبق ذكره ص ١٨ — ٢٥ .

(٢) (2) Esco Foundation for Palestine, A study of Jewish and British policies, Vol. 1, Yale University 1947, P. 55-63.

(٣) (3) Howard Sachar : The Emergence of the Middle East, p. 156-159.

(٤) المنطقة المقصودة محددة بطرطوش شمالا ودياربكو — الموصل — كركوك دير الزور — الفرات شرقا ، والحدود المصرية جنوبا والبحر الابيض المتوسط غربا أنظر :

Friedman: Op. Cit., p. 101-105.

(٥) (5) Friedman : Op. Cit,. p. 105.

(٦) (6) Sachar: Op. Cit., P.160-164.

نفوذ بريطانية وأخرى فرنسية وهو المعروف باتفاقية سايكس‌بيكو (١) ، وفيما يتعلق بفلسطين نصت هذه الاتفاقية على ما يلي :

(١) تدار المنطقة السمراء (فلسطين) بادارة دولية ويترك أمر البت في تعيين شكلها الى أن تتم المفاوضة مع روسيا وسائر الحلفاء ومندوبي شريف مكة .

(٢) تعطى بريطانيا مينائي حيفا وعكا .

(٣) يحق لبريطانيا وحدها أن تنشئ وتدير وتمتلك خطا حديديا يبتدئ من حيفا وينتهي بمنطقة ب (العراق) ولها الحق أيضا في أن تنقل الجنود والمواد الحربية على هذا الخط متى شاءت (٢) .

لقد جاء وضع فلسطين تحت الادارة الدولية بعد سلسلة من المحادثات بين دول الوفاق ، فمنذ البداية وبريطانيا تعارض في امتداد الاطماع الفرنسية نحو فلسطين لانها تضم أماكن مقدسة لجميع الطوائف المسيحية لذا لا يحق لفرنسا أن تنفرد بسيادتها على هذه المنطقة وبالرغم من اصرار فرنسا على أن تقع فلسطين بأكملها تحت السيادة الفرنسية الا انها اقترحت استثناء القدس وبيت لحم وضواحيها لتوضع هذه المناطق تحت الادارة الدولية الا أن روسيا عارضت هذا الاقتراح بحجة وجود أماكن مقدسة ومؤسسات دينية للطوائف الارثوذكسية منتشرة في أماكن متعددة من فلسطين كالناصرة ونابلس والخليل وهذا يقضي أن تكون البلاد بأسرها تحت سيادة روسية منفردة .

لا شك في أن الموقف الروسي هذا يتعارض مع المصالح البريطانية لذا ليس غريبا أن تقف بريطانيا في ذلك الوقت الى جانب فرنسا حتى تتمكنا معا من تليين الموقف الروسي ، لكن هذا الموقف المعارض ما لبث أن تغير عندما اقترحت روسيا وبريطانيا وضع فلسطين تحت الادارة الدولية بدلا من حصر الادارة الدولية في بعض المدن الفلسطينية (القدس ،بيت لحم) حسب الاقتراح الفرنسي السابق ، وقد أذعنت فرنسا (٣) للموقف البريطاني الروسي‌ووافقت على وضع فلسطين جميعها تحت الادارة الدولية باستثناء ميناءى حيفا وعكا .

يستدل من مجرى المحادثات بين هذه الدول تقلب الموقف البريطاني المرتبط بمواقف الدول المفاوضة من فلسطين لذا فان الموقف البريطاني المتقلب ناتج عن تصميم بريطانيا استبعاد السيطرة الفرنسية او الروسية المنفردة عن فلسطين لذا يمكن القول ان وضع فلسطين تحت الادارة الدولية جاء بقصد استبعاد أطماع هذه الدول حتى تهيئ الجو لتنفرد بريطانيا بذلك كما اتضح في تسويات ما بعد الحرب .

ان وضع فلسطين تحت الادارة الدولية باستثناء ميناءى عكا وحيفا يخدم المصالح البريطانية من عدة زوايا فابعاد فرنسا عن الجزء الجنوبي من سورية (فلسطين) يحقق لبريطانيا ما كانت تعمل على تنفيذه لاتخاذ فلسطين مركزا متقدما أو دولة حاجزة بين الاطماع الفرنسية

---

(١) حسن صبرى الخولي :مرجع سبق ذكره ،المجلد الاول ص ١٧٢ — ١٨٢

(٢) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، المجموعة الاولى ١٩١٥ — ١٩٤٦ ص٨٤ —٨٦ .

(٣) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٣٥١ — ٣٥٣ .

في سورية والوجود البريطاني في مصر ، كما أن وضع فلسطين الدولي يدفع بالصهيونية الى أن تجرى وراء بريطانيا لازالة هذا الوضع كما عملت على طرد الاطماع الفرنسية أو الروسية ، وهذا يمكن بريطانيا من تحقيق هدفها وهو اشعار الصهيونية بحاجتها الدائمة لبريطانيا في تحقيق أطماعها وهذا واضح من النشاط الصهيوني بعد صدور وعد بلفور الذى تركز حول فصل فلسطين عن سورية وازالة الصبغة الدولية عنها لتتولى بريطانيا سيطرتها على فلسطين تحت ستار الانتداب (١) .

فاذا كانت اتفاقية سايكس بيكو ووضع فلسطين الدولى فيها قد حققت لبريطانيا أهدافا سياسية فان بنودا أخرى من هذا الاتفاق حققت لبريطانيا أهدافا عسكرية فوضع ميناءي حيفا وعكا تحت الاشراف البريطاني يمكن بريطانيا من اتخاذ هذه الموانئ قواعد بحرية تتصل بواسطة السكة الحديد مع مناطق أخرى تعمل على ايجادها في البصرة لتصل ذلك مع القاعدة البريطانية في عدن وبهذا تشكل مثلثا دفاعيا لحماية قناة السويس ، ومهما يكن من أمر فان اتفاقية سايكس بيكو خدمت هدفا استعماريا مشتركا بين بريطانيا وفرنسا تجاه المنطقة العربية لان هذه الاتفاقية وما طرأ عليها من تعديلات أواخر عام ١٩١٨ كانت مرجعا رئيسيا في تسويات ما بعد الحرب كما اتضح ذلك في قرارات مؤتمر سان ريمو ابريل ١٩٢٠ الذى وضع المنطقة العربية في سورية والعراق تحت الانتدابين الفرنسي والبريطاني .

من المعروف أن اتفاقية سايكس بيكو عقدت سرا بين دول الوفاق ، وبقيت كذلك دون أن يعلم بها الشريف حسين الى أن قامت الثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧ بنشر عدة وثائق سرية منها اتفاقية سايكس بيكو ، وقد حاولت الحكومة العثمانية الاستفادة من هذة الوثيقة التي كشف أمرها والتي تتناقض مع مراسلات الحسين مكماهون ، فقدمتها للشريف حسين مع عرض لابرام صلح منفرد بين العرب والترك ، ولهذه الغاية أوفد جمال باشا سرا رسولا الى العقبة نوفمبر سنة ١٩١٧ حاملا رسالتين للامير فيصل وجعفر العسكرى .

جاء في الرسالة الاولى أن فيصلا وأباه قد ضللتهما الوعود التي أعطيت لهما باستقلال العرب وجعلتهما يثوران ضد السلطة العليا في الاسلام ولم يبق من طريق للعرب سوى أن يعودوا الى الحظيرة العثمانية ويكفلوا لانفسهم حقوقهم المشروعة بالتقائهم مع الاتراك .

ولما علم الشريف حسين بمضمون هذه الرسائل طلب من ابنه الامير فيصل أن يرفض عروض الصلح التي قدمتها الحكومة العثمانية ، واستوضح أمر هذه الاتفاقية السرية من الجانب البريطاني الذى تمكن من خداع الشريف حسين من خلال مذكرات رسمية بعثت بها الحكومة البريطانية الى الشريف حسين منها مذكرة ٨ فبراير ١٩١٨ التي قدمها " باست " القائم بأعمال المعتمد البريطاني في جدة التي أوضحت أن الامر لا يتعدى المحادثات والمناقشات غير الملزمة وأن ذلك محاولة من الترك لبذر بذور الشقاق بين العرب والحلفاء (٢) .

وفي الاجابة الرسمية من الحكومة البريطانية على استيضاح الشريف دلالة على وجود محادثات مما لا ينفي وجود هذه الاتفاقية ولكن بريطانيا استفادت تماما من قطيعة العلاقات

---

(١) فرانك مانويل : مرجع سبق ذكره ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .

العربيـة الـتركية بعد الثورة العربيـة فاسـقطت أمر هـذه الاتفاقيـة الى محاولة الـــترك التفرقـــة بـين العـرب وحلفائهــم .

اذا كانت بريطانيا قد تعاملت مع الحركة العربية بدافع ضرب الدولة العثمانية من الداخل وتعاملت مع فرنسا من خلال اتفاقية سايكس بيكو بقصد تطويق الاطماع الفرنسية فانها اقدمت على التعامل مع الحركة الصهيونية لربط المصالح البريطانية مع الاطماع الصهيونية في فلسطين التي انتهت بلقاء بريطاني صهيوني من خلال تصريح بلفور ١٩١٧ ٠

زادت الاطماع البريطانية في القسم الجنوبي في سورية (فلسطين) منذ احتلال بريطاينا لمصر ١٨٨٢ لان هذا الاحتلال وفر لبريطاينا حماية الجانب الغربي لقناة السويس فقط ، لذا بدأت بريطانيا تتدبر خططها لتوفير الحماية للجانب الاخر من القناة ولهذا عملت ادارة كرومر منذ عام ١٨٩٢ على رسم خطوط جديدة للحدود من رفح حتى العقبة ترتب عليها أن سيناء أصبحت تدار من قبل موظفين بريطانيين ومصريين مع بقاء سيناء ، أسوة بمصر كلها ، تحت سيادة السلطان العثماني (١) ، وبعد حادثة طابا سنة ١٩٠٦ وما رافقها من تعديلات على الحدود المصرية العثمانية (٢) أدركت بريطانيا خطورة هذه الحوادث على مصر من جهة الشرق وقد ظهر هذا الاتجاه من قبل بريطاينا في وقت بدأ فيه الخبراء العسكريون البريطانيون يوضحون أن سيناء لا تشكل عقبة أمام أية اعتداءات محتملة من الشرق (٣) ٠

ومع اشارات التهديد هذه لم تتحرك وزارة الحرب البريطانية بشكل فعلي الا في عام ١٩١٢ فهي كانت تتوقع أن فرنسا ستكون الدولة الوحيدة التي سترث الدولة العثمانية في سورية (٤) ٠ الا أنه منذ عام ١٩١٢ ظهر اتجاه آخر أثر على السياسة البريطانية وتمثل ذلك في ضرورة معرفة الحد الجنوبي لسورية بمعنى معرفة الحدود بين الاطماع الفرنسية في سورية والوجود البريطاني في مصر ولعل هذا الاتجاه قد برز بدافع أن لا تكون الحدود الشرقية لمصر متاحة للوجود الفرنسي المتوقع في سورية ، أو لتلبية الاطماع الصهيونية في القسم الجنوبي من سورية (فلسطين) ، ومن هنا استقر الرأى على ضرورة فصل الجزء الجنوبي من سورية عند تقسيم التركة العثمانية ، وضمن هذا النطاق يمكن تفسير المهمة التي أوكلتها وزارة الحرب البريطانية الى البعثة الاستكشافية برئاسة ينوكومب لاجراء مسح شامل للنقب والمناطق الجنوبية من فلسطين على أنها تحقيقا لاغراض عسكرية قبل أية أهداف أخرى لان الجيش البريطاني استفاد من عملية المسح في أثناء عملياته العسكرية في فلسطين (٥) ٠

وتأكدت بريطانيا بشكل عملي من خطورة وضع الجانب الشرقي لقناة السويس بعد حملات الترك الفاشلة على القناة لان فشل الحملات في تحقيق أهدافها العسكرية لا يعني أن

---

(١) Friedman: op. cit., pp. 1-2.

(٢) توفيق على برو : العرب والترك في العهد الدستورى ص ٣٢ — ٤٧ ٠

(٣) Friedman: op. cit., pp. 2-9.

(٤) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي ص ٢٩٠ — ٢٩١ ٠

(٥) محمود المراشي : صندوق الاستكشافات الفلسطينية " مجلة شئون فلسطينية عدد ٩ — آيار ١٩٧٢ ص ١٩٧ — ٢٠٢ ٠

الخطر على قناة السويس قد انتهى بل أن الخطر لا يزال قائما من دول أكثر قدرة واستعداد من تركيا أو المانيا . ولهذا أخذت بريطانيا تستعد لمواجهة الاخطار المحتملة من الشرق فاتجهت انظارها نحو فلسطين تحقيقا لاغراض عسكرية وسياسية (١) .

وفي خط مواز للمصالح البريطانية في فلسطين كانت الاطماع الصهيونية تتجه أيضا نحو هذه المنطقة خاصة بعد مؤتمر بال ١٨٩٧ الذى حدد بشكل رسمي أن تكون فلسطين هدفا لتحقيق الاطماع الصهيونية لانشاء وطن قومي لهم وعلى ضوء ذلك أخذت الحركة الصهيونية في اقامة المستوطنات اليهودية في فلسطين بالرغم من موقف الحكومة العثمانية المعارض ، وبقي الامر كذلك حتى نشوب الحرب العالمية الاولى دون أن تتمكن الصهيونية من صبغ نشاطها الاستيطاني بصبغة شرعية (٢) .

ومن ثم نظرت الحركة الصهيونية الى احداث الحرب العالمية على أنها فرصتها لتحقيق أهدافها بمساعدة احدى الدول الاوربية (٣) .

هذا الموقف وضع الحركة الصهيونية مع بداية الحرب العالمية في وضع صعب لان الحرب قسمت أوربا الى قسمين متحاربين جعل من عملية الاتصال والسفر أمرا صعبا أمام الجميع في هذه القارة في وقت كان اليهود موزعين بين دول الحلفاء ودول الوسط . كما أن البعض منهم أدمج في الاعمال أو متطلبات الحرب حسب الدول التي يتبعون اليها (٤) .

ومع أن الحركة الصهيونية سعت لايجاد مكان محايد كمركز لها حرصا على رعاياها وربما بقصد الوقوف على ميزان القوى في الحرب لتختار الدولة التي ستقف الى جانبها تحقيقا لاهدافها الا أنها من ناحية أخرى وزعت مراكزها فاصبح لها مراكز صهيونية في كل من برلين ، القسطنطينية ، لندن ، كوبنهاجن ، الولايات المتحدة وذلك حسب ما تقرر في اجتماع كوبنهاجن خلال الاسبوع الاول من ديسمبر ١٩١٤ (٥) ، ومع هذا بقى المركز الصهيوني في برلين خلال الادوار الاولى للحرب العالمية مركزا للنشاط الصهيوني في شرقي أوربا ومركزا للاتصال مع المستوطنين اليهود في فلسطين ، أما بعد اصدار وعد بلفور فقد أصبحت لندن مركزا للنشاط الصهيوني بدلا من برلين (٦) .

جرت المحاولة الاولى للربط بين المصالح البريطانية والاطماع الصهيونية تجاه فلسطين عندما قدم هربرت صموئيل مذكرته الى أدورد غراى في نوفمبر ١٩١٤ تحت عنوان "مستقبل فلسطين" ، وصموئيل كان من بين أعضاء الحكومة البريطانية الذين فكروا انه مع انحلال الامبراطورية العثمانية يمكن اقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، وقد استبعد في مذكرته امكانية

---

(1) James Parkes: OP.Cit., pp. 247 - 258.

(٢) آلان تايلور : كيف قامت اسرائيل ــ ترجمة علي محمد علي ص ٢٧ ــ ٣٣ .

(3) Aharon Cohen: OP.Cit., P 118 - 199.

(4) Yale: *OP.Cit.*, p. 262.

(5) Leonard Stein: The Balfour Declaration, p. 97 - 98.

(6) Walter Laqueru: A History of Zionism, p. 171 - 172.

اقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين بدون الحاق فلسطين بالامبراطورية البريطانية بحكم قلة المستوطنين في البلاد حيث سيصبح بالامكان في ظل الاحتلال البريطاني لفلسطين زيادة عدد المهاجرين ومع مرور الوقت يمكن لليهود أخذ زمام الامر بأنفسهم .

وقدم حاييم وايزمان اقتراحا آخرا في نوفمبر ١٩١٤ للربط بين المصالح والاطماع الاستعمارية نحو فلسطين قال فيه : اذا وقعت فلسطين ضمن النفوذ البريطاني وعملت على تشجيع الاستيطان لليهود هناك فاننا نستطيع خلال ٢٠ـ٣٠ سنه ادخال مليون يهودى الى البلاد وأكثر من هذا فانهم سيعملون على تطوير البلاد ويشكلون حراسا فعالين لقناة السويس (١)

يستدل من هذا أن زعماء الصهيونية حددوا الدوله الاوروبية التي ستقف الى جانب الاطماع الصهيوينة في فلسطين لذا ركزوا نشاطهم السياسي لكسب تأييد بريطانيا لتحقيق أطماعهم نحو فلسطين (٢) ..

كما يلاحظ على هذه الاقتراحات المقدمة للربط بين المصالح الصهيو نية والاطماع البريطانية نحو فلسطين أن اقتراح صموئيل أكثر تطرفا من اقتراح وايزمان لان مضمون اقتراح صموئيل هو اقامة دوله يهودية في فلسطين في حين أن اقتراح وايزمان يرمي الى تشجيع الاستيطان اليهودى دون تحديد الهدف من وراء ذلك .

ومهما يكن من أمر فان المطلب المشترك بين هذه الاقتراحات هو الحماية البريطانية التي ستحقق لهم هدفهم نحو فلسطين .

اصطدمت هذه الاقتراحات بموقف الحكومة البريطانية لان وزير الخارجية البريطانية ، ادوارد جراى) نظر الى اقامة الاستيطان الصهيوني في فلسطين نظرة تبعد عن الارتياح . ولعل هذا الموقف من قبل الحكومة البريطانية نابع من تعاملها مع أطراف أخرى خلال الحرب كفرنسا وروسيا والعرب لذا اقترح وزير الخارجية البريطانية أن توضع فلسطين تحت الادارة الدولية وهذا ما اعترض عليه هربرت صموئيل الذى أصر على أن تكون البلاد تحت الحماية البريطانية (٣) .

وفي سبيل تنشيط خطوات اللقاء البريطاني الصهيوني تشكلت في منشستر في أواخر عام ١٩١٦ لجنة فلسطين البريطانية British Palestine committe التي أصدرت مجلة بالستاين لنشر المقالات التي تخدم أغراضها من ذلك ما نشرته لانه لم يوجد حتى الان نظام فعال للدفاع عن كل مواصلاتنا في الشرق على خط القناة وأن الحكمة الاستراتيجية تجعل من الضرورى التقدم الى ما وراء ذلك الخط وتشكيل حصن متقدم ... وأن تلال يهوذا هي الحامية الحقيقية لمصر ضد أى هجوم من سورية .

وان الحل لذلك اقامة دولة حاجزة حيث أن توسع الحدود يتطلب تبعه عسكرية جديدة وتجنبا لذلك يمكن الاخذ بنظام الدول الحاجزة .. وأن ذلك يتم بواسطة اليهود الذين يمكن أن يشكلوا دولة حاجزة وهي سلامة أكيدة لحدود مصر وحماية القناة (٤) .

كما اقترحت الحركة الصهيونية مشاركة القوات البريطانية في زحفها نحو فلسطين تدعيما

---

(١) (1) Isaiah Friedman: op. cit., pp. 10-12.

(٢) آلان تايلور : كيف قامت اسرائيل ص ٣٣ — ٣٧ .

(٣) (3) Friedman: op. cit., pp. 10-12.

(٤) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ص ٢٩٧ — ٢٩٩ .

للربط بين الصهيونية وبريطانيا وتحقيقا لاغراض سياسية على المستوى العالمي ، ولهذا الغرض بدأ كل من جابوتنسكي وترمبلدور وكلاهما من اليهود الروس العمل لتشكيل فرقة من المتطوعين من بين اليهود الذين وجدوا في الاسكندرية بسبب احداث الحرب العالمية ، وتم تشكيل فرقة عسكرية صهيونية ضمت ٦٥٠ ضابطا وجنديا ، ٧٥٠ بغلا واطلق عليها اسم فرقة البغالة الصهيونية Zion Mule Corps وتولى قيادتها باترسون أحد الضباط البريطانيين وحددت مهمة هذه الفرقة في تقديم خدمات للجيش البريطاني في غالبيولي كالتموين مثلا (١) . وهذا على غير رغبة مؤسسي الفرقة الصهيونية لان هدفهم كان أن تشارك الفرقة العسكرية الصهيونية في العمليات العسكرية البريطانية في فلسطين وليس خارجها .

ولعل السبب في عدم تمادي بريطانيا في تحقيق المطالب الصهيونية بالشكل الكامل هو أن الحكومة البريطانية لا تزال تتدبر خطواتها السياسية والعسكرية تجاه فلسطين في اطار المصالح الفرنسية في سورية وفي اطار مطالب الحركة العربية الرامية الى اقامة دولة عربية مستقلة كانت فلسطين من ضمن حدود هذه الدولة ، أو أن الحكومة البريطانية بموقفها هذا أي عدم الذهاب بعيدا مع الصهيونية ترمي الى المساومة مع الصهيونية لاشعارها بحاجتها المستمرة للحماية البريطانية وحتى تتمكن بريطانيا من تكييف الصهيونية لخدمة مصالحها المرتبطة بالاطماع الصهيونية (٢) .

برزت بعد ذلك ظروف واعتبارات عملت على تدعيم اللقاء الصهيوني البريطاني في فلسطين منها أن الاوضاع العسكرية في جبهات القتال وصلت الى حالة من الاسترخاء مما خفف الضغط عن القوات البريطانية لذا قررت القيادة البريطانية البدء في عملياتها العسكرية تجاه فلسطين فشاركت وحدات عسكرية من اليهود في العمليات الحربية في هذه الجبهة خلال السنة الاخيرة من مراحل الحرب والوحدات العسكرية الصهيونية هي :

- فرقة الجنود الملكية وتحمل رقم ٣٩ وهذه الفرقة من متطوعي اليهود الذين شكلوا من قبل فرقة البغالة الصهيونية التي سرحت بعد أداء مهمتها المحددة في غالبيولي ، ثم الفرقة ٣٩ من المتطوعين اليهود الروس الموجودين في بريطانيا .
- الفرقة التي تحمل رقم ٤٠ وهي من اليهود التولجودين في الولايات المتحدة الامريكية
- الوحدة العسكرية الثالثة تشكلت من المتطوعين اليهود في فلسطين بعد الاحتلال البريطاني (٣) .

وانتقلت التشكيلات العسكرية الصهيونية وهي فرق ٣٨ ، ٣٩ الى فلسطين حيث انضمت الى الجيش البريطاني تحت اسم فرقة المشاه الملكية ذات الزى المتميز عن زى قوات الجيش البريطاني (٤) .

---

(١) عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٨٢ – ٢٨٣ .

(٢) عز الدين فودة : قضية القدس في محيط العلاقات الدولية ص ١٥٦ – ١٥٨ .

(3) Aharon Cohen: op. cit., pp. 127-128.

(٤) محمد عبد الرؤوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ـ القسم الاول ص ٢٦٦ ٢٨٣ .

وعلى أثر وصول هذه الفرق العسكرية الصهيونية من الخارج بدأت عملية تطوع بين اليهود في فلسطين منذ منتصف يونيه ١٩١٨ (١) ، ويبدو أن ذلك قد جاء أيضا بسبب صدور تصريح بلفور الذى شجع شباب اليهود على التطوع من ذلك مذكرة رفعها شباب اليهود الروس في يافا الى السلطة العسكرية جاء فيها : "نحن شباب اليهود في يافا قررنا أن نتطوع كفرقة يهودية للقتال حتى نشارك في ذلك الحدث التاريخي وهو تحرير الارض ... نحن نرغب في أن ننضم الى الفرقة اليهودية القادمة من انجلترا حتى نقاتل معا في الجيش البريطاني لتحرير فلسطين .

ولاجل تنظيم عمليات التطوع بين اليهود تم افتتاح مكتبين للتطوع في القدس ويافا ويلاحظ أن مكتب التطوع في يافا كان أكثر تنظيما وأكثر عددا من المتطوعين من مكتب التطوع في القدس ، ولعل السبب في ذلك انهماك أبناء الطوائف اليهودية في القدس في أعمالهم الدينية أو التعليمية وقد أعدت لقوات المتطوعين شارات خاصة تربط على سواعدهم وهي من اللون الازرق الفاتح والابيض .

لخص التقرير الذى رفعه رئيس المكتب السياسي في القاهرة في ١٠ يوليو ١٩١٨ أهمية حركة المتطوعين اليهود في فلسطين بقوله : "ومهما يحدث في المستقبل ومهما يكن مستقبل فلسطين فان حركة المتطوعين اليهود في فلسطين ستقف دائما في تاريخ الشعب اليهودى كحقيقة تاريخية تربط أو تعمل على ربط الفكرة الصهيونية مع الامم الاخرى مثل بريطانيا وفرنسا ... (٢)

وطرق اليهود باب الجاسوسية لحساب بريطانيا من ذلك شبكة التجسس اليهودية التي نظمها أفراد عائلة أرونسون وهي من العائلات اليهودية الرومانية الاصل كانت تقطن في مستعمرة زخرون يعقوب (٣) ، وعرفت هذه الشبكة باسم منظمة نيلي . وان كانت الروايات (٤) قد اختلفت حول طبيعة الدوافع الا ان المفهوم ان شبكة التجسس اليهودية عملت على ربط المصالح والاطماع البريطانية والصهيونية تجاه فلسطين بتقديمها معلومات هامة عن الاستعدادات والتحركات العسكرية لقوات الجيش التركي والالماني خلال الحرب (٥) .

يستدل من هذا ان الحركة الصهيونية لم تقصر نشاطها على المساعي السياسية لدى الحكومة البريطانية بل أنها اتخذت خطوات أخرى على أرض فلسطين تدعيما لربط المصالح البريطانية والاطماع الصهيونية تجاه هذه المنطقة واستكمالا للنشاط السياسي الصهيوني نقول أن التغير الوزارى في بريطانيا بخروج اسكويت وجراى من الحكومة البريطانية كان لمصلحة الصهيونية لان اسكويت رئيس الوزارة البريطانية

---

(1) F.O. 371/3409/110098 — 1918. (١)
(2) F.O. 371/3409/139153 — 1918. (٢)
(3) France Newton: Fifty years in Palestine, pp. 100-101. (٣)

(٤) تغزو بعض الروايات ذلك الى دافع ذاتي في حين أن البعض يغزو ذلك بدافع الاستجابة الى طلب المخابرات البريطانية .
انظر عزيز بك : الاستخبارات والجاسوسية في لبنان وسورية وفلسطين ص ٣٧ — ٩١ .

(٥) عزيز بك : مرجع سبق ذكره ص ٣٧ — ٩٦ .

كان يلتزم بسياسة احلال العرب محل الاتراك كأصدقاء لبريطانيا في الشرق الادنى (١)، وبتولى لويد جورج رئاسةالوزراء البريطانية عين مارك سايكس ليبدأ المفاوضات الرسمية مع الصهيونية وفي الاجتماع الذى عقد في فبراير ١٩١٧ عرض الصهاينة مطالبهم التي كانت أساس الصفقة التي أدت بعد ٩شهور الى اصدار تصريح بلفور وهي :

الاعتراف دوليا بحقهم في فلسطين ، واقامةشركة يهودية لشراء الاراضي ورفض فكرة التدويل أو الحكم المشترك واقامة وضع خاص للاماكن المقدسة في فلسطين (٢)٠

وبعد أن حققت المساعي الصهيونية غرضها في ضمان عطف الحكومة الفرنسيةالى جانبها بعد أن كانت الدوائر الفرنسيةترفض استثناء فلسطين من مجال النفوذ الفرنسي ، وبعد تهدئة مخاوف البابا على مصير الطوائف المسيحية في فلسطين خاصة بعد أن وصلت احتجاجات هذه الطوائف الى البابا (بندكت الخامس عشر) وبعد النشاط الدبلوماسي الصهيوني في ايطاليا والولايات المتحدة وروسيا اخذت الحركة الصهيونية في حث الحكومة البريطانية على اصدار تصريح رسمي تحقيقا للاطماع الصهيونية (٣) ٠

ولهذا الغرض أعدت عدة صيغ (٤) أفرغت أخيرا في صيغة واحدة تضمنتها رسالةبعث بها بلفور وزير الخارجية البريطانية الى روتشيلد احد زعماء الصهاينة الذى تقدم بالصيغة النهائية باسم الصهاينة ، وهو المعروف بتصريح بلفور الذى صدر في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ونصه :

يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالي الذى ينطوى على العطف على اماني اليهود الصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته ٠ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودى في فلسطين وستبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتي بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الان في فلسطين ولا الحقوق او

---

(١) احمد طربين : فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ص ١٠٥–١١١٠

(٢) آلان تايلور : كيف قامت اسرائيل ص٤٣–٤٨

(٣) محمود منسي :تصريح بلفور ص ٨٢–٨٨٠

(٤) الصيغ التي أعدت هي :

مشروع سوكولوف ١٢ يوليو ١٩١٧

مشروع روتشيلد ١٨ يوليو ١٩١٧

مشروع بلفور أغسطس ١٩١٧

مشروع ملنر أغسطس ١٩١٧

مشروع ملنر ــ امرى ٤ آكتوبر ١٩١٧

مشروع وزارة الحرب ١٦ أكتوبر ١٩١٧

المشروع النهائي ٣١ أكتوبر ١٩١٧

انظر حسن صبرى الخولي : مرجع سبق ذكرهــ المجلدالثاني ص ١–٨

الوضع السياسي الذى يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى " (١) .

وأخذت أخبار تصريح بلفور تتسرب الى المنطقة العربية بعد أن نشر هذا التصريح في القاهرة في ٩ نوفمبر ١٩١٧ ، ووصل النبأ الى الملك حسين في الحجاز الذى طلب من الحكومة البريطانية ايضاحا لهذا التصريح ، ولم يكن بامكان الحكومة البريطانية أن تتجاهل هذا الطلب لان ذلك قد جاء بعد أن علم الملك حسين باتفاقية سايكس بيكو كما أن العمليات العسكرية البريطانية لم تنته بعد في المنطقة العربية،فان أية تجاهل لمطالب الشريف قد يؤثر على مسيرة الثورة العربية .

ولهذا أوفدت الحكومة البريطانية هوجارت أحد رؤساء المكتب العربي في القاهرة ومن الخبراء في الشئون العربية لمقابلة الملك حسين في جدة ، وقد أوضح المبعوث البريطاني للملك حسين الامور المتعلقة بفلسطين بقوله :

" نحن مصممون الا يخضع شعب لشعب آخر .. ولكن بالنظر الى أن في فلسطين معابد وأوقاف وأماكن مقدسة للمسلمين وحدهم أو اليهود وحدهم أو المسيحيين وحدهم .. فيجب أن يقام نظام خاص بخصوص هذه الاماكن .. ولما كان الرأى العام اليهودى في العالم يميل الى عودة اليهود الى فلسطين .. ولما كانت حكومة جلالته تنظر بعين الرضى الى تحقيق هذا الامل فان حكومة جلالته مصممة على أن لا توضع عقبة في سبيل تحقيق هذا الامل حيث لا يتعارض مع حرية الاهالي الموجودين من الناحيتين الاقتصادية والسياسية " (٢) .

بهذه الزيارة التي قام بها المبعوث البريطاني تمكنت الحكومة البريطانية من الاستمرار في خداع الشريف وتهدئة خواطره بعرضها صورة غير واضحة عن حقيقة تصريح بلفور ، وهذا واضح من جواب الشريف حسين لهوجارت حيث قال : اذا كان الهدف من تصريح بلفور هو ايجاد مأوى لليهود من الاضطهاد فانه سيبذل نفوذه لتحقيق هذا الهدف كما أنه يقبل الترتيبات الخاصة لتنظيم الاشراف على الاماكن المقدسة في فلسطين على أن يكون للعرب السيادة في هذه المنطقة " .

وكذلك تعهد بتهدئة خواطر اتباعه في المنطقة العربية والعمل على ازالة مخاوفهم عن طريق التأكيد لهم بأن استيطان اليهود في فلسطين لا يتعارض مع الوعود البريطانية تجاه العرب في تحقيق استقلالهم (٣) .

كان تصريح بلفور مثارا للجدل والمناقشة كغيره من الوعود التي أصدرتها بريطانيا خلال الحرب فيما يتعلق بفلسطين والسبب في هذا غموض الصياغة اللفظية لنص هذا التصريح ، ولواضعيه مقاصد من ذلك ، فالنص على " تأسيس وطن قومي للشعب اليهودى في فلسطين " مع أن هدف الصهيونية هو اقامة دولة يهودية جاء بقصد الحصول على تأييد اليهود

---

(١) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المجموعة الاولى ١٩١٥ - ١٩٤٦ ص ٨٧ .

(٢) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ـ المجموعة الاولى ١٩١٥ - ١٩٤٦ ص ٧٧ - ٧٨ .

(٣) عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية ص ٢٢ - ٢٣ .

الذين كانوا يعارضون تأسيس دولة يهودية حتى لا يؤثر ذلك على وضعهم السياسي في البلاد التي يقيمون بها أو يحملون جنسيتها ، أو أن ذلك جاء بقصد تخفيف المفهوم على أبناء البلاد تجنبا لاثارتهم .

ويبدو التناقض واضحا في عبارات هذا النص فتأسيس وطن قومي لليهود يتعارض مع المحافظة على حقوق أهل البلاد ، كما أن التعهد بالمحافظة على حقوق اليهود في البلاد الاخرى يتناقض مع التنفيذ الذى لا يتم الا بانتقال اليهود في البلاد الاخرى الى فلسطين لتأسيس الوطن القومي اليهودى في فلسطين وبمجرد الانتقال يفقد اليهود قوميته وجنسيته وهذا بالتالي يؤثر على وضعهم وحقوقهم السياسية .

واضح مدى الاجحاف الذى لحق بعرب فلسطين من هذا التصريح فاغفال ذكرهم ووصفهم بأنهم طوائف بمعنى أنهم أقليات في البلاد يخالف تماما واقع الامر لان عرب فلسطين كانوا يشكلون ٩١ في المائة من السكان في حين أطلق التصريح عبارة الشعب اليهودى على اليهود المشتتين في أنحاء العالم (١) .

ان التصريح يخلو من الالتزام لتنفيذ ما جاء فيه حيث أن التصريح نص على " أن حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي .. " ولعل الحكومة البريطانية قصدت من استخدام كلمة العطف ابراز اليهود على أنهم جماعات مضطهدة وبحاجة الى مساعدة وتعاطف أو أن ذلك جاء كخط رجعة للحكومة البريطانية اذا ما واجهت أية معارضة خاصة وان التصريح صدر في وقت لم يكن للحكومة البريطانية حق التصرف في هذه المنطقة .

ومهما يكن فان تصريح بلفور يتناقض تماما مع الوعود التي سبق وأن توصلت اليها بريطانيا مع فرنسا من خلال اتفاقية سايكس بيكو أو مع العرب من خلال مراسلات الحسين مكماهون (٢) لان وضع فلسطين بموجب اتفاقية سايكس بيكو كان وضعا دوليا في حين يتضح من تصريح بلفور دور الحكومة البريطانية تجاه اليهود وربطهم بفلسطين ، كما أن التصريح يتعارض مع ما تم التوصل اليه مع الشريف حسين لان فلسطين كانت جزءا من الدولة العربية المتوقع اعلانها بعد نهاية الحرب في حين أن تصريح بلفور عمل على فصل فلسطين عن المنطقة العربية .

وتتميما للموضوع يمكن القول أن التصريح كان بمثابة اذن رسمي دولي للنشاط الصهيوني استخدمته الصهيونية للانطلاق نحو فلسطين وفي هذا تحقيق لاطماع الصهيونية حيث لم يعد الامر يقتصر على تسلل جماعات من اليهود الى فلسطين بل ان الامر أصبح بموجب هذا التصريح يتضمن تدفق موجات من الهجرة الاستيطانية في ظل " الشرعية " التي تضمن لها انتزاع الارض من أصحابها العرب ، خاصة بعد أن نجحت بريطانيا في تضمين صك انتدابها على فلسطين لتصريح بلفور .

---

(١) حسن صبرى الخولي : مرجع سبق ذكره ، المجلد الاول ص ١٨٥ — ٢٢١ .
(٢)
(2) Henry Cattan: Palestine and International Law, p. 16-17.

الفصـــل الرابـــع

==============

المجتمع العربي الفلسطيني خلال الحرب العالميـــة الاولـــى

" أوضاعـه الاجتماعيـة والاقتصاديـــة "

المجتمـــع الحضـرى :

المدن الفلسطينية ، العائلات الفلسطينية ، التعليم والصحافة ، الطوائف المسيحية . الارتباكات المالية ، توقف الحركة التجارية الداخلية والخارجية ، مستوى المعيشـية توقـف الاعمـــال الصناعيـــة .

المجتمـــع الريفـــي :

المعالم البارزة في المجتمع الريفي ، حالة الزراعة قبل الحرب ، تأثير الحرب العالـــمية على الزراعـــة .

المجتمـــع البـــدوى :

التكوين الاجتماعي ، تأثير الحرب على المجتمع البـــدوى .

* * *

نعرض في هذا الفصل لاوضاع المجتمع العربي الفلسطيني (١) بأنماطه الثلاثه : الحضرى الريفي ، والبدوى خلال الحرب العالمية الاولى وقبل تأسيس الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين أواخر عام ١٩١٧ من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ، ولن يتطرق البحث الى الحديث عن المعلومات الخلفية لهذه النواحي ، الا بقدر يساعد على المقارنة لابراز مدى تأثير الحرب على هذا المجتمع .

ولما كان المجتمع الحضرى (مجتمع المدينة) يتميز عن المجتمع الريفي أو البدوى بوجود العائلات المتنفذة وبوجود مراكز للنشاط التجارى والمصرفي وبوجود بعض مراكز الاعمال الصناعية ، لذا فان بيان أثر الحرب العالمية على المجتمع الحضرى يقتضي التعرض لهذه الاعتبارات :

الوضع الاجتماعي :

استقرت العائلات العربية الفلسطينية في العديد من المدن وكان لكل مدينة من هذه المدن وضع خاص أثر على ابوازها وميزها عن غيرها من المدن . فمدينة القدس مدينة تاريخية قديمة جدا ذات مكانة دينية أهلتها لتكون أكثر المدن الفلسطينية ازدحاما بالسكان ، فبعد أن بقيت هذه المدينة رهينة سورها ثلاثة قرون (٢) انطلقت منذ عام ١٨٥٨ في اقامة المباني السكنية في المناطق خارج السور (٣) منها المباني التي أقامها الروس لاستقبال وفود الحجاج المتزايدة الاعداد (٤) ، كما أقام الالمان منشآت عمرانيةكمدرسة شنلر ، وشيدت عدة بيوت صغيرة لاستيعاب وفود المهاجرين اليهود (٥) زادت هذه الوفود عددا حتى شكلت موجات للهجرة اليهودية بعد عام ١٨٨٢ ، وقد أدى ذلك الى تفوق عدد اليهود في هذه المدينة دون غيرها من المدن الفلسطينية فقد بلغ عدد سكان مدينة القدس في عام ١٩١٢ حوالي ٩٠ ألف شكل اليهود ثلثي السكان (٦) في هذه المدينة ، وبسبب أحداث الحرب العالمية تناقص عدد السكان في مدينة القدس الى ٤٨ ألفا فقط (٧) .

أصبحت هذه المدينة مركزا المتصرفيه ممتازة بعد أن كانت مركزا للواء يتبع ولاية دمشق ، وترتب على ذلك تشييد عدد كبير من الدوائر الحكومية وغير الحكومية ، ومما ميز هذه المدينة عن غيرها تشكيل مجلس لعموم اللواء بالاضافة الى المجالس الادارية على مختلف مستوياتها (٨) فاذا

---

(١) انظر الفصل الثاني الخاص بالطوائف اليهودية .
(٢) عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ص ٣٠٣ .
(٣) Wortabet: Syrian and Syrina, pp. 200-206.
(٤) Watson: The city of Jerusalem p. 281.
(٥) F.O. 78/1588 No. I. January-Jerusalem 1861.
(٦) الهلال : المجلد الثاني السنة ٢٢ — ١٩١٣ ص ١٢٤ — ١٢٥ .
(٧) خليل طوطح وبولس شحادة : تاريخ القدس ودليلها ص ٨٤ — ٨٥ .
(٨) أرشيف رئاسة الوزراء ، القدس سجل مجلس اللواء العمومي لعام ١٣٣٠ — ١٣٣١ رومي .

كانت مدينة القـدس قد تميزت عن غيرها من المدن الفلسـطينية من حيث المكانة الدينية والمكانة الاداريـة الا انها من ناحية التقسيمات العسكرية كانت في المرتبة الثانية بعد عكا (١) .

أما مدينة يافا فلم تقتصر أهميتها على الناحية التجارية بل كانت ميناء هاما لاستقبال الحجاج والزوار القادمين الى القدس (٢) فقد كان يصل اليها سنويا حوالى ١٥ ـ ٢٠ ألف حاج وزائر (٣) وزادت اعداد هم بعد أن ربطت هذه المدينة بالسكك الحديدية مع القدس (٤) وأدى ذلك الى زيادة عدد الفنادق في مدينة يافا (٥) وظل المسلمون يشكلون في هذه المدينة أغلبية السكان الى أن أخذت نسبتهم تنخفض بسبب تدفق موجات الهجرات اليهودية الامر الذى أدى الى تشييد أحياء جديدة للعرب واليهود خاصة بعد أن كان سور المدينة قد هدم (٦)

تساوت هذه المدينة بمدينة نابلس في حجم الحاميات العسكرية علما بأن مدينة نابلس مركز للواء في حين أن مدينة يافا مركز للقضاء وهذا يميزها عن غيرها من المدن التى تتساوى معها في الترتيب الادارى .

وبرزت مدينة الخليل بسبب موقعها في جنوب البلاد الامر الذى مكنها لتكون مركزا للتبادل التجارى مع القبائل البدوية في منطقة بئر السبع ، كما اشتهرت هذه المدينة بصناعة الزجاج وبقي اليهود أقلية بالرغم من أهمية هذه المدينة الدينية بالنسبة لهم لنفور أبناء المدينة في اقامة الاجانب بينهم (٧) وكذلك برزت مدينة غزة بسبب العلاقات التجارية مع القبائل البدوية في جنوب فلسطين فقد تعددت في هذه المدينة الاسواق ، كسوق الحيوانات أو الحبوب التي كان يفد اليها أبناء القرى والمناطق المجاورة (٨) .

ومن المدن الفلسطينية الهامة مدينة نابلس التي تلي مدينة القدس في الاهمية وتمتاز بموقعها في قلب المنطقة الوسطى من فلسطين مما يوفر لها الاتصال مع المدن الاخرى ، ويلاحظ أن النمو السكاني في هذه المدينة سار بشكل بطيء (٩) اذا ما قورن ذلك بالتطور الذى حدث

---

(١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٥٠ ـ ٢٥٤ .

(٢) أرشيف استانبول : مجلس وثيقة ٢٢٤٢٦ ـ ٢٩ ربيع أول ١٢٨٠ هـ .

(٣) A Guide Book to Southern Palestine, Vol. 1. pp. 21-28.

(٤) الكوكب : ٧٠ ـ ٢٨ نوفمبر ١٩١٧ .

(٥) Macmillanes Guied, Palestine and Egypt, pp. 7-15.

(٦) Tolkowsky: The Gateway of Palestine. p. 162.

(٧) عبد العزيز : متصرفية القدس ، رسالة دكتوراه غير منشوره .

(٨) عارف العارف : تاريخ غزة ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠ .

(٩) Yehoshua Ben-Arieh: "The population of the large town in Palestine during the first eighty years of the Nineteenth centuary according to western sources" Studies on Palestine during Ottoman period, Jerusalem 1975. pp. 47-67.

في عدد السكان في القد س او يافا (١) ، وشكل المسلمون غالبية سكانها وبقيت نسبة اليهود أو المسيحيين في هذه المدينة ضئيلة (٢) ، ومدينة نابلس هي المدينة الوحيدة التي تضم بقايا طائفة السامرة (٣) ، وهي أقل الطوائف الدينية في العالم ، ويتوزع السكان بمختلف مذاهبهم على ستة محلات (حارات) وبرزت هذه المدينة على غيرها في صناعة الصابون لتوفر زيت الزيتون اللازم لذلك بكميات وأفرة في المناطق المجاورة لهذه المدينة (٤) ٠

وبالرغم من أن المكانة الادارية لهذه المدينة تتساوى مع مدينة عكا على اعتبار أن كلا منها مركزا للواء ـ الا أن التفاوت واضحا في حجم القوات العسكرية بين المدينتين تمشيا مع سياسة الدولة العثمانية في تدعيم المناطق الساحلية ٠

ولمدينة عكا تاريخ طويل بالاحداث كانت خلال ذلك المركز الادارى ، والسياسي والتجارى لفلسطين ، غير أن هذه المكانة بدأت بالانكماش أواخر العهد العثماني بسبب نمو المدن الاخرى كالقدس ، ويافا ، وحيفا حتى أصبحت تفوق مدينة عكا في أهميتها السياسية والتجارية والدولية (٥) ، وشكل المسلمون غالبية السكان في هذه المدينة وبقيت الطوائف الاخرى أقليات (٦) ولعل السبب في ذلك هو أن موجات الهجرات اليهودية كانت تتركز في القدس وصفد وطبرية ، برزت هذه المدينة على غيرها من المدن الفلسطينية في حجم الحاميات العسكرية ونوعها (٧) ٠

وكانت مدينة حيفا مركزا للقضاء ومركزا لمديرية السكة الحديدية الحجازية بعد وصولها بالخط الحديدى الحجازى في عام ١٩٠٧ فأصبحت محطة للحجاج المسلمين الامر الذى أدى الى تطور الحركة التجارية في المدينة (٧) ، وشكل المسلمون نصف عدد سكان هذه المدينة وغالبية النصف الثاني من المسيحيين والباقى من اليهود (٨) ٠

وكذلك كانت مدينة الناصرة مركزا للقضاء ـ ونظرا لموقعها في شمال البلاد اتخذت مركزا للقيادة

---

(1) Tolkowsky: op. cit., p. 162.

(٢) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ـ الجزء الثاني ـ القسم الثاني ص٢٠٦ ـ ٢٠٨ ٠

(٣) من طوائف اليهود ينسبون أنفسهم الى سبطيلاوى ويوسف عليه السلام ، ويعزو السامريون سبب انشقاقهم عن اسباط اسرائيل لخلاف ديني ، وسبب تسميتهم بذلك يرجع الى شخص اسمه سامر ، اشترى مدينة سبسطية ثم جاء بختنصر البابلي واحتل سبسطية ونفى الاسرائيليين ودعاهم بالسامرة ، بلغ عدد السمـرة مع نهاية الحرب حوالي ١٦٥ وهم خمسة عائلات : الكهنه ، الطيف ، السراوى ، صدقه ، مفرج يوشع ٠ انظر محمد كرد على : خطط الشام ـ الجزء السادس ص ٢٣٠ ـ ٢٣٥ ٠

(٤) محمد بهجت ورفيق التميمي : مرجع سبق ذكره ص ١١١ ـ ١٢١ ٠

(٥) فائز الكردى : عكا بين الماضي والحاضر ، من مقدمة الكتاب لبطرس ابو منه ٠

(٦) محمد بهجت ورفيق التميمي : مرجع سبق ذكره ص ٢٧١ ـ ٢٧٩ ٠

(٧) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٥٠ ـ ٢٥٤ ٠

(٨) جميل البحرى : تاريخ حيفا ص ٩ ـ ٣٥ ٠

الالمانية التركية خلال الحرب كما وجد فيها مخزن (منزل) لتموين الجيش في المناطق الشمالية ومعظم سكان هذه المدينة من المسلمين والمسيحيين كان لكل منهم حارة (محله) خاصة بهم (١)

تعرض أبناء العائلات الفلسطينية لظروف الحرب العالمية كغيرهم من أبناء البلاد ، فقد استجابوا للتجنيد عند اعلان التعبئة العامة في البلاد (٢) ، وساهموا في تقديم الاعانات الحربية بشكل فردى أو جماعي ومن ذلك ما قدمه سليم الاحمد زعيم عائلة عبد الهادى في نابلس وبلغ حوالي ٤٠ ألف جنيه (٣) ٠

ويصور أحد الباحثين الفلسطينيين مدى تأثير الايام الاولى من الحرب وقبل ان تدخلها تركيا على أبناء العائلات بقوله : علمتنا هذه الحرب الاقتصاد بل التقتير ٠٠ اذا كان للازمات فائدة فان الاقتصاد والتدبير أهم فوائدها ٠٠ انالناس هجروا أسباب السرور والتلهي والف الناس الضيق (٤) ٠

كما كان للشهور الاولى التى سبقت اشتراك تركيا في الحرب تأثير على أبناء مجتمع المدينة ، وربما يكون التأثير بصورة أكثر وقعاعليهم من غيرهم ذلك لان التقلبات الاقتصادية التي حدثت في المدينة كتوقف النشاط والحركة التجارية واغلاق البنوك وارتفاع الاسعار وقلة السلع المعروضة أصابت الموارد الاساسية لمعيشتهم في حين أن أبناء الريف أو البدو كانوا يعتمدون على مواردهم المحلية (٥) ، كما أن البدل النقدى الذى كان يدفع مقابل الاعفاء من الخدمة العسكرية أضاف عبئا جديدا على الاعباء السابقة فتحمل أبناء العائلات دفع البدل النقدى على مدى سنوات الحرب ، في حين أن أبناء الريف ممن لم ينضموا للخدمة العسكرية وكان عليهم بالتالي أن يدفعوا البدل النقدى كانوا يختفون عن أنظار السلطات العثمانية تهربا من ذلك (٦) ٠

ويصور نفس الباحث أوضاع أبناء العائلات الفلسطينية بعد أن أخذت الدولة العثمانية تتشدد في تنفيذ الخدمة العسكرية عندما دخلت الحرب الى جانب دول الوسط ، فيقول أن البعض من أبناء العائلات قد استجاب لذلك في حين أن البعض الاخر حاول التخلص من الخدمة العسكرية أو العمل على أن تكون هذه الخدمة داخل المدينة أو في المناطق القريبة البعيدة عن مخاطر الحرب مستخدمين في ذلك نفوذ أسرهم أو نفوذ بعض الوجهاء للتوسط لدى السلطات العسكرية التى لم تستجب لذلك وهذا يدل على أن وزن العائلات بدأ يقل لانها لم تعد تتمكن من تنفيذ ما كانت تقدر عليه من قبل وأن كان ذلك في ظل ظروف حرب محدودة وليست عالمية (٧) ٠

---

(١) أسعد منصور : مرجع سبق ذكره ص ١٢ ـ ١٧ ٠
(٢) المقطم : ٧٧٢٠ ـ ١٤ أغسطس ١٩١٤ ٠
(٣) الكوكب : ٢٨ ٦ فبراير ١٩١٧ ٠
(٤) خليل السكاكيني : مرجع سبق ذكره ص ٧٦ ـ ٨٠ ٠
(٥) المقطم : ٧٧٢٠ ـ ١٤ أغسطس ١٩١٤ ٠
(٦) المقطم : ٧٧٧٩ ـ ٢٣ أكتوبر ١٩١٤ ٠
(٧) خليل السكاكيني : مرجع سبق ذكره ص ٨٥ ـ ٨٦ ٠

ومن الاجراءات التي كان لها تأثير على أوضاع العائلات العربية الفلسطينية تعطل المؤسسات الحكومية ولاجنبية ، ذلك لان العديد من أبناء العائلات كانوا من بين العاملين في هذه المؤسسات ، فأدى الى انقطاع مواردهم وهم في غمرة الحرب (١) .

أصابت سياسةالتنكيل التي مارسها جمال باشا في سوريا بعض العائلات الفلسطينية بحكم كونهم من ابناء البلاد المستنيرين أو بسبب مواقفهم تجاه السياسة الاتحادية الرامية الى تتريك العناصر غير التركية بجعل اللغة التركية اللغة الرسمية للتعليم ، من ذلك عائلة عبد الهادى في نابلس وهي من بين العائلات التي تشملها حامولة أبو بكر (٢) الحجازية الاصل التي استقرت في عرابة (٣) ، وبعد أن أبرزتها الاحداث والنزاعات العائلية المحلية في البلاد خلال القرن التاسع عشر ، تشتت افراد هذه العائلة بسبب سياسة جمال باشا (٤) ، التي أصابت احد أبنائها البارزين هو سليم الاحمد عبد الهادى الذى تقلب في عدة مناصب ادارية في نابلس منها محكمة العدلية وعضوية مجلس الادارة في المدينة وكان خلالها نصير الفلاح وساعده الايمن كما كان لزعيم هذه العائلة فضل على التعليم فقد عمل على تأسيس مدرسة في مركز اللواء ، وان كانت هذه المدرسة قد أسست على النحو الذى لا يريده فقد أدخلت اللغة التركية الى جانب اللغةالعربية ، كما وقف سليم الاحمد مدافعا عن حقوق العرب ومناصرا لمطالبهم في تطبيق الحكم اللامركزى في المنطقة العربية ، ولهذهالمواقف سيق الى مشانق الاعدام في عاليه حيث الديوان العرفي لمحاكمةزعماء العرب في بلاد الشام (٥) .

و من أصابتهم سياسة جمال باشا في لواء نابلس الشيخ سعيد الكرمي وهو من ابناء مدينة طولكرم وتلقى علومه في الازهر فأهله ذلك لتولي مناصب ادارية كعضوية مجلس ادارة القضاء وعضوية مجلس المعارف ثم أصبح مفتشا للمعارف وأبدى خلال ذلك نشاطا برز في افتتاح عدة مدارس في مدن وقرى القضاء ، كما وقف في وجه الحكومة الاتحادية عندما اخذت بسياسة التتريك في المدارس العربية وبسبب هذا الموقف وبسبب التهمة التيوجهت اليه بالانتماء الى حزب اللامركزية سيق الى الديوان العرفي حيث صدر ضده حكم بالاعدام ثم خفف الى السجن المؤبد (٦) .

وفي القدس أصيبت عائلة الحسيني التي ترجع في نسبها الى الحسين بن علي ، فلقد استقر أبناء هذه العائلة في القدس وغزةوكانت عائلة ذات نفوذ وعلم اتاحا لبعض أبناء هذه العائلة فرصة تولي مناصب هامة في البلاد كمنصب رئاسة البلدية والافتاء الشرعي (٧) ، اصيبت

---

(١) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، الجزء الثالث القسم الثاني ص ٧٠ — ٨٠ .
(٢) تضم القبيلة عدد من العشائر والعشيرة عددا من الحمائل والحمولة تضم عدد من العائلات .
(٣) كانت عرابة في عام ١٩٠٨ مركزا لناحية الشعراوية التابعة لقضاء جنين المرتبطة بلواء نابلس انظر : مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين — الجزء الثالث القسم الثاني ص ٧١ — ٢٢٠ .
(٤) الكوكب : ٢٧ — ٣٠ يناير ١٩١٧ .
(٥) الكوكب : ٢٨ — ٦ فبراير ١٩١٧ .
(٦) الكوكب : ٥٢ — ٢٥ يوليو ١٩١٧ .
(٧) الهلال : المجلد الثاني — السنة ٢٢ نيسان ١٩١٤ ص ٥١٣ — ٥١٥ .

هذه العائلة بتنكيل جمال باشا اتاحا تنفيذ حكم بالاعدام في أحد أبنائها البارزين هو احمد عارف الحسيني الذى كان يشغل مذهب الافتاء في غزة ، وفي ابنه الضابط فقد اعدما معا في مدينة القدس (١) كما تعرضت عائلة الخالدى لسياسة جمال باشا وهذه العائلة عربية النسب استقرت في قرية الدير (٢) فعرفت بعائلة الديرى وذلك قبل انتقالها الى القدس حيث عرفت باسم الخالدى نسبة لاحد رجالها وأن كان البعض يرى أن نسب هذه العائلة يعود الى خالد بن الوليد (٣) .

وكذلك تعرضت عائلة النشاشيبي في القدس وهي تركمانية الاصل لسياسة جمال باشا فقد نفذ حكم الاعدام فى أحد أبنائها (٤) .

وفي يافا أصيبت عائلة السعيد بسياسة جمال باشا وهي من العائلات العربية النسب ، وقد استقر أبناؤها في بداية الامر في قرية حجة من قرى نابلس ثم انتشروا في المدن الفلسطينية لكن غالبيتهم استقرت في يافا (٥) ، وبرز من أبنائها حافظ السعيد الذى تولى عدة مناصب ادارية وقضائية في البلاد ، وانتخب نائبا في مجلس المبعوثان ووقف الى جانب اخوانه من النواب العرب مدافعا عن الحقوق العربية ؛ منتقدا السياسة الاتحادية ومناصرا الحركة العربية لذا سيق الى الديوان العرفي وصدر بحقه حكم الاعدام ثم خفف الى السجن المؤبد (٦) .

كما أبعد العديد من أبناء هذه المدينة ، ومنهم توفيق الدجاني وعمر البيطار وشكرى التاجي الفاروقي (٧) واستمرت سياسة جمال باشا التنكيلية تجاه العائلات الفلسطينية كغيرها من العائلات فى المنطقة العربية حتى اعلان الثورة العربية ١٩١٦ . وقد كان لهذه السياسة أثر على الوضع الاسرى والعائلي في البلاد حيث أن العديد من العائلات الفلسطينية فقدت زعماؤها وتشرد أبناؤها .

يرتبط بالحديث عن العائلات حديث عن التعليم الذى تأثر بظروف الحرب العالمية ، لان التعليم كان من الدعائم الاساسية التى استندت اليها العائلات استكمالا لمقومات زعامتها .

وكان المظهر الديني هو المظهر المميز للتعليم قبل عصر التنظيمات ، فقد وجد في البلاد مدارس تعليمية خاصة بالصغار عرفت بالكتاب تلقى فيها الطلاب مبادئ الكتابة والحساب والقرآن ، وتنتهى هذه الدراسة بعد ختم القرآن ، ومدارس خاصة بالكبار بهدف تعليم العلوم الدينية الشرعية ويبقى الطالب في هذه المدارس مواظبا على حضور حلقات الدرس الى أن يجاز من صاحب الحلقة .

---

(١) الكوكب : ٢٩ - ١٣ فبراير ١٩١٧ .
(٢) قرية الدير بالقرب من مردا من قرى نابلس .
(٣) ناصر الدين الاسد : محمد روحي الخالدى ص ٣٣ - ٣٤ .
(٤) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين - الجزء الاول - القسم الثاني ص ٣٤٧ .
(٥) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة - الجزء الاول ص ١٨٦ - ١٩٦ .
(٦) الهلال : المجلد السابع - السنة ٢٢ نيسان ١٩١٤ ص ٥١٣ - ٥١٥ .
(٧) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين الجزء الرابع - القسم الثاني ص ٢٨٩ - ٢٩٧ .

فاذا كانت هذه المدارس ق. خدمت عامة الناس فان الاثرياء من أبناء البلاد كانوا يعتمدون على تعيين معلمين خصوصيين ليشرفوا على تعليم أبنائهم (١) .

تعددت الكتاتيب والمدارس في المدن الفلسطينية (٢) ، نظرا للدور الذى قامت به في تعليم كبار السن أمورهم الدينية أو في تعليم صغار السن الكتابة والقراءة .

لم يكن التعليم في نظر الدولة العثمانية من واجباتها الاساسية بل تركت للاهالي يتدبرون أمور التعليم بأنفسهم ، وبقي الحال كذلك الى أن أصدرت الدولة العثمانية نظام المعارف ١٨٦٩ بقصد تنظيم المدارس في ولاياتها حيث قسمت المدارس الى قسمين :

- المدارس الحكومية (العمومية) : تعود هذه المدارس في نظارتها وادارتها للدولة وقسمت الدراسة فيها الى خمس مراحل : ابتدائية ، رشدية ، اعدادية ، سلطانية ، عليا .
- المدارس الخصوصية : تكون نظارتها للدولة اما تأسيسها وادارتها فتكون لافراد أو جماعات من الرعايا أو من الاجانب (٣) .

وبموجب ذلك تأسست في البلاد عدة مدارس أهلية منها في القدس مدرسة روضة المعارف الوطنية (١٩٠٦) (٤) والمدرسة الدستورية (١٩٠٩) (٥) . وضمن هذا الاتجاه حاول فضلاء نابلس تأسيس مدرسة وطنية في المدينة غير أن رغبتهم قوبلت بالرفض من المتصرف التركي فتحي بك . (٦) كما أسست عدة مدارس حكومية في البلاد وهي وأن كانت قد فتحت أمام جميع رعايا الدولة ، الا أنها في الواقع كانت مقتصرة على أبناء المسلمين (٧) ، وجميع هذه المدارس ابتدائية باستثناء مدارس معدودة كانت مدارس رشدية أو اعدادية .

يمكن تقويم دور هذه المدارس الخصوصية منها والعمومية من خلال احصائية عن التعليم لعام ١٩١١ يظهر منها أن مجموع من كانوا في سن التعليم حوالي ٣٨٫٠٥٣ طالب و ٣٥٫٥٨٤ طالبة (٨) ، ساهمت المدارس الحكومية في استيعاب ٦٫١٠٤ طالب بنسبة ١٦ بالمئة من المجموع وساهمت المدارس الحكومية أيضا في استيعاب ١٫٥٠٤ طالبة أى بنسبة ٤٫٥ بالمئة في حين ساهمت المدارس الخصوصية (أهلية وأجنبية) في استيعاب ٦٫٩٧٤ طالب بنسبة ١٨ بالمئة من مجموع الطلاب واستيعاب ٢٫٦٧٣ طالبة بنسبة ٧٫٥ بالمئة .

وبهذا فان مجموع ما ساهمت به المدارس الحكومية والخصوصية وصل الى ١٣٫٠٧٨ طالب أى بنسبة ٣٤ بالمئة وبهذا يكون حوالي ٢٥ ألف طالب خارج نطاق التعليم .

---

(١) أحسان النمر : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ـ الجزء الثاني ص ٦٥ ـ ٦٧ .
(٢) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس ، رسالة دكتوراه غير منشوره .
(٣) الدستور : المجلد الثاني ص ١٥٦ ـ ١٧٤ .
(٤) برنامج كلية روضة المعارف الوطنية ـ القدس ص ٣ ـ ٣٥ .
(٥) خليل السكاكيني : مرجع سبق ذكره ص ٥١ ـ ٥٢ .
(٦) الكوكب : ١٥٣ ـ ١٢ أغسطس ١٩١٩ .

ومجموع ما ساهمت به هذه المدارس معا بخصوص مدارس الاناث يصل الى ١٧٧ر٤ أى بنسبة ١٢ بالمئة وبهذا يبقى خارج نطاق التعليم حوالي ٤٠٠ر٣١ طالبة .

وبمقارنة ما ساهمت به المدارس الخصوصية بما ساهمت به المدارس الحكومية نجد أن المدارس الاولى ساهمت بنسبة أكبر مما ساهمت به المدارس الحكومية سواء بالنسبة لمدارس الذكور أو الاناث وهذا يدل على أن اعتماد المواطنين كان أكثر على المدارس الخاصة .

وأورد طيباوى احصائية عن التعليم في فلسطين لعام ١٩١٤ على النحو الاتي (١) .

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد المعلمين	عدد الطلاب والطالبات	من هم في سن التعليم
حكومية	٩٨	٢٣٤	٢٤٨ر٨	٩٣٣ر٧١
اسلامية أهلية	٣٧٩	٤١٧	٧٠٥ر٨	٩٣٣ر٧١

بمقارنة هذه الارقام المتعلقة بالمدارس الحكومية والمدارس الاهلية يبدو لنا أن المدارس الاهلية ساهمت بنصيب أكبر قليلا اذ استوعبت من الطلاب ممن هم في سن التعليم بنسبة ١٢ بالمئة في حين استوعبت المدارس الحكومية ٥ر١١ بالمئة وهذا يعطى اشارة الى أن الحكومة كانت تعتمد بدرجة كبيرة على المدارس الاهلية في مهمة التعليم . كما يلاحظ من هذا أيضا أن هذه المدارس الحكومية والاهلية استوعبت حوالي ٥ر٢٣ بالمئة ممن هم في سن التعليم ، الامر الذى حرم غالبية الاهالي من التعليم . (٢) .

فاذا كانت هذه الاحصائية تشير الى مدى اسهام المدارس الاهلية بالتعليم فان ابعادا أخرى يمكن التوصل اليها اذا نظرنا الى هذه الاحصائية من جوانب أخرى ، فواضح من هذه الاحصائية الامور الاتية :

- ان عدد المدارس الاهلية أكثر من المدارس الحكومية .
- ان عدد المعلمين في المدارس الاهلية أكثر مما هو عليه في المدارس الحكومية .
- ان عدد الطلاب في هذه المدارس متساوا .

يفهم من هذه المعادلة الامور الاتية :

- أن المعلم في المدارس الاهلية يقوم بتدريس حوالى ٢٠ طالبا في حين أن المعلم في المدارس الحكومية يقع على عاتقه تدريس ٣٥ طالبا ، ومعنى هذا أن فرصة الاستيعاب أمام الطالب في المدارس الاهلية أفضل مما هي عليه في المدارس الحكومية وبالتالي نتائج أفضل في مستوى الطلاب التعليمي .
- ان كل مدرسة من المدارس الاهلية تضم ما متوسطه ٢٣ طالبا فقط أما المدارس الحكومية فمتوسط عدد الطلاب فيها حوالي ٨٤ طالب . وهذا يعطي بعدا آخر حيث أن المدارس القليلة العدد تكون فيها الدراسة أفضل من غيرها حيث يتاح للطالب فرصة أخرى وبشكل أشمل للدراسة .

---

(١) (1) Tibawi: Arab Education in Mandutory Palestine P19-20

(٢) (2) Tibawi: Arab Education in Mandutory Palestine P19-20

ـ ان كل مدرسة من المدارس الاهلية مخصص لها معلمان أكثر مما هو مخصص للمدارس الحكومية ، فحسب هذه الاحصائية يلاحظ أن نسبة المعلمين في هذه المدارس ٢ : ١ لصالح المدارس الاهلية بمعنى أن عدد المعلمين يكون في المدارس الاهلية بنسبة مضاعفة لما هو الحال في المدارس الحكومية مما يعطي اشارة الى وجود العدد الكافي من المعلمين للطلاب وهذا يتيح لهم الدارسة بشكل منتظم ومنضبط أكثر مما هو الحال في المدارس الحكومية .

هذه الاعتبارات تبرز دور أهمية المدارس الاهلية عن دور المدارس الحكومية وان تساوت في نسبة الاسهام ، وضمن هذه الاعتبارات التي من الممكن أن تضيف عليها أن المدارس الاهلية كانت تستخدم اللغة العربية في وقت بدأت فيه الدولة العثمانية في العهد الدستورى باستخدام اللغة التركية ضمن سياسة التتريك في البلاد العربية .

يمكن من خلال هذا كله فهم مدى اقبال بعض أبناء البلاد على الدارسة في المدارس الاهلية فقد اتضح أن هذه المدارس أكثر استعداد للتعليم وانها تستخدم اللغة العربية في تدريسها وهذا يعطي بعدا قوميا وموقفا واضحا تجاه الحكم العثماني لان الاهالي كانوا حريصين على أن يحصل أبنا (هم على المستوى العلمي الرفيع .

وتقييما لاوضاع التعليم في فلسطين قبل الحرب العالمية تقول أن أخذ الدولة العثمانية بنظام التعليم الفرنسي وضعها أمام مفارقة واضحة من حيث فلسفة التعليم ، لان التعليم في الدولة العثمانية كان يقوم على الاجهاد الفكرى القائم على التكرار والحفظ غيبا في حين أن فلسفة التعليم الفرنسي كانت تعتمد على التدريب العقلي القائم على الفهم والاستيعاب .

ويلاحظ على التعليم في فلسطين عدم توفر المعلمين المؤهلين بسبب عدم توفر دور لاعداد المعلمين أو المعلمات (١) ، كما تلاحظ قلة مدارس البنات أو بمعنى أدق أنها كانت غير موجودة الا في بعض المدن الفلسطينية (٢) .

حاولت الدولة العثمانية اصلاح أوضاع التعليم في ولاياتها فاتخذت لذلك عدة خطوات منها فرض ضريبة خاصة للتعليم في جميع أنحاء الامبراطورية (٣) كما طلبت من المجالس الادارية في البلاد دراسة أوضاع التعليم وتقديم الاقتراحات لتطوير التعليم ولهذا الغرض قدم مفتش المعراف للمدارس الابتدائية في القدس تقريرا أوضح فيه ضرورة اجراء تغيير على برنامج التدريس والمواد الدارسية وتوفير المعلمين الاكفاء وضرورة توفير الكتب المدرسية في الوقت المناسب وبأسعار زهيدة (٤) .

وتابعت الدولة العثمانية خطواتها لتطوير التعليم فأصدرت في عام ١٩١٣ قانونا بقصد منح مزيد من المسؤلية للقائمين على شؤون التعليم الابتدائي من النواحي الادراية والتعليمية

---

(١) (1) Sabekka: Education in Palestine and British Policies P 3-4.
(٢) (2) Nardi: Op. Cit., P 20-21.
(٣) (3) Abcarius: Op. cit., p 100-101.
(٤) دائرة تسجيل الاراضي : نابلس ، السجل رقم ١٢٧

والمالية (١) .

كما كلفت مجلس المعارف في القدس بحث السبل الكفيلة لتطوير التعليم وخلال مناقشات هذا المجلس طالب بعض الاعضاء بضرورة اعداد دورات تدريبية لتأهيل المعلمين على أساليب التعليم الحديثة وطالب البعض الاخر بضرورة منع المتقدمين من التدخل في شؤون التعليم لان ذلك يؤدي الى وصول غير المؤهلين لممارسة مهنة التعليم (٢) .

واتخذت الدولة العثمانية خطوات عملية في سبيل اصلاح التعليم في فلسطين خاصة وانها نظرت الى التعليم كأساس لتوطيد دعائم الحكم واعداد أبناء العائلات لتولي المناصب الهامة في البلاد (٣) ، فأسست خلال الحرب العالمية الاولى المدرسة السلطانية في القدس لاعداد المعلمين لتولي مهنة التدريس (٤) ، وكانت هذه المدرسة مفتوحة أمام أبناء الامبراطورية حيث حضر ١٥ طالبا من الاستانة لدخول هذه المدرسة في حين بقي لابناء فلسطين عشرة مقاعد فقط ، وحددت رسوم الدراسة بعشرين ليرة عثمانية (٥) .

غير أن سياسة الدولة العثمانية التى انتهجتها لاصلاح التعليم اصطدمت بأحداث الحرب العالمية التي أدت الى اغلاق كثير من المدارس التي اتخذت مراكز للجيش أو للمستشفيات ، أو بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي مر بها الاهالي خلال الحرب العالمية التي لم تمكنهم من السماح لابنائهم من متابعة دراستهم (٦) فسحبوا سعيا وراء ارزاقهم التي انقطعت مواردها بتجنيد الاباء أو ذويهم الاكبر منهم (٧) .

ومن هنا فان أحداث الحرب العالمية وما ترتب عليها من توقف النشاط التعليمي قد أثرت على ما كانت تسعى اليه العائلات وهو أن يتابع أبناؤها تحصيلهم العلمي محليا وخارجيا ليكونوا بهذا مؤهلين لمتابعة دورهم البارز في الحياة الادارية والقضائية والاجتماعية .

ويرتبط بهذا نتيجة أخرى وهي أن الدولة العثمانية لم تتمكن من الاستمرار في سياستها الرامية لتطوير التعليم بقصد تأهيل أبناء العائلات للاعتماد عليهم في توطيد دعائم الحكم خاصة وان العائلات تتمتع بخبرة في النواحي الادارية وبنفوذ على الفلاحين .

---

(١) مقالة نشرت في كتاب (1) Londau: The Ed cational impact of western culture on Traditional society in nineteenth centuary palestine Studies on Bastine during Ottoman period, Jerusalem.1975, the Hebbrew university. P 499-506.

(٢) خليل السكاكيني : مرجع سبق ذكره ص ٧٢ – ٧٨ .

(٣) عبد القادر يوسف : مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية ص٧٧–٨٠

(٤) (4) Tabwi: Arab education in mandutory palestine p19-20.

(٥) فلسطين : ٣٠٣ – ٦ ٨ كانون الثاني ١٩١٤ .

(٦) محمد بهجت ورفيق التميمي : مرجع سبق ذكره ص ٣٣ – ١٣٧ .

(٧) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، الجزء الثاني ، القسم الثاني ص ٢١٢ – ٢١٥ .

ومن الجدير بالذكر أن بعض المدن الفلسطينية كانت مركزا لصحافة عربية خلال الفترة ما بين ١٩٠٨ – ١٩١٨ بسبب ما تمتعت به الصحافة من قسط لا بأس به من الحرية التي واكبت اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ .

كانت مدينة القدس رائدة في هذا النشاط حيث صدرت الصحف الاتية :

القدس الشريف ١٩٠٣ ،، النفير العثماني ١٩٠٨ ، بشير فلسطين ١٩٠٨ ،
الانصاف ١٩٠٨ ، النجاح ١٩٠٨ ، المنادى ١٩٠٢ ،،
الدستور ١٩١٠ ، بالاضافة الى عدد من المجلات الادبية مثل .
الاصمعي ١٩٠٨ ، المنهل ١٩١٢ ، النفائس العصرية ١٩٠٨ .

وبعد أشهر قليلة بدأت تصدر في يافا عدة صحف منها :

الاعتدال اليافي ١٩١٢ ، كلمة الصدق والحرية ١٩١٠ ، ابو شادوف ١٩١٢ ، الاخبار ١٩٠٩ ، الترقي ١٩٠٩ ، فلسطين ١٩١١ وصدر في حيفا عدد مماثل لما صدر في يافا من ذلك جراب الكردى ١٩٠٩ ، العصا لمن عصى ١٩١٢ ، الصاعقة ١٩١٢ ، الحمارة ١٩١١ ، الكرمل ١٩٠٩ (١) .

التقت الصحف فى العديد من المواضيع التي عالجتها من ذلك المواضيع الادبية والسياسية والعلمية والدينية ، والاجتماعية ، ومع هذا انفردت بعض الصحف في طرق مواضيع محددة من ذلك جريدة القدس الشريف وهي الجريدة الرسمية لمتصرفية القدس وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية ، انفردت بنشر الاخبار ذات الطابع الرسمي كترقية الموظفين وأجازتهم ، والاغلب أن العدد الاول من هذه الجريدة صدر في ايلول ١٩٠٣ ، واحتجبت بعد خمسة أعوام ثم عادت للصدور عام ١٩١٣ واستمرت بالصدور بصورة متقطعة خلال الحرب العالمية الاولى ، وكانت الصحيفة الوحيدة التي تصدر خلال الحرب .

كما انفردت جريدة المنادى في الكشف عن مساوئ الحكم التركي ومساوئ السلاطين وبعض المسؤولين في الدولة العثمانية .

وبرزت من بين الصحف العربية في فلسطين جريدة الكرمل في بيان مخاطر الصهيونية في اقامة المزيد من المستعمرات عن طريق شراء الاراضي في وقت بدأ فيه موقف الحكومة الاتحادية أو الائتلافية يتصدع أمام الاموال الصهيونية كما تصدت هذه الصحيفة لقضية الاراضي المدورة التي استثنيت من التطويب ، و ما أن انتهت هذه الصحيفة من موضوع الاراضي المدورة وقد انتهى بتجميد البت فيه حتى أخذت الصحيفة تعمل لتكوين رأى عام في البلاد لمواجهة الخطر الصهيوني عن طريق عقد مؤتمر لاصهيوني في نابلس لاستقطاب الرأى العام الفلسطيني تجاه الصهيونية (٢) ويلاحظ أن عدد الصحف في فلسطين كان كبيرا بالنسبة لعدد السكان

---

(١) يعقوب يهوشع : تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني ١٩٠٨ – ١٩١٨ – ص ٣٣ – ١٣٧ .

(٢) خيرية قاسمية : نجيب نصار في جريدته الكرمل ١٩٠٩ – ١٩١٤ ، أحد رواد مناهضة الصهيونية " مجلة شؤون فلسطينية عدد ٢٣ تموز ١٩٧٣ ص ١٠٤ – ١٠٥ .

وبالنسبة لبعض الولايات العربية الاخرى ، لذا كان من المنتظر أن يكون لها تأثير كبير على الاهالي ، الا أن هذا التأثير كان محدودا ولعل السبب في ذلك أن معظم الصحف كانت طائفية بمعنى أنها كانت تتخذ زاوية طائفية معينة لخدمتها مثل جريدة بشير فلسطين المعبرة عن وجهة النظر الارثوذكسية ، كما أن صدور هذه الصحف لم يكن منتظما وهذا لا يمكن الصحيفة من الاستمرار في الخط الذى رسمته للسير عليه كما أن عمر هذه الصحف لم يدم طويلا ، وهذا لا يسمح للمطلع الاستمرار في متابعة المواضيع التي تطرحها هذه الصحف ، يضاف الى ذلك أن نسبة الامية كانت في فلسطين تزيد عن ٨٠ بالمئة ٠ (١) وبالتالي فان غالبية أبناء البلاد يحرمون من الاطلاع على الصحف مما أدى الى قلة انتشارها لعدم وجود العدد الكبير من القراء ولربما كان هذا سببا في احتجابها من وقت لاخر ٠

وبنشوب الحرب العالمية الاولى احتجبت معظم الصحف في فلسطين في حين بقي البعض منها لفترة امتدت لحين اشتراك الدولة العثمانية في الحرب العالمية ، وخلال هذه الفترة تناولت الصحف مواضيع جديدة جاءت بتأثير الحرب منها موقف الدولة العثمانية في الحرب فأخذت صحيفة فلسطين تطالب الحكومة العثمانية بالبقاء على الحياد ، في وقت كانت تتطلع فيه الدول العظمى الى المنطقة العربية كما أن صحيفة الكرمل طالبت الحكومة العثمانية بعدم دخول الحرب ودعتها الى السعي لعقد معاهدة صداقة مع انجلترا حرصا على سلامتها ٠ (٢) ٠

ويبدو أن المطالب التي طرحتها هذه الصحف كانت تخالف الخطط الالمانية ، لذا اغلقت بأمر من السلطة العثمانية لتضع نهاية للصحافة العربية في فلسطين خلال الحرب ، وكان لهذا الاجراء تأثير على الاهالي فقد وضعهم هذا الاجراء في حيرة وقلق خاصة وأنهم أصبحوا خلال هذه الفترة أسرى للاخبار التي تنشرها الدول المتحاربة من خلال البرقيات التي تعكس وجهة النظر التي تخدم مصلحتها ، وهذا مما زاد في حيرة الاهالي حول مصير دولتهم وبالتالي مصيرهم ، ويصور أحد الباحثين الفلسطينيين هذه الحالة بقوله :

" لا يقرأ الناس اليوم غير التلغرافات لان أكثر الجرائد المحلية عطلت والجرائد المصرية منعت ولذلك لا بد أن يألف الناس لغة التلغرافات ٠٠ " (٣) ٠

ويبدو أن الدولة العثمانية أدركت خطورة بقاء الاهالي بدون صحافة أو بمعنى أدق عدم وجود أداة اتصال مع المواطنين لذا أبقت صحيفة القدس الشريف " قدس شريف " لنشر الاوامر الحكومية وبذا تكون هذه الصحيفة هي الصحيفة الوحيدة التي كانت تصدر خلال الحرب العالمية ، كما أن الدولة العثمانية عملت على اصدار نشرة خاصة باللغة العربية تتضمن أخبار الحرب لتطمين الاهالي على مجريات الحرب (٤) ٠

ومع هذا فان الحكومة لم تعتمد على الصحافة الخاصة بها فقط بل لجأت الى وسيلة

---

(١) جبرائيل كاتول : التربية والتعليم في فلسطين ١٩٢٠ ــ ١٩٤٨ مجلة الابحاث ، السنة الثالثة الجزء الثاني ، حزيران ١٩٥٠ ص ١٧٨

(٢) يعقوب يهوشع : مرجع سبق ذكره ص ١٤٨ ــ ١٤٩ ٠

(٣) خليل السكاكيني : مرجع سبق ذكره ص ٧٩ ــ ٨٠

(٤) يعقوب يهوشع : مرجع سبق ذكره ص ١٤٢ ــ ١٥٩

اخرى أقرب الى الجماهير حيث كلفت عددا من الادباء والشعراء بالقاء الخطب والقصائد الشعرية في الحفلات التي كانت تقام من وقت لاخر لابراز انتصاراتها العسكرية في جبهات الحرب .

وفي المجتمع العربي الفلسطيني عاشت الطوائف المسيحية (١) في العديد من المدن الفلسطينية كالقدس الناصرة ، بيت لحم ، عكا ، طبريا ، غزة ، يافا ، نابلس في ظل أنظمة حققت لهم قدرا من المساواة وان لم تكن كاملة فقد بقيت الخدمة العسكرية على المسلمين (٢) .

تحسنت أوضاع الطوائف المسيحية بعد أن أصبح لها أعضاء في المجالس الادارية المحلية في البلاد ، وأن كانت هذه العضوية ليست ذات فعالية لان التفوق كان للاعضاء المسلمين ، وكان هذا الوضع سببا في تحرك الطوائف المسيحية مطالبة الحكومة في العهد الدستورى بتحسين هذا الوضع بالقضاء على هذا التفاوت كما أثارت هذه الطوائف قضية التمثيل في مجلس المبعوثان وقد استجابت الحكومة العثمانية لهذه المطالب ومكنتهم من دخول انتخابات مجلس المبعوثان (٣) ولكن الانتخابات الاخيرة ابريل ١٩١٤ أوضحت عدم فوزهم في هذه الانتخابات حيث فاز ثلاثة مبعوثين عن لواء القدس ، ومبعوثان عن لواء نابلس ومبعوث عن لواء عكا وكلهم من المسلمين (٤) فاذا كانت الطوائف المسيحية قد فشلت في تحقيق التمثيل على مستوى مجلس المبعوثان فانها نجحت في تحقيق عضوية لها في مجلس اللواء العمومي لان المجالس كانت قائمة على ضرورة التمثيل الطائفي ، لذا كان للطوائف المسيحية تمثيل في مجلس اللواء العمومي (٥) ، وكان التمثيل الطائفي في المجلس العمومي بنسبة عضوين مسلمين وعضوين من الملل الاخرى من كل لواء (٦) .

وهكذا تحسنت أوضاع هذه الطوائف ولم يعد يهددها سوى المنازعات الطائفية فيما بينها تلك المنازعات التي يمكن اعتبارها قديمة قدم كنيسة القيامة التي كانت محورا لتحديد العلاقات بين هذه الطوائف فقد دار الخلاف حول أولوية الدخول واقامة الشعائر الدينية والاشراف على الخدمات اللازمة لهذا الكنيسة ، كما أن الخلافات امتدت الى محاولة كل طائفة جذب أفراد طائفة اخرى الى جانبها (٧) وأن تتزيا طائفة بلباس طائفة اخرى (٨) ، ولقد اشتدت المنازعات الطائفية لدرجة انها حرمت بعضها البعض من حراسة هذه الكنيسة فاضطرت

---

(١) الطوائف المسيحية في فلسطين هي : الروم الارثوذكس ، الروم الكاثوليك ، الارمن ، اللاتين ، البروتستانت ، السريان ، الاحباش ، الموارنه ، الاقباط ، انظر عارف العارف ، المسيحية في القدس .

(٣) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس ، رسالة دكتوراة غير منشورة .

(٤) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح : مرجع سبق ذكره ص ٢٦٩ ــ ٢٧١ .

(٥) ارشيف رئاسة الوزراء ، القدس ، سجل مجلس اللواء العمومي ١٣٣٠ ــ ١٣٣١ رومي .

(٦) الدستور : المجلد الاول ص ٣٨٥ ــ ٣٨٦ .

(٧) المحكمة الشرعية ، القدس ، السجل رقم ٣٢٠ ص ٧ .

(٨) المحكمة الشرعية ، القدس ، السجل رقم ٣٢٥ ص ٢٨ .

الدولة الى ان توكل حراسة كنيسة القيامة لاحدى العائلات المسلمة (١) مستعينة بقوة من الجند

على ان الطوائف المسيحية ساهمت في شوءون التعليم من خلال افتتاح المدارس الطائفية فقد كان لكل طائفة موءسساتها التعليمية تفرض من خلالها اسلوبها الخاص في التعليم بتأثير من الدولة التى تقف وراءها ، ففرنسا مثلا التي كانت تقف وراء طائفة الكاثوليك ركزت فلسفتها التعليمية في النواحي والمجالات التجارية في حين أن طائفة البروتستانت والتي تقف الى جانبها دول ثلاث هي : انجلترا ، والمانيا ، وامريكا وجهت فلسفتها التعليمية نحو الاستفادة من التعليم في المجالات الصناعية (٢) .

كما ساهم أبناء الطوائف المسيحية في وضع حجر الاساس للصحافة العربية في فلسطين فقد عملوا على اصدار عدة صحف ومجلات في فلسطين وفي هذا يقول محرر مجلة الاصمعي (٣) .

كما وضع الصحافيون والادباء المسيحيون الحجر الاساسي للصحافة العربية في مصر ولبنان كذلك وضع الصحافيون وأصحاب الامتياز المسيحيون وخاصة أبناء الطائفة العربية الارثوذكسية حجر الاساس للصحافة في هذه البلاد (٤) .

تعرضت الطوائف المسيحية لظروف الحرب العالمية كما تعرض لها أبناء البلاد سواء بتأثير التقلبات الاقتصادية أو باغلاق الموءسسات التعلمية والجمعيات المسيحية بعد أن ألغت الدولة العثمانية الامتيازات الاجنبية ١٩١٤ مما أدى الى انقطاع الموارد المالية (٥) عن هذه الموءسسات بحكم ان معظم الطوائف المسيحية كانت تعتمد على حماية ومساندة دولة أجنبية أصبحت بظروف الحرب دولة معادية الامر الذى ترتب عليه مغادرة المعلمين الاجانب للمدارس المسيحية مما وضع هذه المدارس في أوضاع لم تمكنها من الاستمرار في مهمتها كما ترتب على ظروف الحرب اغلاق بعض الجمعيات التي كانت تساند المدارس الروسية في فلسطين وسورية (٦)

كما أغلقت بعض الجمعيات المحلية التي كانت توءدى خدمات للطوائف المسيحية مثل جمعية الشبان المسيحية التي تأسست في القدس عام ١٨٧٦ بهدف تقديم الارشادات السياحية للقادمين لزيارة الاماكن المسيحية في القدس (٧) ، وكذلك الجمعية الادبية الاقتصادية في الناصرة التي تأسست لتقديم المساعدات المالية للفقراء من أبناء المدينة المسيحيين (٨) .

وكما تعرض أبناء البلاد لعمليات الابعاد والنفى خلال الحرب العالمية ، تعرض بعض أبناء الطوائف المسيحية لمثل هذه العمليات من ذلك ما أصاب طائفة الروم الكاثوليك في القدس

---

(١) عائلة أل جودة وآل نسيبة .
(٢) عبدالعزيز عوض : متصرفية القدس . رسالة دكتوراة غير منشورة .
(٣) صدرت مجلة الاصمعي في القدس ١٩٠٨ وصاحبها حنا العيسى .
(٤) يعقوب يهوشع : مرجع سبق ذكره ص ١٦٦ — ١٦٧
(٥) (5) Tibawi ; Arab education in mandutory palestine p20-23.
(٦) (6) Hopood; The Rissan presence in syria and palestine 1843-1914, p 156-157.
(٧) عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ص ٤٥٣ — ٤٥٥
(٨) أسعد منصور مرجع سبق ذكره ص ١٠٧ — ١١٣

عندما أبعد بعض أبنائها وبه ن العاطسين في الكرسي الاسقفي في عكا وحيفا بسبب أن الاسقف الاكبر لهذه الطائفة اتهم بحث الحكومة الفرنسية على محاربة تركيا في خطاب ألقاه في أثناء وجوده في فرنسا وقد صدر بحق الاسقف حكم غيابي يقضي باعدامه (١) ، وكذلك أبعد أسقف كهنة الارمن في القدس الى دمشق (٢) ، وعندما أبعدت السلطات العسكرية العثمانية بعض العائلات عن المناطق الساحلية خوفا من الاتصال السرى بين الاهالى في هذه المناطق مع الاساطيل الفرنسية أو الانجليزية كان من بينها عائلات مسيحية (٣) •

الوضع الاقتصادى :

اذا كان الترابط والتداخل بين الجوانب الاجتماعية والجوانب الاقتصادية أمرا واضحا فان الجوانب الاقتصادية على انفراد تتسم هي الاخرى بهذا التداخل مما يضع عقبة أمام الفصل بين هذه المجالات التي تشملها الجوانب الاقتصادية لكن من الممكن أن ننظر الى الوضع الاقتصادى في فلسطين خلال الحرب من الزوايا الاتية :

الارتباكات المالية : عند نشوب الحرب العالمية كان في فلسطين النبوك والمؤسسات المالية الاتية (٤) :

البنك العثماني •• ••• ••

بنك دولي تأسس على يد أصحاب رؤوس الاموال الانجليز ، الفرنسيين اليهود استنادا للقانون الذى أصدرته الدولة العثمانية في ١٤ فبراير ١٨٦٣ (٥) ، برأس مال ١٠ ملايين جنية وكان لهذا البنك عدة فروع فلسطين : القدس ، يافا ، حيفا ، نابلس (٦) •

الكريدى ليونه •• •• ••

بنك فرنسي كان مركزه الرئيسي في مدينة ليون بفرنسا ، تأسس عام ١٨٦٣ ، كانت فروع هذا البنك في فلسطين أقل من غيرها فقد اقتصرت على مدينة القدس ومدينة يافا •

" البنك الفلسطيني التجارى

بنك عثماني كان مركزه الرئيسي في القدس ، تأسس عام ١٩١١ لخدمة المزارعين في فلسطين وتخليصهم من المرابين والاحتكارين عن طريق تقديم القروض الزراعية لهم (٧) •

---

(١) جميل البحوى : مرجع سبق ذكره ص ٣٥ — ٤٥

(٢) Avedis sanjian : the armenian communities in syriaunder ottoman dominion, p 81.

(٣) جميل البحوى : مرجع سبق ذكره ص ٣٥ — ٤٥

(٤) ورد ذلك في تقرير مكتب الرقابة الفلسطينى لعام ١٩١٩

F.O. 371/4229/83544.1919.

(٥) الدستور : المجلد الثاني ص ٨٨٣ — ٨٨٩

(٦) Harry Luke and Edward keith-Roach op.cit.

(٧) حنا صلاح : فلسطين وتجديد حياتها ص ٦٩ — ٧٠

عليهم من المبالغ الصغيرة بموجب حوالات على البنوك بحيث أصبحت هذه الحوالات كأنها بنكنوت متداول ولهذا الغرض عرضت حوالات بعدة فئات منها ٥ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٥٠ ، ١٠٠ فرانك ويبدو أن الحكومة رأت في ذلك مخرجا لمعاناة الاهالي فقبلت البدل النقدى بحوالات على أحد البنوك كما أنها أطالت أمد الدفع بحيث أعطت الاهالى مهلة لتدبير البدالات النقدية وبالرغم من ذلك فان الوضع المالي لم يستقر وبقي مطلب الاهالي أن تقدم الحكومة على تهدئة التقلبات المالية التي كان من الصعب التغلب عليها لاسباب عدةة منها قلة النقود المتداولة بين الاهالى وانخفاض قيمة العملات الاجنبية مثل الفرنك والشلن بنسبة ١٥ بالمئة عن قيمتها السابقة كما أن الحوالات التي اقترح اصدارها لم يلق غير الاهالى لرفض اصحاب المحلات التعامل بها (١) ٠

ولما كانت الدولة العثمانية أصدرت خلال الحرب أوراق عملة غير قابلة للاستبدال بعكس ما كان متبعا عندما كان الجنيه الذهب قاعدة للنقد العثماني ، ولما كانت الدوله العثمانية قد اسرفت في اصدار أوراق من عملتها الجديدة أثر ذلك على قيمة العملة الورقية التي وصلت قيمتها عام ١٩١٧ الى ١٠ بالمئة من قيمتها الاصلية (٢) ٠

أخذ جمال باشا الذى كان يعتبر هذا الانخفاض في قيمة العملة التركية " مصيبة حقيقية" أخذ في البحث عن أفضل السبل بقصد المحافظة على قيمة هذه العملة فخاطب لهذا الغرض الاغنياء من التجار والصيارفة في البلاد لاجل الاهتمام والعمل لمساواة قيمة هذه العملة بسعرها الرسمي من منطلق الواجب الوطني ، غيرأن هذه النداءات لم تؤد الي نتيجة لعدم تجاوب أبناء البلاد بعد جمال باشا باتخاذ اجراءات صارمة والعمل على قطع دابر الاحتكار الذى يعتبر في نظرة سببا في هذه المشكلة (٣) ٠

ويهمنا أن نوضح ان الاجراءات التي اتخذها جمال باشا لانعاش قيمة أوراق العملة التركية الجديده عكست أثارا سيئة على الاهالى لانه أتخذ اجراءات تقضي بان تقوم المدن الفلسطينية بشكل دورى باستبدال مبلغ محدد من الاوارق النقدية بقطع من العملة الذهبية ، فكان على أهالي المدينة التي يقع عليها الاختيار الشهرى ان تعد المبلغ المحدد وتقدمه الى السلطات التركية بعد ان تكون قد جمعته من نفس المدينة أو مدن اخرى غيرها (٤) ٠

وهكذا كان لتدهور قيمة العملة الورقية التركية أثر سيء على الاهالي وخاصة المشتغلين بالنشاط التجارى والصناعي ٠

ـ توقف الحركة التجارية الخارجية :

شهدت فلسطين انتعاشا واضحا في الحركة التجارية أواخر العهد العثماني بسبب الاجراءات التي اتخذتها الدولة العثمانية بشأن تنظيم علاقاتها التجارية مع الدول الاجنبية فأصدرت لهذا الغرض قوانين وأنظمة منذ عام ١٨٥٩ لتكون هذه القوانين والانظمة منظمة للعلاقات التجارية الخارجية كما كان لتطور وسائل المواصلات العالمية أثر كبير في تنشيط التجارة

---

(١) المقطم : ٧٧٣٠ ـ ٢٧ أغسطس ١٩١٤ ٠
(٢) سعيد حمادة : مرجع سبق ذكره ص ٥٨٥ ـ ٥٨٦ ٠
(٣) الكوكب : ٤٥ ـ ٥ يونيه ١٩١٧ ٠
(٤) الكوكب : ٤٧ ـ ١٩ يونيه ١٩١٧ ٠

خاصة بعد أن حلت السفن التجارية محل السفن الشراعية ، كما تحسنت المواصلات الداخلية خاصة بعد ربط ميناء يافا بالقدس بالسكك الحديدية (١٨٩٠) (١) ، وبهذا أصبح مجموع خطوط السكك الحديدية في فلسطين في عام ١٩١٣ حوالي ٢٠٠ كيلو متر (٢) ، كما أدخلت محاصيل زراعية جديدة الى البلاد بواسطة اليهود مثل زراعة اللوز والاهتمام بزراعة الكرمة (العنب) وقد اسهمت هذه الاعتبارات في تدعيم الجانب الصناعي وبالتالي في تدعيم الحركة التجارية الخـارجيـة (٢) .

كانت الحركة التجارية الخارجية تمر عبر مواني ثلاثة كان ميناء يافا متفوقا في دوره على مينائي غزة وحيفا فقد بلغت قيمة صادرات ميناء يافا عام ١٩١٣ حوالي ٧٤٠٫٤٠٠ جنيه استرليني شكل محصول البرتقال الجانب الاكبر منها بينما بلغت قيمة الواردات التي مرت عبر هذا الميناء في نفس العام ١٫١١٢٫٦٠٠ جنيه استرليني ، كانت المواد الغذائية تشكل البند الرئيسي فيها ، أما في ميناء غزة فقد بلغت قيمة الصادرات لعام ١٩١٣ حوالي ١٦١٫١٢٠ جنيه أغلبها من الشعير ، أما قيمة وارداته فبلغت ١٠٨٫٢٠٠ جنيه استرليني وبهذا يكون هذا الميناء قد احتل المرتبة الثانية بعد ميناء يافا ، واستخدم الميناء الثالث وهو ميناء حيفا لتصدير الحنطة بعد وصل حيفا بسكة حديد الحجاز عام ١٩٠٦ (٤) ، أما عكا فكانت حركة التجارة قد قلت فيها كثيرا عما كانت عليه من قبل وأن كانت قد بقيت لها أهميتها كقاعدة حربية وبقي الامر كذلك الى أن وقعت البلاد تحت تأثير الحرب قبل أن تدخلها تركيا فأصيبت الحركة التجارية الخارجية بضربة قوية أدت الى تعطيلها ، وكانت الاشارة المبكرة لذلك تكدس المحاصيل الزراعية المعد ة للتصدير مما أدى الى نقص في قيمة الصادرات عبر ميناء يافا فبعد أن كانت في عام ١٩١٣ حوالي ٣٫٦٤٠٫٧٧٢ ريالا أمريكيا أصبحت حتى نوفمبر ١٩١٤ حوالي ٢٫٢٧٨٫٤٧٦ ريالا أى بانخفاض ٣٧ بالمئة (٥) ومن اهم المحاصيل التي تأثرت بذلك البرتقال فقد صدر عام ١٩١٣ حوالي ١٫٣٤٨٫١٣٩صندوقا أصبحت في عام ١٩١٤ حـوالي ٧١٫٧٧٦ صندوقـا أى بانخفاض ٥٠ بالمئة (٦) .

كما أن الواردات عبر هذا الميناء انخفضت بنسبة ٣٧ بالمئة فقد كانت واردات ميناء يافا عام ١٩١٣ حوالي ٦٫٣٨٨٫٠٤١ ريالا أمريكيا أصبحت عام ١٩١٤ حوالي ٤٫٠٤٠٫٨٨٢ ريالا (٧)

---

(١) عبدالعزيز عوض : متصرفية القدس ــ رسالة دكتوراة غير منشورة .

(٢) سعيد حمادة : مرجع سبق ذكره ص ٢٨٢ ــ ٢٨٤

(٣) Shmuel A Vistur: The influince of Western Technoligy on the Economy of Palestine the nineteenth centurary.
مقالة نشرت في كتاب :ــ Studies on Palestine during Ottoman perion, p 485 - 494.

(٤) محمد يونس الحسيني : التطور الاقتصادى والاجتماعي في فلسطين العربية ص١٤٦ ــ ١٤٧ وانظر كذلك مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ــ الجزء الاول القسم الثاني ١٠١ ــ ١٠٣

(٥) حنا صلاح : مرجع سبق ذكره ص٤٢ ــ ٥٦

(٦) المقتطف : ٤٤ السنة ١٩١٤ ص ٤٩

(٧) حنا صلاح : مرجع سبق ذكره ص٥٦ ــ ٦٢

ومن المواد التي تأثرت بذلك وبالتالي انعكست على الاهالي انخفاض في كميات الفحم والبترول المستوردة من الخارج (١) .

وبدخول تركيا الحرب توقفت تماما الحركة التجارية مع الخارج بسبب الحصار الاقتصادى الذى فرض على الشواطئ والمناطق الساحلية في بلاد الشام ـ هذا الحصار الذى ما كانت تخترقه الا سفن الدول المحايدة ، وبمعنى أدق الولايات المتحدة الامريكية التي كانت تنقل ، بواسطة سفنها ، مساعدات اليهود في الخارج لذويهم في الداخل .

ـ توقف الحركة التجارية الداخلية :

عرفت المدن الفلسطينية نمطين من التجارة المحلية ، من ذلك التجارة اليومية العادية التي كانت تجرى في معظم المدن ، وتدور حول بيع وشراء المنتجات المحلية في المواقع المناسبة التي تحددها البلديات في هذه المدن مقابل رسوم محددة تعرض الفواكه ومنتجات الالبان وغ وغير ذلك (٢) .

والنمط الثاني هو الاسواق الاسبوعية التي كانت تعقد اسبوعيا في معظم المدن الفلسطينية من ذلك سوق اللد (الاثنين) سوق الناصرة ، الرملة ، بئر السبع (الاربعاء) سوق بني صعب (السبت) سوق القدس ، غزه مجدل ، عسقلان ، الخليل ، نابلس (الجمعية) (٣)

يضاف الى هذا النشاط التجارى المحلي نشاط آخر كان يجرى في بعض المدن بحكم موقعها أو مكانتها بين المدن الاخرى . من ذلك مدينة القدس التي كانت تقع عليها مهمة توزيع البضائع المستوردة من الخارج كوذلك بحكم ارتباطها مع ميناء يافا الميناء الرئيسي بالبلاد ، كما أن مدينة الخليل كانت مركزا متقدما لتزويد المناطق المحيطة بها بالبضائع المستودرة (٤) ، ومدينة نابلس بحكم موقعها المتوسط بين المدن الفلسطينية كانت مركزا لتزويد المدن الاخرى بمنتجاتها المحلية ذات الاهمية وهي الصابون (٥) ، جاءت الحرب العالمية فأوقفت النشاط المحلي وأغلق على أثر ذلك كثير من المحلات والمتاجر داخل المدن وقد جاء تعطيل المحلات نتيجة طبيعية لاضطراب الاوضاع الاقتصادية في البلاد أو بسبب الاعتداءات التي كانت تجرى من قبل السلطات العسكرية على هذه المحلات (٦) . أو بسبب توقف المواصلات المحلية كتوقف السكك الحديدية بسبب قلة أو ندرة الفحم اللازم لتحريك القطارات . وقد وصل سعر رطل الفحم الى ٦ قروش ، لذا حاولت السلطات العسكرية امتصاص كميات الفحم الموجودة بين أيدى الاهالي فأعلنت بطريقة تشجيعية أنها ستمنح اجازة لمدة شهر لكل جندى يستطيع احضار كميات من الفحم بأسعار حددتها السلطات العسكرية (٧) ، كما

---

(١) المقطم : ٧٧٤٦ ـ ١٥ سبتمبر ١٩١٤
(٢) سجلات المجلس البلدى ـ نابلس ـ دفتر قرارات المجلس ٣ كانون الاول ١٩١٩
(٣) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح / مرجع سبق ذكره ص ٢٦٠
(٤) محمد يونس الحسيني : مرجع سبق ذكره ص ١٤٢ ـ ١٤٦
(٥) أكرم الرامني : مرجع سبق ذكره
(٦) المقطم : ٧٨٠٣ ـ ٨ تشرين الثاني ١٩١٤
(٧) الكوكب : ٤٢ ـ ١٥ مايو ١٩١٧

تأثرت المواصلات بسبب اجراءات السلطة العسكرية التي سحبت الدواب التي كانت تستخدم لاغراض نقل المنتجات من منطقة لاخرى (١) .

كما عطلت الحرب موردا اقتصاديا آخر كانت بعض المدن الفلسطينية تعتمد عليه ، وهو موسم السياح الذى كان ينشط بقدوم الزوار الى القدس ، الخليل ، بيت لحم ، والناصرة ، كما اعتمدت مدينة القدس ومدينة بيت لحم بشكل خاص على مواسم الحجاج المسلمين والمسيحيين (٢) . كما تعطلت الفنادق المتعددة في البلاد مما زاد في ارتباك أحوال أهالي البلاد المالية (٣) .

— ارتفاع الاسعار :

تعترض الدراسة الرامية لمعرفة ارتفاع الاسعار عدة صعوبات من ذلك اختلاف الموازين والمكاييل التي كانت تستخدم في المدن الفسطينية ، مثال ذلك أن الرطل في مدينة الناصرة كان يساوى اقتين (٨٠٠ درهم) في حين كانت مدينة نابلس تستخدم رطلا يساوى اقتين وربع (٩٠٠ درهم) وتختلف أيضا المكاييل من مدينة لاخرى فالصاع — من مكاييل الحبوب — المستخدم في نابلس يساوى ٣ أرطال وربع أواق في حين أن الصاع المستخدم في منطقة بني صعب كان يساوى رطلين ونصف ، فاذا كان اختلاف الموازين والمكاييل عقبة فان تعدد المواد واختلاف أهميتها بالنسبة للاهالي تشكل عقبة أخرى لكن هذا لا يعني الابتعاد عن الموضوع اذ من الممكن النظر الى ذلك من زاوية محدودة . فقد كان سعر رطل القمح قبل الحرب يساوى قرشين (٤) ، أصبح خلال الاشهر الاولى من الحرب ٨ قروش (٥) للرطل (٦) ومع نهاية الحرب أصبح سعر رطل القمح ٣٠ قرشا (٧) .

واضح مدى الزيادة الكبيرة في سعر القمح فقد أصبح سعر رطل القمح خلال الاشهر الاولى من الحرب أربعة أضعاف سعره قبل الحرب ، كما أن سعره خلال الاشهر الاولى للحرب ارتفع بنسبة أربعة أضعاف أخرى وبهذا يكون السعر قد ارتفع مع نهاية الحرب الى ١٥ مرة عما كان عليه قبل الحرب وهذا يشكل عبئا كبيرا على الاهالي (٨) .

---

(١) المقطم : ٧٧٤٦ — ١٥ سبتمبر ١٩١٤

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام — الجزء الرابع ٢٧١ — ٢٧٣

(٣) Government of Palestine: First census of industries taken in 1928 by trade section of the department of customs, excise and trade, Jerusalem 1928 . p. 18.

(٤) Harari: Report of exonimic and economical situation of Palestine to 1st March 1921 . p. 26.

(٥) المقطم : ٧٧٢٠ — ١٤ أغسطس ١٩١٩

(٦) كان القمح ولا يزال بالمدن بالوزن أما في الريف فيباع بالكيل .

(٧) الكوكب : ١٣١ — ١١ فبراير ١٩١٩

(٨) المقطم : ٧٧٤٦ — ١٥ سبتمبر ١٩١٤

عزت الدولة العثمانية أسباب ارتفاع الاسعار في هذا الوقت المبكر من الحرب الى استغلال واحتكار التجار، ومن هنا أصدرت تعليمات مشددة لمعاقبة التجار المحتكرين الذين كانوا ينقلون السلع أو الحبوب من منطقة لاخرى أو يعملون على تهريبها للخارج جريا وراء الربح العاجل ، ويبدو أن تعليمات الحكومة لم تكن ذات تأثير واضح في جميع أنحاء البلاد بل تفاوت التأثير من مدينة لاخرى ويبدو أن مدينة طبرية كانت أكثر المدن ضبطا وتنفيذا لتعليمات الدولة حيث تمكنت الادارة من ضبط الاسعار في حين استمرت الاوضاع اضطرابا في أماكن أخرى بحيث لم تتم عملية الضبط والسيطرة على التجار المحتكرين في البلاد (١) .

كما عملت الدولة على تحديد أسعار الحاجات الضرورية في البلاد وهددت بتقديم المخالفين للاسعار الى المحاكم العرفية ، لاجل ايقاع الحكم الواجب ضدهم . لكن اضطراب الاوضاع في البلاد كان أقوى من أى اجراء حكومي (٢) .

وحقيقة الامر أن ارتفاع الاسعار يرجع في الدرجة الاولى الى انقطاع الاتصال بالعالم الخارجي في وقت شددت فيه الدول المعادية لتركيا عملية الحصار البحرى مما أثر بالتالي على تعطيل حركة الاستيراد الخارجي ومن هنا كان ارتفاع أسعار البضائع والسلع المستوردة بنسبة أكبر من السلع والمنتجات المحلية (٣) .

ويلاحظ أيضا أن المدن الفلسطينية ، وان كانت قد وقعت معا تحت ظروف الحرب الا أن مستوى المعيشة كان يتفاوت زمنيا من حيث التأثير من مدينة لاخرى ففي مدينة حيفا كانت الحبوب متوفرة خلال السنة الاولى من الحرب لدرجة أن هذه المدينة تمكنت من التغلب على ضربات الحرب والنكبات الاخرى التي جاءت بسبب أسراب الجراد التي حلت بالبلاد تخريبا لكن هذه الحالة لم تستمر فقد بدأت مدينة حيفا تشعر وتعيش تحت طائلة الجوع ، لكن في مدن ومناطق أخرى مثل القدس شعرت بالمضايقة منذ الشهور الاولى للحرب (٤) ، أما في مدينة الناصرة بحكم أنها أصبحت مركزا للقيادة الالمانية خلال الحرب وبحكم وجود العديد من المستشفيات في المدينة ، فقد أتاحت هذه الظروف مجالا للنساء للعمل في هذه المستشفيات مقابل رواتب شهرية كانت تخفف وطأة ظروف الحرب فكانت حالة هذه المدينة أفضل من غيرها من المدن الفلسطينية خلال الحرب العالمية (٥) .

x توقف النشاط الصناعي :

لم تكن الصناعة بمعناها الواسع موجودة في فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى ، باستثناء أقبية الخمور التي اختصت بها المستعمرات اليهودية أو صناعة الصابون التي برزت فيها مدينة نابلس ، ومن هنا عرفت البلاد صناعة لا تتعدى معاصر الزيت أو الحياكة والنسيج

المقطم : ٧٢٢٠ – ١٤ أغسطس ١٩١٤ .
(٢) المقطم ٧٧٣٠ – ٢٧ أغسطس ١٩١٤ .
(٣) ٧٧٣٠ – ٢٧ أغسطس ١٩١٤ .
(٤) جميل البحيرى : مرجع سبق ذكره ص ٣٥ – ٤٥ .
(٥) أسعد منصور : مرجع سبق ذكره ص ١٠٧ – ١١٩ .

الزجاج ، الدباغة ، الاحذية ، طحن الحبوب ، الفخار والحدادة وهي صناعات تعتمد أصلا على اليد البشرية أو القوة الحيوانية في تشغيلها ، ولم تعرف البلاد استخدام الالة الا في مجالات محددة ، كبعض مطاحن الحبوب أو في الموتورات المستخدمة في ضخ المياه لري بيارات البرتقال ، ويمكن الوقوف على حالة الصناعة في فلسطين خلال سنوات ما قبل الحرب من خلال الاحصائية الاتية :ـ

الصنعة	العدد	النسبة المئوية
ـ الاعمال المعدنية وتشمل أدوات الطعام وأدوات نحاسية وحديدية .	١٠١	٢ر٩
ـ صياغة .	٢٠	٦ر
ـ النسيج بما في ذلك القطن والصوف وحصر القش.	١٦٨	٤ر٨
ـ الملابس والاحذية	١٦٦	٤ر٧
ـ المواد الغذائية كمطاحن الحبوب والافران والحلويات .	١٧٨	٥ر١
ـ أعمال كيماوية كمعاصر الزيتون والسمسم وصناعة الصابون .	٣٩٥	١١ر٢
ـ الطباعة وأعمال الكتابة .	٢٧	٨ر
ـ الدباغة .	٢٩	٨ر
ـ الاعمال الخشبية كالتجارة والتنجيد والمفروشات .	٩٠	٢ر٦
ـ أعمال الفخار والزجاج والقرميد .	٥٢	١ر٥
ـ أعمال صناعية أخرى مثل الصدف .	١٠	٠ر٣

يفهم من هذا أن عدد الحرف والاعمال الصناعية في فلسطين قبل الحرب كان ١٢٣٦ ، بنسبة ٣ر٣٥ من مجموع الاعمال الصناعية في فلسطين خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى والبالغ عددها ٢٢٦٩ ، وهي موزعة على المناطق الاتية :ـ

المنطقة أو المدينة	عدد الحرف أو الاعمال الصناعية	النسبة
ـ مدينة القدس وعين كارم .	١٦٧	١٣ر٥
ـ قضاء القدس (أريحا ، بيت لحم ، رام الله) .	٤١	٣ر٣
ـ مدينة يافا مع مستعمرة سارونه وبيت دجن .	٩٤	٧ر٥
ـ تل أبيب .	٢٦	٢ر١

المنطقة أو المدينة	عـــدد الحـــرف أو الاعمال الصناعية	النسبــة
ـ المنطقة الجنوبية (قضاء يافا ، الرملة ، غزة الخليل بـئر الســبع) .	٢٤٥	١٩ر٨
ـ حيفا وبنياميـنــا .	٨٢	٦ر٧
ـ المنطقة الشمالية (عكا ، بيسان ، جنين ، نابلس ، الناصرة ، صفد ، طولكرم ، طبريا .	٥٨٢	١ر٤٧ (١)

يفهم من الجدول الاول أن مستوى الصناعة في فلسطين خلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الاولى كان لا يتعدى كثيرا مستوى الصناعات الحرفية اليدوية كما أن نسبة كبيرة من الاعمال الصناعية قائمة عل لمنتوجات والمحاصيل الزراعية خاصة على شجرة الزيتون فهي تبلغ ٢ر١١ من مجموع الاعمال الصناعية البالغة نسبتها ٣ر٣٥ مقارنة بحالة الصناعة بعد الحرب ، وهذه النسبة (٢ر١١) تشكل ٣٩٥ معصرة ومصنع موزعة على النحو الاتي : ٣٣٩ معصرة للزيت والزيتون ، ٢٥ معصرة للسمسم و ٣٠ مصنعا للصابون ، ويلي ذلك في الاهمية المواد الغذائية التي تشكل ١ر٥ وهي تعد ١٧٨ موءسسة عاملة في قطاع المواد الغذائية منها حوالى ٩٥ مطحنة للحبوب

ومن الجدول الثاني يبدو أن المنطقة الشمالية (عكا ، بيسان ، نابلس ، طولكرم) كانت تضم الجانب الاكبر من الموءسسات الصناعية حيث بلغت حوالي ١ر٤٧ وتشكل حوالي ٥٨٢ موءسسة صناعية ولعل السبب في تفوق هذه المنطقة في عدد الموءسسات الصناعية العاملة فيها الى وجود معاصر الزيتون ومصانع الصابون ، وهذه الملاحظة تنطوى تحت الملاحظات التي برزت في الجدول الاول بمعنى أن الجانب الاكبر من الصناعات في البلاد كان قائما على المنتجات الزراعية وهذا يطبع بالتالي اقتصاد فلسطين بالطابع الزراعي .

أمام هذه الاعتبارات كان تأثير الحرب واضحا فقد أثرت على نقصان الايدى العاملة التي كانت تسهم في اعداد الصناعات الحرفية التي تعتمد اصلا على الايدى البشرية وذلك عندما عملت السلطات العسكرية على سحب القوى البشرية في نطاق اجراءات النفير العام وبهذا افقرت الصناعات المعتمدة على القوة البشرية ، كما كان تأثير الحرب على الصناعة واضحا بحكم أن معظم الصناعات كانت قائمة على المنتجات الزراعية مثل معاصر الزيتون أو مصانع الصابون وذلك عندما أقدمت السلطات العسكرية على قطع أشجار الزيتون لاستخدامها كوقود بدلا من الفحم الذى فقد من البلاد ، وبهذا أصبح من الصعب أن تستمر هذه المعصرة أو المصانع المرتبطة أصلا بشجرة الزيتون التي بقدر ما قطع منها في بعض الجهات بـ ٤٠ ـ ٥٠ بالمئة (٢) .

واذا كانت الحرب قد أثرت على الموءسسات أو المعامل التي كانت موجودة في تلك الفترة

(1) Government of Palestine: Op. Cit., pp. 5-44.

(٢) الكوكب : ١٣١ ـ ١١ فبراير ١٩١٩ .

فانها من ناحية أخرى أثرت على المشروعات الصناعية التي كانت معدة للتشغيل ومن ذلك مثلا مصنع العطور في حيفا (١) .

ومن جهة أخرى عطلت محاولات الدولة العثمانية الرامية لاصلاح وانعاش الصناعة في البلاد فقد سنت الدولة العثمانية قانونا عام ١٩١٣ ينص على اعفاء المواد الخام الاولية والالات والوقود وغيرها من المواد المستخدمة في الصناعات الجديدة من الرسوم الا أن نشوب الحرب أنهى فعالية هذه المحاولة (٢) .

ومن الامور التي توضح تدهور النشاط الصناعي في البلاد نتيجة لظروف الحرب ما أصاب صناعة الصابون فبعد أن بلغت قيمة ما صدر عام ١٩١٣ حوالي ٩٧٣ر٣٠٠ ريالا أمريكيا أصبحت أواخر عام ١٩١٤ حوالي ٦٩٣ر٧٦٨ ريالا أمريكيا أي بانخفاض ٢٩ بالمئة (٣) ، ومهما يكن فان الحرب حركت مشاعر الاهالي نحو ضرورة الاعتماد الذاتي والعمل على انعاش المنتجات المحلية بدلا من التعبية الاقتصادية ، حتى في الامور الحياتية ، فقد أثبتت الحرب العالمية لابناء البلاد أن لا بد من الجهد الذاتي ولعل هذا الشعور كان الى جانب غيره من العوامل سببا في انعاش وازدهار الحركة الصناعية بعد الحرب (٤) .

هكذا عاش أبناء المجتمع الحضرى في ظروف الحرب سواء في الجانب الاجتماعي أو الاقتصادى فقد أصيب هذا المجتمع في تشتت كيانه وتشتت عائلاته والزعماء المستنيرين وانكماش النشاط التعليمي والصحفي لاهل البلاد ، كما أن أبناء هذا المجتمع عاشوا أيضا الارتباكات الاقتصادية بكل قسوتها فلم يتمكن أبناء هذا المجتمع من التغلب على هذه المعاناة بواسطة وجاهتهم أو أموالهم . مما جعلهم في ظروف قد تكون أكثر قسوة عليهم وأكثر حدة مما حدث في المجتمعات الاخرى ، خاصة لدى أبناء الريف أو البدو الذين على الاقل كانت الموارد الزراعية بين أيديهم بحكم ظروفهم المحلية .

المجتمع الريفي

الفلاحون هم سكان الريف كانوا ينقسمون الى أحزاب عشائرية ترجع أصولها الى قيس ويمن (٥) ، وقد وجد هؤلاء الفلاحون من القرية موطنا لهم فضمت عددا من العشائر والعشيرة بدورها تضم عددا من العائلات التي تميزت بشدة تماسك أفرادها وحرصهم على التعاون في سبيل تأمين متطلبات حياتهم فقد كان الرجال من أفراد هذه العائلات يعملون بالزراعة في حين كان أبناؤهم يعملون في الرعي ، أما النساء فقد انصرفن الى توفير المياه والطعام ويشمل الخضروات والارز وبعض اللحوم (٦) .

---

(١) محمد بهجت ورفيق التميمي : مرجع سبق ذكره ص ٢٣٦ .

(٢) Alfred Bonne: State and economics in the Middle East p 275.

(٣) حنا صلاح : مرجع سبق ذكره ص ٦٧ — ٦٩

(٤) سعيد جمادة : مرجع سبق ذكره ص ٢٨٧ — ٢٩٢ .

(٥) Finn: OP.Cit., p 244 - 246.

(٦) Condor: Tent work in Palestine p 316 .

وقد استخدمت النساء في تحضير هذه الاطعمة أواني نحاسية متعددة (١) ويلاحظ على أفراد العائلات الريفية تأثير العصبية القبلية من حين لاخر ولا سيما في حالة نشوب أية خلافات بين العائلات الريفية (٢) .

ويترأس كل عشيرة أو عائلة شيخ أو شيخان عليهم مسؤولية جمع الاموال الاميرية المطلوبة من أهالي القرية ، ومسؤولية مساعدة عساكر الدولة فيالقاء القبض على المخالفين ويبدو أن منصب الشياخة كان اما وراثيا واما بتعيين من الحاكم (٣) . وكثيرا ما كان شيخ القرية يحسم في بعض الخلافات المحلية بموجب قوانين وأنظمة غير مكتوبة بل متعارف عليها بين الجميع (٤) .

وتمتاز القرية الفلسطينية بانها في موقع مرتفع ولعل السبب في ذلك كان لتحقيق أمور دفاعية أو صحية ، وشوارعها ضيقة وبيوتها حجرية وفي داخل هذه البيوت أثاث بسيط لا يتعدى الحصير والادوات المنزلية البسيطة .

يقسم البيت في العادة الى قسمين يكون القسم الاول مرتفعا قليلا عن القسم الاخر ويكون مخصصا لكل أفراد العائلة والقسم السفلي يستخدم مخزنا للغلال ومأوى للحيوانات خاصة في الشتاء (٥) .

ولم تكن الاسواق من المعالم الرئيسية في القرية ـ كما هو الحال في المدينة ـ بل كانت الطريق الرئيسية في القرية مكان التقاء البائع والمشترى (٦) ، كما لعبت دكاكين القرية البسيطة دورا في تأمين الحاجات الضرورية لاهل القرية (٧) .

عاش . الفلاح الفلسطيني ظروفا اقتصادية صعبة خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية بسبب الاساليب التي استخدمتها الدولة العثمانية في تحصيل الضرائب فقد تقلبت بين نظامين الالتزام والامانة وما أوقع الفلاحين تحت سطوة وعسف الملتزمين من حين لاخر ، كما تأثر الفلاحون بتطبيق نظام الطابو الذى صدر في عام ١٨٦١ حين سجل العديد من أراضي الفلاحين بأسماء المتنفذين رغبة من بعض الفلاحين في التهرب من دفع الضرائب وخوفا من التجنيد الاجبارى ، كما أن عمليات التسجيل هذه جاءت بسبب نفوذ بعض الوجهاء الذين سيطروا على هذه الاراضي (٨) .

سبب هذا الاجراء استبعاد الكثير من الفلاحين رسميا عن ملكية أراضيهم ، وهذا ما توضحه التقديرات المتعلقة بملكية الفلاحين في فلسطين فقد كان الفلاحون يمتلكون ٧٥ بالمئة من أراضي فلسطين قبل تطبيق نظام الطابو أما بعد الاخذ بهذا النظام فقد انخفضت نسبة ملكيتهم الى ٤٠ بالمئة ....

---

(١) سجلات المحكمة الشرعية في القدس السجل رقم ٣٤٦ ص ٩٦

(٢) (2) Wilson: Peasant life in the Holy Land p . 76.

(٣) (3) Grant : The people of Palestine . P 51.

(٤) (4) Finn : OP.Cit., p 190.

(٥) (5) Forder : Daily life in Palestine p. 24 - 26.

(٦) (6) Grant : OP.Cit., p. 145.

(٧) (7) Wilson : OP.Cit., p 74.

(٨) عبدالعزيز عوض : متصرفية القدس ، رسالة دكتوراة غير منشورة .

فقط (١) في وقت كانت نسبة الاراضي الزراعية حوالي ٤ر٣٢ بالمئة من مجموع مساحة البلاد وهي ٠٠٩ر٢٧كم٢ (٢) ٠

حدث كل هذا في وقت عجز فيه الفلاحون عن التجمع داخل تنظيم يدافع عن حقوقهم لذا بقي الفلاحون مرتبطين بالرباط العائلي المألوف وبقي زعيم العائلة أو الاسرة ممثلا لافراد عائلته ومسوءولا عنهم أمام المسوءولين (٣) ٠

كما تأثرت أوضاع الفلاح الفلسطيني بنشاط الحركة الصهيونية في فلسطين بموجات الهجرات اليهودية التي أخذت تتسلل الى البلاد مبعدة هذا الفلاح عن أرضه ، اما وقد وقعت الحرب العالمية وباشراك تركيا فيها نجد أن الزراعة في فلسطين قد تأثرت من عدة جوانب أهمهـــا :

توقف النشاط والاعمال الزراعية :

تضافرت عدة اجراءات اتخذتها السلطة العسكرية التركية مع بداية نشوب الحرب العالمية في تعطيل النشاط الزراعي في فلسطين ، من ذلك مصادرة كميات البترول من البلاد لاغراض عسكرية مما أدى الى توقف الابار الارتوازية التي توفر المياه لبيارات البرتقال خاصة في جهات يـــافـــا (٤) ٠

ومن الاجراءات أيضا سحب أبناء البلاد الى الخدمة العسكرية وبهذا تم افراغ البلاد من فئة الشباب المنتجة فأدى ذلك الى قلة الايدى العاملة في قطاع الزراعة بشكل واضح ، لان نسبة العاملين في هذا القطاع كانت حوالي ٦٠ــ٧٠ بالمئة (٥) ، ويبدو أن السلطات العسكرية أدركت أبعاد تجريد البلاد من الايدى العاملة على قطاع الزراعة لذا حاولت معالجة هذا الامر فكلفت قوات من الجند للقيامبالاعمال الزراعية الضرورية غير أن هذه المحاولة لم تنجح بسبب عدم الاعداد اللازم لذلك اذ لم تتوفر الادوات الزراعية اللازمة (٦) ٠

ومن ذلك أيضا قيام السلطة العسكرية التركية بجمع الحيوانات من البلاد لاستخدامها للاغراض العسكرية في وقت كان الفلاح الفلسطيني يعتمد على الحيوانات بشكل كبير في اعماله الزراعية كالحراثة أو النقل (٧) ٠

ولم يقف الامر عند توقف النشاط والاعمال الزراعية بل أن الاجراءات العسكرية أوقعت

---

(١) خليل أبو رجيلي : الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل ،"مجلة شوءون فلسطينية عدد ١١ تموز ١٩٧٢ ص ١٣٣ ــ ١٣٥ ٠

(٢) سعيد حماده : مرجع سبق ذكره ص ١٤٢ ٠

(٣) نبيل بدران : " الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى ، مجلة شوءون فلسطينية عدد ٧ ــ مارس ١٩٧٢ ص ١١٦ ــ ١٢٨ ــ

(٤) الكوكب : ٤٢ ــ ١٥ مايو ١٩١٧ ٠

(٥) محمد يونس الحسيني : مرجع سبق ذكره ص ١٠٩ ــ ١١١ ٠

(٦) الكوكب : ٤٣ ٢٢ مايو ١٩١٧ ٠

(٧) عمر البرغوثي وخليل طوطح : مرجع سبق ذكره ص ٢٧٣ ــ ٢٨٣ ٠

ضررا كبيرا بالمحاصيل الزراعية الرئيسية في البلاد خاصة شجرة الزيتون التي كانت هدفا للترك فقد قطعت لاستخدامها كوقود للقاطرات في وقت تعذر فيه الحصول على الفحم من الخارج ، وقد وصلت نسبة المقطوع من أشجار الزيتون في بعض المناطق الى ٤٠ بالمئة خاصة في جهات القدس ونابلس (١) ، كما قطعت أشجار النخيل في غزة لاستخدامها في استحكامات العسكرية (٢) وكذلك تعرضت الثورة الحرجية في البلاد لعمليات اجتثاث اصابت أهم أشجار مثل البلوط والسنديان والصنوبر (٣) ٠

وجاءت أسراب الجراد (١٩١٥ - ١٩١٦) لتقضي على ما بقي من المزروعات والاشجار في البلاد التي وصفت بانها : نهر جار التهم كل خضراء ويابسة من غابات الزيتون وبساتين الاثمار والكروم (٤) ٠

وزاد من خطورة اسراب الجراد أنها حلت بالبلاد في وقت لم تتوفر فيه العلاجات أو المواد الكيماوية لمكافحة هذه الافات (٥) ٠

لذا اعتمدت الدولة على الطاقة البشرية في مقاومة أسراب الجراد فكلفت أبناء البلاد من سن ١٥ - ١٦ بجمع الجراد بحيث يجمع كل مكلف ٢٠ كيلو من الجراد أو يدفع البدل المقرر وهو ٢٠ ليرة عثمانية (٦) لهذه الاعتبارات التي أصابت المحاصيل الزراعية في البلاد توقعت أحدى الصحف العربية - المقطم - حدوث أزمة اقتصادية في البلاد ٠ لذا ليس غريبا ان تقدم السلطة العسكرية على اجراء المواجهة هذه الظروف الاقتصادية فمنعت من تخزين الحبوب الا بمعـدل كيـس واحـد فقط (٧) ٠

- توقف اجراءات الدولة بشأن اصلاح الزراعة :

وضعت أحداث الحرب العالمية الاولى حدا لمحاولات الدولة العثمانية أصلاح الزراعة في البلاد ، من ذلك أن الدولة أخذت تعمل لاجل تخفيف وقع ضريبة الاعشار عن الفلاحين ، تلك الضريبة التي وأن كانت تعرف بالعشر أى بنسبة ١٠ بالمئة من المحاصيل الزراعية نقدا أو عينا الا أن نسبتها كانت في الوقع أكثر من ذلك اذ وصلت ١٢,٦٣ بالمئة وقد جاء هذا التصاعد بسبب الاضافات التي أضافتها الدولة على هذه الضريبة كان أولها ١ بالمئة تدعيما للبنك الزراعي ثم ½ في المائة للمعارف ثم ½ في المئة لسد عجز ميزانية عام ١٨٩٥ وأخيرا ٦ بالمئة من أصل كل ضريبة من هذه الضرائب لغرض التجهيزات العسكرية الى أن أصبحت ١٢,٦٣ بالمئة ، وقد خلفت هذه الضريبة بكسورها المتعمدة التعقيدات الشديدة عند جمعها ، لذا حاولت الدولة في

---

(١) الكوكب : ١٣١ - ١١ فبراير ١٩١٩
(٢) عارف العارف : تاريخ غزة ص ٢٨٦ - ٢٩٢
(٣) محمد يونس الحسيني : مرجع سبق ذكره ص ١٠٣ - ١٠٦
(٤) المقتطف : المجلد ٤٨ - السنة ١٩١٦ ص ١٠٢
(5) Elazari Volcani: OP.Cit., p 84 - 90.
(٦) المقتطف : المجلد ٤٨ السنة ١٩١٦ ص ١٠٢
(٧) المقطم : ٨٣١٤ - ٢٤ مارس ١٩١٦

البداية أسقاط نسبة من هذه الضريبة لتصبح ١٢½ بالمئة فلم تنجح في ذلك وبقي الامر على حالة بسبب احداث الحرب العالمية (١) ٠

ومن الاجراءات التي اعتمدت عليها الدولة العثمانية لتنشيط الزراعة وتوقف خلال الحرب العالمية ، مشروع الحوله الذى أحيل في حزيران ١٩١٤ لاثنين من المتعهدين في بيروت بقصد تجفيف بحيرة الحولة والمستنقعات الضريبية (٢) ٠

المجتمع البدوى :

ينقسم المجتمع البدوى الى عدة قبائل وتضم القبائل عددا من العشائر وينطوى تحت العشيرة عدد من الحمائل والحمولة تضم عددا من العائلات ، وكان على رأس كل قبيلة شيخ يتمتع بسلطات واسعة على أفراد قبيلته ويحمل هذا الشيخ أحيانا لقب أمير ، وكان لكل قبيلة من القبائل البدوية بقعة من الارض لزراعتها لذا فهي في هذا قبائل شبه رحل ، تجمعها في سكناها عدة خيام وتشدها اعتبارات منها المصاهرة أو الاتفاقات التي كانت تعقد عقب نشوب منازعات فيما بينها (٣) ، وكانت هذه القبائل ترجع الى قضاتها في فض منازعاتها حسب العادات والتقاليد المتبعة لديها لذا تميزت حياة البدو بالتنقل والترحال ليس بسبب هذه المنازعات فحسب بل بسبب الظروف المناخية المتقلبة التي كانت تؤثر على مزروعاتهم ومواطن الكلأ لحيواناتهم (٤) ٠

ولا ريب في أن مثل هذه الظروف كانت تدفع البدوالى مزيد من الاعتداءات على الفلاحين الذين كان يزعجهم ذلك لدرجة أنهم اعتبروا البدو "لصوصا " واطلقوا عليهم هذا الاسم (٥) ٠

يمكن ابراز ثلاثة انماط من المعيشة للقبائل البدوية في فلسطين :

" القبائل البدوية التي تعتمد في معيشتها على الانتاج الحيواني تقايض بهذا الانتاج بعض الحاصلات الزراعية ، وكانت تقيم الى الشرق من مدينة القدس والخليل (٦) ، مثل قبائل بني مرة والجرامنه (٧) وكذلك عاشت القبائل المنازلة في غور بيسان على هذا النمط من المعيشة مثل عشيرة صقور وعشيرة الغزاوية (٨) ٠

---

(١) رجائي الحسيني : " ضريبة العشر المستبدلة في فلسطين " مجلة الكلية ، الجزء السادس ، المجلد السادس عشر أيلول ١٩٣٠ ص ٢٤٢ ـ ١٤٤

(٢)

(3) Volney: Travels through Syria an Egypt vol. Ip . 241 - 248.

(٤) عارف العارف : القضاء بين البدو ص ٥٤ ـ ٦٢

(٥)

(5) Volney: OP.Cit., p 248 - 250.

(٦) محمد يونس الحسيني : مرجع سبق ذكره ص ٩١ ـ ٩٣

(٧) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح : مرجع سبق ذكره ص ١٩٩ ـ ٢٠١

(٨) محمد بهجت ورفيق التميمي : مرجع سبق ذكره ص ٢٩٣ ـ ٤٠٠

" القبائل البدوية التي تعتمد في معيشتها على زراعة الحبوب ، خاصة قبائل بئر السبع وجهات غزة والتي تشكل الجانب الاكبر من القبائل البدوية في فلسطين (١) . ومن أهم القبائل التي نزلت في القسم الجنوبي من فلسطين قبائل التياها والترابين والجبارات والحناجرة (٢) .

اتسمت العلاقات بين القبائل البدوية بالطابع غير الودى سواء بين القبائل بعضها مع البعض الاخر أو بين العائلات من نفس القبيلة ، فقد شهدت فترة الحكم العثماني الثانية عدة منازعات قبلية خاصة بين قبيلة الترابين وقبيلة الجبارات وبين قبيلتي الترابين والتياها (٣) .

استجابت بعض القبائل البدوية النفير العام خاصة في منطقة بيسان حيث قدمت المساعدات المالية والعينية للسلطات العسكرية (٤) .

كما ساهمت بعض القبائل البدوية في جنوب فلسطين في الاستعدادات العسكرية التي كانت تجريها القيادة التركية الالمانية للهجوم على قناة السويس فقد جند حوالي ٢٠٠٠ رجل زودوا بالاسلحة اللازمة من قبل الجيش التركي (٥) .

وبعد اعلان الثورة العربية ١٩١٦ أخذت بعض القبائل في جهات بئر السبع بالانضمام للثورة (٦) ، كما استجابت لنداء الشريف حسين بقصد مساعدة القوات البريطانية في اثناء عملياتها العسكرية في فلسطين (٧) وبهذا يكون أبناء القبائل البدوية في فلسطين قد أسهموا كغيرهم من أبناء المجتمع العربي الفلسطيني في الحرب وبهذا وقعوا تحت تأثير الحرب من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية وهذا واضح من أن الحرب أوقفت الى حد ما المنازعات بين القبائل البدوية كما خففت من اعتداءات هذه القبائل التي كانت تشنها من حين لاخر على الفلاحين ومزارعهم ، أما من الناحية الاقتصادية فقد تأثرت بعض الصناعات المحلية خاصة حياكة البسط والسجاد (٨) كما تأثر انتاج البلاد من الشعير في منطقة بئر السبع (٩) وهذا واضح من انخفاض قيمة ما صدر من الشعير الى ٤٠ بالمئة . فقد صدر عام ١٩١٣ ما قيمته ٥٤٦ر١٦ ريالا أمريكيا في حين صدر في عام ١٩١٤ ما قيمته حوالي ٩٠ر٩٩٤ ريالا فقط (١٠) .

في نهاية الحديث عن المجتمع العربي الفلسطيني ، خلال الحرب من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ، يمكن ابراز عدة أمور منها أن الظروف التي تعرض لها أبناء المجتمع

---

(١) محمد يونس الحسيني : مرجع سبق ذكره ص ٩١ - ٩٣
(٢) عارف العارف : تاريخ بئر السبع وقبائلها ص ١ - ١٩٦
(٣) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، الجزء الاول ، القسم الثاني ص ٤٢١ - ٤٢٩
(٤) محمد بهجت ورفيق التميمي : مرجع سبق ذكره ص ٢٩٣ - ٤٠٠
(٥) المؤيد : ٧٤٧٠ - ٢ يناير ١٩١٥
(٦) لورنس : الثورة في الصحراء ص ٣٣٥ - ٣٣٨
(٧) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٣٢٦ - ٣٣٥
(٨) سعيد حمادة : مرجع سبق ذكره ص ٢٧٧
(٩) خليل ابو رجيلي : الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل ص ١٣١ - ١٣٢
(١٠) حنا صلاح : مرجع سبق ذكره ص ٤٢ - ٥٦

الريفي كانت أكثر بعد وأكثر تأثيرا على البلاد بحكم أن الجانب الاكبر من أبناء البلاد هم من أبناء الريف فهم بنسبة ٦٠ ــ ٧٠ بالمئة كما ان العديد من الانشطة والاعمال الصناعية تتوقف على الانتاج الريفي ، هذا الانتاج الذى قل ثم انتهى بغياب المزارعين .

كما أن الظروف التي تعرض لها أبناء المجتمع الريفي جاءت وحالة الفلاحين وأبناء الريف سيئة بعد أن تأثرت بظروف ما قبل الحرب فقد أبعد العديد من الفلاحين عن أرضهم ، بتطبيق قانون الطابو الذى أبعدهم رسميا عن ملكية أراضيهم ، في حين بقوا عمليا يعملون في الارض في ظل ظروف استثمار جديدة وفي ظل تبعية للمتنفذين ، في حين لم يعان أبناء المجتمع الحضرى مثل هذه الظروف بل على العكس من ذلك أن ثروتهم خلال سنوات ما قبل الحرب قد زادت من هذه الناحية فسجل العديد من الاراضي بأسمائهم لذا لم يكن تأثير ظروف الحرب عليهم كما كان أبناء المجتمع الريفي ، هذا واضح تماما من الوضع الذى أصبح عليه الفلاح الفلسطيني خلال الفترة التي تلت الحرب .

فقد وجد الفلاح الفلسطيني نفسه مبعدا نهائيا عن تملك أرضه ، وقد تم هذا من خلال تسرب الاراضي الى الايدى الاجنبية التي بدأت تغزو البلاد بطريقة رسيمة كما جاء به تصريح بلفور مما أدى الى أبعاد الفلاحين ، ليس عن ملكية أراضيهم فحسب بل الى أبعادهم عن العمل في أراضيهم وهذا ما يمكن ان نفسر به اسباب الاضطرابات التي بدأت تحدث في البلاد بعد الحرب بين عرب فلسطين واليهود .

القســم الثانــي

الادارة العســكريــة البريطانيــة

× × × × ×

الفصل الخامس

الاحتلال البريطاني وتأسيس الادارة العسكرية في فلسطين

العمليات العسكرية البريطانية في فلسطين :

المهمة الاستطلاعية للقوات البريطانية ... اعتبارات القيادة البريطانية فيمصر للقيام بالعمليات العسكرية نحو فلسطين ... الهجوم البريطاني الفاشل على غزة ... تغييرات في القيادة العسكرية البريطانية ... تغييرات في القيادة التركية الالمانية ... العمليات العسكرية البريطانية في القسم الجنوبي من فلسطين ... توسيع العمليات العسكرية في الشمال ... خطة اللنبي لاحتلال الاقسام الشمالية من فلسطين ... موقف الاهالي من العمليات العسكرية وتأثير ذلك على سير العمليات .

تأسيس الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين :

ارتباط عملية تأسيس الادارة العسكرية بالعمليات العسكرية للقوات البريطانية ... ارتباط الادارة العسكرية بالقيادة السياسية في مصر ... توسيع الترتيبات الادارية حسب قرارات ٢٣ أكتوبر ١٩١٧ ... فك الارتباط السياسي مع مصر وتعيين الجنرال موني بدلا من كلايتون ترتيبات مالية للادارة العسكرية ... التشكيلات الادارية حسب قرارات ٢٢ أكتوبر ١٩١٨... المبادئ العامة التي اعتمدت عليها الادارة العسكرية استنادا على القوانين والاعراف الدولية .

* * * * *

العمليات العسكرية في فلسطين وموقف الاهالي :

وقعت فلسطين تحت الحكم العسكرى البريطاني ، بعد العمليات العسكرية الناجحة التي قامت بها القوات البريطانية ضد الجيش التركي ، سواء بافشال حملاته العسكرية على قناة السويس أو نتيجة عمليات الزحف البريطاني ، بعد نقل مسرح العمليات من أرض مصر الى ارض فلسطين ، وقد مهدت القوات البريطانية لعملياتها العسكرية الرئيسية في فلسطين بنشاط عسكرى محدود داخل شبه جزيرة سيناء بقصد تمشيط الاراضي المصرية من القوات التركية المتراجعة بعد عملياتها الاخيرة الفاشلة على قناة السويس .

هذا الوضع الذى أصبحت عليه القوات التركية سهل تماما المهمة الاستكشافية التي قامت بها القوات البريطانية وهذا واضح من تقدم القوات البريطانية نحو العريش لاحتلالها فقد وجدت المدينة خالية تماما من القوات التركية فمكنها ذلك من متابعة التقدم نحو رفح فاحتلتها في ٨ يناير سنة ١٩١٧ وبهذه العمليات العسكرية تكون القوات البريطانية قد حققت مهمتها الاستطلاعية وتمكنت من اخلاء الاراضي المصرية من القوات التركية استعدادا للحملة الرئيسية نحو فلسطين (١) .

---

(١) شكري نديم : مرجع سبق ذكره ص ٥٠ — ٦٠

ولن نتعرض في هذا الفصل لوضع أو تتبع العمليات الحربية تفصيلا فان هذا لا يدخل في موضوع بحثنا وانما سنتخذ من تلك العمليات بداية نصل بها الى الاحتلال البريطاني لفلسطين وفرض الحكم العسكرى فيها .

وقبل الحديث عن العمليات البريطانية التي انتهت باحتلال سوريا جميعها نقول ان سوريا الطبيعية كانت عسكريا تحت اشراف أربعة جيوش تركية موزعة على المنطقة كلها فقد كان الجيش الثاني في حلب والجيش الرابع في السلط والجيش السابع في نابلس والجيش الثامن في طولكرم . كما أقامت القيادة التركية الالمانية عدة مراكز لتموين هذه الجيوش منها مركز في الناصرة عرف بمنزل فلسطين . وحددت القيادة كذلك الجهة او الجهات التي سيكون كل جيش من هذه الجيوش مسؤ ولا عنها أمام القوات البريطانية (١) .

وهكذا نرى ان الترك ركزوا جانبا من قوتهم لمواجهة الزحف البريطاني على بلاد الشام . بدأ البريطانيون عملياتهم العسكرية بالهجوم على غزة مبتدئين بذلك غزوهم الشامل لفلسطين ، وقد جاء ذلك تنفيذا لما بررته القيادة البريطانية في مصر بعد أن تجمعت أمامها عدة اعتبارات دفعتها الى اتخاذ هذا القرار ، من ذلك أن الهجوم سيعمل على تحقيق المصالح الفرنسية التي نظمتها اتفاقية سايكس بيكو في وقت تأكدت فيه القيادة البريطانية بشكل عملي مدى الضعف الذى تعانيه القوات التركية بعد عملياتها الاخيرة نحو قناة السويس أو في جبهة العراق وكانت القيادة البريطانية قد استعدت لذلك بعد أن قام " مورى " قائد القوات البريطانية في مصر بتكليف "دوبل" بقيادة القوات البريطانية في هجومها على غزة الذى بدأ في ٢٧ مارس ١٩١٧ ، غير ان الهجوم البريطاني على غزة لم يحقق مهمته العسكرية اذ لم يتمكن الجيش البريطاني المهاجم من تنفيذ خطته الرامية الى تطويق المدينة حيث حالت التحصينات التركية المنيعة لهذه المدينة دون تحقيق الخطة البريطانية فتراجعت على اثر ذلك القوات البريطانية المهاجمة غير أنها عاودت الهجوم بعد أقل من شهر ومع هذا لم يكن الهجوم أسعد حظا من الهجوم الاول .

ولما كانت بريطانيا قد بدأت تدرك الابعاد السياسية والعسكرية لاحتلال فلسطين لذا رأت ضرورة متابعة العمليات العسكرية ومن هنا أجرت تغييرات في القيادة العسكرية اصابت قائد القوات البريطانية في مصر الذى استبدل به " اللنبي " (٢) كما أصابت القائد البريطاني "دوبل" الذى استبدل بقائد آخر هو "شت وود" ، وجرت هذه التغييرات في وقت وقعت فيه الخلافات داخل القيادة التركية الالمانية وذلك بموجب التقارير التي رفعها كل من القائد الالماني "فون فالنهاين" والقائد التركي مصطفى كمال . وقد جاءت هذه التقارير بعد مؤتمر حلب الذى عقد في ٢٤ يونيه ١٩١٧ بقصد وضع الخطة اللازمة لتدعيم الحدود والدفاع عن البلاد ،وبرزت خلال هذا المؤتمر آراء متعددة ، فالبعض يرى ضرورة تعزيز الجبهة الفلسطينية والبعض

---

(١) الكوكب : ١٣٥ – ١١ مارس ١٩١٩

(٢) (2) Wavell : The Palestine Compaigns . p. 88 - 92.

الاخر يرى ضرورة تعزيز الجبهة العراقيـــة (١) .

بمقارنة أوضاع القيادة البريطانية باوضاع القيادة التركية الالمانية نجد أن القيادة الاولى عملت على تعزيز جهودها في جبهة فلسطين ، أما القيادة التركية الالمانية فقد تعددت آراؤها حول تعزيز جبهة فلسطين أو جبهـــة العراق .

كما أن قوات الثورة العربية التي انطلقت من الحجاز تمكنت من الاستيلاء على العقبـــة في يونيـــه ١٩١٧ مما قدم دعما عسكريا للقوات البريطانية فأصبحت القوات العربية بقيادة الامير فيصل بن الحسين تشكـــل الجناح الايمن للقوات البريطانية التي كانت تستعد للهجـــوم وبذلك بدأت حملة فلسطين في طريقهـا الـــى الشام حتى الحدود الـــتركيـــة .

وأخذ الامير فيصل ، بعد سقوط العقبـة ، يعمـل على تنظيـم واعـداد قواتـه بعـد وصـول الفيلق العربي الذى تشـكل في مصر من أسـرى العرب من القبائـل البدويـة التي اسـتجابت لطلـب الامـــير في جهات معان وغـيرها ، وبهذا شـكل الامـير فيصل نواة لجيـش عوبـي نظامـي تحت القيـادة البريطانية. كان قوامها لواء من المشـاة واورطتـين من الركبـان (جمـــال ، بغـــال) . وبينما كان الامير فيصل منهمكـا في اعداد هذه القوات كانت وحـدات من قواتـه تغـير على خطوط السـكك الحديدية والجســـور والطرق الامر الذى ترتـب عليه تعطيل بعض أجـزاء من مواصـلات الـترك (٢) .

ولقـد كـان لذلـك أثـر ايجابـــي على المحاولـة الثالثـة الـتي قامـت بهـا القيـــادة البريطانية وحلفاؤها العرب لاحتـــلال غـزة حتى انتهـت باقتحـام مدينـة بـئر الســـبع أولا فـي أواخــــر اكتوبـر ١٩١٧ ، ثم دخول غزة في ٧ نوفمبر من العام نفسـه وبكسـر القوات البريطانية لخط الدفاع الـتركـي الممتد في بئر الســـبع حتى غزة أصبحـت الطريق نحو مدينة القـــدس مفتوحـة خاصـة بعـد أن قامـــت القوات البريطانيـة بعمليات مطاردة للقوات الـــتركية ، المـــتراجعة تمكنت خلالها من الاســــتيلاء على عدة مدن فلســـطينية أخـرى مثـل يافـا ، الرملـــة ، اللــــد (٣) .

على أثـــر النتائـــج العســـكرية التي حققهـــا الجيـــش البريطانـــي ، في غزة والمناطـــق الساحلية حتى يافا ، أخـذت القيادة الـتركية في ترتيبـات عسـكرية جديدة من ذلـــك انســـحاب الجيـش الثامن الى شـــمال نهر العوجـــه . أما الجيـــش السابع فقد تعـددت الاعمـال العســـكريـــة التى أوكلـت اليـه فقد عهـد للفيلـق ٢٢ من هذا الجيـــش مهمة الدفـاع عن القـــدس وكلف الفيـــلق الثالـــث من هذا الجيـش بحمايـة طريق القـدس نابلـس ، ونقلـت القيادة من القـــدس الى نابلـس (٤) .

أمـــا الجانـب الاخـر ، وهـو الجانب الـبريطاني ، فلم تكن قيادتـــه قـــد قـــررت بعـــد

---

(١) جمال باشا (الصغير) : مرجع سبق ذكره ص ٢ ــ ١٣
(٢) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٣٢٣ ــ ٣٢٦
وانظر كذلك سليمان موسى : لورنس والعرب ص ٤٦ ــ ٩٠
(٣) (3) Wavell : OP. Cit., p. 142 - 156 .
(٤) شكري نديم : مرجع سبق ذكره ص ١٣٧ ــ ١٤٩

القيام بعمليات عسكرية جديدة بعد الانتصارات التي حققتها ، فرأت قبل المضي في الزحف تدعيم مواقعها عن طريق مد شبكة من المواصلات لتتمشى مع الرقعة الجديدة التي تم احتلالها ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان القيادة كانت ترى أن المرحلة القادمة من العمليات العسكرية تحتاج الى استراتيجية جديدة ، بحكم طبيعة البلاد الجبلية ،بعد أن كانت قد انجزت العمليات العسكرية السابقة في المناطق الساحلية ، ومع هذه المحاذير ، قررت القيادة البريطانية القيام بعمليات عسكرية جديدة بعد أن لاحظت مدى الارتباك الذى حدث في القيادة التركية الالمانية وما أجرته من تنقلات شملت قطاعات كبيرة من جيوشها ٠ لذا قررت القيادة البريطانية الاستفادة من هذا الوضع لاسيما وأن الجنرال اللنبي كان يرغب في أن يقدم القدس هدية للشعب البريطاني قبل عيد الميلاد تنفيذا لرغبة رئيس الوزراء لويد جورج(١)٠

بدأ الجيش البريطاني هجومه يوم ١٩ نوفمبر ١٩١٧ بقصد دخول مدينة القدس ، ونتيجة لهذا الهجوم ، تمكن الجيش البريطاني من السيطرة على عدة قرى ومراكز للجيش التركي منها قرية النبي صموئيل التي تعتبر بحكم موقعها مفتاحا للاستيلاء على القدس ، لذا فان القوات التركية قامت بجهد كبير حتى استردتها مما افشل الخطة البريطانية في الاستعداد ثانية للهجوم على المدينة المقدسة ، وحدد لذلك يوم ٨ ديسمبر ١٩١٧ موعدا للهجوم الرئيسي على المدينة وتمكنت القوات البريطانية من اقتحام المدينة في اليوم المحدد لذلك ، بالرغم من سوء الاحوال الجوية وغزارة الامطار التي سقطت في ذلك اليوم ، مما كان له تأثير واضح في احداث ارتباكات بين القوات البريطانية المهاجمة ٠ وبهذه النتيجة تراجعت القوات التركية عن المدينة وانسحبت نهائيا يوم ٩ ديسمبر ١٩١٧ بعد أن كان المتصرف التركي (عزت بك) قد سلم وثيقة تسليم المدينة الى رئيس البلدية لتسليمها الى القائد البريطاني (٢) ٠

ان سقوط مدينة القدس ، وان كان لا يحقق اهدافا استراتيجية هامة للبريطانيين ، الا ان استيلاءهم عليها كان له تأثيره المعنوى الكبير ، بحكم المكانة الدينية التي تتمتع بها القدس الشريف خاصة وبأن اللنبي قد حقق رغبة رئيس الوزراء في الوقت الذى حدده لذلك وهو قبل عيد الميلاد ، ومع هذا ، فان سقوط مدينة القدس كان فاتحة لاعمال عسكرية اخرى لم تستهدف فقط تصفية الاقسام المتبقية من فلسطين ، وهي الاقسام الشمالية ، بل ان الامر امتد الى اخراج تركيا نهائيا من الحرب ، بعد أن وصلت القوات البريطانية والحليفة الى دمشق ثم حلب أواخر عام ١٩١٨ (٣) ٠

وقد جاءت هذه القرارات بشأن توسيع العمليات العسكرية البريطانية نحو الشمال بعد الاجتماع الذى عقدته وزارة الحرب البريطانية أواخر يناير ١٩١٨ ، ولهذا الغرض أوفدت سمطس ممثلا عنها لبحث الامر مع الجنرال اللنبي ولاجل الوقوف على متطلبات

---

(1) Wavell : OP. Cit., p. 156 - 159.

(٢) عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ص ٣٨٠ – ٣٨٦

(٣) شكري نديم : مرجع سبق ذكره ص ١٧٩ – ١٨٧

هذه المرحلة من العطيات العسكرية الواسعة . وعلى الفور بدأ الجنرال اللنبي في اعداد خطة شاملة لتحقيق رغبة حكومته ، ويمكن تلخيص الخطة التي وضعها بالنقاط الاتية :

— احتلال وداى الاردن بقصد تأمين جناح الجيش الايمن في اثناء تقدمه نحو الشمال ، ثم القيام بعمليات تدميرية تستهدف خط سكة حديد الحجاز ، لان هذا الاجراء يعمل على عزل القوات التركية في المدينة المنورة ، من ناحية ، كما يعمل من ناحية أخرى ، على تشجيع الثورة العربية التي كان يقودها ضد الترك الشريف الحسين بن علي .

— القيام بعمليات عسكرية في المناطق السهلية والساحلية ، مع بداية فصل الصيف مع تأمين شبكة مواصلات من السكك الحديدية ، خاصة بين طبرية وحيفا ، على أن تتوسع هذه الشبكة مع توسع العمليات العسكرية نحو الشمال (١) .

وقبل ان يقوم الجنرال اللنبي بتنفيذ هذه الخطة أمر فرقة عسكرية بالهجوم على أريحا حيث أخذت بعض فرق الجيش التركي تتجمع هناك (٢) ،وفي هذا تهديدا عسكريا لمدينة القدس . ومن هنا كان هدف اللنبي من ارسال هذه الفرقة احتلال اريحا تأمينا للقدس من الاخطار التي قد تهددها من هذه الجهات ، وانجزت الفرقة مهمتها ودخلت أريحا في ٢١ فبراير ١٩١٨ (٣) .

بعد هذا بدأ اللنبي بتنفيذ خطته الرامية لاشعار القوات التركية غربي النهر بان هنالك خطرا أخر ، شرقي النهر ، حتى يعملوا على نقل جانب من قواتهم يكون على حساب خططهم في المنطقة غربي النهر ، التي ستكون هدفا رئيسيا للقوات البريطانية خلال عملياتها العسكرية القادمة ولتحقيق هذا التضليل العسكرى أغارت القوات البريطانية (٤) بمؤازرة وحدات من الجيش العربي كانت تحت أمرة فيصل (٥) أغارت أولا على المناطق شرقي الاردن لاتخاذ السلط قاعدة للعمليات العسكرية نحو عمان ، غير أن سوء الاحوال الجوية وتعذر الاتصال بين القوات العربية والبريطانية حالا دون تحقيق هذا الهدف (٦) . لذا قرر الامير فيصل قصر عملياته على منطقة معان لعزلها حتى لا تكون قاعدة تتجمع فيها القوات التركية والالمانية مما يعيق القوات البريطانية وحلفاءها العرب من التقدم نحو الشمال (٧) .

أما اللنبي فكرر الغارة ، لكن هذه المحاولة كان مصيرها كمصير الغارة الاولى ، ولما كان القصد من هذه الغارات تحويل الانظار عن المنطقة التي ستكون مسرحا للعطيات العسكرية البريطانية الرئيسية لذا لم يقم اللنبي وزنا لنتائج هذه الغارات التي فشلت في احتلال مواقع جديدة لكنها من ناحية أخرى حققت هدفه فقد تحركت بعض القوات التركية الى هذه المنطقة الامر الذى خفف من الوجود العسكرى التركي في المنطقة التي كانت هدفا للزحف البريطاني فقرر اللنبي القيام بالهجوم الرئيسي في المنطقة غربي نهر الاردن مبتدئا بالمناطق الساحلية

---

(١) (1) Wavell : OP.Cit., P. 173 - 178.

(٢) الكوكب : ١٣٢ — ١٨ فبراير ١٩١٩

(٣) شكرى نديم : مرجع سبق ذكره ص ١٧٩ — ١٨٧

(٤) (4) Wavell : OP.Cit., p . 173 - 216.

(٥) جورج انطونيوس مرجع سبق ذكره ص ٣٣٠ — ٣٣١

(٦) (6) Wavell : OP.Cit., P. 173 - 216.

(٧) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٣٣٠ — ٣٣١

تجنبا للمناطق الجبلية التي قد تعيق تقدمه (١) ٠

وفي نفس الوقت ، كلف الجيش العربي الذى بلغت قواته حوالي ٨٠٠٠ جندى بمهاجمة محطة درعا وهي من المحطات الرئيسية على خط سكة حديد الحجاز ، لقطع مواصلات الترك بين دمشق وفلسطين (٢) ٠

هذه الاجراءات أبعدت انظار القوات التركية عما كان يجرى في المناطق الساحلية التي تعرضت لعمليات عسكرية مركزة منذ منتصف شهر سبتمبر ١٩١٨ ، وانتهت باحتلال العديد من المدن الفلسطينية الهامة مثل جنين ، طولكرم ، نابلس ، حيفا ، عكا ، الناصرة ٠

وبهذا تكون القيادة البريطانية وحلفاؤها قد احتلوا الضفة الغربية لنهر الاردن ، ليبدأوا بعدها عمليات عسكرية أخرى انتهت باحتلال السلط ، ثم عمان في ٢٥ سبتمبر ثم دمشق في أواخر سبتمبر ، ثم بيروت في ٣ أكتوبر وحلب ٢٦ أكتوبر ١٩١٨ وبهذا تكون العمليات العسكرية قد انتهت في بلاد الشام (٣ ، وتم اعلان الهدنــة في ١١ نوفمبر ١٩١٨ ٠

واجهت القوات البريطانية بعض العقبات ، خلال تنفيذ عملياتها العسكرية في فلسطين ،سواء بسبب وعورة الارض أو بسبب مقاومة الجيش التركي للقوات البريطانية المتقدمة نحو غزة أو القدس ، اذ لم تسقط هذه المدن الا بعد عدة محاولات قام بها الجيــش الــبريطاني ، ومع هذا فان هذه العقبات لم تكن لها أهمية كبيرة، حيث أن موقف الاهالي تجاه القوات البريطانية كان له دور كبير في تخفيف هذه العقبات ، بعد أن أصبحت بريطانيا تنفذ عملياتها العسكرية على أرض شعب أصبح بالنسبة لها صديقا وحليفا وبعد اعلان الثورة العربية في حين أصبح علىالقوات التركية أن تقاتل على أرض شعب أصبح بالنسبة له عدوا ، وقد تمثل هذا الموقف من قبل الاهالي (٤) في استجابة بعض القبائل العربية في جهات بئر السبع الى الانضمام الى الثورة العربية وانضمام اعداد العرب في القوات التركية الى الجيش البريطاني ، استجابة لنداءات الشريف الحسين بن علي الامر الذى ترتب عليه تقديم مساعدات قيمة للجيش البريطاني في أثناء تقدمه ، وتقديم معلومات وافية عن المواقع التركية مما سهل عملية تحرك القوات البريطانية (٥) في الجبهة الفلسطينية ٠ كما أن هذا الموقف ظهر واضحا في حسن الاستقبال الذى لقيته القوات البريطانية عندما دخلت مدينة القدس خاصة ٠ وقد رأى أهالي فلسطين أن أميرا عربيا يقود قوات عربية أتت لتحرير بلادهـــم ٠

وقد وصف كاتب فلسطيني كبير المشاعر العربية التي استقبل بها الجيش البريطاني عند دخوله القــدس بقولــه :

"وخرج أهل المدنية والقرى المجاورة لها على بكرة أبيهم يستقبلون بحماس عظيم وكان هتافهم وتصفيقهم يشق عنان السماء ترحيبا بالاصدقاء الانجليز " (٦) ٠

ويعطي صورة أخرى عن مشاعر الاهالي عند دخول اللنبي القدس يوم ١١ ديسمبر ١٩١٧ فيقول : "٠٠في اليوم المحدد لهذه الزيارة غصت الشوارع والساحات بأفراد الشعب فلما أقبل اللنبي ورهطه انطلق

(١) (1) Wavell:OP.Cit., p. 173 - 216.

(٢) لورنس : الثورة في الصحراء ص٣٩٥ – ٣٩٧ وانظر جروج انطونيوس :مرجع سبق

(٣) (3) Wavell:OP.Cit., P. 173 - 216.

(٤) انظر الفصل الثالث ٠

(٥) الهيئة العربية العليا : قضية فلسطين العربية ص ٧ – ٨ ٠

(٦) اميل الغوزى : فلسطين عبر ستين عاما ص ٢٥ – ٣٣٣ ٠

الناس يصفقون بحماس " .

غير أن هذه المشاعر مالبثت أن أصيبت بخيبة أمل بعد أن القى اللنبي خطابه (١) الذي لم يشر فيه بأدنى اشارة الى دور العرب في تحرير بلادهم ، ولا الى ثورتهم الاخيرة ووقوفهم الى جانب بريطانيا .كما كان لكلمته التي أنهى بها خطابه بقوله اليوم انتهت الحروب الصليبية " أثر اكبيرا على مشاعر مفتي القدس وعدد من الزعماء والاعيان الذين انسحبوا من هذا الحفل احتجاجا على ذلك لكن الاهالي ظلوا مبتهجين ومسرورين لسقوط القدس بالرغم مما جاء في هذا الخطاب (٢) .

يستدل من هذا على الدور السياسي الذي لعبته القوات البريطانية تجاه فلسطين ، ففي الوقت الذي لم يتح فيه لقوات الامير فيصل دخول القدس الى جانب قوات الدول الحليفة ، كان الامير فيصل على رأس القوات العربية التي دخلت دمشق أواخر سبتمبر ١٩١٨ ، كان معنى هذا حرص الانجليز على ابعاد الامير فيصل عن هذا الجزء من سورية تحقيقا للاطماع البريطانية فيه عن طريق فصله عن سورية الام .

تبدو مشاعر الاهالي ـ سواء كانت حقيقية أو مصطنعة ـ من خلال برقيات التهنئة التي رفعت الى السلطة العسكرية بعد انتهاء العمليات العسكرية في فلسطين من ذلك رسالة التهنئة التي رفعها رئيس بلدية القدس في ٢٤ سبتمبر ١٩١٨ باسم الاهالي في فلسطين (٣) ورسالة أخرى من مفتي القدس الى جلالة الملك جورج (٤) ، كما شهدت المدنية في هذه المناسبة مواكب احتفالية شارك فيها أبناء البلاد من المسلميـــن والـــمسيحيين (٥) .

كما رفعت رسائل تهنئة أخرى ، بمناسبة مرور سنة على تحرير بعض المدن ، عبر فيها مقدموها عن فرحتهم بمناسبة مرور السنة الاولى على تحرير مدنهم من ذلك الرسالة التي رفعتها الجمعية الاسلامية المسيحية باسم الاهالي في قضاء يافا الى الملك جورج وأخرى الى اللنبي (٦) ، ومهما يكن الامر فان مشاعر أبناء البلاد تجاه القوات البريطانية صورها تقرير اللجنة الملكية لفلسطين بقوله : " ان موقف العرب في فلسطين السلبي والايجابي ساعد على فوز هذه الجيوش " (٧) .

تأسيس الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين :

مر تأسيس الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين بعدة مراحل ارتبطت منذ البداية مع توسع العمليات العسكرية ، فبعد أشهر من بدء العمليات العسكرية البريطانية التي انتهت باختراق الحدود التركية المصرية في فلسطين ، تم احتلال جزء بسيط من البلاد كانت خان يونس مركزا لهذا الجزء المحتل من فلسطين ، وضعت ترتيبات ادارية مؤقتة لهذه المنطقة المحتلة بحيث تكون تحت اشراف ضابط بريطاني يكون مسؤولا أمام القيادة العسكرية العامة في القاهرة .

وفي ٢٧ أغسطس ١٩١٧ ، أي بعد تسلم الجنرال اللنبي قيادة الحملة المصرية " ، اقترح الغاء

---

(١) أوردت جريدة الكوكب : نص الخطاب في عددها ٧٣ ـ ١٨ ديسمبر ١٩١٧ .
(٢) أميل الغوري : مرجع سبق ذكره ص ٢٥ ـ ٣٣ .
(٣) F.O. 371/3412/179376 - 12 December 1918.
(٤) F.O. 371/3410/12679 - 19 June 1918.
(٥) Ashbee: A Palestine Note Book. P. 36.
(٦) F.O. 371/3412/204988 - 12 December 1918.
(٧) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين الذي عرض على البرلمان الانجليزي تموز ١٩٣٧ ص ٢٠٠ .

الترتيبات الادارية السابقة اذ ليس من المقبول أن تترك الادارة تحت أشراف ضابط على اعتبار أن التوسعات العسكرية القادمة تحتاج الى ترتيبات ادارية أوسع ، وطبقا لذلك اتخذت اجراءات سريعة بقصد التنظيم الاداري الجديد للمناطق المتوقع احتلالها ، فعين باركر Parker برتبة نائب مدير لادارة المناطق التى ستحتل كما شرع في وضع ترتيبات أخرى لاستيعاب المناطق الجديدة ، ولكن بينما كانت الترتيبات تجرى كانت العطيات العسكرية تتجه نحو غزة وبئر السبع ، فتوقف العمل في اعداد هذه الترتيبات حيث بدى واضحا أنه من غير الممكن عمل تنظيم شامل لادارة جميع المناطق ما لم يتم الوقوف علىَ نقطة محدده في العطيات العسكرية (١) •

وبعد أن أصبح مصير غزة وبئر السبع واضحا لدى القوات البريطانية عقد اجتماع عام في القيادة العامة في ٢٣ أكتوبر ١٩١٧ لوضع أسس الادارة الجديدة لهذه المناطق (٢) ، كما اصدر الجنرال اللنبي بعد هذا الاجتماع منشورا أضفى فيه على البلاد صبغة عسكرية فقد جاء فيه :

"على جميع سكان البلاد التي كانت سابقا تحت حكم الاتراك والتي يحتلها الان الجنود الذين تحت قيادتي ، أن يمتنعوا عن كل عمل من شأنه أقلاق الراحة العمومية أو مساعدة أعداء جلالته البريطانية أو أعداء حلفائه ، عليهم اطاعة وتنفيذ الاوامر التي تصدر عني وسيخضعون لفترة تحت السلطة العسكرية (٣) •

وبعد انتهاء العمليات العسكرية البريطانية بأحتلال بئر السبع وغزة ، اتخذت اجراءات ادارية تنفيذاً لقرارات اجتماع ٢٣ أكتوبر ١٩١٧ ، مضمونها توسيع القاعدة الادارية التي ستشرف على المناطق المتوقع احتلالها فعين مساعدان اداريان تحت اشراف نائب مدير الادارة (باركر) (٤) الذى زود بتعليمات لاتخاذ الخطوات الممكنة والضرورية لادارة هذه المناطق (٥) •

وكذلك بعد انتهاء العمليات العسكرية البريطانية ، باحتلال القسم الجنوبي من فلسطين ، وبعد أن دخل اللنبي مدينة القدس واعلانه الاحكام العرفية في البلاد (٦) رؤى اتخاذ ترتيبات ادارية مشابهة للترتيبات السابقة لاجل ادارة مدينة القدس وما حولها ، وقد استقر الرأى على تأسيس ادارة مستقلة للقدس مع بقاء المناطق الاخرى تحت اشراف نائب مدير الادارة العسكرية (باركر) وبموجب الترتيبات الجديدة أصبحت المناطق المحتلة والتي كانت تعرف بسنجق القدس ، ويتبعه خمسة أقضية حسب التقسيمات الادارية العثمانية ، أصبحت أربعة اقسام ادارية هي: القدس ، يافا ، مجدل ، بئر السبع ، بدلا من خمسة وهذه اشارة مبكرة عن التغيرات التي أجرتها السلطات العسكرية في البلاد مخالفة بذلك القوانين العسكرية الدولية (٧) •

وبموجب هذه الترتيبات أيضا عين للقدس حاكم عسكرى يكون مسؤولا بشكل مباشر أمام اللنبي وهو بورتون Borton الذى استهل عمله بتعيين أعضاء جدد لمجلس بلدية القدس (٨) •

---

(1) F.O. 371/3389/77141 - 2 March 1918. (١)
(2) F.O. 371/3389/190104 - 15 November 1918. (٢)
(3) O.E.T.A. Standing Orders and General Enstructions for the information of officers. Issued by Headquarters Occupied Enemy Territory Administration, Jerusalem, October 1918. p. 91. (٣)
(4) Norman Bentwich: England in Palestine p. 12 - 20. (٤)
(5) F.O. 371/3389/77141 - 2 March 1918. (٥)
(6) O.E.T.A.(S): OP. Cit., p. 91. (٦)
(7) F.O. 371/3389/77141 - 2 March 1918. (٧)
(8) O.E.T.A.(S):OP.Cit., P. 92. (٨)

أما باقي المناطق المحتلة وهي يافا ، مجدل ، بئر السبع ، فكانت تحت أشراف نائب مدير الادارة العسكرية الذى كان يقيم في يافا وعين لكل قسم من هذه الاقسام الادارية حاكم عسكرى (١) ٠

لم يستمر هذا الترتيب الادارى طويلا اذ ربطت هذه المناطق الادارية (القدس ، يافا ، مجدل ، بئر السبع) معا وأصبحت تعرف " بادارة بلاد العدو المحتلة " وعلى رأس هذه الادارة الجنرال كلايتون Clayton الضابط السياسي العام في المكتب العربي بالقاهرة ، وكان معنى هذا ربط الادارة العسكرية منذ البداية بالادارة السياسية لاجل تنفيذ المخططات والاطماع البريطانية في هذه المنطقة (٢) ٠

وجرت تغييرات ادارية أخرى فيما بعد شملت استبدال الجنرال كلايتون بمدير آخر هو الجنرال أرثر موني Money وبذلك لم تعد" ادارة بلاد العدو المحتلة " مرتبطة بالادارة السياسية البريطانية فيمصر (٣) ولعل معنى هذا أن مستقبل فلسطين السياسي أصبح على شئ من الوضوح ، لان البعثة الصهيونية قد وصلت الى فلسطين ابريل ١٩١٨ ، ولان الادارة العسكرية بدأت بعد ذلك بتنظيم الدوائر في فلسطين (٤) ، مما يوضح أن البريطانيين بدأوا يضعون لفلسطين كيانا خاصا ، عمل الجنرال موني Money على تنظيم الاجراءات الادارية السابقة دون اجراء تغييرات في عدد الاقسام الادارية السابقة في الاجزاء المحتلة من فلسطين تشمل أربعة أقسام ادارية هي قضاء القدس (يتبعه بيت لحم واريحا) وقضاء يافا (يتبعه الرملة) وقضاء المجدل يتبعه (عسقلان وغزة) وقضاء بئر السبع (يتبعه الخليل) (٥) ٠

غير أن هذه الترتيبات التي نظمها موني ، دون الاضافة عليها ، لم تستمر طويلا فقد أصبحت الوحدات الادارية خمسا بدلا من أربع (٦) ، وقد جاء هذا الاجراء الادارى بناء على تقرير رفعه الجنرال اللنبي ١٤ سبتمبر ١٩١٨ طالب فيه بضرورة اعادة تنظيم الوحدات الادارية حتى تصبح خمسا بدلا من أربع تمشيا مع التقسيمات الادارية العثمانية وقد جاء هذا الطلب في الوقت الذى شرع فيه بتنظيم الدوائر والمؤسسات في الاجزاء المحتلة من فلسطين ٠ ومعنى هذا أن التقسيمات الادارية السابقة القائمة على أساس أربعة أقسام ادارية لم تتمش مع الخطة الرامية لاعادة تنظيم الدوائر والمؤسسات في فلسطين لذا اقترح العودة الى التقسيمات الادارية العثمانية (٧) ٠

واستكمالا لتأسيس ادارة بلاد العدو المحتلة اتخذت اجراءات وترتيبات مالية بقصد تنظيم الموازنة استنادا الى ما تم جمعه من معلومات من موازنة سنجق القدس لعام ١٩١٦ ـــ ١٩١٧ وطبقا لهذه الموازنة بلغت ايرادات السنجق حوالى ٢٠٠ر٢٤٥ر٣١ قرشا تركيا ، أما المصروفات فبلغت ٦٠ر٧٣٧ر١٠ قرشا تركيا صرفت على الدوائر الحكومية مثل المالية ، الصحة ، البوليس ، الاشغال العامة ، مخصصات لوزارة الحرب ٠

وقد أعدت أول موازنة في ظل الحكم العسكرى البريطاني لسنجق القدس بعد استبعاد عدد من بنود

---

(١) (1) F.O. 371/3389/77141 - A March 1918.

(٢) كامل خله : مرجع سبق ذكره ص ٣٤ ٠

(٣) (3) F.O. 371/4143/107253 - 13 May 1919.

(٤) كامل خله : مرجع سبق ذكره ص ٣٥ ٠

(٥) (5) The Palestine News: The Gazetts 30 May 1918.

(٦) (6) British Government : A Brief Record of the Advance of the Advance of the Eguptian Expeditionary Force P. 55.

(٧) (7) F.O. 371/3389/177878 - 14 September 1918.

الموازنة السابقة ، مثل رسوم الاعفاء من الخدمة العسكرية واعانات صندوق المعاشات والعشور التي خصصت لصندوق الدين العمومي العثماني . وفي باب المصروفات استبعد ما كان مخصصا لوزارة الحرب والاوقاف ، وبهذا أصبحت تقديرات ايرادات السنجق ، بعد استبعاد البنود السابقة ، حوالي ٢٠٠ر٩٥٨ر١٦ قرشا ، ومصروفاته ٩٦٠ر١٣٤ر٦ قرشا ومن هنا زادت ايرادات السنجق عن المصروفات بحوالي ٢٤٠ر٨٢٣ر١٠ قرشا ويتضح من هذا ان الايرادات كانت تغطي نفقات الادارة وزيادة ،ولكن ذلك كان مرهونا بمقدار ما يمكن جمعه من الايرادات وحسب تقرير اللنبي الى وزارة الحرب كان من الممكن الاعتماد على مساعدات مالية من القيادة البريطانية في مصر الى حين يتم جمع الايرادات كاملة ،وبهذا يمكن أن نحدد البنود الرئيسية في تغطية موازنة هذه الادارة من ثلاث مصادر ،المدفوعات من القيادة البريطانية في مصر وما يخصص لهذه الادارة من مخصصات الجيش وأخيرا من الايرادات التي يمكن جمعها من المناطق المحتلة . كما اتخذت اجراءات مالية تساعد على انعاش الاوضاع ، الاقتصادية من ذلك ادخال العملة المصرية الى هذه المناطق واجراءات بشأن الحالة التجارية في مصر (١) .

بهذه الاجراءات الادارية والمالية التي وضعت للمناطق الجنوبية من فلسطين يمكن تصوير الوضع على ان هذه المناطق المحتلة من فلسطين كانت تضم خمسة اقسام ادارية وعلى رأس كل منها حاكم عسكرى مرتبط بالادارة وكان يطلق عليها اسم "بلاد العدو المحتلة ". Occupied Enemy Territory

أما بعد سقوط القسم الشمالي من فلسطين فقد توسعت القاعدة الادارية فاضيفت ثمانية أقضية هي نابلس جنين ، طولكرم ، حيفا ، الناصرة ، عكا ، طبرية ، صفد ، فوضع على كل منها حاكم عسكرى (٢) .

كما عين نواب للحكام العسكرين في الوحدات الادارية الاتية : بيت لحم ، رام الله ، اريحا ، الرملة مجدل ، سلفيت ، بيسان ، زمارين ، فأصدر الجنرال لويس بولس B رئيس أركان حرب "الحملة المصرية" أمرا في ٢٢ أكتوبر ١٩١٨ . أصبح يطلق على فلسطين اسم " بلاد العدو المحتلة جنوبا " (٣) .
(القسم الجنوبي ممن بلاد الشام أى فلسطين) :
Occupied Enemy Territory South

كما وجد الى جانب المدير العام ، باعتباره على راس هذه الادارة ، وعدد كبير من الموظفين بقصد تنظيم الدوائر والمؤسسات في فلسطين (٤) وكلهم من العسكريين البريطانيين تمشيا مع الخطة البريطانية العامة في التمهيد لبسط السيطرة البريطانية على فلسطين وحددت هذه المنطقة التي أصبحت تضم ثلاثة سناجق (القدس ، نابلس ، عكا) حسب التقسيمات الادارية العثمانية بالحدود المصرية جنوبا والبحر الابيض المتوسط غربا ومن الشمال خط يمتد من السهل الساحلي فوق عكا حتى نهر الاردن فوق بحيرة الحولة ومن الشرق على امتداد نهر الاردن والبحر الميت (٥) .

ويمكن ادراك حجم هذه الادارة من خلال التقرير الذى رفعه الجنرال موني بتاريخ ٢٠ ابريل ١٩١٩ الى القيادة العامة في مصر حيث يمكن ملاحظة الزيادة الواضحة في عدد الموظفين البريطانيين من مديرى الدوائر أو مستشارين أو كتبه ومساعديهم موزعين على عدة دوائر من ذلك العدلية ، والاشغال العامة، المحاسبة ، الزراعة

التعليم ، البوليس والسجون ، الجمارك ، الخدمات البريدية ،وقد بلغ عدد الموظفين في هذه الادارات ٨٧ موظفا في حين بلغ عدد الحكام العسكريين عشرة ــ بدلا من ثلاثة عشرــ كانوا موزعين على مدن القدس، حيفا طبريه ، يافا ، الخليل ، بئر السبع ، نابلس ، طولكرم ، غزة أما النواب فكان عددهم خمسة موزعين على بيت لحم ، أريحا ، رام الله ، صفد، رمله •

وبهذا يكون عدد العاملين من موظفين وعسكرين حوالي ١٠٢ حسب تقرير الجنرال موني (١) •

لقد حددت المبادئ العامة التي ستعمل من خلالها الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين بوحي مما جاء به القانون الدولي الذى يقضي بأن القاعدة التي تتبع عادة في ادارة البلاد التي تحتلها الجيوش العسكرية هي المحافظة على الحالة الراهنة وتجنب احداث اى تغيير جوهرى في قوانيين البلاد أو في طريقة تطبيقها والسير في الامور بأقلها يمكن من الازعاج للاهالي ريثما تقوم في البلاد حكومة دائمة وفترة الانتقال هذه تكون عادة قصيرة الامد " •

كما أوضح كتاب القوانين العسكرية ، الاصول التي يجب على المحتل أن يعمل بموجبها : " لا يجوز للمحتل بعد ذلك أن يعمل على تنفيذ ارادته غير مقيد بشئ وان يغير شكل الحكومة الراهن قالبا الدستور والتشاريع المحلية رأسا على عقب متجاهلا حقوق السكان (٢) •

ولاجل تنفيذ هذه المبادئ حددت للادارة العسكرية الاسس الاتية حتى تعمل بموجبها :

- المحافظة على الخدمات المدنية كما كانت عليه قبل الاحتلال البريطاني •
- العمل بالقوانيين المدنية والجنائية التي كانت سارية المفعول قبل الاحتلال وكذلك المحافظة على حقوق رعـايـا العـدو •
- جمع الضرائب والديون والمكوس المستحقة للدول طبقا للانظمة السابقة (٣) •

فهل سارت الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين بموجب هذه المبادئ ؟ هذا ما أحاول الاجابة عليه من خلال بيان أهم الاجراءات التي اتخذتها هذه الادارة لتنظيم الدوائر والمؤسسات في فلسطين •

---

(1) F.O. 371 /4233 / 117631 - 20 April 1919 •

(٢) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين : مرجع سبق ذكره ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ •

(3)F.O. 371 / 3389 / 177141 - 2 March 1918 •

الفصل السادس

==============

القضاء والامن

القضاء : الخطوط الرئيسية لتنظيم المحاكم المدنية ... تعليمات ٢٤ يونية ١٩١٨ .... المحاكم التي شكلت في القسم الجنوبي من فلسطين ... تعميم التعليمات على الاقسام الشمالية بعد انتهاء العمليات العسكرية ... تعليمات كلارك ٤ يوليه ١٩١٨ تنظيم القضاء بين البدو ... تعليمات ١٥ يوليه الخاصة بالمحاماه ... المحاكم الشرعية الاسلامية ... تعليمات موتى ديسمبر ١٩١٨ ... ادارة الاوقاف الاسلامية .

الامن : تأسيس قوات البوليس حسب تعليمات ٢٩ ابريل ١٩١٨ ... قوات الجندرمة ... تنظيم السجون وعددها في فلسطين .

القضـــاء :

بالرغم من أن تشكيل أدارة بلاد العدو المحتلة جنوبا (فلسطين) لم يكتمل الا أواخر اكتوبر ١٩١٨ ، الأان الادارة العسكرية البريطانية بدأت بتنظيم الدوائر والموءسسات في فلسطين بعد فترة من دخول القوات البريطانية القدس ديسمبر ١٩١٧ وبعد تشكيل ادارة بلاد العدو المحتلة •

أخذ الجنرال موني الذى تسلم منصبه كمدير عام للادارة العسكرية ابريل ١٩١٨ بتنظيم الدوائر ، وكانت المحاكم المدنية والدينية من أوائل الدوائر التي أعيد تنظيمها ، اذ وضعت الادارة العسكرية الخطوط الرئيسية لاعادة تنظيم الجهاز القضائي استنادا على القوانين والانظمة العثمانية ، أما الخطوة الثانية فهي توفير الموظفين الاكفاء لادارة هذه المحاكم في وقت غادر فيه معظم الموظفين البلاد بعد انسحاب الجيش التركي ولهذه الغاية ، دعت الادارة العسكرية أبناء البلاد ممن تتوفر فيهم الكفاءة بضرورة الالتحاق بهذه الدوائر ، كما أن الادارة العسكرية من ناحية أخرى اعتمدت على عدد كبير من الضباط والموظفين البريطانيين للسير بالمحاكم المدنية (دائرة العدلية) (١) • ثم أصدار الجنرال موني بصفته على رأس الادارة في "بلاد العدو المحتلة " وبموجب التفويض الممنوح له من القائد العام (اللنبي) تعليماته في ٢٤ يونيه ١٩١٨ لاعادة تأسيس المحاكم المدنية في المناطق المحتلة أو في المناطق التي ستحتل : وبموجب هذه التعليمات تأسست المحاكم الاتيـة :

محكمة الاستئناف في القدس :

وهي المحكمة العليا في البلاد تضم ثلاثة قضاة ، تعقد جلساتها بحضور جميع القضاة وتصدر أحكامها بالاغلبية ما عدا القضايا التي تستوجب حكم الاعدام فتشكل من اربعة قضاة (٢) •

اتبعت هذه المحكمة اسلوبا جديدافي انجاز أعمالها حيث كانت تنتقل من منطقة لاخرى في البلاد للبت في القضايا دون تكليف أصحاب القضايا بالحضور الى القدس •

محكمتان ابتدائيتان في القدس ويافا :

تخدم المحكمة الاولى بالاضافة الى قضاء القدس قضائى الخليل وبئر السبع أما المحكمة الثانية فتخدم قضائي يـافـا وغـزة •

محاكم الصلح :

توءسس في كل قضاء وتستند في أحكامها على قانون الصلح العثماني الذى صدر عام ١٩١٢ •

محاكم خاصة (مخصوصه) :

توءسس في الاقضية التي لا يوجد فيها محاكم ابتدائية (٣) •

طبقت هذه التعليمات في "ادارة بلاد العدو المحتلة " (فلسطين) بعد صدورها مباشرة فقد تم افتتاح

محكمة الاستئناف في القدس في ٢٤ يونيه ١٩١٨ بحضور مستشار العدلية الميجور كلارك O. Clark وبحضور رئيس هذه المحكمة الميجور سكوت J. Scott وعدد من الوجهاء (١) وجاء في كلمة الافتتاح التي ألقاها مستشار العدلية البريطاني " أعلن افتتاح محكمة استئناف سنجق القدس الشريف وأكلف حضرات القضاة بيمينهم وباقي الموظفين أن يؤدوا مهمتهم بالامانة وأن يحققوا العدل والرحمة للجميع" (٢) •

وبعد شهر من حفلة الافتتاح عقدت المحكمة جلساتها الاولى في ٢٤ يوليو ١٩١٨ (٣) للفصل في القضايا المعروضة التي بلغ عددها في شهر سبتمبر حوالي ٢٠ قضية (٤) وتضاعف عدد القضايا في شهر نوفمبر من نفس العام • وكذلك المحكمة الابتدائية في القدس عرض عليها في شهر سبتمبر حوالي ٧٨ قضية (٥) أما محكمة الصلح فقدم لها حوالي ٤٧٨ خلال شهر واحد (٦) كما أن محكمة الاستئناف في القدس انتقلت الى يافا (٧) والرملة (٨) وغزة (٩) والخليل (١٠) لبحث القضايا المقدمة اليها تمشيا مع الاسلوب الجديد الذى طبقته الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين •

وبعد احتلال القوات البريطانية للقسم الشمالي من فلسطين سبتمبر ١٩١٨ والتي أصبحت البلاد بموجب ذلك تعرف " بلاد العدو المحتلة جنوبا " أصدر الجنرال موني في اوائل ديسمبر ١٩١٨ تعليماته لتأسيس المحاكم المدنية في المناطق الجديدة المحتلة على النحو الاتي :ـ

ــ تؤسس محاكم ابتدائية في كل من نابلس وحيفا وطبرية بحيث تمتد السلطة القضائية للمحكمة الابتدائية في نابلس بالاضافة الى قضاء نابلس لكل من قضائي طولكرم وجنين ، وأما المحكمة الابتدائية في حيفا فتمتد سلطتها القضائية بالاضافة الى حيفا لكل من قضائي عكا والناصرة ، وكذلك محكمة طبرية الابتدائية تشمل سلطتها القضائية قضائي طبرية وصفد •

ــ كررت هذه التعليمات ما جاء في التعليمات السابقة بخصوص محكمة الاستئناف في القدس للنظر في القضايا المدنية والجنائية المقدمة من المحاكم الابتدائية في " بلاد العدو المحتلة جنوبا " (فلسطين) •

وضعت المحاكم المدنية والدينية تحت اشراف مستشار العدلية البريطاني الميجور كلارك وحددت صلاحياته في الامور الاتية :ـ

" تنظيم المحاكم من حيث بيان اختصاصها وأصول المحاكمات فيها •

" توزيع وظائف وواجبات القضاة والموظفين في المحاكم •

" فرض الرسوم المستحقة في المحاكم •

---

(1) The Palestine News: No 16 - 20 June 1918.

(٢) الكوكب : ٤ ١٠ ــ ٣٠ يوليو ١٩١٨ •

(٣) جريدة فلسطين : ١٥ ــ ١٨ تموز ١٩١٨ •

(٤) الكوكب : ٤ ١٠ ــ ٣٠ يوليو ١٩١٨ •

(٥) جريدة فلسطين : ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ •

(٦) جريدة فلسطين : ٣٩ ــ ٢ كانون الاول ١٩١٨ •

(٧) جريدة فلسطين : ١٨ ــ ٨ آب ١٩١٨ •

(٨) جريدة فلسطين : ٣١ ــ ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ •

(٩) جريدة فلسطين : ٤١ ــ ١٦ كانون الثاني ١٩١٩ •

(١٠) جريدة فلسطين : ١٨ ــ ٨ آب ١٩١٨ •

الاشراف على كل ما يتعلق بمهنة المحاماة المدنية منها والشرعية وكذلك كل ما يتعلق بكتاب العدل .
يحق لمستشار العدلية أن يوقف النظر في أية قضية من القضايا المعروضة على المحاكم المدنية أو يعمل على تحويلها من محكمة لاخرى (١) .
وبموجب هذه الصلاحيات أصدر الميجور كلارك بتاريخ ٤ يوليو ١٩١٨ عدة لوائح عالجت الامور التالية:
أصول المحاكمات لدى محاكم الصلح جاءت هذه اللائحة في ١٩ مادة وتبعتها تعديلات أخرى في ١٥ أغسطس ١٩١٨ وأهم بنودها :
تبحث محاكم الصلح بالاضافة الى ما جاء في قانون الصلح العثماني لعام ١٩١٢ ، قضايا مدنية وتجارية مهما تكن قيمة المبلغ المتنازع عليه ، ويمكن الاستئناف الى محكمة الاستئناف اذا كانت قيمة المبلغ تزيد عن ٥٠ جنيها .
يمكن للقاضي أو رئيس الكتاب أخذ شهادة أحد الشهود من محل اقامته وبحضور الاطراف اذا تعذر عليه الحضور .
يمكن الاعتراض على الحكم الغيابي خلال ستة ايام اذا ثبت للمحكمة أن اسباب الغياب مقبولة .
يرسل الاستئناف الى محكمة الاستئناف بدلا مما كان متبعا من قبل اذ كان يرسل الاستئناف اولا الى محكمة الصلح .
لا يسمح لاطراف النزاع بالحضور الى محكمة الاستئناف مالم تقرر المحكمة ذلك استكمالا لاجراءات ضرورية (٢) .
المحاكم (الخصوصية) : أوضحت لائحة المحاكم الخاصة التي جاءت في ١٧ مادة الامور الاتية :ـ
تشكل المحكمة من ثلاثة قضاة يتم تعيينهم بواسطة الحاكم العسكرى أو نائبه في القضاء .
تبحث المحاكم الخاصة في القضايا المدنية والتجارية بحيث لا تتعارض مع اختصاصات محاكم الصلح .
تكون سلطة المحكمة الخاصة ضمن منطقة القضاء الذى تشكل فيه .
ترفع قضايا الاستئناف من المحاكم الخاصة الى محكمة الاستئناف ليقرر رئيس هذه المحكمة النظر فيها أو تحويلها الى محكمة ابتدائية (٣) .
أصول المحاكمات الجنائية : نصت هذه اللائحة على اضافة أواستبدال عدة مواد وجاءت في ١١ مادة وأهمها :ـ
يضاف الى قائمة الاشخاص التي نص عليها قانون المحاكمات الجنائية كل من الحاكم العسكرى أو نائبه اذا لم تنته التحقيقات خلال شهر منذ اليوم الذى ألقى القبض فيه على المتهم يقدم أمر القاء القبض على المتهم الى المحكمة الابتدائية لتقرر امكانية تحديد مدة الايقاف أو اطلاق سراح المتهم بالكفالة
اختصاصات كاتب العدل : نصت هذه اللائحة والتي جاءت في ٧ مواد على ما يلي :ـ
في حالة غياب كاتب العدل يقوم رئيس الكتاب في المحكمة الابتدائية بأداء مهمام وواجبات كاتب العدل في حالة غيابه .

---

(١) (1) O.E.T.A (S) : OP. Cit., p 107 .
(٢) (2) O.E.T.A. (S): OP. Cit., p 12 - 14.
(٣) (3) O.E.T.A.(S) : OP. Cit., p 15 - 17 .

" لا يسمح لكاتب العدل أن يشرف على ادارة أية أعمال خاصة أو يتسلم أية ودائع أو رهونات من الاشخـاص (١) .

- رسوم المحاكم : جاءت هذه اللائحه في ١٠ مواد اهمها :-

" يستمر العمل في استيفاء رسوم المحاكم حسب الانظمة العثمانية .

" تحسب الرسوم بالعملة المصرية بعد تحديد قيمتها بالسعر الرسمي .

" على المحكمة قبل الاعلان عن الحكم أن تحدد أي الاطراف سيدفع رسوم القضية .

- مصروفات الشهود بالنسبة للقضايا الجنائية : تدفع مصروفات السفر للشهود الذين يحضرون الى المحكمة حسب المسافة بنسبة قرش واحد لكل كيلو متر اذا كانت المسافة أكثر من ٥ كم ، وتدفع للشهود تعويضات عن المدة التي يتعطلون فيها اذا كانت المدة أكثر من خمس ساعات (٢) .

ارتكبت الادارة العسكرية البريطانية مخالفة أخرى عندما أصدرت تعليمات بشأن تنظيم القضاء في منطقة بئر السبع لان ذلك يخالف ما كان معمولا به في العهد العثماني أيام كان قضاء بئر السبع بدون محاكم نظامية ، في الوقت الذى أوجدت فيه الدولة العثمانية المحاكم النظامية في أقضية لواء القدس ، وقد جاء هذا الاجراء بناء على رغبة القبائل البدوية في ان تبت قضاياهم في المحاكم الشرعية ووافقتهم الحكومة العثمانية على ان يتم تسوية المنازعات حسب أعرافهم وتسوية قضايا الاراضي مجلس ادارة القضاء (٣) .

نصت التعليمات التي أصدرتها الادارة العسكرية على أنواع المحاكم واختصاصاتها في منطقة بئر السبع على النحو الاتي :-

" محاكم المشايخ : تشكل هذه المحاكم حسبما يقرره الحاكم العسكرى وتنظر في القضايا المحولة اليها من الحاكم العسكرى وترفع قضايا الاستئناف من هذه المحاكم الى المحاكم الخاصة .

" محاكم الصلح : تضم محكمة الصلح قاضيا يستند في احكامه على قانون الصلح العثماني لعام ١٩١٢ وعلى التعديلات التي ألحقت بهذا القانون وترفع قضايا الاستئناف من هذه المحاكم الى المحاكم الخاصة بعد موافقة الحاكم العسكرى .

" محاكم خاصــه : تضم هذه المحكمة قاضيا أو من ينسبهم الحاكم العسكرى من الموظفين البريطانيين ولا استئناف في قضايا الجنايات التي تبحثها المحاكم الخاصة ، لكن من الممكن استئناف بعض القضايا بموافقة الحاكم العسكرى (٤) ، أما القضايا الاخرى فمن الممكن أن تعرضها هذه المحكمة على محكمة الاستئناف .

كما نصت التعليمات على كيفية تقديم القضايا الى هذه المحاكم حيث تعرض القضايا اولا على الحاكم العسكرى ليقرر المحكمة التي ستنظر في القضية المقدمة .

وبعد استكمال التعليمات العسكرية في فلسطين ، وعلى أثر قيام ادارة البلاد العدو المحتلة جنوبا أصدرت الادارة العسكرية لائحة القضاء البدوى لتطبق في الجهات التي تنتشر فيها القبائل البدوية ، واعتمدت هذه اللائحة في بنودها على ما ورد في لائحة تنظيم القضاء في منطقة بئر السبع مع بعض الاختلافات

---

(١) (1) O.E.T.A. (S) : OP. Cit., p 17 - 20 .

(٢) (2) O.E.T.A. (S) : OP. Cit., p 20 - 23.

(٣) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة .

(٤) (4) O.E.T.A. (S) : OP. Cit., p 80 - 81.

الطفيفة سواء في أسماء هذه المحاكم أو اختصاصاتها (١) .

وتابعت السلطات العسكرية البريطانية عملية تنظيم المحاكم المدنية فأصدرت في ١٥ يوليه ١٩١٨ مجموعة من القوانين بالنسبة للمحامين على أن يعمل بهذه الانظمة اعتبارا من ١١ أكتوبر ١٩١٨ وقد جاءت في ٢٢ مادة عالجت الامور الاتية :ــ

"شروط ممارسة المحاماة :

ــ لا يحق لاى شخص أن يمارس المحاماة مدنية أم دينية مالم يكن حاصلا على أجازة بذلك من قبل مستشار العدلية .

ــ يجب أن يكون الى جانب المحامي المجاز كاتب لاجل تنفيذ أعمال المحامي ومتابعتها في المحكمة أو خارجها .

ــ ان منح أجازة المحاماة يكون بموافقة مستشار العدلية وبعد ان يكون طالب الحصول على أجازة المحاماة قد قدم طلبا بذلك موضحا فيه اسمه ومؤهلاته وثلاثة أشخاص " معرفين " .

ــ على المتقدمين للحصول على أجازة المحاماة أن يؤدوا امتحان في الامور القانونية ، ومن الممكن الاستغناء عن هذا الامتحان اذا اقتنع مستشار العدلية بمؤهلات المتقدم .

ــ تمنح أجازة المحاماة لممارسة المرافعات أمام المحاكم المدنية أو المحاكم الدينية .

ــ يجب تجديد أجازة المحاماة سنويا علما بأن تجديد هذه الاجازة يعتمد على حسن تقدير مستشار العدلية للمحامي .

ــ يجب الاحتفاظ بملف يضم اسماء المحامين فيوضع هذا الملف في محكمة الاستئناف وتوضع صور منها في كل محكمة من المحاكم الموجودة في البلاد .

سلوك المحامين والمجلس التأديبي :

ــ على المحامي أن يمارس مهنته بمنتهى العدل والاستقامه والنزاهه ويساعد المحكمة على التوصل الى العدالة ، وان لا يمارس أى عمل آخر سوى التفرغ للمحاماة .

ــ اذا وقع من المحامي أية مخالفة مثل الاحتيال أو العجز عن العمل يقدم الى مجلس تأديبي الذى يقرر مدى العقوبة على المخالف .

ــ يعقد المجلس التاديبي برئاسة رئيس محكمة الاستئناف والى جانبه عضوان يكون الاول ضابط عدلية بريطاني والثاني أحد المحامين ويعين هؤلاء الاعضاء رئيس محكمة الاستئناف .

"آجور المحامين :

ــ لا يتقاضى المحامي الاجر المقرر الا بعد نجاح القضية التي يرافع عنها ، لكن في بعض الحالات وهذا يعتمد على طبيعة القضية التي يترافع عنها ، من الممكن أخذ جزء من الاجر .

ــ يمكن للمحامي أن يتفق مع الشخص الذى يرافع له في قضيته على الاجر وان يتم ذلك بصورة قانونيه أى أمام المحكمة حتى يصبح سارى المفعول .

---

(١) (1) O.E.T.A. (S): OP. Cit., p 38 - 86.

ـ اذا لم يكن هناك اتفاق بين المحامي وصاحب القضية فان الاجر لا يتعدى اللائحة التي أعدت لذلك وهي توضح اجر المحامي في المحاكم جميعها : ابتدائية ، استئناف ، صلح ، كما صدرت بعض الرسوم البسيطة في حالة خسارة القضية التي يرافع فيها المحامي (١) ٠

ووجد في البلاد محاكم عسكرية تتشكل من ضباط بريطانيين فقط بعكس المحاكم المدنية التي كانت تشكل من قضاة بريطانيين والى جانبهم قضاة من أبناء البلاد ، كما كانت المحاكم المدنية تبحث في القضايا التي تقع بين الاهالي المدنيين فيما بينهم ، وتحكم بمقتضى القانون العثماني أو التعديلات التي جرت عليه ، أما المحاكم العسكرية فكانت تنظر في قضايا أو مخالفات الاهالي تجاه السلطات العسكرية ، واذا تعذر تقرير نوع المحكمة التي ستنظر في قضية ما فان الامر يرفع الى مستشار العدلية ليبت في ذلك ٠

ويهمنا أن نوضح أن " بلاد العدو المحتلة " (فلسطين) وجد فيها ثلاثة أنواع من المحاكم العسكرية هـــي :ـ

"محكمة عسكرية خاصه : **Military Court Proper**

تشكل من ثلاثة ضباط بريطانيين من رتب عسكرية مختلفة ومن الممكن ان تجتمع هذه المحكمة بحضور مدير الادارة العسكرية ٠

" محاكم الحكام العسكريين : **Military Governors Courts**

تشكل من ثلاثة ضباط بريطانيين رتبهم العسكرية أقل من رتب الضباط في المحكمة العسكرية الخاصة ومن الممكن أن تجتمع هذه المحكمة بحضور الحاكم العسكرى ٠

"المحاكم العسكرية الجزئية : **Summary Military Courts**

تشكل من ضابط بريطاني واحد ٠

أما بالنسبة لاحكام هذه المحاكم فيمكن للمحكمة الاولى أن تصدر أحكامها بحيث لا تزيد عن خمس سنوات سجن مع الاشغال الشاقة أو غرامة مالية ٥٠٠ جنيه ، ولا تنفذ هذه الاحكام الا بمصادقة القائد العام ٠ اما الاحكام الاقل من ذلك فيصادق عليها مدير الادارة العسكرية ٠

أما أحكام محاكم الحكام العسكريين والتي لا تتعدى عقوبة السجن لسنة واحدة أو غرامة مالية لا تزيد عن ١٠ جنيهات فيصادق عليها الحاكم العسكرى ٠ وحددت احكام المحاكم العسكرية الجزئية بعقوبة لا تتعدى السجن لمدة ٦ شهور أو غرامة مالية لا تزيد عن ٥٠ جنيها (٢) ٠

المحاكم الدينية :

بقيت المحاكم الشرعية الاسلامية في ظل الادارة العسكرية البريطانية تسير في أعمالها كما كانت عليه الحال قبل الاحتلال ، وكل ما أحدثته الادارة العسكرية في هذا المجال أنها وعدت بانشاء محاكم شرعية اسلامية في كل قضاء أو غيره من الاماكن حسب ما تقضي الضرورة بذلك ، وتأسيس محكمة استئناف اسلامية بحكم انقطاع

---

(1) O.E.T.A. (S): OP. Cit., 76 - 79.
(2) O.E.T.A. (S):OP. Cit., p 10 - 12.

الاتصال مع الاستانة تخصص لبحث قضايا الاستئناف (١) ٠

وبعد أن اكتمل تأسيس " ادارة بلاد العدو المحتلة جنوبا " أصدر الجنرال موني في ١ ديسمبر ١٩١٨ تعليمات بشأن تأسيس محاكم شرعية في كل من أقضية سنجق نابلس وأقضية سنجق عكا بموافقة مستشار العدلية (٢) ٠ وتنفيذا لهذه التعليمات تم تأسيس محكمة للاستئناف في القدس (٣) وأفتتحت رسميا في ٢٧ نوفمبر ١٩١٨ (٤) وربطت بها باقي أقضية البلاد بعد اتمام العمليات العسكرية حيث جاء ذلك في اللائحة التي أصدرها الجنرال موني في ١ ديسمبر ١٩١٨ فاشار في هذه اللائحة الى أن قضايا الاستئناف في سنجق نابلس وسنجق عكا يجب أن تعرض على محكمة الاستئناف في القدس خلال ٢٠ يوما من نشر هذا الاعلان (٥) ٠

وكذلك بقيت محاكم الطوائف المسيحية واليهودية تسير في ادارة شؤونها ، ونصت التعليمات أنه في حال وجود قضية يكون اطراف النزاع فيها من طوائف دينية مختلفة فان القضية تحول الى محكمة مدنية للبت فيها ، أما قضايا الاحوال الشخصية بالنسبة لمن هم ليسوا من رعايا الدولة العثمانية فيحال الامر فيها الى احدى المحاكم المدنية (٦) ٠

فاذا كانت المحاكم الشرعية الاسلامية بقيت دون أحداث أية تغيرات عليها من قبل الادارة العسكرية البريطانية فان ادارة الاوقاف الاسلامية تعرضت لتغيرات واضحة فبعد ان كانت ادارة الاوقاف في سنجق القدس تحت اشراف مدير الاوقاف في القدس المرتبط مباشرة بالاستانة (٧) ، وادارة الاوقاف في سنجق نابلس وعكا تحت اشراف مدير الاوقاف في بيروت (٨) ، أصبحت الاوقاف في سنجق القدس مع بداية الاحتلال البريطاني تدار بوساطة مجالس محلية شكلت في الاقضية وعلى رأس كل قضاء من أقضية سنجق القدس مأمور للاوقاف كما شكل مجلس عام للاوقاف في القدس يجتمع بحضور المفتي باعتباره رئيسا وبحضور مأموري الاوقاف لبحث شؤون الاوقاف على مستوى السنجق (٩) ٠

وهذا الحال طبق على سنجق نابلس وعكا بعد وقوع هذه الاقسام تحت الاحتلال البريطاني سبتمبر ١٩١٨ ، وبقي هذا الوضع القائم على وجود ثلاث ادارات تشرف على الاوقاف في فلسطين الى أن تم توحيد هذه الادارات تحت اشراف موظف واحد باسم مدير اوقاف فلسطين والى جانبه مستشار بريطاني وعدد من الموظفين البريطانيين (١٠) ٠ كما حدث تغير في اعداد موازنة الاوقاف فبعد أن كان ذلك يتم بشكل تقديري اصبحت مع بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين تعد استنادا على الموازنات المحلية التي كان يعدها مأمورو الاوقاف في الاقضية ٠

(١) O.E.T.A. (S): OP. Cit., p 108.
(٢) O.E.T.A. (S): OP. Cit., p 135.
(٣) O.E.T.A (S): OP. Cit., p 124.
(٣) جريدة فلسطين : ٣٤ – ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ ٠
(٥) O.E.T.A. (S): OP.Cit., p 135.
(٦) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p 108.
(٧) The Palestine News: No 28 - 12 September 1918.
(٨) F.O. 371/4143/138121 - 1919.
(٩) The Palestine News: No 28 - 12 September 1918.
(١٠) الكوكب : ١٣٣ – ٢٥ فبراير ١٩١٩ والعدد ١٣٠ – ٤ فبراير ١٩١٩ ٠

كان الوضع المالي لادارة الاوقاف الاسلامية بعد نهاية الحرب سيئا ، وقدنتج هذا الوضع بسبب ظروف الحرب العالمية التي أدت الى تدمير العديد من مباني الاوقاف كما حدث ذلك في غزة ، كما تأثرت العشور

وايرادات الاراضي هي الاخرى بظروف الحرب حيث أن العشور لم تجمع في جهات من البلاد ، كما حدث في الرملة ، ولما كانت هذه البنود والايجارات والعشور تشكل الجانب الاكبر من موازنة ادارة الاوقاف فان انقطاع هذه الموارد بسبب ظروف الحرب يفسر سوء الوضع المالي في ادارة الاوقاف خاصة في القدس التي وصل العجز في موازنتها حوالي ٤٫٠٠٠ جنيـه (١) .

أعدت في عام ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ موازنة خاصة بادارة الاوقاف الاسلامية مقدرة بالجنيهات على النحو الاتـــي :ــ

---

(١) (1) **The Palestine News : No 28 -12 September 1918.**

	الايـــرادات				المصـــروفات	
	عشور	ايجارات	مساعدات	المجمـــوع		
سنجق القدس						
القـــدس	١ر٥٠٠	٨١٣ر ــ	ــر ــ	٢ر٣١٣	١٣ر٧١٩	يلاحظ على المصروفات أن معظمها
الخليـــل	٧ر٧٦٠	٣٤٠ر ــ	ــر ــ	٨ر١٠٠	٤ر٥٤٢	قد صرف على رواتب الموظفـــين
غـــزه	٩ر٠٠٠	١ر١٣٠	ــر ــ	١٠ر١٣٠	١ر٩٣٦	والاصلاحـات والمســاعـــدات
يـافـــا	١ر١٦٢	٢ر٣٠٠	ــر ــ	٣ر٤٦٢	١ر٩٣٤	
بـئر السبع	ــر ــ	٠ر٩٤٧	٢ر٠٠٠	٢ر٩٤٧	٠ر١٣٣	
سنجق نابلـــس						
	١ر٨١٣	١ر٣٢٠	ــر ــ	٣ر١٣٣	٢ر٨٣٤	
سنجق عكـــا						
	ــر ــ	١ر١٧١	٠ر٠٦٠	١ر٢٣١	١ر٠٥٨	
					٠ر٨٥٠	مصروفات عملية جمع العشور التي قامت بها الإدارة العســـكريـــة.
المجمـــوع	٢١ر٢٣٥	٨ر٠٢١	٢ر٠٦٠	٣١ر٣١٦	٢٧ر٠١١	

يتضح من هذا مدى لتحسن الذى طرأ على ميزانية ادارة الاوقاف الاسلامية اذ زادت الايرادات عن المصروفات بمقدار ٤٫٣٠٥ جنيه ، مما يوحي أن ادارة الاوقاف تمكنت من الاستفادة من مصادرها الاساسية في اعداد الميزانية خاصة بالنسبة للعشور والتي تبلغ حوالي ٦٨ بالمئة من الميزانية في حين أن الايجارات تصل الى ٢٥٫٥ بالمئة من هذه الميزانية والمساعدات من الادارة العسكرية ٦٫٥ بالمئة فقط .

ويلاحظ أيضا أن قضاء غزة يشكل الجانب الاكبر من ايرادات العشور التي تصل الى ٤٢ بالمئة من مجموع ايرادات العشور ، ثم يلي ذلك قضاء الخليل ، في حين أن أقضية ومناطق أخرى مثل بئر السبع وعكا تنعدم فيها هذه الموارد .

ومن الواضح أن قضاء القدس بقي يعاني عجزا ماليا في ايرادات أوقافه لان مصروفاته وصلت الى ١٣٫٧١٩ جنيها في حين ان ايراداته كانت فقط ٢٫٣١٣ جنيها وبهذا يكون العجز ١١٫٤٠٦ جنيهات ، وهو أكثر من العجز الذى كان يعاني منه بعد الحرب مباشرة عندما وصل الى ٤٫٥٠٠ جنيها ، ويفهم من ذلك أن التحسن الذى طرأ على ايرادات السنجق باستثناء قضاء القدس بشكل عام والسناجق الاخرى (نابلس ، عكا) كان نتيجة الخروج من ظروف الحرب فاستفادت ادارة الاوقاف من العشور التي زادت بسبب التحسن النسبي على الزراعة

من هذا يفهم ان الادارة العسكرية البريطانية قد ارتكبت بعض المخالفات عندما بدأت بتنظيم المحاكم المدنية في فلسطين بابتعادها في بعض الجوانب عن القانون العثماني التي كانت ملزمة بتطبيقه حسبما تنص القوانين العسكرية على ذلك .

كانت المخالفة الاولى بتطبيق الادارة العسكرية طريقة جديدة في بحث القضايا التي تعرض على محكمة الاستئناف حيث كان أعضاء هذه المحكمة يتنقلون من مدينة لاخرى لبحث القضايا . أما المخالفة الثانية فكانت نتيجة اصدار لائحة لتنظيم القضاء البدو في منطقة بئر السبع ، ثم لائحة أخرى لتنظيم القضاء بين البدو في جميع أنحاء البلاد وهذه الانظمة تختلف عما كان معمولا به في البلاد خلال الحكم العثماني .

كما أن السلطة العسكرية كانت تصدر من حين لاخر تعليمات بشأن اضافة أو الغاء بعض المواد من القوانين العثمانية كقانون الجزاء العثماني وفي هذا مخالفة أخرى .

قوات الامـن :

بدأت السلطة العسكرية البريطانية بتنظيم قوات الامن في القسم الجنوبي المحتل من فلسطين أواخر ابريل ١٩١٨ مستفيدة من جهاز الامن التركي الذى كان يضم قوتين هما : البوليس والجندرمة المؤلفة من المشاة والفرسان ، بالرغم من أن الاتراك جندوا قوات البوليس والجندرمه للخدمة العسكرية الا انه وجد في القدس بعض رجال البوليس من العهد التركي فكانوا نواة لقوة البوليس الجديدة التي انضم اليها بعض أبناء البلاد على اختلاف مذاهبهم (١) .

وأخذت السلطة العسكرية البريطانية بتدريب قوات الامن على الحركات العسكرية في القدس أو ايفادهم في بعثات الى المعسكرات البريطانية في الاسماعلية (٢) ، ومن ناحية أخرى عمدت الادارة العسكرية الى تعليم قوات الامن أسس الادارة ضمن اختصاصات هذه القوات (٣) .

---

(١) جريدة فلسطين : ٢٤ — ١٩ أيلول ١٩١٨ .

(٢) الكوكـب : ١٣٥ — ١١ مارس ١٩١٩ .

(٣) جريدة فلسطين : ٢٤ — ١٩ أيلول ١٩١٨ .

وأصدرت السلطة العسكرية أولى تعليماتها بشأن تأسيس قوات البوليس والجندرمة في أواخر ابريل ١٩١٨ على النحو الاتي :ـ

تأسيس قوات البوليس :

المنطقة	مدير	نائب مدير درجة أولى	نائب مدير درجة ثانية	مساعد النائب	عدد قوات البوليس	تلميذ	كاتب مخزن
القدس	١	٢	٣	٥	٥٤	١٠	١
يافا	—	١	١	—	١٢	—	—
غزة	—	—	١	—	٨	—	—
الخليل	—	—	١	—	٨	—	—
المجموع	١	٣	٦	٥	٨٢	١٠	١

وواضح من هذا التوزيع أن قوات البوليس في القدس كانت أكثر عددا من غيرها في المدن الاخرى ولعل ذلك بحكم مكانتها الدينية محط انظار الحجاج والزوار على اختلاف مذاهبهم مما يستدعي وجود قوات من البوليس لضبط الامن في هذه المدينة أو فض المنازعات التي قد تنشب كما كان يحدث ذلك باستمرار بين الطوائف المسيحية ، ويفهم من هذا التوزيع أيضا عدم وجود قوات من البوليس في قضاء بئر السبع لان مهمة قوات البوليس المحافظة على الامن في المدن والحواضر ، أما الارياف والمناطق الاخرى فقد خصص لها قوات من الجندرمه (١) . وأرتدت قوات البوليس زيا خاصا وهو عمائم من لون بدلاتهم الكاكي على طرابيش مغربية ، أما قوات الجندرمة فقد ارتدت الكوفية والعقال (٢) .

أما قوات الجندرمة فكانت تضم فئات من المشاة والفرسان وهي أكثر عددا ووزعت على خمسة أقضية ، في حين وزعت قوات البوليس على اربع مناطق ، وحسب التعليمات التي صدرت أواخر ابريل ١٩١٨ وحسب التعليمات التي صدرت في ٢٥ أغسطس من نفس العام كان توزيع قوات الجندرمة على النحو الاتي :ـ

المنطقة	قائد حكمدار	ملازم	كاتب مخزن	رقيب أول	فرسان			مشاه				
					رقيب	عريف	أنفار	رقيب أول	رقيب	عريف	أنفار	
القدس	١	٢	٣	١	١	٣	٦	٥٧	١	٥	١٠	٩٩
يافا	—	٢	٢	١	١	٢	٦	٤٠	١	٤	١٠	٨٢
غزة	—	٢	٢	١	١	٢	٦	٣٩	١	٣	٨	٦١
الخليل	—	٢	٢	١	١	٢	٦	٤٥	١	٣	٨	٦٧
بئر السبع	١	—	—	١	١	١	٣	٢٠	—	—	—	—
المجموع	٢	٨	٩	٥	٥	١٠	٢٧	٢٠١	٤	١٥	٣٦	٣٠٩

وكانت الادارة العسكرية قد أوضحت للاهالي كيفية الانخراط في هذه القوات (١) التي تجاوب لها بعض أبناء البلاد (٢) ، كما أوضحت بعض الامور المتعلقة بالتجنيد من ذلك أن يكون توزيع قوات البوليس والجندرمة حسب التوزيع المذهبي : ٧٠ بالمئة من المسلمين و ٢٠ بالمئة من المسيحيين والباقي من اليهود ، على أن يعامل الجميع بنفس المعاملة من حيث الرواتب أو الملابس وغير ذلك من أمور تتعلق بالمهام الموكولة اليهم من ذلك أن تكون خدمة قوات الجندرمة في منطقة خارج المنطقة التي يقيم فيها ، كما أوضحت تعليمات أخرى رواتب جميع العاملين في جهاز الامن والعلاوات الخاصة بذلك ، وأهم ما يلاحظ على توزيع الرواتب ، أن رواتب أنفار البوليس كانت أكثر من رواتب أنفار الجندرمة فقد كان كل نفر من قوات البوليس يتقاضى ٥٠٠ قرش شهريا مع علاوة شهرية تصل الى ٥٠ قرشا في حين أن كل نفر من الجندرمة الفرسان كان يتقاضى ٣٥٠ شهريا وعلاوة ١٠٠ قرشا شهريا ، وكل نفر من الجندرمه المشاة كان يتقاضى ٣٠٠ قرشا شهريا مع علاوة ٥٠ قرش (٣) .

يمكن تفسير هذا التفاوت بين رواتب أنفار البوليس من جهة وبين أنفار الجندرمة (مشاة ، فرسان) من جهة أخرى بأن مهمة أنفار البوليس كانت تتطلب منهم أن يكونوا أكثر استعدادا وأكثر وجودا في منطقته أكثر من قوات الجندرمة ، كما يمكن تفسير العلاوة الزائدة التي تتقاضاها قوات الجندرمة كانوا يعملون في مناطق غير مناطق اقامتهم أما سبب العلاوة الزائدة التي يتقاضاها الفرسان عن المشاة فراجع الى أن الفرسان كان عليهم ان يتزودوا بالخيول اللازمة لمهمتهم على حسابهم الخاص .

ومن الامور البارزة التي نصت عليها تعليمات الادارة العسكرية بشأن تأسيس قوات البوليس والجندرمة هي ترقيم أفراد هذه القوات كما أن المناطق التي يعملون فيها كانت تحمل أرقاما معينة بمعنى أن هناك أرقاما خاصة بمنطقة القدس واخرى لمنطقة يافا أو الخليل أو غزة تسيهلا لمعرفة المنطقة التي يعمل بها أنفار قوات الامن ، أما بالنسبة لملابس ومعدات هذه القوات فقد رتبت حسب احتياجات كل فئة وحسب المهام التي كانت تقوم بها هذه القوات (٤) . كما روعي في ذلك طبيعة المناطق التي يعملون فيها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى رتبت الملابس والمعدات التي تقدم لهذه القوات على ثلاث درجات فمنها ما يقدم مجانا ومنها ما يصرف بنصف الثمن ، والثمن كاملا ، وان يتم صرف هذه المعدات واللوازم من المستودع الرئيسي في القدس (٥) .

واستكمالا لتنظيم قوات الامن أصدرت الادارة العسكرية تعليمات أخرى نصت على ضرورة الاحتفاظ بالسجلات الاتية في كل منطقة حسب التوزيع السابق ذكره :

— دفتر اليوميه : يدون فيه تقارير عن القضايا التي وقعت في المنطقة وعن المهام والاعمال التي نفذها أفراد البوليس .

— سجل القضايا : يدون فيه تفاصيل عن القضايا عندما لا يكتفي بما ذكر في سجل اليومية بل تدون في هذا السجل تفاصيل وافية عن القضايا وبيان نوعها كالسرقة أو القتل وربط ذلك بنصوص المواد التي

---

(١) (1) O.E.T.A. (S): OP. Cit., p 42 - 50.

(٢) (2) F.O. 371/3412/180073 - 1918.

(٣) (3) O.E.T.A.(S): OP. Cit., p 24 - 50.

(٤) (4) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p 42 - 50.

(٥) (5) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p 5.

وردت في القانون العثماني في هذا الشأن .

- سجل لتدوين الاوامر التي تصدر عن الحاكم العسكري أو نائبه فيما يتعلق بالبوليس والجندرمة .
- سجل لتدوين الاشخاص المطلوبين للحكم العسكري بقصد القاء القبض عليهم .
- سجلات اخرى لتدوين ما يصرف من ملابس ومعدات وغيره من اللوازم (١) .

بهذه التعليمات عملت الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين على تأسيس قوات من البوليس والجندرمة التي خصص لها في الموازنة التي اعدتها الادارة العسكرية لفترة قصيرة من مارس حتى يونية ١٩١٨ حوالي ٩٫٠٠٠ جنيه مصري ، ويلاحظ على بنود هذه الموازنة ان مصروفات البوليس والجندرمة كانت ترتفع من شهر لاخر فبعد ان كانت المصروفات في شهر مارس حوالي ١٫٥٠٠ جنيه اصبحت في شهر يونية حوالي ٣٫٥٠٠ جنيه (٢) .

وفي الموازنة التي اعدتها الادارة العسكرية لعام ١٩١٩-١٩٢٠ خصص لقوات الامن حوالي ٩٩٫٣٠٠ جنيه صرف منها حوالي ٧٠ الفا اى بنسبة ٧٠٪ على الرواتب وصرف الباقي على الملابس والمعدات وغير ذلك من لوازم هذا الجهاز (٣) . كما ان جانبا من هذه المخصصات صرف على قوات الامن الجديدة التي تم تشكيلها في المناطق الجديدة التي احتلت من فلسطين اواخر عام ١٩١٨ ، فوصل عدد هذه القوات عام ١٩١٩ حوالي ١١١٠ (٤) في حين كان عدد هذه القوات مع بداية تأسيس جهاز الامن حوالي ٥٩٢ نفرا من الجندرمة والبوليس ، ومع هذا التضاعف في عدد هذه القوات الا أنها كانت أقل مما كانت عليه في العهد العثماني فقد وصلت الى ١٢٧٣ نفرا ، ويرجع هذا النقص في عدد قوات الامن الى أن البلاد كانت تحت الاحتلال العسكرى الذى يقضي بوجود قوات من الجيش للقيام بأية مهمة تطلب منـه .

ومهما يكن من امر فان اقدام الادارة العسكرية على تخفيض عدد قوات الامن بنسبة ١٣٪ عما كانت عليه في العهد العثماني اثر في تفاقم الاضرابات التي حدثت في البلاد عام ١٩٢٠ (٥) ويرتبط بالحديث عن قوات الامن حديث اخر عن السجون التي نظمت حسب الترتيب الاتي :-

---

(١) (1) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p 46 - 47.

(٢) (2) F.O. 371/4143/35569 - 12 February 1919.

(٣) (3) F.O. 371/4143/138121 - 1919.

(٤) (4) F.O. 371/4143/138121 - 1919.

(٥) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين : مرجع سبق ذكره ص٢٠٠-٢٠٧ .

السجون في بلاد العدو المحتلة ١٩١٨

السجون	مدير	رئيس الحرس	جاويشه	حراس	حارسات	كاتب	مخازن	كاتب مخزن	مهندس	مسؤول عن المستشفى
القدس	١	١	٣	١٠	٢	١	١	—	١	١
بيت لحم	—	—	—	٢	—	—	—	—	—	—
رام الله	—	—	—	٢	—	—	—	—	—	—
أريحا	—	—	—	٢	—	—	—	—	—	—
يافا	١	١	١	٦	٢	—	—	١	—	—
رمله	—	١	١	٦	٢	—	—	١	—	—
غزة	—	١	١	٤	١	—	—	١	—	—
الخليل	—	١	١	٥	—	—	—	١	—	—
بئر السبع	—	—	١	٣	—	—	—	١	—	—
المجموع	٢	٥	٨	٤٠	٧	١	١	٥	١	١

وأوضحت الادارة العسكرية في تعليماتها أوضاع القائمين على السجون وأوضاع المسجونين من حيث وجبات الطعام التي كانت لا تتعدى ١٠٠ درهم من الخبز مع بعض الحساء والخضر ، كما وضعت ترتيبات بشأن تنفيذ مدة السجن فاذا كانت في حدود ستة أشهر تنفذ في سجن القدس أما اذا كانت مدة العقوبة أكثر من ذلك فينقل السجين الى السجون البريطانية في مصر (١) .

هذا وبلغت مصروفات الادارة العسكرية حسب موازنتها لعام ١٩١٨ (مارس ـ يونيه) حوالي ٥٠٠ ر٤ جنيه (٢) أما في موازنة عام ١٩١٩ فقد خصص لادارة السجون حوالي ١٠٠ ر٢٩ جنيه في الوقت الذى وصل فيه عدد السجناء الى ٨٠٠ سجين ، أى أن مصروفات السجين الواحد كانت ٣٦ جنيها سنويا بما في ذلك مصروفات الطعام والملابس التي تشكل ٥ ر ٦٨ بالمئة من الموازنة (٣) .

الفصل السابع

الادارة المالية

- تأسيس الادارة
- العملة .
- الضرائب .

تأسيس الادارة المالية :

اشراف المستشار المالي في القيادة البريطانية في القاهرة على تنظيم الشئون المالية للادارة العسكرية في فلسطين ... صعوبة اعداد ميزانية عامةبعد احتلال القسم الجنوبي في فلسطين ... الاتصالات بشأن تعيين مستشار مالي منفرد في فلسطين ... اعداد ميزانية عام ١٩١٨ وأهم الملاحظات عليها ... تعيين جابريل مستشارا ماليا لادارة بلاد العدو المحتلة ... اعداد ميزانية عام ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ والملاحظات على هذه الميزانية .

العملة :

ادخال العملة المصرية الى فلسطين .. التعريفة الرسمية للعملات الاجنبية ... المشاريع المطروحة لاصدار عملة ورقية فلسطينية ... موقف الادارة العسكرية والحكومة البريطانية في هذه المشاريع .

الضرائب :

تثبيت الضرائب السابقة والعمل على تحصيلها ... موقف الاهالي من عملية تحصيل الضرائب ... تعليمات اللنبي في مايو ١٩١٨ لتشجيع الاهالي على دفع الضرائب تعليمات أخرى لتسهيل عملية دفع الضرائب ... أهم الضرائب وهي ضريبة العشور الحيوانات ... العقارات والاراضي ثم ضريبة التمتع وما دار حول تحصيلها من جدل .

منذ الاجتماع الذى عقدته القيادة البريطانية العامة في القاهرة ٢٣ اكتوبر ١٩١٧ لوضع الترتيبات الادارية للمناطق المحتلة ، وضعت ايضا ترتيبات مالية لربط ادارة المناطق المتوقع احتلالها من فلسطين بالقيادة العامة في القاهرة ، ولهذا الغرض وضعت الترتيبات لاعداد موازنة شهرية بالايرادات المصروفات لتقديمها الى كبير المحاسبين كوماند بيماستر في القاهرة ، كما اتفق على تغطية العجز في الموازنة الشهرية للادارة العسكرية في فلسطين من مصروفات الجيش وخلال هذه الفترة كان المستشار المالى بالقيادة العامة في القاهرة هو هيوجيت وهو الذى يشرف على تنظيم الشئون المالية مع الادارة العسكرية في فلسطين .

وبعد احتلال القسم الجنوبي من فلسطين أواخر عام ١٩١٧ كان لا بد من اعداد موازنة حيث ان السنة المالية التركية تبدأ اول مارس وكان من الصعب البدء في جمع المتأخرات من ايرادات عام ١٩١٧ - ١٩١٨ لذا رؤى تأجيل ذلك لموازنة عام ١٩١٨ - ١٩١٩ (١) . كما كان من الصعب وضع الخطوط الرئيسية للموازنة العامة في وقت لم تقرر فيه بعد المبادئ التي ستعمل بموجبها الادارة العسكرية البريطانية لان كتاب القوانين العسكرية يقضي بأن " تنقل ادارة البلاد المالية في بلاد العدو المحتلة الى ايدى المحتل ولكن التشريعات المالية بأكملها تظل سارية المفعول واذا كان المحتل بجمع الضرائب والعوائد والمكوس المستحقة للدولة فهو بالتالى مكلف بالانفاق على ادارة البلاد المحتلة الى نفس الحد الذى كانت الحكومة الوطنية السابقة مكلفة به ، ويجب ان تجبى الاموال بقدر الامكان وفقا للانظمة الموجودة وعلى اساس التخمين المعمول به ويحق للمحتل ان يخصص لمنفعة الجيش كل رصيد يتبقى من الاموال بعد دفع هذه النفقات ولا يجوز للمحتل ان يستعمل الضرائب المحلية الا للمقاصد الى جبيت من اجلها (٢) .

واستمرالمستشار المالى بالقيادة البريطانية العامة في القاهرة مشرفا على الشئون المالية لفترة اربعة شهور اخذ بعدها يطالب بتعيين مستشار مالى في ادارة " بلاد العدو المحتلة وبناء على هذا الاقتراح جرت عدة اتصالات منذ اول يناير ١٩١٨ (٤) بين عدد من الوزارات في لندن : الخزانة المستعمرات ، الخارجية (٥) الى ان استقر الامر على ترشيح سالكد وهو من موظفي الادارة في شرقي افريقيا وكان على خبرة في الشئون الادارية (٦) ليكون مشرفا على الشئون المالية في المناطق المحتلة من فلسطين وبناء على ذلك قامت وزارة الحرب بابلاغ سالكد ليكون مسئولا عن ايرادات ومصروفات الادارة المالية في المناطق المحتلة التي ستكون

ادارتها منفصلة عن مصروفات الجيش التي سيتفرغ لها المستشار المالي في القيادة العامة في القاهرة وهو هيوجت (١) .

وصل سالكد لتولي منصبه في ١٦ ابريل ١٩١٨ وبقي هيوجت يعمل الى جانبه بناء على رغبة مدير الادارة العسكرية الجنرال موني حتى ١٥ مايو ١٩١٨ (٢) . لكن المستشار المالي الجديد سالكد لم يستمر في هذا العمل ، فقد اعتذر عن الاستمرار في عمله معللا ذلك بقوله : " ان الامر ليس معقدا ... لكن الصعوبة تكمن في غياب السجلات الرسمية التي اتلفت بسبب الحرب او لان الاتراك كانوا قد نقلوا البعض الاخر منها الى دمشق او غيرها من المناطق (٣) .

ولاجل سد هذا الفراغ من بعد سالكد اقترحت القيادة البريطانية العامة في القاهرة على وزارة الحرب ان ينقل المستشار هيوجت الى المناطق المحتلة من فلسطين مع مساعد له للتدريب تمهيدا لشغل هذا املمنصب فيط بعد (٤) .

وعلى اثر رفض وزارة الحرب لهذا الاقتراح جرت مراسلات لتعيين مستشار مالي آخر ، الى ان وقع الاختيار على الليفتانت كولونيل ف . غايربيل ، لكن هذا الاختيار لم ينفذ لاعتراض اللنبي الذى كان مصرا على ضرورة تعيين المستشار هيوجت بحكم خبرته في هذا المجال ويبدو ان هذا الاقتراح لم ينفذ فقد عين جابرييل مستشارا ماليا في المناطق المحتلة من فلسطين .

ويهمنا ان نوضح انه خلال الفترة التي سبقت تسلم جابرييل منصبه كمستشار مالي تم وضع موازنة لادارة بلادالعدو المحتلة " عن الفترة ما بين مارس حتى يونيه ١٩١٨ الا ان هـــذه الموازنة كانت تغطى القسم الجنوبي من فلسطين فقط وهو سنجق القدس حسب التقسيمات الادارية العثمانية ، وذلك بحكم نتائج العمليات العسكرية البريطانية حتى اواخر ١٩١٧ ، وقد تم اعداد هذه الموازنة بناء على المعلومات التي امكن تجميعها من سجلات سنجق القدس في فترة ما قبل الحرب ومن المراجع التركية التي رجع اليها الضباط المشرف على هذه العملية وهو سيمونيز ومن قبل الممثلين او العاملين الذين كانوا يعملون في صندون الدين العثماني وشركة الريجي (٦) . وكانت الموازنة ضرورية للبدء في تنظيم او اعادة افتتاح الدوائر الحكومية والمؤسسات ، هذا وقد اعدت الى جانب الموازنة العامة موازنات خاصة لصندوق الدين العثماني وشركة الريجي وفيما يلي الموازنة العامة الى وضعتها الادارة العسكرية البريطانية خلال الفترة مارس – يونية ١٩١٨ – وهي مقدرة بالمليم المصرى وهي موزعة على اربعة شهور على النحو الاتي :

---

(1) F.O. 371/3389/51370 - March 1918. (١)
(2) F.O. 371/3389/190104 - 12 October 1918. (٢)
(3) F.O. 371/3389/93652 - 20 May 1918. (٣)
(4) F.O. 371/3389/190104 - 12 October 1918. (٤)
(5) F.O. 371/3389/19104/1/44 - 26 November 1918. (٥)
(6) F.O. 371/3389/19104 - 12 October 1918. (٦)

ايرادات ادارة بلاد العدو المحتلة مارس – يونيه ١٩١٨ (١)

البند	مارس	ابريل	مايو	يونيه	المجموع
ضريبة العقارات والاراضي	—	—	—	—	—
ضريبة التمتع (المهن)	—	—	—	—	—
ضريبة الطرق	—	—	—	—	—
ضريبة الحيوانات	٣٨ر٣٧٣	١ر٦٧٠ر٢٥٧	٣ر٢١٢ر١٣٩	٥٨٠ر١١٤	٥ر٥٠٠ر٨٨٣
العشور	—	—	—	—	—
جمارك	٣٠٨ر٣٩٠	٦ر٢٣١ر٥٤٧	١٢ر٤٦٧ر٧١٩	١١ر٩١١ر٥٢٥	٣١ر١١٩ر١٨١
زراعة	١٠ر١٠٠	—	١٠١ر٥٠٠	٥٤ر٠٠٠	١٦٥ر٦٠٠
رسوم محاكم	٣١٤ر٣٨٠	٢٧٩ر٢٠٨	٢٦٨ر٠٨٠	١٦٧ر٧٥٧	١ر٠٢٩ر٤٢٦
غرامات	٦٩٤ر٨٦١	١ر٣٠٧ر١١٤	٢ر٣١٠ر٧٤٨	١ر٠٧٨ر٨٨٢	٥ر٣٩١ر٦٠٥
طوابع خط الحجاز	٧٧ر٨٥٦	٩٥ر٩٤٧	٨٦ر٠٤٣	٤١ر٢٦٣	٣٠١ر١٠٩
اغاثة ومهاجرون	٣ر٥١٨ر٢١٦	٤ر٠٠٣ر٣١٠	٨ر٧٣٩ر٤٥٩	٧٦ر٨٣٢ر١٥٦	٩٢ر٨٩٣ر١٤١
متنوعات	٢٣ر٤٨٥	١٨ر٢٥٤	١٤ر٨٦٥	١ر٣٢٥ر١٢٥	١ر٣٨١ر٧٢٩
المجموع	٤ر٩٨٥ر٦٦٢	١٣ر٦٠٥ر٦٣٧	٢٧ر٢٠٠ر٥٥٣	٩١ر٩٩٠ر٨٢٢	١٣٧ر٧٨٢ر٦٧٤

371/4143/35569 — 12 February

مصروفات ادارة بلاد العدو المحتلة مارس – يونيه ١٩١٨ (١)

البند	مارس	ابريل	مايو	يونيه	المجموع
ادارة	٦٤٧ر٣٧١	٨٤٤ر٩٨٢	٨٦٠ر٢٩١	٤ر٥٨٥ر٢٣٦	٦ر٩٣٧ر٠٨٠
استقبالات	٥٤٠ر٩٣٠	٧١٠ر٥٦٢	١ر٣٣٤ر٦٦٥	١ر١٤٦ر٧٨١	٣ر٧٤٢ر٩٣٨
تسجيل الاراضي	٠٠٥ر٩٨٥	١٣ر٤٢٠	٨ر٤٢٠	١٠ر٦٧٨	٣٨ر٥٠٣
الصحة	٢ر١٥٤ر٦٨٤	١ر٥٦٧ر٠٥٩	٥ر٢٨٥ر٩٨٢	٢ر٢٢٧ر٣٧٦	١١ر١٨٥ر١٠١
بوليس وجندرمة	١ر٥١٠ر٧٤٢	٢ر٠٢٤ر٢٠٨	١ر٩٣١ر٤٣٢	٣ر٤٨٥ر٧٢١	٨ر٩٥٢ر١٠٣
سجون	٩٠٣ر١٧٣	٧٤١ر٢٠١	١ر٩٠١ر٨٠٨	٩٤٥ر١٢٥	٤ر٤٩١ر٣٠٧
القضاء	٤٤٥ر٠٦٤	٥٥١ر٥٧٨	٦٠٩ر٤٣٠	٧٤٩ر١١٩	٢ر٣٥٥ر١٩١
التعليم	٣٢٣ر٠٩٤	٤١٦ر٩٣٧	٣٨٨ر٩٢٦	٤٧١ر٩٦٢	١ر٦٠٠ر٩١٩
زراعة	٢٤ر٤٩١	٦٨٧ر٢٩٧	٢ر٧١٤ر٦٠٢	١٤٥ر٧٦٢	٣ر٥٧٢ر١٥٢
أشغال عامة	٢٠ر٦٠٠	٤٠ر٩٣٠	٦٦ر١٠٠	٣٩٥ر٩٥٠	٥٢٣ر٥٨٠
طباعة وقرطاسية	٣٦ر٩١٤	٥٤ر٨٠٢	٣١ر٩٨٥	١٥٨ر١٦٠	٢٨١ر٨٦١
اغاثة ومهاجرون	٤ر٤٦١ر٣٤٣	٤٨٦ر٢٥٢	٣ر٨١٤ر٤٧٤	١١ر٢٣٦ر٠٣٥	١٩ر٩٩٨ر١٠٤
خدمات بريدية	...	...	...	٣٠ر٣٠٠	٣٠ر٣٠٠
المجموع	١٠ر٩٧٤ر٣٩١	٨ر١٣٩ر٢٢٨	١٨ر٩٥٨ر١١٥	٢٥ر٦٣٨ر٢٠٥	٦٣ر٧٠٩ر٩٣٩

(1) F.O. 371/4143/35569 - 12 February 1919.

واضح من هذه الـ وازنة ان الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين لم تكلف الحكومة البريطانية اية مصروفات لقاء تقديم الخدمات الى الاهالي ، بل على العكس من ذلك ، فان هذه الموازنة قدمت للحكومة فائضا ماليا اذ لم ينفق في الموازنة سوى ٤٦ بالمئة ، ولعل السبب في عدم استنفاذ الموازنة يرجع الى عدم انهاء الانجازات والخدمات التي شرع فيها في وقت لم تتضح فيه الصورة السياسية لمستقبل البلاد بعد .

واضح ايضا ان الاهالي لم يقبلوا على دفع الضرائب التي كانت مفروضة عليهم بموجب النظام التركي ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى سوء الاوضاع الاقتصادية التي خلفتها الحرب باستثناء ضريبة واحدة هي ضريبة الحيوانات والسبب في ذلك يرجع الى ان الادارة العسكرية اخذت في استيراد الحيوانات من مصر مما أدى الى زيادة المحصل من هذه الضريبة لان الادارة العسكرية بهذا العمل ، بالاضافة الى انها زادت من الحيوانات في البلاد ، عملت على ضبط تحصيل هذه الضريبة بحكم هذا الاجراء .

ومن الامور البارزة في هذه الموازنة ، ان الجانب الاكبر من الايرادات نتج عن اعمال الاغاثة ومن المهاجرين الذين اخذوا الى البلاد بعد عمليات النفي والابعاد خارج فلسطين ، مما دفع بالبعض منهم الى البدء في ممارسة اعمالهم المعتادة ولهذا عملت الادارة العسكرية من ناحية أخرى على اصدار كشف تعريفة رسمية باسعار العملات المتداولة في محاولة منها لضبط اسعار العملات في البلاد ، كما ان مساهمة هذا الجانب (اغاثة ومهاجرون) في ايرادات الموازنة بهذا القدر ـ الذى يصل الى ٦٧ بالمئة ـ يعطي بعدا هاما ، وهو ان الامور الحياتية والايرادات المحلية لم تكن متوفرة ، او لم تساهم بشكل فعال ومعنى هذا ان الحياة العامة لم تنشط بعد ، بل كان اعتماد ثلثي هذه الموازنة على المساعدات من الخارج .

وثمة امر آخر يمكن ملاحظتهعلى هذه الموازنة ، وهو ان الجمارك شكلت نسبة لا بأس بها في الموازنة فوصلت الى ٢٢ بالمئة مما يوضح ان الادارة العسكرية اخذت تعمل على اعادة الحياة العامة كما كانت عليها من قبل كما انها بهذا الاجراء كانت تعتمد فى الدرجة الاولى على دعم العملة المصرية التي اخذت تتدهور عندما أدخلت الى هذه المناطق المحتلة . لهذا جاء هذا الاجراء في تنشيط الوضع داخليا املا في دعم هذه العملة ففتحت لذلك ابواب التجارة مع مصر واستعدت للاستيراد من الخارج .

ومهما يكن الامر فان الجانب الاكبر من النفقات كان للنهوض باعباء الحرب ومن ذلك تقديم التسهيلات للقادمين الذين كانوا مبعدين خارج البلاد . وقد شكلت هذه النفقات ٣١ بالمئة من الموازنة . كما ان دائرة الصحة شكلت ٢١٧ بالمئة وهي بهذا فاقت نفقات الدوائر الاخرى مثل المصارف او الزراعة ، كما ان الخدمات الاخرى ، مثل الخدمات البريدية كانت لا تزال في البداية .

أما بعد تسلم Gabriel منصبه كمستشار مالى في " ادارة بلاد العدو المحتلة " وبعد ان انتهت العمليات العسكرية البريطانية في فلسطين اواخر سبتمبر ، وبعد ان اصبحت المناطق المحتلة من فلسطين تعرف باسم : " ادارة بلاد العدو المحتلة جنوبا " شرع في اعداد موازنة عامة سنوية لجميع المناطق المحتلة ، وقد وضعت هذه الموازنة استنادا الى الاسس والمبادئ التي تم جمعها في الفترة السابقة من السجلات التركية المتبقية ، او من المراجع والكتب التي تم العثور عليها ، لكن مع بعض التوسع في بعض المواد ، وهذه صورة الموازنة لعام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ مقدرة بالجنيهات المصرية : (١) .

---

(1) F.O. 371/4143/138121 - 1919.

المـــواد	الايـــرادات	المصروفات
الادارة العامـــــة	٠ر٥٠٠	٩٧٨ر٢٠٠
ضرائب مباشـــرة	٢٢٨ر٠٢٠	١٤ر١٥٠
جمـــــارك	٣٠٠ر٠٠٠	١٠ر٨٥٠
طوابـــــع	٦ر٦٠٠	٠ر٣٥٠
املاك الحكومـة	١١ر١٠٠	٠ر٥٠٠
القضـــــاء	٥٥ر٠٠٠	٣٩ر١٠٠
البوليـــس	٦ر٠٠٠	٩٩ر٣٠٠
الصحة العامـــة	١٣ر٣٥٠	٩٠ر٥٠٠
السجـــون	٠ر٤٠٠	٢٩ر١٠٠
الاشغال العامـــة	١ر٢٥٠	٨٥ر٧٥٠
المعـــارف	٩ر٠٠٠	٤٦ر٠٠٠
الزراعـــة	٣ر٩٠٠	١٦ر٥٠٠
خدمات الاغاثـة	٤٣ر٤٠٠	٦٤ر٧٠٠
صندوق التقاعد	٠٠٠٠	١٢ر٠٠٠
الموانـــيء	٥ر٧٠٠	٧ر٣٠٠
الاسمـــاك	٠ر٥٠٠	٠٠٠
السكك الحديدية	٠٠٠٠	٠٠٠
مكاتب البريـــد	٣٠ر٥٣٠	١٥ر٩٠٠
تلغراف وتلفـــون	١٩ر٩٥٠	١٦ر٢٠٠
منح وقروض للبلديات	٠٠٠	٢ر٥٠٠
رسوم اضافيـــة	٠٠٠	٦ر٣٠٠
المجمـــوع	٧٣٥ر٢٠٠	٧٣٥ر٢٠٠

كانت موازنة عام ١٩١٩ ـــ ١٩٢٠ هي الموازنة السنوية الاولى التي اعدتها الادارة العسكرية البريطانية في " بلاد العدو المحتلة جنوبا " (فلسطين) وذلك بعد ضم الاقسام الشمالية من فلسطين الى الاقسام الجنوبية اذ اعلن على اثر ذلك تأسيس هذه الادارة الى جانب ما حدث في سورية حيث قسمت الى مناطق شرقية وغـربية.

ومن هنا جاءت هذه الموازنة شاملة لجميع انحاء فلسطين بعد ان اقتصرت الموازنة السابقة على سنجق القدس أي الاقسام الجنوبية من فلسطين ، ويلاحظ على هذه الموازنة ان بنودا جديدة اضيفت اليها علما بان الجانب الاكبر منها اعتمد على الخطوط الرئيسية التي جاءت بها الموازنة السابقة . ويمكن ابراز الملاحظات الاتية علـى هـذه الموازنة :

" اذا كانت الموازنة السابقة ١٩١٨ (مارس ـــ يونيه) قد حققت فائضا ماليا للادارة العسكرية البريطانية في فلسطين ، فان هذه الموازنة استنفذت جميع الايرادات التي بلغت ٧٣٥٫٢٠٠ جنيه مصرى ومع هذا فان الامر الذى لابد من تأكيده هو ان فلسطين لم تكن عالة في نفقاتها على الحكومة البريطانية بحيث توازنت الايرادات مع المصروفات .

" لقد جاء الجانب الاكبر من ايرادات هذه الموازنة عن طريق الجمارك التي شكلت ٤١ بالمئة من هذه الموازنة ، وهذا راجع الى انتعاش حركة التجارة بعد ان عملت السلطات العسكرية على فتح باب التجارة مع الخارج لتحقق بذلك عدة اهداف من جملتها العمل لتدعيم وانعاش قيمة العملة الورقية المصرية في البلاد ، كما ان البلاد بطبيعة الحال كانت بحاجة الى مستلزمات كثيرة من مواد غذائية وغيرها بعد ان افتقدتها خلال الحرب كما ان الصادرات الى الخارج شكلت موردا آخر للجمارك .

" ساهمت الضرائب المباشرة بحوالي ٣١ بالمئة من ايرادات هذه الموازنة وقد كانت مؤجلة ثم دفعها الاهالي في موازنة هذه السنة أي لعام ١٩١٩ .

" ونلاحظ على الجانب الاخر من هذه الموازنة ، وهو جانب النفقات ، ان الادارة العامة استنفذت حوالي ٢٤ بالمئة من ايرادات الموازنة ولعل السبب في ذلك هو زيادة عدد الموظفين البريطانيين وغيرهم من السوريين الذين اخذوا يعملون في تدعيم الجهاز الادارى وتوفير الخدمات للاهالي وعلى رأس الدوائر الاخرى مثل الصحة او التعليم والاشغال العامة .

" من الامور الواضحة في المصروفات ان السلطة العسكرية اخذت تساهم في اعمال المساعدة والاغاثة بعد مغادرة الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي كانت تقوم بهذه الاعمال وهذا واضح في موازنة ١٩١٨ حيث قدمت هذه المؤسسات قدرا كبيرا من المال لم تقدم خلالها السلطة العسكرية البريطانية اية مساهمة من جانبها في حين يظهر من موازنة ١٩١٩ مدى مساهمة السلطة العسكرية التي قدمت ٦٤٫٧٠٠ جنيه أي ما يعادل ٩ بالمئة من مجموع النفقات في هذه الموازنة .

" مصاريف اخرى جديدة جاءت في هذه الموازنة مثل صندوق التقاعد او منح قروض الى بعض البلديات لتمارس ادارتها وتقديم خدماتها للاهالي .

العملـــــة :

وافقت السلطات العسكرية البريطانية في مصر على ادخال العملة المصرية الى فلسطين بعد ان كان هذا الامر مدارا للمناقشة مع وزارة الحرب . وافقت على ذلك بعد ان بدأت القوات البريطانية في اختراق الحدود

المصرية التركية في فلسطين منذ اكتوبر ١٩١٧ ، وقد جاءت هذه الموافقة بشرط عدم الافراط في استخدام هذه العملة (١) ، وقد ادخلت العملة بالفعل منذ ٢٣ نوفمبر ١٩١٧ واعتبرت عملة رسمية الى جانب عملات الحلفاء والى جانب العملة التركية الذهبية والورقية (٢) .

وتجنبا لحدوث اضطربات واختلافات في اسعار العملات المتعددة في فلسطين أخذت الادارة العسكرية تصدر من حين لاخر تعريفة رسمية تحدد فيها أسعار العملات الاجنبية بالنسبة للعملة المصرية وكلفت الجرائد بنشر ذلك يوميا مثل جريدة فلسطين وجريدة الكوكب ومن اللوائح التي صدرت في هذا الشأن اللائحة التي اصدرها باركر (نائب مدير الادارة العسكرية) بتاريخ ١٨ يناير ١٩١٨ وهي على النحو الاتي :

العملات غير التركية :

عملات ذهبية	القيمة بالعملة المصرية (قروش)
الجنية الانجليزى	٩٧٫٥
٢٠ فرنك فرنسي	٧٧٫١٥
٢٠ ليرة ايطالية	٧٧٫١٥
٥ دولارات أمريكية	١٠٠٫٠٠
٢٠ فرنك سويسرى	٧٧٫١٥
٢٠ كارونن نمساوى	٨٠٫٠٠
٢٠ مارك الماني	٩٥٫٠٠
عملات فضية :	
شلن انجليزى	٤٫٨٥
فرنك فرنسي	٣٫٨٥
روبية ايطالية	٦٫٥

العملات التركية :

تقبل العملات التركية الاتية في التداول وهي :

الجنيه الذهب	٧٥٫٨٥
المجيدية الفضية	٦
البشلك	١٫٥
المتليك	٠٫١٥

(١) (1) F.O. 371/3380/37984 - 24 January 1918.

(٢) (2) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p. 91.

اما الاوراق المالية التركية فلا يقبل التعامل بها وهي عملية غير قانونية في البلاد (١) .

واضح من هذا اللائحة استبعاد الاوراق المالية التركية في حين استبقيت العملة التركية الذهبية والفضية على انها عملة قانونية وقابلة للتداول علما بأن هذا النوع من العملة التركية يمكن اعتباره مفقودا بحكم ان الحكومة التركية كانت قد استبدلته بالعملة الورقية خلال الحرب كما ان الاهالي آثروا ادخار العملة الفضية وبهذا الاجراء اهتزت تماما العملة التركية ومن هنا ادخلت الادارة العسكرية منذ البداية العملة المصرية التي اعتمدت كليا في تصريف شؤونها المالية في دفع المرتبات او غير ذلك من الالتزامات .

بعد ان استبعدت العملة الورقية التركية من التداول طرحت مشاريع لسد هذا الفراغ ، من ذلك مشروع استخدام المجيدية الفضية اما بالنسبة للبشلك والمتليك فقد اقترح ان يستبعدا من العملات الرسمية في البلاد لكن يتركان للتداول بين الاهالي بناء على السعر الذى يجدونه في السوق بمعنى تعويم اسعار هذه الفئات من العملة التركية (٢) .

ويبدو ان هذا المشروع لم ينفذ اذ طرح مشروع آخر عن طريق البنك الانجليزى الفلسطيني في لندن امام وزارة الحرب بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩١٨ لاصدار عملة ورقية فلسطينية جديدة وان تطبع العملة باللغات الثلاث الانجليزية العبرية والعربية ويقترح البنك ايضا ان يكون الاصدار من فئتين جنيه ونصف جنيه وعلى ان تصدر هذه العملات باسم البنك الانجليزى الفلسطيني، واوضح هذا النبك الفوائد التي يحققها تنفيذ هذا المشروع كتوفير عملة رسمية في فلسطين، واقترح دعم هذه العملة عن طريق ودائع البنك البريطاني او بنوك اخرى معترف بها من قبل الحكومة البريطانية (٣) .

غير ان هذا المشروع لم ينفذ ايضا وقد جاء الرد عليه : " ان من غير المناسب ان تصدر العملة في الاجزاء المحتلة من فلسطين من قبل بنك ، كما ان وجود العملة المصرية من فئات ١٠٠ قرش و ٥٠ قرش تسد هذا النقص كما ان ادخال عملات اخرى يعمل على تعقيد الاوضاع المالية أكثر من العمل على انعاشها (٤) ، كما رفضه اللنبي بقوله ان ذلك ينطوى على قضية سياسية (٥) . ومن ناحية اخرى اجاب بلفور على هذا الاقتراح بانه سيعمل على خلق صعوبات ومشاكل للعملة اكثر من العمل على خدمتها (٦) .

وبفشل هذا المشروع المقترح قام البنك الانجليزى الفلسطيني بطرح مشروع آخر ينطوى على اصدار عملة من الفئات الصغيرة حلا لمشكلة الصرافة (التبديل لفئات صغيرة) التي برزت في المناطق المحتلة منذ الايام الاولى للاحتلال حيث ان الفضة المصرية لم تكن معروفة وغير مألوفة بين الاهالي بحكم ارتباطهم السابق بقطع العملة التركية . ومع مرور الوقت اصبحت العملة المصرية مألوفة لديهم ، كما ان العملة الورقية التركية اصبحت لا تساوى في نظرهم قطع النقود الصغيرة لهذه الاسباب اقترح البنك الانجليزى الفلسطيني ضرورة اصدار قطع صغيرة من العملة ليساهم في حل مشكلة تبديل العملة (الصرافة) واقترح لذلك اصدار الفئات الاتية :

" اصدار ثلاثة انواع من الفئات : ٢٥ ، ٥ ، ١ قرش .

---

(١) (1) O.E.T.A. (S): OP.Cit., p 94.
(٢) (2) F.O. 371/3380/37984 - 24 January 1918.
(٣) (3) F.O. 371/3380/37984 - 25 January 1918.
(٤) (4) F.O. 371/3380/43117 - 7 March 1918.
(٥) (5) F.O. 371/3380/104599 - 6 May 1918.
(٦) (6) F.O. 371/3380/108152 - 28 June 1918.

" يمكن استبدال هذه العملات بواسطة البنك الانجليزى الفلسطيني في أى وقت بالعملة المصرية .

" يمكن سحب هذه العملة بعد سنتين من التوصل الى حل سياسي في هذه المناطق .

" اعتبار هذه العملة عملة رسمية كغيرها من الفئات الاخرى .

" ان تكون هذه الفئات مطبوعة بثلاث لغات العربية، العبرية ، الانجليزية .

" ان تكون عملية اعداد هذه القطع تحت اشراف البنك الانجليزى الفلسطيني الكامل .

" تسليم الفئات التي تعد الى السلطات العسكرية لتقوم بدورها بتحديد ما يطرح منها في السوق (١) .

كما طرحت مشاريع أخرى بقصد انعاش العملة فقد جاء في تقرير القائد العام اوائل مارس ١٩١٨ ان " من الامور التي من الممكن ان تعمل على انعاش العملة هو اعادة الفضة الى التداول وذلك عن طريق كسب ثقة الاهالي بالحكم الجديد عن طريق الانعاش التجارى والعمل على تشجيع الاستيراد (٢) ، ومن ناحية اخرى عملت الادارة العسكرية على ضبط العمليات المالية في ادارة بلاد العدو المحتلة عن طريق عدم السماح لابناء البلاد من أرسال تحويلات مالية الى مصر وسائر البلاد الاجنبية الا بعد الحصول على اذن رسمي من الحاكم العسكرى او نائبه حسب المنطقة التي يوجد فيها ، وان هذا الامر ينسحب ايضا على المؤسسات والجمعيات في البلاد ، كما سمحت بادخال الحوالات البريدية في حدود ٤٠ جنيها بواسطة مكتب البريد العسكرى بقصد توفير أكبر قدرممكن من الظروف لانعاش الحالة في البلاد بوساطة هذا الدعم للعملة من الخارج (٣) .

رفض هذا المشروع لان الحكومة البريطانية ستعمل على اصدار فئات من العملة الصغيرة للتداول سواء بطرح ما هو موجود لدى السلطات البريطانية في مصر او باصدار فئات جديدة بقيمة ٢٥ ، ١٠ ، ٥ قرش (٤) .

ويبدو ان السلطات البريطانية طرحت هذه الفئات للتداول ، وكان لذلك اثر كبير في انعاش قيمة العملة المصرية المتداولة في فلسطين بالاضافة الى فتح باب التجارة مع مصر ، مما كان له تأثيره في انعاش الاوضاع بشكل عام . ونتيجة لهذه الاجراءات ، اخذت العملة المصرية تنال ثقة الاهالي واخذت تأخذ او تقترب من سعرها الرسمي او المطروح في الاسواق ، فبعد ان كان سعر البنكنوت المصرى في الاشهر الاولى للاحتلال البريطاني حوالي ٧٠ قرشا اصبح ١٠٠ قرش ، ولم يعد يفرق بين البنكوت الورقي او الجنيه من الورق (٥) .

ويسجل تقرير رفعه مستشار الشؤون المالية في القيادة العامة في القاهرة الى وزارة الحرب البريطانية ان شهر مايو شهد انتعاشا واضحا في قيمة العملة واستمر الحال على ذلك حتى شهر أكتوبر حيث تجمع لدى كبير المحاسبين مبلغ ٣٠٠٠ر٣٠ جنيه من الفضة الا ان العمليات العسكرية التي انتهت باحتلال القسم الشمالي من فلسطين ادى الى اعادة هذه المبالغ الى السلطات البريطانية الى حين التأكد من وضع مستقبل البلاد (٦) .

وبعد انتهاء العمليات العسكرية البريطانية باحتلال سورية جرت مراسلات بشأن تحديد قيمة العملة التركية في سورية وفلسطين ، فقد اجابت وزارة الخزانة ردا على رسالة من القيادة العامة في مصر بشأن قيمة العملة الورقية التركية في سورية وفلسطين اجابت : في أية حال من الاحوال لا يمكن لحكومة جلالته ان تضمن قيمة

---

(1) F.O. 371/3380/104599 - 6 May 1918. (١)

(2) F.O. 371/3389/77141 - March 1918. (٢)

(3) O.E.T.A.(S) : OP.Cit., p. 102 - 110. (٣)

(4) F.O. 371/3380/11729 - 22 June 1918. (٤)

(٥) جريدة فلسطين : ٤٢ — ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩

(6) F.O. 371/3420/205625 - 20 November 1918. (٦)

العملة الورقية التركية ولكن هذا لا يعيق قبول هذه الاوراق بقيمتها الاسمية فى دفع الضرائب المفروضة على الاهالي كما كانت عليه في العهد التركي او ان تدفع للموظفين المحليين بالقيمة المقررة لهم من قبل " .

وتابعت وزارة الخزانة في ردها على القيادة العامة في القاهرة تقول : " لذا من الضرورى نشر اعلان بقبول العملة الورقية التركية بقيمتها الاسمية في تسديد قيمة الضرائب وعليه يكون اعلان ١٨ يناير ١٩١٨ لاغيا وهو الذى جاء فيه ان العملة الورقية التركية ليست قانونية " .

وبناء على ذلك يجب ان تترك العملة لتحدد سعرها بدون تدخل من السلطات لاستخدامها من قبل الاهالي في تسديد الضرائب على ان يؤجل استخدام هذه العملة لاغراض الجيش في الوقت الحاضر ولكن القيادة العامة في القاهرة لم تشأ تحمل المسؤولية في البت في هذا الموضوع فطلبت ايفاد ممثل من الخزانة للبت في هذا الامر (١) .

الضرائـب :

ثبتت الادارة العسكرية جميع الضرائب التي كانت تجبيها الحكومة التركية في فلسطين وذلك بموجب الامر الذى اصدره باركر في ٢٧ فبراير ١٩١٧ الذى نص على ان " جميع التكاليف والرسوم التي كانت تجبيها الحكومة التركية قبل دخولها الحرب يصير مراعاتها وتحصيلها وان جميع المتأخرات من سنة ١٣٣٣ المالية التركية (١٩١٧) يصير تحصيلها ايضا حسب ما كان جاريا قبل الحرب (٢) .

ويبدو ان الاهالي لم يستجيبوا لهذا القرار مما دفع بالجنرال اللنبي الى اصدار امر آخر في ٧ مايو ١٩١٨ موضحاومؤكدا للاهالي ضرورة دفع الضرائب وقد جاء هذا الامر في نقاط ثلاث رئيسية هي :

" أكد ما جاء في اعلان ٢٧ فبراير من ضرورة جمع الضرائب حسب ما كانت عليه خلال العهد التركي واوضح للاهالي ان عملية جمع الضرائب ستبدأ منذ اول مارس ١٩١٨ .

"تشجيعا للاهالي عمل على الغاء الضرائب المتأخرة عن الفترة السابقة لهذا التاريخ .

" أكد للاهالي ان هذا الاعلان لا يؤثر على حقوق ادارة صندوق الدين العثماني في جمع الضرائب المتأخرة عن الفترة السابقة لتاريخ اول مارس ١٩١٨ (٣) .

وبناء على هذه التعليمات اخذت الوكالة المحلية لصندوق الدين العثماني تعمل في البلاد واخذت الادارة العسكرية بواسطة موظفيها جمع الايرادات المحددة لهذا الصندوق مثل ضرائب الملح والمشروبات الروحية ونسبة من الجمارك وهي ٣ بالمئة ومن رخص صيد الطيور والاسماك ورخص التمباق وقد أعدت موازنة خاصة لهذا الصندوق خلال الفترة ١١ أبريل ١٩١٩ ـ ٣١ مارس ١٩٢٠ يتضح منها ان ايرادات الصندوق قد وصلت الى ٥٩٦٢٥ جنيها مصريا شكل ايراد الملح ٥ بالمئة من هذه الايرادات في حين ان مصروفات الموظفين الذين قاموا بعملية جمع هذه الايردات وصلت الى ١٢٠٠٠ جنيه مصرى (٤) .

كما اعيدت شركة الريجي التي كانت تحتكر التبغ والتمباق في الامبراطورية العثمانية الى العمل استنادا الى الاتفاقيات الممنوحة للشركة من قبل ، وقد جاء ذلك بمنشور اعلنه مدير الادارة العسكرية الجنرال

---

(1) F.O. 371/4140/3032 - 16 January 1919. (١)

(2) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p. 96. (٢)

(3) O.E.T.A.(S):OP.Cit., p. 104. (٣)

(4) F.O. 371/4143/138121 - 1919. (٤)

موني في ١١ يونيه ١٩١٨ " يعمل بذلك الى حين صدور لوائح او اشارات آخرى " (١) .

وبموجب هذه التعليمات اخذت شركة الريجي في ممارسة عملها ، فقد اسست مصنعا للدخان ضم حوالي ٣٠٠ عامل (٢) ، كما اخذت هذه الشركة تعلن لباعة الدخان ضرورة الحصول على رخص رسمية جديدة (٣) ، وأعدت كذلك موازنة خاصة عن ايرادات سنجق القدس خلال الفترة ابريل ١٩١٩ ـــ ١٩٢٠ اذ بلغت ايرادات هذه الشركة بموجب موازنة عام ١٩١٩ حوالي ٤٤٧٧٤ جنيها مصريا في حين ان مصروفاتها بلغت ١٥٫٦٠٥ جنيهات ويبدو ان ادارة هذه الشركة واجهت صعوبة بحكم أن سنجق القدس كان يتبع اداريا الاستانة رأسا ، في حين ان الاقسام الاخرى ، وهي سنجق نابلس وسنجق عكا ، كانا يتبعان ولاية بيروت لان منطقة امتيازها اصبحت تشمل فلسطين كلها وليس سنجق القدس فقط (٤) .

أن احجام الاهالي المتواصل عن دفع الضرائب بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي عانوها خلال الحرب العالمية ، هذا الاحجام دفع بالادارة ـ العسكرية الى نشر مقال في جريدة فلسطين في ٢٩ اغسطس ١٩١٨ الناطقة باسم السلطة العسكرية بقصد ترغيب الاهالي في فلسطين الى دفع الضرائب من ذلك ما قالته هذه الجريدة : " لن يؤخذ من الاهالي ضرائب أكثر مما هو مقرر حسب القانون ... واذا كانت الاموال التي جبيت اكثر مما هو مقرر .... فيمكن استغلال ذلك في امور او خدمات تهم الاهالي .... او تعمل الادارة العسكرية على تخفيض هذه الضرائب " .

وحاولت الجريدة من ناحية اخرى في نفس المقال عرض انجازات الادارة العسكرية خلال الاشهر الاولى من الاحتلال ، وكيف ان الادارة العسكرية قامت بتأمين خدمات الاهالي خلال تلك الفترة بدون تحصيل الضرائب من الاهالي ، ومن ناحية اخرى حاولت الجريدة عرض الخدمات والاعمال التي ستعمل الادارة على انجازها خلال الاشهر القادمة ومسئولية الاهالي تجاه تأمين ذلك ، ومن هنا اوردت هذه الجريدة في مقالها مانصه : " بعد طرد الجيش التركي من جنوب فلسطين ، كان من الضروري على الادارة البريطانية ان تعمل على اعادة النظام ... والعمل على تنشيط التجارة في البلاد ... وقدمت مبالغ كبيرة للفقراء والمحتاجين ... اعادت افتتاح المستشفيات ... وتقديم المساعدة لانعاش الزراعة والتجارة .. والعمل لاجل افتتاح البنوك .. قامت السلطات البريطانية بذلك ... ولم يطلب من الاهالي دفع اية ضريبة ، ولكن بعد ان زالت الاضطربات ودخلت البلاد في مرحلة جديدة فان اعمالا اخرى ضرورية لحاجة الاهالي يجب تأمينها ، ولاجل تأمين ذلك فان جيميع التكاليف والضرائب التي تقررت بموجب القانون العثماني يجب ان تجمع ... " (٥) ومع هذا فان احجام الاهالي بقي قائما خاصة وان موازنة ادارة بلاد العدو المحتلة " خلال الفترة من مارس ـــ يونيه ١٩١٨ لم يظهر فيها سوى دفع ضريبة واحدة وهي ضريبة الحيوانات (٦) .

واستكمالا لاجراءات الادارة العسكرية الرامية الى حث الاهالي على دفع الضرائب اعلن الجنرال موني في منشوره في ١٢ أغسطس ١٩١٨ تقسيط ضريبة العقارات والاراضي لاجل دفعها حسب الترتيب الاتي :

---

(١) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p. 117.
(٢) F.O. 371/4143/138121 - 1919.
(٣) جريدة فلسطين : ١٩ ـــ ١٥ آب ١٩١٨
(٤) F.O. 371/4143/138121 - 1919.
(٥) The Palestine News: No 26 - 29 August 1918.
(٦) F.O. 371/4143/35569 - 12 February 1919.

١ ـ تدفع الضرائب على قسط واحد اذا كانت دون ١٠٠ قرش مصرى ٠

٢ ـ وتدفع الضرائب على قسطين اذا كان المبلغ فوق ١٠٠ قرش على ان يدفع القسط الاول اعتبارا من ١٥ أغسطس ١٩١٨ والثاني في ١٥ نوفمبر ١٩١٨ ٠

٣ ـ لا تسلم الاقساط على دفعات بل يدفع القسط كاملا ويكون ذلك بموجب ايصال رسمي (١) ٠

وآخر الاعلانات التي صدرت بشأن الضرائب كان الاعلان الذى اصدره الجنرال موني في ١٥ نوفمبر وكان القصد منه اجراء تعديل على موعد دفع الاقساط التي كان الاعلان السابق قد حددها حتى ١٥ نوفمبر ، اما هذا الاعلان فقد أجل القسط الاخير حتى ١٥ يناير ١٩١٩ (٢) ٠

ويبدو ان هذه التعليمات المتكررة قد دفعت بالبعض من الاهالي الى دفع ما عليهم من ضرائب لان موازنة عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ تشير الى ان " ادارة بلاد العدو المحتلة " تمكنت من جمع ثلاثة انواع من الضرائب (٣) هي : الاعشار التي جمعت بطريقة جديدة اذ الغت الادارة البريطانية الاسلوب القديم في جمع الاعشار وهو عن طريق الالتزام ، وعملت على جمع الاعشار بواسطة الموظفين ، وان كان الاتراك قد عملوا من قبل بهذا النظام ، وهو المعروف بنظام الامانة ، ومعنى هذا ان الحكومة العثمانية كانت تتقلب بين طريقة الالتزام وطريقة الامانة ، وقد بدأت الادارة العسكرية بالعمل في جمع الاعشار منذ اوائل يونيه ١٩١٨ عندما اصدر الجنرال موني اعلانا بشأن طريقة جمع الاعشار الصيفية على ان يطبق ذلك ايضا على الاعشار الشتوية ، وتتم عملية الجمع بان تقوم لجان التخمين (تقدير) المعنية بتقدير حصة الادارة العسكرية من غلة القريه فتقدرها عينا بحساب الكيلو ويكون هذا التقدير خاضعا للاستئناف امام الحاكم العسكرى خلال ٦ أيام من التقدير ولما كانت السلطة العسكرية قد قررت حسب ما جاء في هذا الاعلان ان تجبى الاعشار نقدا ، لذا كان الحاكم العسكرى يعد قائمة بالاسعار بناء على الاسعار الدارجة في البلاد ، سواء اسعار المفرق او الجملة ، وتكون هذه اللائحة خاضعة للاستئناف امام لجنة شكلت لهذا الغرض خلال عشرة ايام ، وبموجب هذه اللائحة تجرى عملية استبدال العين بالنقد وعلى اثرها يدفع الاهالي الضرائب الى السلطة العسكرية نقدا (٤) ٠

وقدرت العشور في عام ١٩١٩ على النحو الاتي : ٤٦ مليون كيلو قمح من الشعير التي قدرت قيمة الضرائب عليها بنحو ٢٢٤٫٨٣٥ جنيها مصريا ونجد ان المحصل لم يتعد ٩٣٫٦٠٠ جنيه مصرى (٥) مما يدل على ان ٤١ بالمئة فقط من الاهالي دفعوا ضريبة العشور في عام ١٩١٩ ، كما ان ذلك شكل ٢٫٧ بالمئة من الموازنة العامة ٠ غير ان هذه النسبة من العشور لم تصل الى نفس المستوى الذى كانت عليه خلال الحكم التركى ٠ وقد علل المستشار المالى في الادارة العسكرية البريطانية هذه الظاهرة بعدة اسباب ، منها ان الادارة العسكرية جمعت العشور على اساس نسبتها الحقيقية ١٠ بالمئة وليس كما كانت ايام الترك حيث اضيفت لها نسب اخرى وصلت الى ½ ١٢ بالمئة كما اشار الى تأثير الحروب على الزراعة بشكل عام سواء في الاضرار او نقص في الحيوانات ٠ وامام هذا الوضع اقترح المستشار المالي ضرورة استبدال العشور بنسبة ثابتة ، غير ان ذلك يحتاج الى مسح شامل

---

(١) (1) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p. 123.

(٢) كامل خلة : مرجع سبق ذكره ص ٣٩

(٣) (3) F.O. 371/4143/138121 - 1919.

(٤) (4) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p. 105.

(٥) (5) F.O. 371/4143/138121 - 1919.

للاراضي موضحا أن ذلك يستخدم عدة جوانب ، ومن الممكن تغطية مصروفات هذا المسح بفرض ضريبة على الاهالي حيث أن الادارة ليس لديها موارد كافية لتغطية هذه العملية (١) ٠

ضريبة العقارات والاراضي :

جمعت ضريبة العقارات والاراضي حسبما كان مقررا خلال الحكم التركي بنسبة ١٠ في الالف التي اضيفت اليها ٥٦ بالمئة من المعدل الاصلي اضافتها الحكومة التركية لسد النقص في موازنتها (٢) ، وقد بلغ مجموع ما حصلته الادارة العسكرية من هذه الضريبة حسب موازنة عام ١٩١٩ حوالي ١٢٠ر١١٣ جنيها أى بنسبة ١٥ر٣ بالمئة من مجموع الموازنة العامة أى بمقدار اكبر مما حصل من ضريبة العشور ٠

ضريبة الحيوانات :

هي الضريبة الوحيدة التي ظهرت في موازنة عام ١٩١٨ التي اعدتها الادارة العسكرية من شهر مارس حتى يونيه فقط ، وبلغت ضريبة الحيوانات التي حصلتها الادارة حسب هذه الموازنه حوالى ٦٠٠ر٥ جنيه ٠ اما في موازنة عام ١٩١٩ فقد بلغ ايراد هذه الضريبة ٣٠٠ر٢١ جنيه أى بنسبة ٢ر٨ من مجموع الموازنة العامة (٣) ٠

وبهذا يكون مجموع ايرادات " ادارة بلاد العدو المحتلة جنوبا " (فلسطين) من هذه الضرائب الرئيسية الثلاث لعام ١٩١٩ حوالي ٠٢٠ر٢٢٨ جنيه أى بنسبة ٣١ بالمئة من مجموع الموازنة العامة التي بلغت ٢٠٠ر٧٣٥ جنيه ، وهذا يشكل جانبا رئيسيا في ايرادات هذه الادارة ، في حين ان الاهالي ساهموا بنسبة ضئيلة في موازنة ١٩١٨ اذ لم يدفعوا سوى ضريبة واحدة هي ضريبة الحيوانات بنسبة ٤ بالمئة من مجموع الموازنة العامة التي بلغ مجموعها لمدة اربعة شهور (مارس — يونيه) حوالي ٧٨٢ر١٣٧ جنيه ٠ الامر الذى يدل على ان الوضع العام في البلاد اصابه شئ من التحسن ، كما يدل على ان الادارة العسكرية البريطانية قد اصابت قدرا كبيرا من الاستقرار مما جعل اوامرها وتعليماتها أكثر قدرة على النفاذ ٠

ومن الضرائب التي شغلت الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين وشغلت معها الحكومة البريطانية هى ضريبة التمتع (المهن او العمل) ، فقد كانت هذه الضريبة تجبى على أسس تقريبية للدخل واحيانا كانت مقطوعة بنسبة تتراوح من ٢ بالمئة — ١٠ بالمئة من الدخل السنوى للفرد كما ان هذه الضريبة كانت تجبى من بعض الفئات فقط (٤) ٠

هذه الاوضاع التي كانت عليها هذه الضريبة وضعتها في حالة صعبة التطبيق ، وجاءت الحرب لتضيف الى ذلك تعقيدا آخر اذ ان الحكومة التركية اقدمت على الغاء الامتيازات الاجنبية فاصابت ضريبة التمتع بالاضطراب لان بعض الاجانب كانوا يعفون من دفع هذه الضريبة ، لكن بالغاء الامتيازات الاجنبية فرضت الحكومة التركية هذه الضريبة على الجميع (٥) ، وبانتهاء العمليات العسكرية في القسم الجنوبي من فلسطين وبأخذ

---

(١) F.O. 371/4143/138121 - 1919.

(٢) سعيد حمادة : مرجع سبق ذكره ص ٦٧٥ — ٦٧٧

(٣) F.O. 371/4143/138121 - 1919.

(٤) سعيد حمادة : مرجع سبق ذكره ص ٦٧٥ — ٦٦٧

(٥) F.O. 371/3410/139615 - 11 July 1918.

الادارة العسكرية البريطانية في جمع الضرائب من الاهالي في فلسطين وبمحاولة السلطة العسكرية ان تلتزم بالقوانين الدولية على أساس تطبيق التشريعات القائمة بدون تغيير ، كل هذه الاعتبارات وضعت الادارة العسكرية امام موقف متردد في امر تحصيل هذه الضريبة • وجاء ت الاشارة الاولى من اللنبي الى القيادة العامة في القاهرة بان علية جمع ضريبة التمتع قد تأجلت وعلى اثر هذه الاشارة دارت مراسلات بين وزارات الحرب والخارجية والخزانة في تحديد موقفهامن الاجراءات التي اتخذتها الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين بشأن هذه الضريبة (١) •

وقد دارت المراسلات بين هذه الوزارات للحصول على معلومات تلقي الضوء على خلفية هذه الضريبة ، من ذلك محاولة التعرف هل كانت هذه الضريبة مخصصة لمصلحة صندوق الدين العثماني (٢) •

وقد دارت المراسلات بين هذه الوزارات للحصول على معلومات تلقي الضوء على خلفية هذه الضريبة ،

وبعد التأكد من ذلك تبين ان هذه الضريبة لم تكن مخصصة لهذا الصندوق ورأت القيادة العامة في القاهرة من الافضل العمل بنتاج الغاء الامتيازات الاجنبية بمعنى العمل على جعل ضريبة التمتع عامة وتطبق على جميع الاهالي في " بلاد العدو المحتلة " (فلسطين) (٣) •

أما وجهة نظر الخارجية فكانت ترى انه بينما يقر الجميع ان من المرغوب فيه تطبيق هذه الضريبة على جميع الاشخاص استنادا الى قوانين الحرب التي تلزم بذلك فان بلفور يرى تطبيق ضريبة التمتع على الجميع وبدون استثناء ، أى بمعنى عدم اعفاء بعض الاجانب كما كانت عليه اوضاعهم قبل الحرب • ان تطبيق ذلك سيؤدى الى مخاطر ومواقف صعبة من ذلك ان ممثلي الحكومات الفرنيسة والايطالية سيفسرون ذلك على أساس ان الحكومة البريطانية عازمة على وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية •

وبالرغم هذا كان بلفور يرى امكانية الغاء هذه الضريبة وايجاد ضريبة اخرى تكون مقبوله بالنسبة لجميع المقيمين في فلسطين على حد سواء (٤) •

وقد أيدت هذا الرأى وزارة الحرب في ردها على رسالة القيادة العامة في القاهرة اذ رأت ان هذه الضريبة فرضت من قبل الحكومة التركية قبل الحرب ومن الصعب فرضها على جميع الجنسيات لان الحكومة التركية استثنت بعض الاجانب عند فرضها وهذا لا يسمح باعادة فرضها على الجميع استنادا لالغاء الامتيازات الاجنبية (٥) • ومهما يكن الامر فان وزارة الخزانة فضلت هي الاخرى الغاء هذه الضريبة (٦) وقد عمل بهذا الراى لان الموازنة التي اعدتها الادارة العسكرية عن الفترة ما بين مارس — يونيه عام ١٩١٨ جاءت خالية من هذه الضريبة (٧) كما ان الموازنة العامة التي اعدت لعام ١٩١٩ — ١٩٢٠ جاءت هي الاخرى خالية منها (٨) •

---

(١) (1) F.O. 371/3410/139615 - 17 Ju1918.
(٢) (2) F.O. 371/3410/139165/W/44 - 9 September 1918.
(٣) (3) F.O. 371/3410/139165 - 11 July 1918.
(٤) (4) F.O. 371/3410/139165/W/44 - 9 September 1918.
(٥) (5) F.O. 371/3410/178124 - 13 September 1918.
(٦) (6) F.O. 371/3410/184069 - 5 November 1918.
(٧) (7) F.O. 371/4143/35569 - 12 February 1919.
(٨) (8) F.O. 371/4143/138121 - 1919.

الفصل الثامن

الزراعة وملكية الاراضي

تأثير الحرب العالمية على الزراعة ... أعمال الادارة العسكرية لتحسين اوضاع الزراعة ... مدى فعالية هذه الاجراءات ... موقف ابناء فلسطين من هذه الاجراءات ... القروض الزراعية ... ايقاف معاملات ملكية الاراضي واغلاق دوائر تسجيل الاراضي ... تعليمات موني نوفمبر ١٩١٨ لضبط عمليات انتقال الاراضي ... اعداد المشروعات الخاصة باعادة افتتاح دوائر تسجيل الاراضي ... قانون انتقال الاراضي لعام ١٩١٩ ... المناقشات التي دارت حول هذا القانون ... استمرار اغلاق دوائر تسجيل الاراضي طوال فترة الحكم العسكرى .

الزراعـــة :

لما كانت فلسطين معبرا للعمليات العسكرية التى قام بها الجيش التركي في زحفة نحو قناة السويس ، ولما كانت فلسطين ايضا قد اصبحت فيما بعد ميدانا للعمليات العسكرية البريطانية المضادة وما ترتب على ذلك من نتائج عسكرية معروفة ، فقد نتج على ذلك كلة ان اصيبت البلاد بضربة اقتصادية قوية وخاصة في ناحية الزراعة (١) ، ولما كانت الزراعة في فلسطين تعتمد على الوسائل البدائية محورها في ذلك استخدام الحيوانات في حرث الارض او نقل المنتوجات الزراعية او لسحب دواليب المياه ، ولما كانت الحرب قد قضت على الثروة الحيوانية في البلاد نظرا لاستخدامها للاغراض العسكرية ، لذا خرج الفلاح الفلسطيني من هذه الحرب فاقدة العديد من مقومات الزراعة . ومن هنا كان على الادارة العسكرية البريطانية ان تعمل على مواجهة هذا الوضع فالى أى مدى اسهمت في ذلك ؟ واذا كان الامر كذلك فالى أى حد كانت هذه المساهمة وما هي نتائجها ؟ لقد عملت الادارة العسكرية البريطانية منذ بداية الاحتلال البريطاني للقسم الجنوبي من فلسطين على توفير الحيوانات اللازمة عن طريق استيراد الحيوانات الملائمة لطبيعة الارض الجبلية منها والساحلية لذا استوردت حيوانات من قبرص لاستخدامها في المناطق الجبلية وحيوانات من مصر لاستخدامها في المناطق الساحلية . وقد اقبل الفلاحون في بعض المناطق على شراء هذه الحيوانات او استئجارها لاستخدامها في اعمال الزراعة (٢) : في حين رفض فلاحو منطقة الخليل استخدام هذه الحيوانات خاصة الابقار على اعتبار ان الابقار الغربية غير صالحة لهذه البـلاد (٣) .

ومن ناحية أخرى قدم قسم الفرسان في الجيش البريطاني العديد من الخيول والحمير لاستخدامها في الحراثة لاعداد الارض للزراعة . فاذا كانت الحيوانات قد ساعدت في اعداد الارض لزراعة بعض المحاصيل الزراعية فان هذه الاجراءات لم تعمل على معالجة المحاصيل الزراعية الرئيسية كالبرتقال لان العديد من بيارات البرتقال كان يعتمد على الماتورات في الري في وقت كان الوقود فيه قليلا . ومن هنا حاولت الادارة العسكرية الاستفادة من الحيوانات في سحب المياه . لكن يبدو أن هذه المحاولات لم تكن عملية ، لذا كان من المتوقع أن يصاب محصول البرتقال في يافا في تلك السنة (١٩١٨) وبالتالي أن تقل الصادرات من هـــذا المحصول ، واتخذت السلطة العسكرية البريطانية خطوات مستقبلية للمحافظة على الثروة الحيوانية في البلاد ، لذا منعت ذبح الابقار القادرة على الانجاب ، كما اتخذت خطوات أخرى لحماية الماشية من الامراض المعدية ، وان كانت هذه الخطوات قد تعثرت بسبب النقص في الاطباء البيطريين للاشراف على ذلك . ومن ناحية أخرى عملت الادارة العسكرية على توفير المحاصيل الزراعية اللازمة للزراعة سواء من المصادر المحلية كالقمح والشعير والكرسنة ، أو استيراد البعض الاخر منها كالذرة من مصر التي زرعت في بعض قرى منطقة القدس (٤) .

وبسبب الحرب ايضا اصيبت الاشجار المثمرة وغير المثمرة باضرار فادحة في البلاد . ولمعالجة ذلك اصدر الجنرال موني تعليماتة منع الاهالي بموجبها من قطع اشجار الزيتون او اشجار البلوط ، الا بأذن رسمي من

---

(١) أطلقت جريدة الكوكب على الفلاح الفلسطيني " ابو العمل " ، انظر الكوكب ١٢٧ — ١٤ يناير ١٩١٩

(٢) The Palestine News: No. 31 - 30 October 1918.

(٣) كامل خلة : مرجع سبق ذكره ص٤٦

(٤) The Palestine News: No. 31 - 30 October 1918.

الحاكم العسكري ، كما ان هذه التعليمات منعت المتعهدين من الاقدام على قطع هذه الاشجار بحجة تزويد الجيش بالاخشاب والا تعرضوا لعقوبة السجن اوالغرامة المالية او بكلا العقوبتين معا (١) .

كما اتخذت اجراءات ، تطبيق ما كانت الحكومة العثمانية قد قررته لتشجيع زراعة وحماية الثروة الحرجية في البلاد ، وفي سبيل انجاز ذلك شرع في اقامة المشاتل الزراعية لتوفير الاشجار اللازمة للتحريش وحمايتها من الافات الزراعية (٢) .

لكن النتائج المبكرة لهذه الاجراءات دلت على انها لم تكف لسد حاجة البلاد من الانتاج الزراعي ، نظرا لاستمرار ارتفاع اسعار الحبوب بسبب النقص الشديد في الانتاج المحلي . لذا اقترح ادخال الارز كمادة غذائية الى جانب القمح او استيراد القمح والشعير لتوفير هذه المحاصيل محليا مما يوءدي الى خفض اسعارها .

كما ان اجراءات الادارة العسكرية بشأن انتاج البلاد من الفواكهة لم تحقق الهدف ، فقد بقي انتاج البلاد من الكروم (العنب) . ولهذا طرح الخبراء الزراعيون على الادارة ضرورة اتخاذ خطوات أخرى كاستيراد المواد الكمياوية الضرورية لتلافي الآفات والامراض التي تصيب الكروم خاصة في المراحل الاولى من النمو ، وكذلك زيادة كميات الاسمدة الكيماوية نظرا لعدم توفر السماد الطبيعي في البلاد بسبب نقص الحيوانات . وآخر هذه الاقتراحات العمل على استبدال ا نواع الكروم القديمة بانواع جديدة ، لان انتاج الانواع القديمة قليل كما ان الجراد قد اتلف مساحات واسعة من بساتين الكروم (٣) .

هذه الاوضاع دفعت بابناء البلاد الى تأليف الجمعيات الزراعية ، مثل جمعية يافا الزراعية التي تشكلت بقصد العمل على تحسين الزراعة وصيانة البيارات في يافا ، وقد ضمت هذه الجمعية ١٢ عضوا منهم ٤ خبراء زراعيون من اليهود والباقون من العرب ، وهم ٤ من الاعيان واصحاب الاملاك في البلاد و٤ من اصحاب بيارات البرتقال . وعلى امتداد عدة جلسات أخذت هذه الجمعية تبحث سبل انعاش الزراعة وتحديد اسعار البقول والفواكة والعمل على رى أشجار البرتقال ، بتوفير البترول بمساعده السلطة العسكرية على أن يوزع حسب مساحة البيارات ويدفع ثمنه نقدا ،وان لا يستخدم البترول الا في ادارة الماكينات اللازمة لرى اشجار البرتقال الا ان هذه الجمعية وان كانت قد أبدت نشاطا وهمة في العمل الا ان ذلك النشاط كان يصطدم بالحكم العسكرى لان هذه الجمعية كانت استشارية فقط (٤) .

ومن ناحية اخرى حاولت الادارة العسكرية خلال الاشهر الاخيرة من عام ١٩١٨ تقديم قروض للمزارعين كما كان معمولا به خلال الحكم العثماني لتحسين الزراعة . ولهذا الغرض اصدر الجنرال موني في ٨ سبتمبر ١٩١٨ تعليمات بشأن تقديم القروض للمزارعين بموجب شروط وضعتها الادارة العسكرية ، غير انها ما لبثت ان اصدرت تعليمات اخرى في ٣٠ نوفمبر ١٩١٨ اكثر شمولا وعللت الادارة العسكرية دوافعها لتقديم القروض الزراعية " بانها مساعده لاصحاب الاراضي والمزارعين لاجل العناية باراضيهم ولتحسين الاساليب الحالية في الزراعة عن طريق تقديم القروض نقدا من قبل الحكومة " وذلك حسب الشروط الاتية :

" تتم العقود بين " ادارة بلاد العدو المحتلة " والفلاحين بموجب نموذج اعد لهذا الغرض بالصيغة الاتيــة :

---

(١) O.E.T.A.(S): OP.Cit., P. 104 - 126.

(٢) The Palestine News: No. 30 October 1918.

(٣) The Palestine News: No. 25 - 22 August 1918.

(٤) جريدة فلسطين : ١١ ـــ ٢٠ حزيران ١٩١٨

" اوافق / نوافق على تسديد المبالغ الى "ادارة بلاد العدو المحتلة " مقابل القروض لي / لنا سواء كانت نقدا او عينا ... كما اوافق / نوافق على دفع الفوئد بنسبة ١٠ بالمئة سنويا الى حين انتهاء القـروض " .

" تكون المحاصيل الزراعية ضمانا للقروض التي يحصل عليها المزارعون .

" يستخدم الوقود المقدم من " ادارة بلاد العدو المحتلة " لاغراض الرى وفي حالة استخدام الوقود في غير هذا الغرض يتضاعف السعر .

" يحق لهذه الادارة بيع أى جزء من محاصيل الارض بموجب السعر الذى تحدده الادارة لقاء تسديد الديون والفوائد .

" يحق لهذه الادارة ايضا وبدون الرجوع الى المحاكم او أية تشريعات اخرى لوضع يدها على جميع المحاصيل او جزء منها وذلك حتى تضمن حقوقها بموجب هذا العقد .

" عدم الدخول في عقود اخرى ، غير العقد المبرم مع " ادارة بلاد العدو المحتلة " .

" يحرر العقد من نسختين عربية وانجليزية وفي حالة وقوع اية خلافات يرجع الى النسخة الانجليزية

" يدون اسماء جميع الاشخاص الذين دخلوا في عقود مع الادارة في سجلات خاصة وتكون خاضعة للبحث من قبل الحاكم العسكرى (١) .

ويلقي تقرير رفعه الجنرال موني الضوء على اهمية هذه القروض التي قدمتها السلطة العسكرية البريطانية الى الفلاحين ، فيقول ان القروض كانت قصيرة الامد . وحددت في منطقة يافا لاجل حماية محصول البرتقال ، اما في المناطق الاخرى فتقدم على اساس اصلاح الاراضي الزراعية التي اتلفت تماما بسبب العمليات العسكرية في فلسطين (٢) ، الا ان هذه القروض التي قدمتها الادارة العسكرية لم تعمل على حماية الانتاج ، ولا على تسويقه ، وتعكس هذه الصورة جريدة الكوكب التي اشارت في احد اعدادها الى الاضرار المالية التي لحقت بيافا بسبب امتناع السكك الحديدية عن شحن البرتقال الى مصر ونتيجة لذلك بيع القليل من منتوج البرتقال في القرى باسعار زهيدة مما اوقع اضرارا كبيرة بمحصول البلاد الرئيسي وهوالبرتقال (٣) لان حياة يافا الاقتصادية تتوقف على تصريف هذا المحصول الذى ترتبط به حياة المالك والمزارع والصانع والناقل والتاجر (٤) .

ومن ناحية اخرى حاولت السلطة تصريف انتاج البرتقال في الاسواق المصرية ، فصدرت حوالي ٤٠٠ ألف صندوق من انتاج البرتقال (٥) الا ان عملية شحن البرتقال بالسكك الحديدية كانت عملية باهظة التكاليف ، في وقت كان البرتقال يباع في مصر باسعار زهيدة ، لان تكاليف نقل البرتقال بالعربة التي تسع ٤٠٠ر٤ حبة برتقال تصل الى ٣٣ جنيها مصريا ، يضاف الى ذلك تكاليف قطف البرتقال التي تصل الى نفس هذا المبلغ . وبهذا تكون تكاليف عربة البرتقال حوالي ٦٦ جنيها (٦) .

ولم يقف الامر عند حد انتاج البرتقال وتسويقه ، بل امتد الى المحاصيل الزراعية الاخرى . وهذا

---

(١) (1) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p. 136 - 137.

(٢) (2) F.O. 371/4226/127920 - 9 May 1919.

(٣) الكوكب : ١٤١ — ١٣ مايو ١٩١٩

(٤) الكوكب : ١٣٢ — ١٨ فبراير ١٩١٩

(٥) الكوكب : ١٦٤ — ٤ نوفمبر ١٩١٩

(٦)

واضح من خلال الزيارة التي قام بها الجنرال وطسن Watson في اواسط سبتمبر ١٩١٩ للعديد من المدن والقرى في فلسطين ، فقد اشار المسئولون من ابناء البلاد في كلماتهم الى الجنرال وطسن الى ان " وضع الزراعة في البلاد ضعيف والادوات بسيطة وناقصة جدا ، واصلاح ذلك يتوقف على انشاء معاهد زراعية وتنشيط المزراعين لابتياع الادوات الزراعية الحديثة (١) .

ومهما يكن من امر فان محاولات الادارة العسكرية لانعاش احوال الزراعة عن طريق تقديم القروض ، جاءت مبتورة لم تف بالغرض المطلوب بحكم انها محدودة ومقيدة اذ لا تقدم هذه القروض الا في منطقة يافا ولاجل حماية البرتقال ولم تشمل العمل على تحسين او النهوض بالزراعة . هذا بالاضافة الى ارتفاع فائدتها التي وصلت الى ١٠ بالمئة والى ان استغلال القروض يقتصر على اصلاح الاراضي التي تضررت خلال الحرب . ومن هنا يمكن القول ان محاولة الادارة العسكرية انما جاءت لمعالجة الظروف التي خلفتها الحرب على الزراعة في البلاد . كما ان الشروط التي طرحتها الادارة العسكرية اطلقت يدها في بيع المحاصيل بالاسعار التي تحددها في وقت لم تعمل فيه على حماية الانتاج اوالعمل على تسويقه ، كما ان هذه الشروط اعتمدت النسخة الانجليزية عند وقوع الخلافات بين اطراف العقد ، ولا شك في ان هذا الشرط كان يدخل الفلاحين في ارتباكات يصعب عليهم الخروج منها .

ومن هنا نرى ان الجنرال موني يعترف في تقريره الذى سبقت الاشارة اليه بان هذه القروض بالشروط السابقة لم تحقق الغرض منها ، ويقترح تقديم مبالغ اكبر ولفترة اطول (٢) .

كما طالب الميجر جنرال Walter Lawrence الذى سبق وكلفه اللورد كيرزون Curzon بالذهاب الى فلسطين ليناقش القائد العام بعض الامور في " ادارة بلاد العدو المحتلة جنوبا " بضرورة تقديم القروض الزراعية بصورة أفضل (٣) .

وعلى أثر ذلك اخذت الادارة العسكرية تدرس مشروعا آخر بشأن القروض الزراعية وخلال هذه الفترة عقد اجتماع بين كلايتون وبعض زعماء الصهيونية في لندن في ٩ يوليه ١٩١٩ لبحث عدة مواضيع طرح خلالها مشروع القروض الزراعية . وقد اوضح زعماء الصهيونية رأيهم في ذلك بعبارة صريحة ، فاعلنوا ان ذلك " يناقض سياسة الحكومة في المحافظة على الحالة الراهنة " ، وطلبوا مزيدا من المعلومات حول هذا الموضوع فهم لم يتأكدوا بعد من صحة المعلومات التي وصلتهم عن هذا المشروع (٤) وكانت السلطة العسكرية قد توصلت بالفعل الى اتفاقية مع البنك الانجلو اجيشيان لتقديم القروض للمزارعين وقد طرحت السلطة العسكرية هذه الاتفاقية بشكل مؤقت ، قبل ان يتاح لوزارة الخارجية فرصة الاطلاع عليها وخلال ذلك قدمت المنظمة الصهيونية رسالة اعتراض على ذلك المشروع (٥) .

واستندت هذه المذكرة الى الامور الاتية :

" ان المبدأ الذى تعمل به الادارة العسكرية يخالف تماما مهمتها الاساسية . في وقت لم يتقرر فيه مصير البلاد بعد لان مهمتها المحافظة على الحالة الراهنة بدون احداث أى تغيير . ولهذا فان مشروع الحكومة في تقديم القروض للمزارعين يعتبر " ثورة " على الحالة الراهنة .

(١) الكوكب : ١٥٧ — ١٦ سبتمبر ١٩١٩ —
(٢) F.O. 371/4226/127920 - 9 May 1919.
(٣) F.O. 371/4143/107253 - 13 May 1919.
(٤) F.O. 371/4226/12248 - 4 August 1919.
(٥) F.O. 371/5139/E 1866 - 1919.

" ان الادارة العسكرية اغلقت دوائر تسجيل الاراضي ، بينما تقدمت المنظمة الصهيونية بمشروعات من شأنها ابقاء دوائر تسجيل الاراضي مفتوحة ومستمرة في عملها . لكن الادارة العسكرية في هذا المشروع الذى طرحته من طرفها لتقديم القروض الزراعية للفلاحيين ستعمل على اعدة افتتاح دوائر تسجيل الاراضي ، بحكم ان هذا المشروع يعتمد على ان الاراضي ستكون رهنا مقابل القروض المقدمة من السلطة العسكرية ، ومعنى هذا الرجوع الى دوائر تسجيل الاراضي وبالتالي اعادة افتتاحها .

" ان اكثر المستوطنات اليهودية في فلسطين لن تستفيد من هذا المشروع ، لان غالبية المستوطنات لا تملك وثائق قانونية لاثبات ملكيتها للاراضي التي تسيطر عليها ، لان هذه الوثائق هي التي تمكن المستوطنات من الاستفادة من قروض الحكومة ، ومن هنا فان الفائدة من القروض ستقتصر على المستوطنات القليلة والتي تحصل على وثيقة قانونية تثبت ملكيتها للاراضي التي تسيطر عليها (١)

" ان قضية تملك الاراضي في فلسطين قضية معقدة لان جميع سندات التملك غير صحيحة ، ومن الصعب الاعتقادبأن لدى الادارة العسكرية الحالية المقدرة على انجاز المتطلبات الفنية والهامة بشأن اصدار وثائق التملك لاعتمادها وثائق الرهن للحصول على القرض الزراعي .

" ان المبلغ المخصص للقروض الزراعية حصلت عليه الادارة العسكرية من البنك الانجلو اجبشيان بواسطة رجال المال في مصر بايحاء من هذا البنك . لكن ما هي النتائج التي ستترتب على ا ستبدال الادارة العسكرية بادارة اخرى ؟ وهذا قريب الحدوث ، حسب معلومات المنظمة الصهيونية ، فلا شك في ان النتائج الاولى لهذا التحول ان تصبح اراضي فلسطين في ايدى رجال المال المصريين ، وهذا من شأنه ابعاد اليهود عن الاراضي في فلسطين ، وهي التي يتوقف عليها مستقبلهم السياسي . لهذه الاعتبارات ترى المنظمة الصهيونية ان اصدار او اعلان هذا المشروع بشأن القروض الزراعية في فلسطين ، سيؤدى الى امور في غاية الخطورة . فالقضية في كلمة واحدة كما قالت المنظمة الصهيونية " مسألة حياة أو موت بالنسبة لليهود في فلسطين " .

ولهذا ايضا فان المنظمة الصهيونية ترى ان المخرج من ذلك هو سحب هذا المشروع ، على ان يتم عرض مشروع آخر في المستقبل بعد ان تتاح للمنظمة الصهيونية الفرصة الكاملة لمناقشة وابداء الرأى فيه (٢) .

واضح من الاعتراضات التي طرحتها المنظمة على مشروع القروض الزراعية في فلسطين مدى تخوفها منه لدرجة انها اعتبرت هذا المشروع مسألة حياة او موت بالنسبة لليهود في فلسطين ، خاصة وان المشروع لم يحدد مفهوم كلمة تطوير الزراعة في فلسطين ، مما وضع المنظمة الصهيونية امام عدة احتمالات لهذا المفهوم قد تتعارض مع ما اعلنته بريطانيا بشأن التشجيع على بناء الوطن القومي اليهودى في فلسطين ، وبصورة عامة يفهم من هذه المذكرة الصهيونية مدى تدخل الصهيونية منذ وقت مبكر في السياسة البريطانية في فلسطين ، وخاصة في موضوع يمس حياة الاهالى وهوالزراعة .

ومن ناحية اخرى يلاحظ من خلال بنود هذه الرسالة اعتراف رسميمن المنظمة بان العديد من المستوطنات الصهيونية قامت على اساس السيطرة والاستيلاء على الاراضي وبدون ان يكون لديها مستند قانوني يثبت ملكيتها لتلك الاراضي .

(1) F.O. 371/4225/102596 - 1919.
(2) F.O 371/4225/102596 - 1919.

اثمرت هذه الاعـراضات ثمرتها في تعطيل المشروع ، فوضعت الادارة العسكرية البريطانية مشروعا آخر جاء في مقدمته ان السبب في تقديم القروض الزراعية في " بلاد العدو المحتلة جنوبا " (فلسطين) هو الرغبة في تطوير الزراعة . وقد تعهد البنك الانجلو ــ أجبشيان بذلك الى المدير العام في " بلاد العدو المحتلة (فلسطين) حسب الشروط الاتية :

بيـن الادارة والمـزارع :

تقدم الادارة العسكرية القروض للمزارعين لاجل تطوير الزراعة وانعاشها بفائدة ٦ر٥ بالمئة .

" ان مفهوم" التطوير" يعني اى عمل من شأنه زيادة الانتاج ، اوالعمل على زيادة قيمة الارض ، ويشمل ذلك شراء الادوات الزراعية لاجل اعداد الارض للزراعة اوالعمل على توفير المياه للرى ، وتوفير البذار للاغراض الزراعية .

" تقدم طلبات الحصول على القروض الزراعية الى الحكام العسكريين حسب النموذج المعد لذلك ، ويتم تقديم القروض بعد موافقة الحاكم العسكرى واقتناعه بان الاعمال المقترح انجازها على المزارع بفائدة تساوى القروض المطلوبة .

" الكفالة المطلوبة ستكون رهن الاملاك غير المنقولة فقط بشرط ان تغطى قيمتها الغرض المقدم مع الفوائد المقررة على ذلك ، وتجرى عملية الرهن حسب القانون العثماني الصادر في ١٣٣١ هـ (١٩١٢م) وبموجبه يقدم الراهن شهادة مصدقة من المختار واثنين من الوجهاء يوضح فيها انه المالك الحقيقي للارض التي يقدمها ضمانا ، ويوضح في هذه الشهادة ايضا ان الارض ليست مرهونة لاية جهة أخرى ، ولذا كانت الارض داخل منطقة البلدية فعليه ان يقدم شهادة من المجلس البلدى بانها غير مستأجرة ، واذا كانت كذلك عليه ان يحدد الفترة وان يتم تسجيل ذلك في مكتب تسجيل الاراضي . كما اوضحت شروط هذا الاتفاق امكانية ان يكون بيت الراهن او ادواته الزراعية كفيلا لـه .

" يقدم المزارع الذى يعمل في ارض حكومية ممتلكاته غير المنقوله هنا للحصول على القرض اما المزارع الذى يستأجر ارضا من احد الملاك فعليه ان يحصل على موافقة خطية من صاحب الارض قبل اجراء عمليـة الـرهـن (١) .

" تكون مدة القرض خمس سنوات تبدأ من تاريخ الحصول على القرض .

" بعد ان تتم هذه الاجراءات يقدمها الحاكم العسكرى الى القيادة العامة للمصادقة عليها .

بيـن الادارة والبنـك :

حددت الاتفاقية ايضا شروطا معينة على الادارة العسكرية الالتزام بها امام ادارة البنك الانجلو اجبشيـان وهـي عـلى النحـو الاتـي :

" تقوم " ادارة بلاد العدو المحتلة جنوبا " بتقديم القروض والفوائد المقررة عليها الى البنك وقت استحقـاقهـا .

" لا تكون مدة القروض لفترة اطول من خمس سنوات ، الا في حالات خاصة بناء على طلب السلطة العسكرية في البلاد .

(1) F.O. 371/5138/E619/131/44 - 25 February 1920.

" يقدم البنك القروض الى الادارة بفوائد ٦٪ وتكون الادارة مسؤولة عن دفع الاقساط المطلوبة واذا ما تأجلت الاقساط تكون الفائدة ٩٪ .

" المبلغ المقدم من البنك لا يزيد على ٥٠٠,٠٠٠ جنيه، وما زاد على ذلك يكون باتفاقية خاصة .

" تتكفل الحكومة البريطانية بدفع ما للبنك من اموال في حالة انتقال الادارة الحالية الى اخرى(١) .

واضح من الصيغة النهائية لهذه الاتفاقية المبرمة بين الادارة العسكرية والبنك الانجلواجبشيان مدى تدخل المنظمة الصهيونية في ذلك اذ حددت هذه الاتفاقية مفهوم تطوير الزراعة في فلسطين ، كما ان بنود هذه الاتفاقية نصت على ان تكون الحكومة البريطانية هي الكفيل للبنك ، في حالة تغير الادارة العسكرية . ولا شك في ان هذا البند ما وضع الا لخدمة المنظمة الصهيونية لان هذه المنظمة كانت تعتقد ان اصحاب رؤوس الاموال المصريين سيسيطرون على الاراضي في فلسطين ، بحكم ان هذه الاراضي مرهونة للقروض المقدمة من البنك ، وهذا ايضا يفسر سبب صياغة هذه الاتفاقية بالشكل الذى يضمن ابعاد البنك عن الارض في فلسطين فالاتفاقية نصت في جانب منها على الشروط المنظمة بين الادارة والمزارع من جانب ، ومن جانب اخر بين الادارة والبنك . ومعنى هذا ان الادارة العسكرية واسطة ، او بمعنى ادق تكون وسيطا بين المزارعين والبنك الانجلواجبشيان (٢) .

ويلاحظ ايضا ان الادارة بهذا الاجراء تحصل على مقابل ، لان فوائد البنك ٦٪ في حين ان الادارة تأخذ من المزارعين ٦,٥٪ . وقد فسرت ذلك الادارة على انه تغطية للاجراءات الادارية او تنفيذ للمعاملات الضرورية في هذا الشأن ، وان كان يلاحظ ان المشروع الجديد خفض نسبة الفوائد التي كانت في المشروع الاول. ومن الجدير بالذكر ان المعارضة الصهيونية لم تبدأ الا بعد ان قام عدد من زعمائها بزيارة فلسطين حيث وقفوا على الامر وفهموا من السلطة العسكرية ان الامر لا يتعدى تطبيق القانون التركي في هذا المجال ، كما فهموا ان الادارة هي المشرفة على ذلك وليس البنك الانجلواجبشيان (٣) .

وتطبيقا لهذه الاتفاقية ، بدأت السلطة العسكرية بتوزيع النماذج المخصصة لذلك، وقد جاءت هذه النماذج التي طبعت باللغة العربية فقط على نسختين ومدون على النسخة الاولى معلومات عن الارض تتعلق بمساحتها وملكيتها (٤)، وعليه بدأت السلطة العسكرية بتقديم قسم من القروض منذ منتصف يوليه ١٩١٩ الى حين استكمال الاجراءات الخاصة بذلك لان الموافقة النهائية لا تتم الا بمصادقة القائد العام في القدس(٥) .

وان كانت جريدة الكوكب قد اشارت في احد اعدادها الى ان الاهالي قد اقبلوا على تقديم طلباتهم للحصول على القروض الزراعية(٦) الا انها في اعداد اخرى اشارت الى اخبار يفهم منها موقف اخر للاهالي ، فان تأليف الجمعيات الزراعية من بين الاهالي كما حدث في الخليل ، يوحي بان الاهالي اعتمدوا على انفسهم في تنمية احوالهم الزراعية والعمل على جلب الالات اللازمة للاعمال الزراعية (٧) ، مما يدل على ان الاهالي لم

---

(١) (1) F.O 371/5138/E619/131/44-25 Febraury 1920 .
(٢) (2) F.O 371/4226/127920 - 27 Hune 1919 .
(٣) (3) F.O 371/5139 / E 1866 - 1919 .
(٤) الكوكب : ١٤٤ – ٣ يونيه ١٩١٩
(٥) الكوكب : ١٤٩ – ١٥ يوليو ١٩١٩.
(٦) الكوكب : ١٥٨ – ٢٣ سبتمبر ١٩١٩
(٧) الكوكب : ١٦١ – ١٤ أكتوبر ١٩١٩

يقبلوا على اخذ القروض الزراعية مفضلين وسائل التعاون فيما بينهم .

كما ان محاولة اخرى قام الاهالي بها في القدس لتأسيس مصرف زراعي وطني لتقديم المساعدة للفلاح للمحافظة على ارضه ، مما يدل على ان الاهالي في هذه المنطقة ايضا لم يقدموا على اخذ القروض الزراعية التي عرضتها السلطة العسكرية (١) .

وهكذا لم تنجح المحاولات التي قامت بها الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين في انعاش وتطوير الزراعة في البلاد ، وهذا نابع من موقف الاهالي في مواجهة الادارة العسكرية البريطانية مما سنفصله في فصل اخر .

لهذا كله جاءت مخصصات الزراعة في الموازنة العامة لعام ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ منخفضة جدا فقد خصص للزراعة ١٦ر٥٠٠ جنيه اى بنسبة ٢ر٠٢/٠ ، وهي نسبة منخفضة جدا اذا ما قورنت بغيرها من المخصصات ، سواء بالنسبة للتعليم او الصحة العامة او اعمال الاغاثة ، ويلاحظ على هذه الموازنة ان الجانب الاكبر منها صرف على زراعة الاشجار بقصد سد النقص في الثروة الحرجية في البلاد فتقرر زراعة ١ر٨٢٠ر٠٠٠ شجرة في جهات القدس وغزة وحيفا وبئر السبع . وكذلك زراعة المستنقعات بالاشجار للقضاء على مرض الملاريا . كما زرعت اشجار اخرى في المناطق الساحلية للمحافظة على التربة من الانجراف ، كما خصص جانب اخر في تشكيل لجنة تضم مفتشين بريطانيين ، بقصد جمع المعلومات الزراعية في البلاد في وقت لم تتوفر فيه مدرسة زراعية لاجراء التجارب الزراعية . كما ان الخدمات البيطرية كانت تستغرق جانبا كبيرا من الموازنة فقد تعين لهذا الغرض موظف بريطاني مع عدد من العاملين في شئون البيطرة . كما فتحت مراكز للصحة (كرانتينا) في حيفا واريحا ومراكز بيطرة في القدس وحيفا ويافا (٢) .

ومن هنا يبدو لنا بوضوح سياسة الادارة العسكرية في الشؤون الزراعية ، فهي اولا لم تخصص سوى جانب لا يذكر من موازنتها العامة ، كما انها لم تعمل على تقديم خدمات زراعية ضرورية للفلاحين . ويبدو انها اعتمدت في ذلك على القروض الزراعية التي تتوقف على مدى قبول الفلاحين لهذه الفكرة ، لذا لم تكن هناك سياسة عامة للنهوض بالشؤون الزراعية في البلاد . وهذا يتمشى بطبيعة الحال ، كما ذكرت سابقا ، مع ما جاء به تصريح بلفور وابعاد هذا التصريح في تفريغ البلاد من ابنائها العاملين .

وتنعكس هذه المخصصات المنخفضة بالنسبة للزراعة في هذه الموازنة على الانتاج الزراعي في عــــام ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ حيث بلغ الانتاج على النحو الاتي :ــ

المحصول	الكمية مقدرة بالطن	المحصول	الكمية مقدرة بالطن
القمح	٤٥ر٨٠٠	الشعير	٢٥ر٨٠٠
حمص	٢ر١٠٠	عدس	١ر٧٠٠
ذرة	١٥ر٣٠٠	سمسم	١ر٥٠٠
زيت الزيتون	٠ر٣٦٧	عنب	٥ر٦٠٠
برتقال	١٣ر٣٠٠	ليمون	٠ر٦٠٠ (٣)

(١) الكوكب : ١٤٦ ــ ١٧ يونية ١٩١٩

(٢) (2) F.O 371/4143/138121- 1919 .

(٣) (3) Harari ; Op . Cit ., p . 13.

بمقارنة هذا الانتاج من المحاصيل الزراعية بالكميات المنتجة خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى ، نجد ان هذا الانتاج لم يحقق المستوى الذى كانت عليه هذه المحاصيل من قبل ، فانتاج البرتقال مثلا كان حسب احصائية ١٩٠٩ – ١٩١٠ حوالي ٥٤٫٣٨٥ طنا (١) في حين ان انتاج البرتقال في عام ١٩١٩–١٩٢٠ كان حوالي ١٣٫٣٠٠ طنا ، مع العلم بان السلطة العسكرية حاولت انعاش انتاج البرتقال سواء عن طريق توفير الوقود او بتقديم القروض للمزارعين ، الا ان هذا الانتاج لم يحقق سوى ٠٫٠٢٤/٠ فقط مما كان عليه الانتاج قبل الحرب (٢) ، في حين تحسنت بعض المحصولات الاخرى وان كان التحسن بطيئا لانتاج الذرة عام قبل الحرب حوالي ٢٧٫٧٠٠ طنا (٣) في حين حسب احصائية ١٩١٩ – ١٩٢٠ وصل الانتاج لحوالي ١٥٫٣٠٠ طنا (٤) وهذا يعني ان الانتاج لم يتقدم الا بنسبة ٠٫٠٥٦/٠ ، اما انتاج السمسم حسب احصائية ١٩٠٩ – ١٩١٠ فقد بلغ ٥٫٩٠٢ طنا (٥) في حين ان انتاج ما بعد الحرب وصل الى ١٫٥٠٠ (٦) اى ان نسبة التقدم لم تتعد ٠٫٠٢٥/٠ .

ملكية الاراضي :

عملت الادارة العسكرية البريطانية على ايقاف معاملات ملكية الاراضي الاميرية والخاصة ، كما عملت على اغلاق دوائر تسجيل الاراضي (الطابو) ، لانه حسب ما جاء في تقرير اللجنة الملكية (٧) ان " حالة الملكية في اضطراب عام " (٨) والسبب في هذا الاضطراب غياب سجلات الاراضي الرسمية بعد ان اقدم الاتراك على سحب هذه السجلات الى دمشق ، مما عرقل عملية افتتاح دوائر تسجيل الاراضي (٩) ، ومن ناحية اخرى طالب حاييم وايزمان رئيس البعثة الصهيونية التي قدمت الى فلسطين ابريل ١٩١٨ السلطة العسكرية بنصيب من الاراضي الاميرية وقد امتنعت السلطة العسكرية عن ذلك مما ادى بالمنظمة الصهيونية الى اتخاذ موقف معارض عندما عرضت

(١) خليل ابو رجيلي : الحمضيات في فلسطين المحتلة ص ١١ – ١٣
(٢) Harari ; Op . Cit., p. 13 . (2)
(٣) خليل ابو رجيلي : الزراعة في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل – شؤون فلسطينية العدد ١١ تموز ١٩٧٢ ص ١٣٢
(٤) Harari ; Op . Cit., p . 13 . (4)
(٥) خليل ابو رجيلي : الزراعة في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل – شؤون فلسطينية العدد ١ ١١ تموز ١٩٧٢ ص ١٣٢ .
(٦) Harari ; Op. Cit., p. 13 . (6)
(٧) تقرير اللجنة الملكية : اوفدت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق الى فلسطين على إثر اضراب عام ١٩٣٦ وكانت اللجنة برئاسة لورد بيل PEEL وكانت اختصاصاتها " التثبت من الاسباب الاساسية للاضرابات التي نشبت في فلسطين ابريل ١٩٣٦ " وقد قابلت هذه اللجنة التي وصلت القدس – نوفمبر ١٩٣٦ العديد من زعماء البلاد ووقفت على مطالبهم ، وبعد انهاء مهمة اللجنة غادرت البلاد حيث وصلت لندن في فبراير ١٩٣٧ وقدمت تقريرها للحكومة البريطانية . انظر كامل خلة : مرجع سبق ذكره ص ٤٢٩ – ٤٣٠
(٨) تقرير اللجنة الملكية : مرجع سبق ذكره ص ٢٠٢
(٩) O.E.T.A. (S) ; Op. cit., P .132. (9)

السلطة العسكرية مشروعها بشآن القروض الزراعية على نحو ما رأينـا (١) ٠

جاء قرار الاغلاق هذا بموجب الامر الذى اصدره الجنرال موني في ٨ مايو١٩١٨ بشأن الاراضي في سنجق القدس ، او بمعنى آخر في القسم الجنوبي المحتل من فلسطين حسب نتائج العمليات العسكرية اواخر عام ١٩١٧ (٢) ٠

فاذا كان هذا هو موقف الادارة العسكرية من مسألة الاراضي كما اعلنه الجنرال موني ، فان موفقا آخر عكسته جويدة فلسطين بشأن الاراضى المشاعة فأخذت هذه الجريدة تطالب السلطة العسكرية بضرورة تقسيم الاراضي المشاع في فلسطين على الفلاحين والمزارعين ، نظرا لان ذلك الاجراء يحقق فائدة للجميع لان معظم الاراضي في فلسطين هي اراضي مشاع ، وهذه الحالة ادت الى اهمال الاراضي ،كما ان الجريدة اعتمدت عند طرحها هذه الفكرة على ان السلطة العثمانية طرحت ذلك المشروع للمناقشة من قبل (٣)

ومهما يكـن فان عملية تقسيم الاراضي المشاع ، وفي هذا الوقت بالذات ، كانت عملية تخدم الصهيونية التي حاولت الاستيلاء على جانب كبير من ارض فلسطين ، مستغلة الاوضاع التى كان يعيش فيها ابناء البلاد ٠ ويبدو انها تمكنت من ذلك ومن هنا صدرت تعليمات جديدة من قبل الجنرال موني في ١٨ نوفمبر ١٩١٨ ، وذلك بعد ضم القسم الشمالى من فلسطين ، فأمر موني بضبط عمليات انتقال الاراضي ، ويقصد تعميم التعليمات السابقة على المناطق الجديدة التي احتلت ، وكذلك لتوضيح بعض الامور بالنسبة للاهالي فيما يتعلق بملكية الاراضي وقد جاءت تعليمات موني على النحو الاتي :

" فسرت تعليمات الجنرال موني كلمة disposition على انها تعني البيع ، الرهن ، فك الرهن ، الهبة انشاء الوقف،كل تصرف آخر بشأن الاموال غير المنقولة ٠

" اعلنت هذه التعليمات ايضا لاصحاب الاموال غير المنقولة انهم لا يملكون نقل حق من حقوق التصرف فيها ، الا بعد اعادة فتح دوائر الطابو وبعد ان تتم مصادقة الحاكم العسكرى والمدير العام على ذلك ، وان جميع المعاملات التي جرت والتي ستجرى بدون ذلك تكون لاغية ٠

" طرحت التعليمات كذلك حلولا بشأن فسخ عمليات البيع والشراء باعتبارها قد تمت على اساس غير قانوني منذ الاحتلال (حدد بدء الاحتلال بمطلع ديسمبر ١٩١٧ بالنسبة للمناطق في سنجق القدس

واوائل أكتوبر ١٩١٨ بالنسبة لسنجقي نابلس وعكا) وذلك عن طريق السماح للاشخاص الذين اشتروا احد العقارات بعد ان دفعوا ثمنه كاملا او جزءا منه بتقديم شكوى الى المحاكم خلال شهرين من اعلان هذه التعليمات ، طالبا استرجاع الاموال التي دفعها ، كما ان هذه التعليمات اوضحت امكانية الراهن (مقدم الرهن) ان يفسخ الرهن اذا كان قادرا على رد الاموال الى المرتهن (قابل الرهن) على ان يسجل ذلك امام كاتب العدل ويتم تبادل الاوراق الثبوتية فيما بينهم (٤) ٠

" حددت مدة ايجار الاموال غير المنقولة بحيث لا تزيد عن ثلاث سنوات ٠

" اعتبرت التعليمات احكام المحاكم في دعاوى اعادة وضع اليد مؤقتا الى حين اجراء الفصل التـام فـي حـق التصـرف ٠

---

(١) F.O. 371/5139/E1866 - 1919. (1)

(٢) O.E.T.A. (S): Op. Cit., P. 104- 106. (2)

(٣) جويدة فلسطين : ٢٠ ــ ٢٢ آب ١٩١٨٠

(٤) O.E.T.A. (S); Op. Cit., p. 131 - 132. (4)

" لا تؤثر احكام هذه التعليمات على حق تصرف " ادارة بلاد العدو المحتلة جنوبا " بالنسبة للبيع والشراء او الرهن او أى وجه آخر في الاموال غير المنقولة وتأجيرها او استئجارها (١) .

فاذا كانت هذه التعليمات تدل بطريقة غير مباشرة على وجود عمليات بيوع للاراضي بطريقة غير قانونية ، فان الجمعية العربية المسماة المنتدى الادبي " ادركت خطورة هذه العملية فاصدرت في يونيه ١٩١٩ منشورا حذرت فيه العرب من " بيع اراضيهم لما في ذلك من الخطر على البلاد في المستقبل " وقد اوضح المنشور لابناء البلاد اهمية الارض قائلا : " انها الرابطة التي تربط المرء بوطنه .. فان فقد يوما ما هذه الارض يصبح غريبا في وطنه ويهون عليه تركه ومبارحته ، فالارض اذن هي الوطن بعينه ... الارض هي وثيقة مقدسة يجب على كل فرد منكم ان يحافظ عليها ويسلمها الى الابناء كما استلمها من الاباء .. وكل من يفكر في بيع ارضه يكون قد ارتكب جرما كبيرا نحو اجداده واحفاده ووضع نقطة عـار سوداء في صفحة تاريخ حياته ..." (٣) .

كما تابع " المنتدى الادبي " نشاطه هذا لمقاومة بيوع الاراضي فارسل لهذه الغاية رسائل الى الزعماء الدينيين في البلاد ، لاجل ان تكون خطب المساجد والكنائس تدور حول تفهيم الاهالي الضرر العظيم الذى يلحقهم من جراء بيع الاراضي في الاوقات الحاضرة " (٤) .

اخذت الادارة العسكرية بعد ذلك في اعداد مشروع قانون لاعادة افتتاح دوائر تسجيل الاراضي ، وذلك منذ بداية يونيه ١٩١٩ ، وقد عللت الادارة العسكريةخطواتها هذه بان الاستمرار في اغلاق دوائر الطابو يؤثر على الحياة الاقتصادية في البلاد ، لذا رأت ضرورة اعادة افتتاح هذه الدوائر خاصة بعد ان تم العثور على العديد من سجلات الطابو في دمشق واعادتها الى فلسطين (٥) .

وقد جاء مشروع القانون الذى اعدته الادارة العسكرية والذى اطلق عليه قانون انتقال الاراضي لعام ١٩١٩ ، بقصد تنظيم معاملات الاراضي والعمل على اعادة افتتاح مكاتب تسجيل الاراضي في البلاد بعد هذه الفترة الطويلة التي انقضت على اغلاق هذه الدوائر واهم بنود هذا القانون :

" اوضحت المادة الاولى من مشروع قانون انتقال الاراضي لعام ١٩١٩ ــ المجالات التي سيطبق عليها هذا القانون . وتشكل جميع الممتلكات غير المنقولة حسب ما جاء ذلك في قانون الاراضي الصادر في ٧ رمضان ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨) ، وكذلك على جميع الاراضي الوقف وأى شكل آخر من الممتلكات غير المنقولة ، وان قانون انتقال الاراضي هذا سيحل محل الاعلان الصادر في ١٨ نوفمبر ١٩١٨ الذى قضى باغلاق دوائر تسجيل الاراضي في فلسطين .

" جاء في المادة الثانية توضيحا لكلمة (تصرف) Disposition حسب المقصود بها في هذا القانون وهي تعني البيع ، الرهن ، الهبة ، انشاء الوقف على أى نوع كان ، وكذلك انتقال الرهن او الايجارات لمدة تزيد عن ثلاث سنوات .

" اوضحت مواد مشروع القانون ايضا الاجراءات التي يجب ان تتخذ عن تنفيذ عملية نقل الملكية اذ تبدأ العملية بالحصول على موافقة " ادارة بلاد العدو المحتلة جنوبا " ، ويكون ذلك بتقديم طلب الى الحاكم

---

(١) يعقوب يهوشع : تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني ١٩٠٨ــ١٩١٨ ص ٣٣ــ١٣٧

(٢) خيرية قاسمية : نجيب نصار في جريدته الكرمل ١٩٠٩ــ ١٩١٤ ، احد رواد مناهضة الصهيونية "مجلة شؤون فلسطينية عدد ٢٣ تموز ١٩٧٣ ص ١٠٤ ــ ١٠٥

العسكرى في المنطقة التي تقع فيها الارض المراد التصرف فيها ويبين في هذا الطلب بيانات عن المعاملات المراد تنفيذها ويرفق بالطلب أيضا اثبات ملكية الناقل وطلب تسجيل الحجة مع ضرورة بيان أى الاطراف التي ستتحمل العطل والضرر اذا ما رفض أحد الاطراف اتمام عملية نقل الملكية في حالة الموافقة عليها • أما اذا قدم طلب التسجيل وطلب الموافقة بوساطة وكيل أو مندوب عن الموكل فيجب عليه أن يبين في طلبه الشخص الذى ينوب عنه ، وان الممتلكات غير المنقولة التي يتم التنازل عنها تسجل باسم الموكل ، واذا اتخذت اجراءات مخالفة لذلك توقع عقوبات على الطرفين أما بغرامة مالية أو بمصادرة جزء من الممتلكات أو جميعها • ولا تتم موافقة الادارة العسكرية الا بعد استيفاء الشروط والاجراءات السابقة بالاضافة الى اجراءات أخرى ينجزها الحاكم العسكرى وهي أن يكون المشترى مقيما في فلسطين وأن لا يتجاوز مساحة الارض التي يجرى عليها التصرف ٢٠٠ دونم ، أو أن لا تتجاوز قيمتها ١٠٠٠ جنيه ، وبعد أن يكون الحاكم العسكرى قد اقتنع بأن المشترى سيعمل على زراعة الارض ، وأن لدى البائع قطعا أخرى سواء في نفس المنطقة أو في مناطق أخرى فاذا تمت موافقة الادارة بعد ذلك تتم اجراءات بشأن الرهن وهي ضرورة مراعاة أحكام القانون المؤقت لرهن الاموال غير المنقولة الصادر في ١٦ ربيع الثاني ١٣٣١ هـ (١٩١٢) والتعديلات التي ادخلت عليه •

"تعرض المشروع كذلك للعقوبات التي يجب التقيد بها عند وقوع المخالفة من أى شخص اشترك في تنفيذ عملية نقل ملكية بدون موافقة الادارة العسكرية ويكون هذا الشخص معرضا بعد ادانته من المحكمة بدفع غرامة لا تزيد عن ربع قيمة الممتلكات غير المنقولة التي جرى عليها التصرف (١) •

" عند انتقال ملكية الاموال غير المنقولة ، بالارث او الوصية ، يكون الورثة اوالموصي لهم مسؤولين عن تسجيل ذلك باسم الورثة اوالموصي لهم ، خلال سنة من تاريخ الوفاة ويتم التسجيل استنادا على شهادة يتم استخراجها من المحكمة ذات الاختصاص ، يوضح فيها ان الشخص او الاشخاص الطالبين التسجيل هم ورثة او موصى لهم او بموجب شهادة من المختار او الامام او اثنين من الوجهاء • فاذا لم يتم التسجيل خلال الفترة المحددة لذلك يفرض رسم اضافي بنسبة ٥ بالمئة من قيمة الاموال غير المنقولة عن كل سنة تأخير •

" اوكلت بنود هذا المشروع مهمة تأسيس دوائر الطابو الى مستشار العدلية الذى اجاز له هذا المشروع تأسيس دوائر الطابو في الاماكن التي يراها مناسبة لذلك ، كما له الحق في تعيين العدد اللازم من المسجلين ومساعديهم ، وكذلك له الاشراف التام على جميع دوائر الطابو •

" اوضح هذا المشروع كذلك ان صلاحيات مستشار العدلية بالنسبة لدوائر الطابو تمتد ــ بعد موافقة المدير العام ــ الى سن قواعد وانظمة بشأن الامور الاتية :

ــ انشاء وتنظيم مكاتب تسجيل الاراضي (الطابو) •

ــ تحديد وظائف ووجبات مأمورى الطابو وغيرهم من الموظفين •

ــ كيفية حفظ السجلات •

ــ النماذج اللازمة للحج والسندات •

ــ كيفية التصديق على السندات والحجج الصادرة عن الدائرة •

ــ تحديد رسوم التسجيل •

ــ سن أى نظم يراها مناسبة ، لاجل تنفيذ نصوص هذا المشروع اوسن قاعدة تتعلق بأية مسألة اخرى سواء كانت مشابهة لما سبق ذكره أم لا (٢) •

(٥) فلسطين : ٣٠٣ــ ٦ ، ٨ كانون الثاني ١٩١٤•
(٦) محمد بهجت ورفيق التميمي : مرجع سبق ذكره ص ٣٣ ــ ١٣٧•
(٧) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، الجزء الثاني ، القسم الثاني ص ٢١٢ ــ ٢١٥

بعد ان اعدت الادارة العسكرية هذا المشروع المعروف باسم " قانون انتقال الاراضي لعام ١٩١٩ ، طرحته للمناقشة امام عدد من الخبراء والمختصين من البريطانيين الذين عملوا في هذا المجال عند اعداد دوائر الطابو في العراق ، بالاضافة الى ان هذا المشروع كان قد طرح امام حاييم وايزمان فاعترض على هذا المشروع ، واحقية التصرف بهذه الممتلكات ، فهو يرى ضرورة وضع عراقيل امام انشاء الوقف لان عدم اقامة مثل هذه العراقيل سيؤدى الى انشاء المزيد من الوقف ليس بدافع ديني او خيرى ، بل كذلك لاجل ابعاد هذه الاراضي عن سيطرة الحكومة ، وهذا حسب رأى وايزمان لا يسمح للمنظمة الصهيونية بحرية التصرف في الاراضي ، وبالتالي يكون هذا المشروع ضد المصالح الصهيونية وسياستها الرامية الى الاستيلاء على المزيد من ارض فلسطين وهو يتطلع الى مشروع لا يكون عائقا امام الجمعيات والمنظمات الصهيونية في عملية شراء الاراضي ، تحقيقا لاغراض الاستيطان الشاملة واقترح كذلك ان يطبق هذا القانون قبل ١ يناير ١٩٢٠ نظرا لاحتمال فرض الانتداب البريطاني خلال اشهر قادمة . اما الخبراء البريطانيين الذين درسوا هذا المشروع فقد تعددت اراؤهم ،.من ذلك ان أحدهم وهو المستر Garbett ابدى ملاحظة في ٢١ أكتوبر ١٩١٩ حول مشروع القانون واضعا عدة محاذير امام الاخذ بهذا المشروع الذى يهدف الى أعادة تنفيذ معاملات الاراضي واعادة افتتاح دوائر الطابو . واستند في ذلك الى ان تطبيق هذا المشروع سيضع الادارة العسكرية امام مشكلات لا حصر لها لعدم توفر العدد الكافي من السجلات الرسمية ، حتى أن بعض المناطق او الجهات كانت تفتقر تماما الى السجلات الرسمية ولهذا اشار الا انه اذا كان لا بد من الاخذ بهذا النظام فليكن في منتهى الحذر والدقة . ومن ناحية اخرى اعترض جاربت على ان المدير العام للادارة العسكرية هو المسؤول الاول والاخير مما يضفي عليه سلطة مطلقة فطبقا لهذا المشروع لا تنفذ معاملات الاراضي الا بموافقته ، واعترض كذلك على ان يكون مستشار العدلية هو المشرف على جميع دوائر تسجيل الاراضي اذ ان واجبه هو الفصل في الشكاوى الناتجة في معظمها عن نقل الملكية (١) .

اما خبيرا آخر ، وهو مستر E.Boham ، فقد انتقد مشروع القانون من ناحية اخرى ، فقد ذهب الى انه حتى مع توافر السجلات فان السجلات التركية ليست دقيقة تماما اذ لم تكن تسجل فيها الملكيات الصغيرة وملكيات الاوقاف الا نادرا ، الامر الذى يقلل من قيمة هذه السجلات . لذافان احتمال صدور صكوك غير صحيحة احتمال وارد وممكن ، خاصة وان خرائط مسح الاراضي ليست كافية او هي نادرة في بعض المناطق ، لذا لابد قبل الاقدام على تطبيق هذا القانون من مسح شامل لجميع الاراضي في البلاد وأيد في معرض حديثه عن هذا المشروع رأى المستر " جاربت " في اعتراضه على صلاحيات المدير العام المطلقة حسب هذا القانون ، وعلى اعتبار مستشار العدلية مسؤولا عن دوائر الطابو ، كما انتقد هذا الخبير مسألة العقوبات التي وردت في هذا النظام فرأى ضرورة الاكتفاء باعتبار العقد باطلا ، اذا جرى بطريقة مخالفة لبنود هذا القانون ، الا انه بعد ذلك أيد مبدأ فرض العقوبات بسبب الظروف التي تمر بها فلسطين حيث العديد من عمليات بيوع الاراضي كان يجرى خارج دوائر الطابو أى بغير الطرق الرسمية ، ومع هذا فقد اوصى بضرورة حذف العقوبة على المخالفين من الورثة او الاوصياء حسب ما جاء في هذا القانون .

أما Howell وهو من الخبراء البريطانيين ايضا ، فقد أيد رأى " جاربت " من حيث الادارة لتعمل على تنظيم دوائر الطابو وتنظيم السجلات قبل المباشرة في افتتاحها وايد كذلك الاراء السابقة التي اعترضت على ان يكون مستشار العدلية مسؤولا عن هذه الدوائر (٢) .

(١) (1) F.O. 371/5138/E1368/131/44-1919.

(٢) (2) F.O. 371/5138/E1368/131/44-1919.

كما كان هذا المشروع موضوع بحث ومناقشة في وزارة الحرب التي رأت ضرورة تأجيل تطبيق هذا المشروع الى حين فرض الانتداب على البلاد • اما وزارة الخارجية فقد قدمت رأيا مخالفا لذلك • فقد رأت ضرورة الاسراع بافتتاح دوائر الطابو على ان تمارس عملها في اول الامر بشكل محدد ، لان محاولة تأخير ذلك يضر بالحالة الاقتصادية في فلسطين • ورات عدم الانتظار الى حين فرض الانتداب على البلاد • كما ان وزارة الخارجية رأت ان المساحة التي حددها مشروع القانون اكبر مما ينبغي ، فاقترحت ان لا تزيد قيمة الارض ــ موضع التصرف ــ في المناطق الحضرية على ٣٠٠٠ جنيه وفي المناطق الريفية على ١٠٠٠ جنيه • وطرحت فكرة اخرى بقصد القضاء على المضاربات في البيوع وهي منع اعادة بيع الارض والممتلكات خلال فترة محددة من الوقت وشاركت وزارة الخارجية الاراء السابقة في الاعتراض على ان يكون مستشار العدلية مسؤولا عن دوائر الطابو (١) •

والى جانب هذا الاعتراضات نود ان نثبت الملاحظات الاتية :

نرى من المناقشة السابقة الذكر مدى اهتمام زعماء الحركة الصهيونية بالمشاركة في اعداد وترتيب الاجراءات التي تقوم بها الادارة العسكرية البريطانية في موضوع تنظيم ملكية الاراضي • فمن خلال ما سبق عرضه نرى اعتراض حاييم وايزمان على هذا المشروع الذي رأى فيه ــ وايزمان ــ حائلا دون تسرب الاراضي عن طريق انشاء الوقف مما يضع حجر عثرة في سبيل تحقيق الاطماع الصهيونية التي تنظر الى ارض فلسطين جميعها هدفا للاستيطان الشامل لليهود ، وقد سبق لزعماء الصهيونية ان اعترضوا على القروض الزراعية التي قررت السلطة العسكرية تقديمها للمزارعين العرب ، وقبل ذلك وفوق ذلك كله ساهموا في صياغة التصريح الذى منحهم الاذن الرسمي لاستيطان فلسطين وانشاء وطن قومي لهم فيها وهو تصريح بلفور •

" ان الاراء اجمعت على ان لايكون مستشار العدلية مسؤولا عن دوائر الطابو وهذا امر طبيعي فكيف لمستشار العدلية المسؤول عن فض الخلافات سواء بالنسبة لقضايا نقل الملكيات او غيرها ان يكون مسؤول عن هذه الدوائر بل ان من الافضل ان يكون الاشراف لمسؤول آخر مستقل عن امور القضاء •

" ان بعض الاراء حاولت التقليل من اهمية السجلات التركية وقللت من الاعتماد عليها • ولا شك في ان هذه الاراء انما تهدف الى احداث تغييرات في هذا المجال لتخدم بذلك الاغراض الصهيونية واطماعها المركزة نحو ارض فلسطين •

" ان السبب في تأخير افتتاح دوائر الطابو وان عللته الادارة العسكرية بعدم توفر السجلات كلها ، الا ان التأخير على ما يبدو كان انتظارا لوضع مستقبل البلاد السياسي (٢) •

" ان الاعتراض على سلطة المدير العام المطلقة حسب ما نص عليه هذا المشروع اعتراض واه ، لان السلطة المطلقة تتمشى تماما مع مفهوم الحكم العسكرى الذى صبغت به البلاد ، وقد لازم مشروع القانون الذى طرحته الادارة العسكرية عملية اخرى ، وهي جمع وترتيب دفاتر الطابو وجمع الاوراق الرسمية الموجودة فيها • وقد جاء ذلك في رسالة بعث بها مأمور طابو طولكرم الى مديرية الطابو بالقدس بتاريخ ٢١ يونيه ١٩٢٠ وذلك بعد انجاز هذه العملية على النحو الاتــي :

" غب (بعد) جمع وترتيب دفاتر الطابو الذى وجد في مكتب طابو طولكرم والذى سبق بها تنظيم

---

(١) (1) F.O. 371/5138/E 1368/131/44-6 March 1920.

(٢) (2) *F.o. 371/4171/98705/ M.E/44-1920.*

دفترا وطلب ارساله لمديرية الطابو بالقدس فقد بدء كذلك بجمع وترتيب الاوراق التي وجدت في المكتب المذكور والمتعلقة بالدفاتر المذكورة والان قد تم ترتيبها وجرى تحريرها على نسختين : نسخة لمديريه الطابو في القدس ونسخة حفظت في المكتب حسب الاصول .. " (١) . يهمنا ان عمليات بيوع الاراضي استمرت خارج دوائر الطابو بعلم الادارة العسكرية . وقد جاء ذلك في المذكرة التي رفعها Bonham الخبير البريطاني الذى سبقت الاشارة الى ارائه في معرض تعليقه على مشروع قانون الاراضي المقترح ، فقد طالب بفرض عقوبات على المخالفين للقانون المقترح (٢) ومهما يكن من امر فان اخذ الادارة العسكرية في اعداد مشروع لاعادة افتتاح دوائر الطابو لا يشغلها عن فرض عقوبات صارمة على الاطراف التي كانت تصل الى اهدافها بطرق ملتوية . وبالتالي فان ذلك لا يخرج الادارة العسكرية عن مسؤليتها في وقت لا تزال فيه البلاد تحت القوانين والانظمة العسكرية التي تتيح للادارة العسكرية ممارسة صلاحيات ذات صفة عسكرية .

ويبدو ان اجراءات الادارة العسكرية لاعادة افتتاح دوائر الطابو في فلسطين لم تتم . ولعل السبب في ذلك ان الادارة العسكرية استمرت في دراسة ومناقشة مشروع القانون بعد الاعتراضات الاخيرة التي وصلتها من عدة مصادر رسمية وغير رسمية . ومهما يكن من امر فقد افتتحت دوائرالطابو في ظل الادارة المدنية التي قامت في فلسطين منذ اوائل يوليو ١٩٢٠ . وقد جاء افتتاح هذه الدوائر بعد ان تمت المصادقة على قانون انتقال الاراضي الجديد والذى صدره في ٢٠ سبتمر ١٩٢٠ هربرت صموئيل اول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين . وقد تم اعداد هذا القانون الذى عرف باسم قانون انتقال الاراضى لعام ١٩٢٠ ، مشتملا على بنود مشروع القانون السابق لعام ١٩١٩ مع اجراء بعض التعديلات من ذلك ان قانون عام ١٩٢٠ زاد من مساحة قطع الارض موضوع التصرف من ٢٠٠ الى ٣٠٠ دونم او تزيد قيمتها على ٣٠٠٠ جنيه اما في الحضر فلا تزيد مساحة قطعة الارض موضوع التصرف عن ٣٠ دونم وبهذا تم توسيع القاعدة التي ستعمل من خلالها دوائر تسجيل الاراضي (٣) .

لقد مكن هذا القانون وما تبعه من قوانين اخرى تتعلق بملكية الاراضي الصهاينه من السيطرة على المزيد من الاراضي في فلسطين للاستيطان في هذه البلاد ، فحسب هذا القانون (قانون انتقال الاراضي ١٩٢٠) كان للمندوب السامي مطلق الحرية في التصرف بالاراضي الفلسطينية فالقانون يقضي على كل من يرغب ان يتصرف بمال غير منقول ان يحصل اولا على موافقة الادارة كتابة وان الموافقة ــ حسب المادة السادسة ــ من هذا القانون لا تتم الا اذا توفرت " الاقامة في فلسطين والعمل على زراعة الارض وتحديد مساحة الارض الزراعية " وان " جميع التصرفات التى لاتنطبق عليها ... المادة السادسة تحال للمندوب السامي ، الذى له السلطة المطلقة في اعطاء الموافقة او الامتناع عن ذلك " ويجوز للمندوب السامي ان " يأذن لاى شركة تشتغل بالصرافة ان ترتهن أى ارض ويسمح لاى شركة تجارية مسجلة في فلسطين ان تمتلك من الارض ما يلزمها للقيام بمشروعتها " (٤) .

وطبقا للقانون الذى اصدره هـ . صموئيل في ١٥ ابريل ١٩٢١ (قانون الاراضي نمرة ٢) اصبح للمحاكم صلاحيه اصدار الاحكام ببيع الاموال غير المنقولة تنفيذا لحكم او وفاء لدين . وخطورة هذا القانون تكمن في ان معظم الاراضي العربية في فلسطين كانت مرهونة للمرابين اليهود ، زادت بعد ان اغلق هربرت صموئيل البنك

(١) دائره تسجيل اراضي نابلس ـ السجل غير مرقم ١٩٢٠.
(٢) F.O. 371/5138/E 136/131/44-1919. (2)
(٣) دعيس المر : مرجع سبق ذكره ، الجزء الثاني ص ١٢٩ ــ ١٣٢
(٤) دعيس المر : مرجع سبق ذكره ، الجزء الثانى ص ١٣٠ ــ ١٣٢.

الزراعي العثماني في مارس ١٦٢١ ، وامام عجز الفلاح عن سداد ما عليه من قروض ، كان المرابون يرفعون الامر الى المحاكم فتحكم بنزع ملكية الاراضي المرهونة .

واصدر هربرت صموئيل قوانين اخرى كان لها تأثير واضح على الفلاحين ، اذا ابعدتهم عن اراضيهم منها قانون الاراضي المحلوله الذى منع بمقتضاه أي شخص من استثمار أي ارض محلولة بدون اذن دائرة الطابو وكذلك قانون الاراضي الموات الذى صدر في اول مارس ١٩٢١ حد بمقتضاه من جهود ابناء البلاد العرب من استصلاح مساحات من الاراضي غير المستصلحه (١) .

يستدل من هذا أن قوانين الاراضي السالفة الذكر مكنت حكومة الانتداب ،وعلى رأسها هربرت صموئيل الصهيوني العريق ، من حرية التصرف في ملكية الاراضي الفلسطينية . فبسبب هذا وبسبب ازدياد النفوذ الصهيوني في فلسطين بعد وصول هـ . صموئيل اول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين ، اخذت مساحات من الاراضي تتسرب الى الايدى الصهيونية من عدة جوانب ، فقد كانت مساحة الاراضي التي سيطر عليها اليهود حتى عام ١٩١٨ حوالي ٦٥٠٠٠ر دونم فاصبحت مع نهاية حكومة الانتداب البريطاني عام ١٩٤٨ حوالي ٢٠٧٥٠٠٠ر٢ دونم (٢) . أى بزيادة ١٤٢٥٠٠٠ر١ دونم ، تسرب الجانب الاكبر من الاراضي العربية في فلسطين الى الايدى الصهيونية عن طريق حكومة الانتداب ، سواء بالمجان او بالبيع الرمزى او المنح الى العديد من الشركات الصهيونية . وقد بلغ مجموع ما تسرب من ارض عربية الى الصهيونيين حوالي ٦٧٩٠٠٠ر دونم يضاف الى ذلك حوالي ٦٧٨٠٠٠ر دونم باعتها الاسر الاقطاعية غير الفلسطينية و٦٨٠٠٠ر دونم عن طريق عرب فلسطين سواء بنزع الملكية او بتأثير قوانين الاراضي السابقة او البيع .

---

(١) ابراهيم الجندى : سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ـ رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الاسكندرية ١٩٧٥ .

(٢) ابراهيم الجندى ، المرجع السابق .

الفصل التاسع

=============

التجارة والمواصلات

قواعد الاتجار مع مصر حسب تعليمات ابريل ١٩١٨ وتعليمات مارس ١٩١٩ ٠٠٠٠ واردات وصادرات فلسطين حسب احصائية عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ٠٠٠ الدول التي كانت تتعامل مع فلسطين ٠٠٠ المراكز الجمركية ٠٠٠ تثبيت الاسعار ٠ ٠٠ أهمية المواصلات في تنشيط الحركة التجارية المحلية والخارجية ٠٠٠ الطرق البرية ٠٠٠٠ السكك الحديدية ٠٠٠ الخدمات البريدية٠٠٠ خدمات التليفون والتلغراف في فلسطين ٠

التجـــارة :

انتعشت حركة التجارة في فلسطين ، خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية ، بسبب اجراءات الدولة العثمانية لانعاش حركة التجارة ، وبسبب التطور الذى أصاب وسائل المواصلات البحرية ، ولكنها تأثرت بأحداث الحرب العالمية فتوقفت حركة التجارة الخارجية والداخلية ، لذا كان على الادارة العسكرية البريطانية مواجهة هذه الظروف .

وضعت الادارة العسكرية خلال الاشهر الاولى من عام ١٩١٨ ، أى بعد وقوع الاجزاء الجنوبية من فلسطين ،تحت الاحتلال البريطاني ، قواعد موقتة بقصد تنشيط حركة التجارة في الاجزاء المحتلة من فلسطين ، عن طريق ربط هذه المناطق بمصر ،أى ضمن دائرة تجارية ضيقة وقد جاءت هذه القواعد الموقتة والتي صدرت في أول ابريل ١٩١٨ على النحو الاتـي :

- تقدم طلبات الاتجار الى مكتب مصلحة الاتجار مع " بلاد العدو المحتلة " بالقيادة العامة في القاهرة على أن يوضح التجار الراغبون في الاتجار مع فلسطين أسماء التجار والبنوك الكفيلة او المعتمدة لديهم واسم العميل وبيان طبيعة الاعمال التجارية التي ستكون مجالا للتعامل فيما بينـهم .
- أوضحت التعلميات سبل نقل البضائع الى فلسطين بواسطة السكك الحديدية المصرية والسكك الحديدية العسكرية في القنطرة التي كانت تتحرك يوميا الى القدس ، وأسبوعيا الى غزة وبئر السبع ، أما يافا فتنقل البضائع من مصر اليها بحرا ، كما أشارت التعلميات الى ضرورة دفع اجور نقل البضائع مقدما ، وان عمليات شحن البضائع تكون على مسؤولية التاجر ولا تتحمل مصلحة السكة الحديدية أو السلطة العسكرية أية مسؤولية في تأخيرها أو فقدانـها .
- يعطى الترخيص لشحن البضائع على عربة حمولتها عشرة أطنان ، واذا زادت البضائع عن ذلك يجب استصدار رخصة أخرى ، لاستخدام عربة ثانية من نفس الحمولة ، ويجرى تخليص البضائع من مركز الجمارك بموجب الفواتير التي توضح أنواع وكميات وأثمان البضائع (١) .

ويبدو ان السلطة البريطانية في فلسطين أدركت خطورة انفتاح الاجزاء الجنوبية من فلسطين على مصر على اعتبار ان هذه المناطق ستكون منطلقا لعمليات عسكرية قادمة نحو الاجزاء الشمالية من البلاد . لذا عملت على تأسيس مكتب الرقابة الفلسطيني : The Palestine Censorship Bureau في ٨ مارس ١٩١٨ بقصد تحقيق هدفين : منع تسرب أية معلومات سياسية او اقتصادية من الاجزاء المحتلة الى اعدائها في الحرب ، اما الهدف الثاني فهو جمع المعلومات عن الاوضاع المحلية للاقسام المختصة ، وبشكل خاص المعلومات عن الاوضاع التجارية المحلية ، للاستفادة منها وللتعرف على اوضاع المناطق الجديدة التي أصبحت تحت سيطرتها .

وحسب تقرير مكتب الرقابة الفلسطيني السنوى حتى نهاية يناير ١٩١٩ يمكن الوقوف على نشاط هذا المكتب في النواحي السياسة والاقتصادية . ففي المجال السياسي ، " جمع معلومات وافية عن الموقف العربي تجاه الصهيونية في هذه الفترة ، وفي الجانب الاقتصادى جمع معلومات تتعلق بواردات وصادرات البلاد ، ووضع دليل بأسماء التجار واعتمادتهم المالية، وطبقا لمعلومات هذا المكتب بلغ عدد تجار التجزئة والجملة في حيفا حوالي ١٠٤ من التجار، وفي القدس ١٨١ تاجرا وحيفا ٩٢ تاجرا ، وقد تنوعت الاعمال التجارية في هذه المدن منهاالمنسوجات ، الاثاث ، الاخشاب ، الدهان ، الحديد ، مواد كيماوية ، دباغة ، اواني زجاجية ، مواد بناء

مجوهرات ، قرطاسية ، حبوب ، خمور ، صابون .

ويبدو نشاط المكتب في وضع عدد من التجار في القدس ويافا في القائمة السوداء بحكم مخالفتهم للتعليمات الصادرة عن هذا المكتب . كما تم وضع عدد آخر من التجار تحت المراقبة بحكم الاشتباه بهم وهم من التجار في القاهرة والقدس ويافا والاسكندرية (١) .

ومن ناحية أخرى عملت السلطة العسكرية على ضبط معاملات التجار ، عن طريق تكليفهم بتدوين حساباتهم في دفاتر خاصة ، تكون تحت اشراف ومراقبة موظف مختص من قبل الحكم العسكرى (٢) .

وبعد أن ضبطت السلطة العسكرية الحركة التجارية محليا وخارجيا مع مصر ،أسست مكاتب للاستعلامات التجارية في كل من القدس ويافا والقاهرة لتكون مرجعا للتجار في تنظيم شؤونهم المحلية ، والعمل على تنشيط حركة التجارة الخارجية (٣) .

واتخذت الادارة العسكرية اجراءات جديدة ، بعد أن انتهت الحرب ، ووقوع باقي المناطق من فلسطين تحت الاحتلال البريطاني ، فأصدرت قواعد جديدة للاتجار مع مصر . وبموجب هذه التعلميات التي صدرت أول مارس ١٩١٩ الغيت معظم التعليمات السابقة ، كالغاء الاذونات العسكرية للتجارة مع مصر . ومن البنود التي بقيت سارية المفعول عدم مسؤولية مصلحة السكة الحديدية او السلطة العسكرية في عمليات نقل البضائع .وهذا مما دفع بالعديد من التجار الى استخدام الرزم (الطرود) البريدية في نقل بضائعهم لانها أكثر ضمانا وعلى مسؤولية السلطة العسكرية (٤) .

---

(١) (1) F.O. 371/4229/83544 — 1919.

(٢) (2) O.E.T.A. (S): op. cit., p. 119.

(٣) جريدة فلسطين : ١٢ ، ٢٧ يونيه ١٩١٨ .

(٤) نفسه : ٤٨ — ٦ مارس ١٩١٩ .

واردات وصادرات فلسطين ١٩١٩ – ١٩٢٠ (١)

الاصناف	قيمة الواردات بالجنيهات	الاصناف	قيمة الصادرات بالجنيهات
حيوانات	٢ر٠٢٠	ابل	٣ر٣٣٧
لحوم وأسماك	٥٩ر٠١٦	منتجات ألبان	٣ر٣٣٥
منتجات ألبان	٥ر٠٩٦	جلود	١٠ر١٦٣
جلود وأحذيه	١٢٢ر٨٦١	ذره	٣٥ر٨٧١
شحوم حيوانية وشموع	١٢ر٠٩٤	ترمس	٨ر١٨٢
دقيق	٥ر٧٩٤	شعير	٤٠ر٣٦١
أرز	٢٤١ر٨١٠	حبوب	٢٩ر٧٤٤
حبوب وبقول وفواكه	٣٧١ر٧٦٣	برتقال	١٦٢ر٤٠٩
سكر	٤١٩ر٧٢٨	فواكه وخضر	٨٧ر٣٠٣
بن وشاي وبهارات	١٥٦ر٩٩٥	عدس	٣٤ر٩٥١
مياه غازية وخمور	٥٥ر٨٧٠	جوز	٣١ر٧٩٣
زيوت	٣١ر٠٩٢	بهار	٦ر٠٣٤
بترول	١٧٦ر١٦٠	زيوت	١٢ر٦٤٨
ورق سجاير وكتابة	٧٣ر٣٠٧	فحم	١ر٤١٣
خشب	٧٦ر٢٠٦	صوف	٣٢ر٩٧٥
فحم	٥ر١٨٧	خمور	٦٩ر١٤٩
عربات ودرجات هوائية	٤ر٢٠٥	صابون	١٤٢ر٤٥٣
مواد بناء	٨٦ر١٢٥	نحاس وذهب	١٩ر٤٩٣
دهان	٢٨ر٢٦٧	(مجيدية)	
موارطبية وكيماوية	١٦٣ر٣١١	تحف	١٤ر٣٧٧
منسوجات قطنية وكتانية وحريرية	١ر٤٩٥ر٠٦١	رزم بريدية (٢)	٢٧ر٤٦٢
حديد ونحاس	٨٩ر٢٥٦		
ماكينات	٢٣ر١٤٥	المجموع =	٧٧٣ر٤٤٣
دخان	٨٥ر٨٧٨		
مواد متنوعة	١٠٠ر٩٧٠		
رزم بريدية (٣)	٢٩٧ر٣٢٣		
المجموع =	٤ر١٩١ر٠٦٠		

(1) **Annual Statistical Return of the O.E.T.A. (S): Customs for the year ending 31 march 1920.**

من الامور البارزة في هذا الجدول العجز الكبير في الميزان التجاري حيث تزيد قيمة الواردات على الصادرات بحوالي ٣٫٤١٧٫٦١٧ جنيها • وبمقارنة هذا الوضع بالوضع الذى كانت عليه الحركة التجارية قبل الحرب ، نجد ان واردات فلسطين في عام ١٩١٣ زادت على الصادرات بحوالي ١٫٠٤٤٫٢٨٠ جنيها لان الواردات وصلت الى ١٫٩٥٠٫٨٠٠ جنيها والصادرات ٩٠٦٫٥٢٠ جنيها (١) أى ان النسبة كانت ٥ : ٤ وهذا يدل على ان التفاوت كان بسيطا بين الورادات والصادرات قبل الحرب في حين ازداد التفاوت بعد الحرب فقد بلغت قيمة الواردات ٤٫١٩١٫٠٦٠ جنيها وقيمة الصادرات ٧٧٣٫٢٤٣ جنيها أى أن نسبة اسهام الواردات في الميزان التجارى ٨٢ بالمئة في حين ان الصادرات اسهمت ١٨ بالمئة فقط ، او بمعنى آخر اصبحت النسبة ٨ : ٢ وهذا التفاوت الكبير ناتج عن زيادة في قيمة الواردا ت ونقص في قيمة الصادرات • هذه الاشارات تدل على أن الوضع التجارى كان دون المستوى الذى كان عليه قبل الحرب • وهذا يدل على ان اجراءات الادارة العسكرية لا تزال وئيدة • لان اعادة التوازن بين قيمة واردات وصادرات البلاد يحتاج الى تنشيط المصادر الاساسية لصادرات البلاد وخاصة الحمضيات •

ملاحظة اخرى ان الجانب الاكبر من واردات البلاد كان من المواد الغذائية والمنسوجات والملابس ، وهي تشكل ٦٥ بالمئة من الواردات ، والواقع ان هذا الاستيراد الكبير ما كان الا لمواجهة آثار الحرب التي خلقت اوضاع اقتصادية صعبة في البلاد • ويلاحظ ايضا ان قيمة ما استوردته الادارة العسكرية من ادوات ومعدات لانعاش الاحوال الزراعية كانت على نسبة ضئيلة لا تتعدى ١ بالمئة • اما بالنسبة لصادرات فلسطين لعام ١٩١٩ فقد شكل محصول البرتقال الجانب الاكبر منها وكان بنسبة ٢١ بالمئة ثم الصابون بنسبة ١٨بالمئة في حين ان اسهام هذه المحاصيل او المنتجات أكبر من هذا ،فحسب احصائية عام ١٩١٣ (٢) اسهم البرتقال بنسبة ٣٩ بالمئة من مجموع الصادرات اما الصابون فبنسبة ٢٦ بالمئة من مجموع الصادرات،ومعنى هذا ان الاجراءات التي اتخذتها الادارة العسكرية ، وان نشطت الحركة التجارية ، لكنها لم تصل بعد الى المستوى الذى كانت عليه قبل الحرب •

---

(١) محمد يونس الحسيني : مرجع سبق ذكره ص ١٤٤ ــ ١٤٧ •

(٢) حنا صلاح : مرجع سبق ذكره ص ٤٢ ــ ٥٦•

أما العلاقات التجارية بفلسطين والدول الاخرى فيوضحها البيان التالي (١٩١٩ — ١٩٢٠) :

الدولـــة	قيمة الواردات (جنيه)	قيمة الصـادرات (جنيه)
بريطانيـا	١٢٠٤٦٨٢	٩٢٠٥٩
مصـــر	٩٩٩٤٣٣	٥٤٦٧٥٩
فرنســا	١١٥٢٥٧	٢٠٤٨٣
ايطاليـا	٨١٤٨٧	١٥١٢٥
اليونـان	٤٠٥٣٠	٢٠٠٠٤
هولنـده	٣٤٠٥٩٣	٩٤٣٤
الهنـد	٢١١٠٥٦	١٣٤
اليابـان	٣١٥٢٤٦	—
الولايات المتحدة الامريكيـة	١٩٧٥٧٩	٣١٦٤
النمسـا	١٤٣٢٨١	٧
دول أخرى	٢٤٤٥٩٣	٢٨٨١٢
المجمـوع =	٣٨٩٣٧٣٧	٧٤٥٩٨١ (١)

تضاف الى هذا الجدول قيمة البضائع التي كانت ترد الى البلاد بواسطة الرزم (الطرود) البريدية ، وهي ٢٩٧٫٣٢٣ جنيها ، وكذلك قيمة الصادرات بواسطة الرزم البريدية بقيمة ٢٧٤٦٢ جنيها وبهذا يكون الميزان التجارى ٤١٩١٠٦٠ جنيها بالنسبة للواردات و ٧٧٣٤٤٣ جنيها بالنسبة للصادرات .

يفهم من هذا الجدول ان الجانب الاكبر من واردات فلسطين كان ياتي من بريطانيا فهو بنسبة ٢٨ بالمئة من مجموع قيمة واردات البلاد . اما قيمة الصادرات الفلسطينية الى بريطانيا فوصلت الى ١٢ بالمئة . وتأتـي مصر بعد بريطانيا في اسهامها بالواردات الفلسطينية بنسبة ٢٤ بالمئة . لكن مصر تاتي في المرتبة الاولى في استيعاب الصادرات الفلسطينية فقد وصلت الى ٧٠ بالمئة من مجموع الصادرات ، ولعل ذلك يرجع الى سهولة وتعدد وسائل المواصلات بين البلدين .

ويلاحظ ايضا ان فلسطين كانت على علاقة تجارية مع عدد كبير من الدول الاوربية وهذا يرجع الى ما فترة ما بعد الحرب ، لان العلاقات التجارية الخارجية كانت قائمة خلال السنوات التي سبقت الحرب ، نتيجة تحسن وسائل المواصلات وما طرأ على السفن نفسها من تطور في حمولتها وسرعتها ، وهذا واضح من جدول آخر على أساس تعامل الدول الاجنبية مع الموانى الرئيسية في فلسطين :

(1) Annual Statistical Return of the O.E.T.A. (S): op. cit., pp. 6-15.

يلاحظ من هذا البيان ان الجانب الاكبر من حركة السفن والمراكب كان يتركز في ميناء يافا ، فقد استقبل حوالي ١٦٩ سفينة في حين ان ميناء حيفا استقبل حوالي ١٥٧ سفينة ، مما يوضح النشاط التجاري لميناء يافا الذى تفوق على غيره من موانئ فلسطين ، وذلك لارتباطه بالمدن الداخلية وخصوصا القدس . لكن مع هذا يلاحظ ان ميناء حيفا استقبل الجانب الاكبر من المراكب لا سيما من سورية ، وهذا يبرز دور ميناء حيفا في استقبال او تصدير البضائع من والى الموانئ السورية .

ومن ناحية اخرى عملت الادارة العسكرية البريطانية على اقامة العديد من المراكز الجمركية في الموانئ وبعض المدن لتضبط حركة التجارة الخارجية ، حتى تضمن بالتالي عملية تحصيل الرسوم الجمركية التي حددتها حسب النسب الاتية :

- تفرض على البضائع المستوردة من الخارج رسوم بنسبة ١١ بالمئة من قيمتها وهذا ينطبق على جميع الدول ، باستثناء مصر وتركيا اذ تفرض على البضائع المستوردة منهما رسوم بنسبة ٨ بالمئة .
- تفرض على الدخان والتنباق رسوم تختلف في نسبتها من نوع لاخر فيفرض على الدخان غير المصنع ٣٥ فلسا (مليما) على كل كيلو ، وعلى الدخان المصنع ٤٥ فلسا والتنباق ١٣ فلسا على كل كيلو .
- تعفى الالات الزراعية والاسمدة الكيماوية من الرسوم الجمركية (١) .

وقد شكلت هذه الرسوم جانبا كبيرا من ايرادات الموازنة التي اعدت لفترة اربعة اشهر مارس ـ يونيه ١٩١٨ حوالي ٣١ر١١٩ جنيها ، أى بنسبة ٢٢ر٥ بالمئة من الموازنة العامة التي بلغت حوالي ٧٨٢ر١٣٧ جنيها (٢) وقد زادت نسبة اسهام الرسوم الجمركية في الموازنة العامة لعام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، اذ بلغت حوالي ٠٠٠ر٣٠٠ جنيه أى بنسبة ٤١ بالمئة من الموازنةالعامة المقدرة بحوالي ٢٠٠ر٧٣٥ جنيه وبهذا تكون الرسوم الجمركية قد اسهمت بجانب كبير في الموازنة ، وقد جاء ت هذه الرسوم بحكم نشاط عمليات الاستيراد من الخارج التى بلغت ٧٠ر٢٨٥ جنيها أى بنسة ٩٥ بالمئة من مجموع الايرادات ، ورسوم الاستيراد حوالي ٠٠٠ر١٢ جنيه بنسبه ٤ بالمئة والباقي ٣٠ر٢ جنيها بنسبة ١ بالمئة من الغرامات والمصادرات واجور المستودعات ، وكان معظم الواردات من المواد الغذائية ، نظر لسوء الاحوال التموينية خلال الحرب ، ويلاحظ ايضا ان رسوم الرزم (الطرود) البريدية قد شكلت جانبا من ايرادات الجمارك والسبب في ذلك ان بعض التجار كانوا يفضلون ارسال بضائعهم على شكل رزم بريدية ، علما بأن تكاليفها أكثر ولكنها أكثر أمنا من نقلها بواسطة السكك الحديدية التي استبعدت عنها مسؤولية ضياع أو تلف البضائع ، وحملت التاجر مسؤولية ذلك اذا ما حــــدث .

ومهما يكن الامر فان جانبا من ايردات الجمارك قد صرف على المراكز الجمركية المتعددة في البلاد فقد بلغت مصروفات دائرة الجمارك حوالي ٨٠ر١٠ جنيها صرف معظمها على الموظفين والعاملين في هذه المراكز (٣) .

كما صرف جانب آخر على ادارة وتنظيم المستودعات الجمركية بالاستعانة بالشركات المصرية (٤) .

---

(1) Harari: op. cit., pp. 4-5.
(2) F.O. 371/4143/35569 — 12 February 1919.
(3) F.O. 371/4143/138121 — 1919.
(4) F.O. 371/4225/108981 — 23 July 1919.

وتوزع المراكز الجمركية حسب الترتيب الاتي :

مجموع الواردات والصادرات
حسب المراكز الجمركية (١)
من ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ (جنيه ٠م)

المراكز الجمركية	مجموع الواردات	مجموع الصادرات
عكا	١٢١١	٢٧٧٦
بير السبع	٤٥٥٦	٥
غزه	٩٣٦٤	١٠٩٩
حيفا	١٦٢٧٣٨١	٢٧٠٠٥٧
يافا	١٤٠٨٣٢٨	١٦٩٣٠٨
القدس	٩٥١٨٤٧	٣٠٦٠٥
خان يونس	٧٠٤٩	٢٩٧١
اللد	٥٥٣٢	١٥٩٩٢٣
طولكرم	٤٠٩٢٨	١١٢٨٧٠
قنطرة شرق	٤٧٩٥٤	٢٣٨٢٩
المجموع	٤١٩١٠٦٠	٧٧٣٤٤٣

حققت المراكز الجمركية في فلسطين دخلا رئيسيا في الموازنة العامة اذ أسهمت الرسوم الجمركية بحوالي ٤١ بالمئة من مجموع ايرادات البلاد • ويتفوق المركز الجمركي في ميناء حيفا على غيره من المراكز ، سواء في قيمة الواردات أو في قيمة الصادرات فقد أسهم بـ ٣٨ بالمئة من مجموع قيمة الواردات ، في حين أن اسهامه في قيمة الصادرات كانت بنسبة ٣٥ بالمئة • ولا يفهم من هذا تفوق ميناء حيفا في تصريف واستقبال متطلبات البلاد ، لان ميناء يافا كان يتمتع بالمكانة الاولى في ذلك ، انما يرجع الى أن الواردات أو الصادرات عبر ميناء حيفا كانت قيمتها أكثر من غيرها عبر الموانيء الاخرى •

كان على الادارة العسكرية أن تعمل على تثبيت الاسعار المتقلبة في فلسطين ، ان هذه الاسعار كانت في صعودوهبوط من أسبوع لاخر ، سواء كان ذلك على مستوى البلاد بشكل عام ، أو على مستوى المدينة بشكل جزئي ، فقد كان التفاوت في الاسعار واضحا بين مدينة وأخرى • وتعكس الصحف هذه الصورة ، مثل جريدة فلسطين التي كانت تصدرها السلطة العسكرية ، وجريدة الكوكب التي كانت موالية للانجليز •

فقد شهدت أسواق الغلال الرئيسية في الرملة واللد ارتفاعا واضحا في أسعار الحبوب بسبب تهافت العديد من التجار على شراء الغلال في هذه المراكز ، حتى بيع رطل القمح بـ ١٢ قرشا ورطل الشعير بـ ٦ قروش (٢) ،

---

(١) (1) Annual Statistical Return of O.E.T.A. (S): op. cit., pp. 6-16.

(٢) جريدة فلسطين : ١٨ ـ ٨ آب ١٩١٨ •

وهذه الاسعار لم تشهدها البلاد حتى في اثناء الحرب عندما وصل معدل سعر رطل القمح الى ٨ قروش ولم تستقر أسعار الغلال في المراكز الرئيسية لتسويقها في الرملة واللد على الاسعار السابقة ، بل أن الاسبوع التالي لذلك شهد ارتفاعا آخر وصل الى بيع رطل القمح بـ ١٤ قرشا ثم انخفض الى ١٠ قروش (١) ثم الى ٦ قروش (٢) وهكذا شهدت مدن أخرى في فلسطين تفاوتا واضحا في الاسعار من أسبوع لاخر ، ففي منطقة بير السبع وصل سعر رطل القمح الى ١٦ قرشا والشعير الى ٦ قروش (٣) وفي مدينة القدس هبط سعر رطل القمح الى ٨ قروش بعد أن كان ١٤ قرشا (٤) وفي يافا أيضا هبط سعر رطل القمح من ١٥ قرشا الى ١٢ قرشا خلال فترة وجيزة (٥) ، وشهدت مدينة الخليل ارتفاعا واضحا في أسعار الحبوب فوصل سعر رطل القمح الى ١٥ قرشا والشعير الى ٦ قروش والذرة الى ٧ قروش (٦) ٠

أما أسعار الحاجيات الضرورية في مدينة نابلس فقد انخفضت بشكل واضح أصبح سعر رطل القمح ٤ قروش بعد أن كان ١٢ قرشا واللحوم من ٧٢ قرشا الى ٤٠ قرشا ورطل السكر من ٣٠ قرشا الى ١٥ قرشا (٧) ٠

هكذا كانت أسعار الحاجيات والمواد الضرورية في فلسطين في ارتفاع وهبوط من فترة لاخرى ٠ والسبب الرئيسي في ذلك هو مسألة العرض والطلب في هذه المواد التي كانت تتحكم فيها عدة عوامل منها أن انتاج البلاد كان لا يزال دون المستوى الذى كانت عليه البلاد من قبل ، لان معظم المواد التي أصابهـا تقلب الاسعار مواد كانت تمون محليا ، كالحبوب واللحوم مثلا ، كما أن اجراءات السلطة العسكرية لم تكن فعالة تجاه التجار الاحتكاريين الذين كانوا ينقلون السلع من مدينة لاخرى جريا وراء الربح ٠ ومهما يكن من أمر فقد حاولت الادارة العسكرية القيام بعدة اجراءات بقصد تثبيت الاسعار في البلاد وخاصة أسعار المواد الغذائيـة مثل القمح والسكر والارز ، فبدأت بتنظيم عملية بيع الغلال في الاسواق الرئيسية داخل المدينة وذلك بتحديد ساعات معينة للاهالي لشراء ما يلزمهم من الحبوب خلال ساعات ما قبل الظهر ، وبعد ذلك كان يسمح لتجـار الغلال بشراء ما تبقى من حبوب في هذه الاسـواق (٨) ٠

غير أن هذا الترتيب لم يكن عمليا اذ أقبل بعض الفلاحين على بيع منتوجاتهم الى تجار الغلال مباشرة ، تحقيقا للاسعار المرتفعة التي كان يطرحها هؤلاء التجار ٠ ومن هنا لم يعد يطرح في سوق الغلال الا القليل ، لان الفلاحين الى جانب حصولهم على أسعار مرتفعة ، كانوا يفضلون بيع الجملة على بيع التجزئة ٠ فأخذت الادارة العسكرية تشجع الاهالي بالاعتماد على أنفسهم في توفير الغلال عن طريق تشكيل لجان محلية تقوم بشراء الحبوب من التجار المحتكرين بأسعار معتدلة ، ثم اعادة توزيعها على المحتاجين من أبناء البلاد بنفس الاسعار ، مع زيادة ١٠ بارات على كل رطل لسد النفقـات (٩) ٠

---

(١) نفسه : ٢٣ — ١٢ أيلول ١٩١٨ ٠
(٢) نفسه : ٤٥ — ١٣ شباط ١٩١٩ ٠
(٣) نفسه: ٢٤ — ١٩ أيلول ١٩١٨ ٠
(٤) الكوكب : ١١٨ — ١٢ نوفمبر ١٩١٨ ٠
(٥) جريدة فلسطين : ٣١ — ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ ٠
(٦) نفسه : ١٩ — ١٥ آب ١٩١٨ ٠
(٧) نفسه : ٤٥ — ١٣ شباط ١٩١٩ ٠
(٨) نفسه :٢٣ — ١٢ أيلول ١٩١٨ ٠
(٩) جريدة فلسطين : ١٩ — ٥ آب ١٩١٨ ٠

غير ان هذا الاجراء لم يحقق القصد لانه اوكل للاهالي مهمة مقاومة التجار الاحتكاريين ومحاولة التفاهم معهم ، لذا اتخذت الادارة العسكرية خطوة أكثر ايجابية ، عندما قبلت العشور عينا وليس نقدا ٠ يمكن هذا الاجراء السلطة العسكرية من توفير الحبوب فتبيعها بالاسعار التي تحددها ٠ وبموجب التعليمات التي نشرت في هذا الشان اخذ المزارعون في توريد العشور عينا الى المراكز المخصصة لذلك ٠ ثم شكلت لجنة لبيع الحبوب بالاسعار التي حددتها السلطة العسكرية فبيع رطل القمح بثلاثة قروش وملمين ، وخصص لكل فرد نصف كيلو يوميا ، على ان يعطى كل فرد المخصصات اليومية لمدة شهرين مقدما وبهذا الاجراء اخذت اسعار الغلال بالهبوط في العديد من المدن (١) ٠

نجد ان اجراءات السلطة العسكرية التي تلت ذلك كانت اكثر حزما ، مما يدل على ان الاجراءات السابقة ، وأن كانت عملت على تثبيت الاسعار لفترة قصيرة الا انها لم تعمل على تخفيف معاناة الاهالي بشكل جذري ، لان التعليمات التي اصدرتها الادارة العسكرية في ٨ سبتمبر ١٩١٨ نصت على ضرورة الاستيلاء على السلع التجارية في البلاد تحقيقا لاغراض عسكرية ، ووضعت لذلك اجراءات معينة ، منها استدعاء صاحب الامر للحكم العسكرى لتحرير مذكرة الاستيلاء بموجب قائمة الاسعار التي حددتها الادارة العسكرية بعد ان جمعت المعلومات بالنسبة للاسعار ، واتخاذ المتوسط منها ٠ فسعر طن القمح حدد بـ ١٨٫٧٣ جنيها مصريا والشعير ١٢٫٧٥ جنيها لكل طن ، كما حددت اسعار اللحوم والخضر والفواكة (٢)، ويدون في مذكرة الاستيلاء تفاصيل وافية عن البضائع من حيث مقدارها ووزنها ونوعها ٠

كما اتخذت الادارة العسكرية خطوات اخرى مرتبطة بهذه الناحية فمنعت تصدير المواد الغذائية (٣) وسمحت بدخول الغلال من شرقي الاردن (٤) او استيرادها من مصر ٠ كل هذا بقصد توفير المواد الغذائية لتوزيعها على الاهالي باسعار تحددها (٥) هي ٠ وقد استعانت في توزيع هذه المواد والحاجيات الضرورية بالمجالس البلدية التي قامت بتشكيل لجان للاشراف على عمليات التوزيع ٠ وقد بدأت هذه اللجان اعمالها ببيع الحاجيات الضرورية للاهالي مثل القمح والارز والكاز والسكر (٦) باسعار معتدلة فبيع رطل القمح بستة قروش (٧) ٠

واذا كانت اسعار بعض الحاجيات قد اعتدلت (٨) نتيجة لهذه الاجراءات فان غالبية الحاجيات كانت لاتزال فوق المستوى العادى لاسعارها ، وقد اشارت بعض الصحف الى ارتفاع اثمان الحاجيات ، من ذلك مانشرته جريدة الكوكب في احد اعدادها " اعتدلت اسعار الحاجيات في هذه الايام الا ان اسعار القمح لم تزل مرتفعة " (٩) ٠

---

(١) (1) F.O. 371/3412/196493 — 24 November 1918.
(٢) (2) O.E.T.A. (S): op. cit., pp. 37-57.
(٣) جريدة فلسطين : ٤٤ — ٦ شباط ١٩١٩ ٠
(٤) (4) F.O. 371/ 3412/183843 — 4 November 1918.
(٥) جريدة فلسطين : ٣١ — ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ ٠
(٦) الكوكب : ١٠٤ — ٣٠ يوليه ١٩١٨ ٠
(٧) جريدة فلسطين : ٤٨ — ٦ آذار ١٩١٩ ٠
(٨) (8) F.O. 371/3412/187152 — 12 November 1918.
(٩) الكوكب : ١٤١ — ١٣ مايو ١٩١٩ ٠

وفي عددآخر أشارت الجريدة نفسهاالى نفس المعنى . "وتأسست الصنديقاتوالجمعيات الخيرية وعاش القوم في رغد العيش ولكن ما مضت مدة على هذه الحال الا وتحول الرخاء الى غلاء واليسر الى ضيق وعسر فانحلت الصنديقات واقفلت أبواب الجمعيات وعلت أسعار المأكــول والملبوس وباتت الاهالي تحت سيطرة فوضى التجــار " (١) .

ويمكن الوقوف على ذات المعنى ، من خلال التقرير الرسمي الذى وضعته الادارة عن حالــة الاقتصاد والتجارة في فلسطين خلال الفترة ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ ، وقد جاء فيه جدول لمعدل أســعار المواد الغذائية منذ يوليه ١٩١٩ حتى يوليه ١٩٢٠ مع ايجاز لاسعار هذه المواد خلال الفترة التي سبقت الحرب وهو على النحو الاتـــي :

---

(١) الكوكب : ١٥٥ ــ ٢٦ أغسطس ١٩١٩ .

معدل أسعار المواد الغذائية
خلال الفترة يوليو ١٩١٩ — يوليو ١٩٢٠ مقدرة بالقروش (١)

المواد الغذائية	قبل الحرب	تموز ١٩١٩	آب ١٩١٩	أيلول ١٩١٩	تشرين أول ١٩١٩	تشرين ثاني ١٩١٩	كانون أول ١٩٢٠	كانون ثاني ١٩٢٠	شباط ١٩٢٠	آذار ١٩٢٠	نيسان ١٩٢٠	أيار ١٩٢٠	حزيران ١٩٢٠	تموز ١٩٢٠	ملاحظات
قمح	٧٥	٢٨٧	٢٨٣	٢٧١	٢٩١	٣٥٤	٣٧٨	٣٨٧	٤٢٥	٦٠٠	٥٣٤	٤٤٦	٣٣٤	٣٢٤	
شعير	٥٣	١٣٥	١٣٦	١٣٦	١٣٩	١٨٨	٢١٢	٢١٢	٢٦٤	—	٣١٥	٢٩٢	١٥٦	١٥٤	
ذرة	٤٠	١٢٨	١٤٩	١٦٧	١٨٥	٢٤٥	٢٦٧	٢٤٣	٢٦٥	٣٩٥	٣٨٢	٣٥٨	٢١٨	٢٢٨	
لحم بقر	٤ر٢	١١	١٥	١٥	١٧	١٨	٢١	٢٤	٢٩	٣٦	١٩	١٧	١٦	١٧	
لحم ضأن	٤ر٢	١٤	١٦	١٦	١٦	١٩	٢١	٢٦	٢٦	٢٣	٣٣	٣٣	٢٢	٢٢	
لحم ماعز	٣ر٥	١٣	١٤	١٤	١٤	١٨	١٨	٢١	٢٣	٢٠	١٩	١٩	١٨	١٨	
حليب	١	٢	٣	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٥	٣	٣	٣	٣	
بيض	١٠	٥٤	٥٩	٦٢	٧٥	١٠٣	١٢٦	١٢٠	١١١	١٠٥	٩٢	٦٠	٥٢	٥٨	
سكر	١٠٥	١١٤١	١١١١	٩٧٢	٨٨٨	٩٨٨	١٠٦٤	١١٦٣	١٢٤٩	١٢٨٥	١١٨٥	١٢٤٥	١٣٤٢	١٣٤٠	
أرز	٨٨	٤٥٦	٤٨١	٤٨٥	٤٩٤	٥٥٤	٤٨٤	٥٢٣	٦٥٧	٧١٧	٧٤٦	٧٥٧	٧٤٧	٧١٢	
عدس	١٠٥	٢٨١	٢٦٢	٢٣٥	٢٤١	٢٩٦	٣٥٥	٣٧٣	٣٧١	٤٣٨	٤٠٦	٣٦١	٢٤٦	٢٤٠	
بن	٥٢٥	١٤٧٦	١٤٧١	١٥٤٤	١٨٠١	١٩٧٩	٢٠٠٦	١٨١٧	٢١٢٣	١٨٧٥	١٧٦٢	١٧٤٣	١٦٣٦	١٥٩١	
كاز	٨ر١٦												٥٢	٥٢	
خشب وقود	٧									٧٦	٧٨	٤٥	٤٥	٤٥	
زبدة	٧٠٠	٢٥٩٧	٢٦٦٨	٢٩٨٦	٣١٦٨	٣٣٢٩	٣٢٧٨	٣٤٠٠	٣٥٧٥	٣٣٤٨	٣٦٨٥	٣٦٥٢	٣٩٣٢	٣٩٢٥	
فحم	١٥									١٩٧	٢٠٠	١٣١	١٤٦	١٧١	
جبن	٢٨٠	١١٦٨	١٣٧٢	١٦٠٦	١٧١٦	١٩٨٦	٢١٠٨	١٨٤٢	١٥٦٦	١٢٩٩	١١٦٤	١١٥٦	١٣٣٩	١٤٣٠	
زيت زيتون	٤٢٠	١٢٩١	١٤٤٦	١٥٣١	١٥٤٩	١٦٨٣	١٨٢٠	١٩٠٧	٢٠٠٢	١٩٧٧	١٩١٠	١٨٧٩	١٧٣٨	١٥٠٧	
بطاطا	٧٠	٣٦٧	٤٠٦	٤٣٥	٤٥٥	٤٨٤	٥٢٣	٤٧٥	٤٧٣				٣٣٥	٣٦٨	

ملاحظة :

السعر الوادر في الجدول بالنسبة لجميع البضائع يكون ثمن كل ١٠٠ كيلو من الصنف ، ما عدا اللحوم فتحسب على أساس كل كيلو والحليب على أساس اللتر ، والبيض على أساس سعر كل ١٠٠ بيضة •

(1) Harari : Op. Cit., p. 26 .

يستدل من هذا الجدول مدى ارتفاع اثمان المواد الغذائية بالنسبة لاسعار ما قبل الحرب . فمثلا كان سعر كل ١٠٠ كيلو من القمح ٧٥ قرشا فاصبح بعد الحرب وحتى يوليه ١٩١٩ بمبلغ ٢٨٧ قرشا ، ومعنى هذا ان الزيادة في سعر القمح وصلت الى حوالي ٣٨٢ بالمئة وهذه زيادة بسيطة اذا ما قارنا ذلك بالارتفاع الذى اصاب سعر السكر ، فقد كان سعر كل ١٠٠ كيلو منه حوالي ١٠٥ قرش قبل الحرب فاصبح سعره في يوليه ١٩١٩ حوالي ١١٤١ قرشا لكل ١٠٠ كيلو ، بمعنى ان الزيادة وصلت الى ١٠٠٠ بالمئة والسبب واضح ، لان السلعة كانت تستورد من الخارج ، وتأثرت بظروف الحرب . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى يهمنا ان نوضح مدى تصاعد الاسعار منذ يوليه ١٩١٩ حتى مارس ١٩٢٠ فقد اخذت الاسعار بعد هذا التاريخ تنخفض ، ولكنها لم تصل في اسعارها الى السعر الذى كانت عليه أوائل يوله ١٩١٩ . ويمكن ان نستخلص ذلك من البيانات التي وردت في الجدول ، فسعر القمح مثلا كان اول يوليه ١٩١٩ مقدرا على اساس ٢٨٧ قرش لكل كيلو فارتفع خلال الشهور التي تلت ذلك حتى وصل في يوليه ١٩٢٠ الى حوالي ٣٫٢٤ قرش ، ومعنى هذا ان الارتفاع في الاسعار كان لا يزال قائما اذ لم يصل الى اسعار ما قبل الحرب وهي ٧٥ بالمئة من القرش لكل كيلو .

ينطبق هذا الارتفاع على معظم المواد الغذائية . فسعر كيلو العدس كان اول يوليو ١٩١٩ حوالي ٢٫٨١ قرش اصبح في مارس ١٩٢٠ حوالي ٤٫٣٨ قرش ، ثم انخفض في الشهور التي تلت ذلك حتى وصل الى ٢٫٤٠ قرش . وكذلك ينطبق هذا الارتفاع على اسعار اللحوم ، فقد كان سعر كيلو اللحم في أول يوليو ١٩١٩ ، ١٣ قرشا اصبح بعد ذلك حوالي ٢٣ قرشا ، ثم انخفض السعر حتى وصل إلى ١٨ قرشا ولكن ليس بمستوى الاسعار كما كانت عليه الحال في اول يوليو ١٩١٩ .

فاذا كان هذا الارتفاع قد انطبق على اسعار المواد الغذائية التي تمون محليا مثل القمح والشعير والذرة ، فان هذا الارتفاع لم ينطبق على المواد الغذائية المستوردة من الخارج ، فقد استمر تصاعد الاسعار منذ بداية يوليو ١٩١٩ حتى يوليو ١٩٢٠ . فسعر كيلو الارز كان في اول يوليو ١٩١٩ حوالي ٤٫٥٦ قرش واستمر في الارتفاع حتى وصل الى ٧٫١٢ قرشا لكل كيلو .

فالقاسم المشترك بين المواد الغذائية التي تمون من المصادر المحلية ، والمواد التي تستورد من الخارج ان اسعارها كانت في ارتفاع حتى اواخر عهد الادارة العسكرية في فلسطين . لكن اذا كانت اسعار المواد الغذائية قد بدأت في اواخر عهد الادارة العسكرية تعتدل نوعا مـا الا ان اعتدال هذه الاسعار لم يصل بها الى المستوى الذى كانت عليه اسعار هذه المواد من قبل ، سواء بمقارنة ذلك بالاسعار التي كانت قبل الحرب او حتى نهاية الحرب او اثنائها .

ولا شك في ان السبب في استمرار سوء الاحوال الاقتصادية وعدم اعتدال الاسعار يرجع الى اضطراب وتقلب اسعار العملات التي كانت متداولة في البلاد مع ان الادارة العسكرية اصدرت لائحة باسعار العملات المتداولة في فلسطين (١) لضبط اسعار العملات في البلاد .

سبب آخر أدى الى عدم ثبوت الاسعار وبالتالي الى سوء الاحوال الاقتصادية في البلاد ، هو ان اسعار السلع المستوردة كانت لا تزال مرتفعة بحكم عدم توفرها بالقدر المطلوب . وقد اثر هذا الارتفاع على اسعار السلع المحلية ، لان هذه الجوانب مرتبطة بعضها مع بعض . كما ان التجار الذين كانوا يتعاملون بمثل هذه السلع كانوا يتعرضون لهزات اقتصادية من حين لاخر ، حتى اصبح التعامل بالسلع المستوردة من الخارج

(1) The Palestine News: No 1 March 1918.

" مقامرة محفوفة بالاخطار " لان اسعار هذه السلع كانت تتحدد بالكميات المعروضة في الاسواق ، فاذا كثر الوارد منها هبطت اسعار هذه السلع ، وان قل ارتفعت الاسعار اذ لم يتوفر ميزان معين لتحديد احتياجات البـلاد مـن هـذه المـواد (١) .

هكذا كانت نتائج الاجراءات التي اتخذتها الادارة العسكرية لتحديد الاسعار ، الامر الذى عكس مستوى المعيشة في البلاد فاتضح ان هذه الاجراءات لم تكف لاعادة توازن الوضع التجارى ، سواء بشان حركة التجارة الخارجية او حركة التجارة المحلية . هذا مع التسليم بأن العالم كله شهد بعد الحرب موجة من غلاء الاسعار وهي موجة لا تستطيع بلاد صغيرة ، كانت مسرحا للحروب ، ان تنجو منها .

كما كان على الادارة العسكرية اعادة افتتاح البنوك للمساهمة في تنشيط الحركة التجارية . وقد بادر البنك العثماني الى ذلك منذ ٣١ ديسمبر ١٩١٧ ، أى بعد عدة اسابيع من احتلال القدس فطالب مدير البنك العثماني في الاسكندرية باعادة الاتصال مع فروع هذا البنك في كل من القدس ويافا (٢) وجرت مراسلات بهذا الشأن مع وزارة الخارجية البريطانية (٣) ووزارة المالية (٤) سمح على اثرها للبنك العثماني باعادة اتصالاته مع فروعه في فلسطين (٥) .

وان كانت الادارة العسكرية لم تسمح في بداية الامر بافتتاح بنوك جديدة في فلسطين ، بل اكتفت باعادة افتتاح البنوك التي كانت تعمل من قبل ، (٦) الا انها تراجعت وسمحت لبعض الدول الاجنبية بتأسيس فروع لبنوكها في فلسطين . فقد سبق ان رفضت الادارة العسكرية طلب بنك دى روما Banco di لتأسيس فروع للبنك في القدس على اعتبار ان البلاد ليست بحاجة الى بنوك جديدة ، وان الادارة العسكرية لم تسمح الا بافتتاح بنك واحد جديد هو البنك الانجلو اجيشيان وهو بنك الادارة العسكرية الذى يقوم بتقديم الخدمات المالية للجيش ومن هنا رفضت في بداية الامر طلب بنك دى روما (٧) .

الا ان الادارة العسكرية البريطانية ، بعد ان تم احتلال الاقسام الشمالية من فلسطين ، سمحت لبنك دى روما (٨) وغيره بافتتاح فروع للبنوك في فلسطين . وقد افتتح بنك دى روما فرعا له في القدس (٩) وبهذا وجد في فلسطين بالاضافة الى بنك دى روما البنوك التي كانت تعمل في فلسطين قبل الحرب وهي البنك الالماني الفلسطيني والبنك العثماني وبنك الكريدى ليونه والبنك الانجلو اجيشيان والبنك انجلو فلسطين (١٠) . وهي حسبما اعلنتة الادارة العسكرية كانت تفي بالغرض في فلسطين (١١) .

---

(١) جريدة فلسطين : ٤٥ – ١٣ شباط ١٩١٩ .

(٢) F.O. 371/3380/68 - 31 Desember 1917.

(٣) F.O. 371/3380/2660 - 4 January 1918.

(٤) F.O. 371/3380/8810 - 14 January 1918.

(٥) F.O. 371/3380/6278 - 10 January 1918.

(٦) انظر الفصل الرابع وقد بحثنا فيه المجتمع العربي الفلسطيني خلال الحرب أوضاعـــه الاجتماعيـــة والاقتصاديـــة .

(٧) F.O. 371/3380/138585 - 10 August 1918.

(٨) الكوكب : ١٣١ – ١١ فبراير ١٩١٩ .

ومع هذا ، نرى ان البعثة الصهيونية ترفع مذكرة الى القيادة البريطانية العامة في مصر بشأن مستقبل المؤسسات المالية فى فلسطين وتطرح مشروعا لتأسيس بنك في فلسطين على ان يكون البنك انجلو فلسطين : Anglo Palestine Bank نواة للبنك المقترح تأسيسة ، وهو حسب اقتراح البعثة الصهيونية بنك وطني يقوم بتقديم القروض والاعتمادات المالية ويكون مركزه الرئيسي في لندن وله فروع في القدس ويافا ، وان يتم تأسيس هذا البنك باضافة عدد من الموظفين البريطانيين الى جانب الموظفين في البنك انجلو فلسطين (١) ٠

وواضح ان هدف البعثة الصهيونية من هذا الاقتراح كان ايجاد مؤسسة مالية قوية تتمكن من خلالها من شل اعمال البنوك الاخرى ، حتى تتمكن تحريك اقتصاديات البلاد في الاتجاه الذى يحقق الاغراض الصهيونية في استيطان فلسطين تنفيذا لتصريح بلفور ٠

ومن الجدير بالذكر ان البنك " انجلو فلسطين " تأسس في عام ١٩٠٣ من قبل " صندوق الائتمان اليهودى للاستعمار ليمتد" : Jewish colonial Trust LTD. ٠ كشركة فرعية لهذا الصندوق الذى اختص باعمال المصرفية والائتمان على الاوراق المالية للمؤسسات الصهيونية ٠

ومع ان هذا الاقتراح ــ على ما يبدو ــ لم ينفذ (٢) ، الا ان نشاط البنك " انجلو فلسطين " قد اتسع في ظل الانتداب البريطاني في فلسطين فشرع هذا البنك في تمويل العديد من عمليات الانماء الاقتصادى تحقيقا للاستيطان الصهيوني في فلسطين ، وعرف هذا البنك في عام ١٩٥١ باسم بنك لئومي لاسرائيل (بنك اسرائيل القومي) ٠ ولايزال هذا البنك حتى الان من البنوك الاسرائيلية العاملة في البلاد (٣) ، وقد افتتح هذا البنك فروعا له في الضفة الغربية بعد احتلال اسرائيل لهذا الجزء على أثر حرب ١٩٦٧ ٠

المـواصـلات :

بالرغم من اهمية المواصلات في تنشيط الحركة التجارية المحلية والخارجية ، فان الادارة العسكرية لم تعمل الا بالقدر الذى مكنها من صيانة شبكة المواصلات الموجودة في البلاد انتظارا لايضاح مستقبل البلاد السياسي

وفي حديثنا عن المواصلات نتعرض للطرق البرية والسكك الحديدية والخدمات البريدية ٠

الطرق البرية : قبل تأسيس قسم الاشغال العامة عملت الادارة العسكرية على تنظيم القادرين من ابناء البلاد في مجموعات تضم كل منها ٢٥ رجلا لاستخدامهم في صيانة الطرق البرية مقابل اجر يومي لا يزيد عن ٣ قروش (٤) للفرد ، وقد صوفت الادارة العسكرية حسب الموازنة التي اعدت خلال مارس ــ يونيه ١٩١٨ ، حوالي ٥٣٣ جنيها لهذا الغرض أى بنسبة ٨ر٠ بالمئة من هذه الموازنة (٥) وزادت هذه المخصصات بعد تأسيس دائرة الاشغال العامة في فلسطين فخصص في موازنة عام ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ حوالي ٧٥٠ر٨٥ جنيها بنسبة ٦ر١١ بالمئة من الموازنة العامة ٠ وصرف الجانب الاكبر من هذه المخصصات على صيانة الطرق في فلسطين ، والقسم الاخر في صيانة المباني التي كانت تشغلها قوات الاحتلال في العديد من المدن الفلسطينية ٠ وقد اصابت الحروب الطرق البرية الرئيسية باضرار بالغة فاستلزم اصلاحها نفقات كبيرة ففي موازنة ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ صرف حوالي ٦٣٤ر٦١ جنيها على صيانة الطرق الرئيسية اى بنسبة ٦ر٧١ بالمئة من مجموع مخصصات الاشغال العامة وقد توزعت هذه

(١) (1) F.O. 371/3380/123901 - 29 June 1918.

(٢) (2) Encyclopedia of Zionism and Israel Vol I p. 108 - 109.

(٣) يوسف صايغ : مرجع سبق ذكره ص ٣١ ــ ٣٥ ٠

(٤) (4) O.E.T.A.(S): OP.Cit., p. 96.

(٥) (5) F.O. 371/4143/35569 - 12 February 1919.

المصروفات لتشمل غالبية المناطق في فلسطين وأهمهـا :

طريق القدس ـ اللطرون ، طريق اللد ـ يافا : طريق غزه ـ طريق بئر السبع ـ الظاهريـة • طريق الظاهرية ـ القدس ، طريق مجدل ـ رامين : طريق رامين ـ زواتا طريق مجدل ـ طولكـرم (١) •

السكك الحديدية : بالرغم من أن السلطة العسكرية البريطانية قد سمحت للمدنيين في المناطق المحتلة من فلسطين والمدنيين من أبناء مصر باستخدام السكك الحديدية منذ أواخر مارس ١٩١٨ (٢) ، الا أن ادارة هذه السكك بقيت تحت اشراف السلطة العسكرية لاستخدامها لاغراض عسكرية في الدرجة الاولى لان الحرب لم تنته بعد •

وقد أوضحت التعليمات التي أصدرتها الادارة العسكرية في ٢٩ مارس ١٩١٨ الاجراءات التي يجب أن تتبع في السفر وهي على النحو الاتـي :

- تنظيم حركة السفر بين القنطرة واللد فيغادر القطار محطة القنطرة الى اللد يومين في الاسبوع والقطـار يغادر من محطة القدس الى اللد يوما في الاسـبوع •
- على كل مسافر أن يوضح أسباب سفره الى مصر وبيان المدة التي سيمكثها هنـاك •
- يسمح بالسفر لاربعين مسافرا أسبوعيا على أن يسافر ٢٥ مسافر من القدس و ٥ مسافرين لكل من المجدل وبئر السبع ويافا خلال الايام المخصصة لذلـك •

أما بالنسبة للقادمين من مصر الى فلسطين فعليهم أيضا الحصول على اذن بالسفر من السلطة العسكرية وعلى المسافرين جميعا من فلسطين الى مصر أو بالعكس أن يتزودوا بالطعام لمدة يومين على الاقل وعليهم التقيـد بالعودة في الوقت المحدد • وحذرت التعليمات المسافرين بعدم نقل الذهب أو العملة التركية معهم (٣) •

ومن الجدير بالذكر أن السفر بواسطة السكك الحديدية العسكرية بقي مجانيا الى أن صدرت تعليمات ، في ١٣ أكتوبر ١٩١٨ ، بفرض رسوم على السفر ، على أن يعمل بذلك بعد أسبوع من نشر التعليمات • وحددت كذلك أسعار تذاكر السفر بين المحطات (٤) ابتداء من القنطرة ونهاية في القدس • ومن ناحية أخرى سمحت هذه التعليمات لجميع العاملين في الجمعيات الخيرية التي تعمل بالتعاون مع الادارة العسكرية في فلسطين بالسفر مجانيا على خطوط السكك الحديديـة •

بهذه التعليمات عملت الادارة العسكرية على ضبط سفر المدنيين لا سيما التجار منهم ، ضمن قيود واضحة سواء في عدد المسافرين أو في الوزن وغير ذلك من الامور التي تضمن للسلطة العسكرية المراقبة التامة في ظل الظروف العسكريـة (٥) •

شغلت الادارة العسكرية بعد انتهاء العمليات العسكرية البريطانية في الاقسام الشمالية من فلسطين ثم سورية بالاشراف على خط سكة حديد يافا ـ القدس وقد تعددت الاراء حول هذا الموضوع اذ أن الخط يعود في ملكيته

---

(1) F.O. 371/4143/138121 — 1919.
(2) O.E.T.A. (S): Op. Cit., pp. 67-68.
(3) O.E.T.A. (S): Op. Cit., pp. 68-71

(٤) حـدد سعر التذكـرة بـين القنطرة والقدس ٢٦٠ قرشـا بالدرجة الاولى و ١٣٠ قرشـا بالدرجة الثانيـة و ٤٩ قرشـا بالدرجـة الثالثـة •

(5) O.E.T.A. (S): Op. Cit., pp. 71-76.

الى شركة فرنسية (١) أخذت تطالب باستعادة هذا الخط واجراء الاصلاحات اللازمة له بقصد اعادة تشغيلـــه • أما الادارة العسكرية والمسؤلون البريطانيون في لندن ، وان كانت آراؤهم قد اختلفت في بعض الزوايا الجانبية من القضية ، اتفقوا حول بقاء الادارة العسكرية المشرفة على هذا الخط وعدم اجراء الاصلاحات سوى الضرورى منها الى حين تتم تسوية مســـتقبل فلســـطين السياســـي •

الا أن القضية برزت ثانية ، عندما طلب قسم التجارة الخارجية في القيادة البريطانية بالقاهرة ، في رسالة الى القسم الشرقي بوزارة الخارجية البريطانية ، ببقاء الاشراف البريطاني على خط سكة الحديد من القنطرة الى فلسطين ، خدمة للاعمال التجارية المتوقع رواجها بين مصر وفلسطين ، بعد أن قام العديد من التجار المصريين بزيارات استطلاعية وعقد علاقات تجارية بين العديد من البيوتات التجارية والمالية في مصر وفلسطين • وبعد أن تم تأسيس العديد من المراكز الجمركية في كل من يافا وخان يونس والقدس وبئر السبع (٢) • غير أن هذه الرغبة اصطدمت بموقف الشركة الفرنسية صاحبة هذا الخط ، وأخذت تطالب الحكومة البريطانية بضرورة ايفاد لجنة بقصد الوقوف على الاضرار التي أصابت خط يافا ـــ القدس نتيجة للاعمال الحربيـــــة (٣) •

بل طالبت الشركة الفرنسية فوق ذلك بالتعويض على المساهمين في هذه الشركة نتيجة تعطل هذا الخط عن خدماته ، واقترحت أن يكون التعويض على أساس معدل الايرادات لعدة سنوات سبقت الحرب (٤) •

وقد جاء الرد الرسمي البريطاني على مطالب الشركة الفرنسية في رسالة ، بعثت بها الخارجية البريطانية في ١ سبتمبر ١٩١٩ ، بعد أن تلقت تعليمات من الوفد المفاوض في مؤتمر الصلح في باريس (٥) ، وبعد أن تلقت الخارجية تقارير وافية عن الموضوع من القيادة العامة في مصر ومن الادارة العسكرية في فلسطين (٦) ، ومما جـاء في الرد البريطاني أن قضية التعويضات والمرتبات التي تطالب بها الشركة الفرنسية بخصوص الفترة التي سبقت الاحتلال البريطاني يجب أن تكون قضية ضد الحكومة التركية ، وليس ضد الحكومة البريطانية ولهذا فان وزارة الخارجية البريطانية اقترحت حلا في رسالتها الى الشركة الفرنسية مضمونه أن يتم تسوية ذلك عن طريق لجنة مالية تشكل لهذا الغرض بقصد الوقوف على مقدار التعويضات اللازمة لبحثها مع الحكومة التركية بعد توقيع معاهدة الصلح معها (٧) للخروج بحل للمطالب التي تقدمت بها الشركة الفرنســـية •

أما بالنسبة للاضرار التي أصابت هذا الخط فقد أوضحت الخارجية البريطانية في معرض ردها علـــى ادعاءات الشركة الفرنسية بأن الادارة العسكرية قد أنجزت عدة اصلاحات على خط سكة حديد يافا ـــ القدس ، بعد أن كان الاتراك قد أجروا بعض التعديلات على الخط الممتد من يافـا الى اللـــد حيث اقتلع ووصل بالعفولـة مارا

---

(١) تم تشييد هذا الخط في علم ١٨٩٠ لربط يافا بالقدس بالسكة الحديد ، بعد أن حصل يوسف نافون وهو يهودى عثماني على حق امتياز لمد هذا الخط لمدة ٧١ عاما • باع نافون حق الامتياز الى شركة فرنسية تأسست بعد حصولها على الامتياز باسم شركة الخطوط الحديديـة العثمانية ليافا ـــ القدس • انظر عبد العزيز عوض : متصرفية القدس : رسالة دكتوراه •

(2) F.O 371 / 4207/15984 - 27 January 1919 . (٢)

(3) F.O 371/3401/154198/w/44 - 14 March 1918 . (٣)

(4) F.O 371/ 4207/ 172727- 1 July 1919 . (٤)

(5) F.O 371 /4207/105186 - 19 July 1919 . (٥)

(6) F.O 371 /4207/70513 - 13 May 1919 . (٦)

(7) F.O 371/6 4207/6 117553 - 1 September 1919 . (٧)

بجنين لاغراض عسكرية وخلال الحرب وبعد أن احتلت القوات البريطانية هذه المناطق قامت بمد خط عرض ٦٠ سم ما بين يافا واللد على امتداد الخط القديم وبعد أن عمل الاتراك على تبديل مقاس الخط الممتد من يافا الى القدس من ١٠٠ سم الى ١٠٥ سم وذلك لربط القدس بالخط الشمالي حيفا ــ دمشق بدون تبديل في الخطوط العسكرية التي شيدت بين طولكرم واللد وبئر السبع ، وبعد أن عملوا على تدمير هذا الخط وما عليه من قاطرات اثناء انسحابهم أخذت السلطة العسكرية البريطانية في اعادة تشييد الخط الممتد بين يافا والقدس (١) .

بلغت تكاليف اعادة تشييد هذه الخطوط حوالي ٣٢٣٫٨٥٤ جنيها ، صرف الجانب الاكبر منها على اعادة تشييد الخط ما بين يافا ــ القدس حيث بلغت تكاليف اعادة هذا الخط ٣٠٩٫٩٧٩ جنيها ، والباقي وهو ١٣٫٨٧٥ جنيها صرف على اعادة تشييد الخط ما بين يافا ــ اللد (٢) .

فاذا كانت هذه الاصلاحات التي أصابت خط يافا ــ القدس قد جرت تحقيقا لاغراض عسكرية فان الاصلاحات الاخرى الضرورية لهذا الخط لم تنفذ ، فقد جاء في مذكرة الغرفة التجارية في يافا التي رفعت الى السلطة العسكرية في فلسطين ضرورة اصلاح الخط الممتد بين يافا ــ اللد تحقيقا لاغراض تجارية ، لان بقاء هذا الخط بدون اصلاحات يضر بالتجارة في يافا ، نظرا لان هذا الخط بوضعه الحالي هو خط ضيق ذو مقاس ٦٠ سم لذلك لا يساعد على الاتصال السريع مع مصر أو القدس لذا من الضروري العمل على توسيع هذا الخط وهو يمتد ١٨ كيلو مترا فقط (٣) . وقد طالبت المذكرة السلطة العسكرية بضرورة رفع هذه المذكرة الى الخارجية البريطانية التي رفضت هذا الطلب معللة ذلك بأن هذا الخط لا يزال من ممتلكات الشركة الفرنسية (٤) .

لكن حقيقة الامر غير ذلك . فالسبب الاساسي سياسي أكثر من أى اعتبار آخر . فالهدف هو ابعاد الوجود الفرنسي عن هذه المنطقة وهو المتمثل في الشركة الفرنسية صاحبة خط سكة حديد يافا ــ القدس ، وهذا واضح في المذكرة التي وصلت من الوفد البريطاني المفاوض في مؤتمر الصلح بباريس الى الخارجية البريطانية بتاريخ ١٩ يوليه ١٩١٩ في وقت بدأ فيه مصير فلسطين السياسي يتضح بتوقع فرض الانتداب البريطاني على فلسطين فقد جاء في هذه المذكرة أن حكومة جلالته ترغب في نزع هذا الخط من الشركة الفرنسية مقابل تعويضات تدفع لها (٥) .

أما المنظمة الصهيونية فقد رأت في ذلك النزاع فرصتها ، فطلبت شراء سكة حديد يافا ــ القدس مدعية أن الشركة الفرنسية هي التي عرضت عليها ذلك . وقبل أن تقدم المنظمة الصهيونية على هذه الخطوة أخذت تستوضح الامر من الحكومة البريطانية بشأن مطالب الشركة والتعويضات التي تطالب بها هذه الشركة (٦) .

وان كانت الحكومة البريطانية قد أجابت على طلب المنظمة الصهيونية بأن ذلك ، أى عملية شراء خط سكة حديد يافا ــ القدس ، سيخلق لها مصاعب مع الحكومة الفرنسية الا أنها من ناحية أخرى أجابت على المطالب الصهيونية فاستوضحت الامر من المسؤولين البريطانيين في مصر وفلسطين لان ذلك يخدم هدفها الاساسي وهو ابعاد فرنسا نهائيا عن هذه المنطقة وان كانت الحكومة البريطانية تريد تحقيق ذلك في الوقت المناسب لها

(١) F.o 371 / 4207 / 117553 - 1 September 1919 .
(٢) F.O . 371 / 4207 / 172727 - 19 December 1919 .
(٣) F . O . 371/ 4207/150219 - 15 August 1919 .
(٤) F . O . 371/ 4207 / 83194 - 2 June 1919 .
(٥) F. O. 371 / 4207 / 105186 - 19 July 1919 .
(٦) F. O. 371/ 4207 / 131157 - 18 Septemer 1919 .

وبالطريقة التي تناسبها أيضا ، لكي تضمن أن يكون هذا الخط تحت ادارتهـــا (١) .

ويبدو أن المنظمة الصهيونية ما لبثت أن عدلت عن طلب الشراء ، بسبب التعويضات الباهظة التـــي طالبت بها الشركة الفرنسية ، بالاضافة الى ثمن الخط الباهظ . وبقي هذا الخط (يافا ــ القـــدس) وغيره من الخطوط العسكرية التي شيدتها السلطة العسكرية البريطانية تحت الاشراف البريطاني الى أن اشترت حكومة فلسطين وهي الحكومة المدنية لفلسطين تحت الانتداب البريطاني (صدر دستور حكومة فلسطين ١٠ أغسطس ١٩٢٢) جميع الخطوط العسكرية والفرنسية وأصبحت ملكا لها (٢) . ولهذه الغاية " تشكلت " لجنة التصفيات التي أوفدت مثمنا لتقدير ثمن خطوط السكك الحديدية في فلسطين . وانتهى الامر بجعل الثمن دينا مطلوبا من حكومة فلسطين الى الحكومة البريطانية ويدفع أقساطا بحسب ما تسمح به حالة البـلاد الماليـــة (٣) .

الخدمـــات الـــبريديـــــة :

استخدمت الادارة العسكرية مكاتب البريد العثماني ، ولم تعمل في أول الامر على استحداث مكاتب اخرى ، فقد اصدرت تعليماتها منذ بداية احتلالها للقسم الجنوبي من فلسطين بأن يتولى الحاكم العسكرى مهمة الاشراف على عطية افتتاح المكاتب البريدية سواء في هذه المناطق التي احتلت اوالمناطق التي ستحتل ، وعلى الحاكم العسكرى القيام بمهمة جرد شامل لمكتب البريد الموجود في المدينة لمعرفة المتطلبات اللازمة لاعادة افتتاح المكتب (٤) .

وعطت الادارة العسكرية منذ بداية احتلال الاقسام الجنوبية من فلسطين على تأمين نقل رسائل الاهالي داخلية او خارجية بالمجان ، وبقي الامر كذلك الى ان اصدرت تعلميات جديدة في ١٠ فبراير ١٩١٨ فرضت بموجبها رسوما على نقل الرسائل الى الدول الاجنبية . اما نقل الرسائل داخل فلسطين او مصر فبقيت بالمجان الى ان اصدرت الادارة العسكرية تعليمات اخرى فرضت رسوما على نقلها (٥) .

ولتنفيذ التعلميات السابقة اصدرت الادارة العسكرية مجموعة من الطوابع البريدية منذ ١٠ فبراير ١٩١٨ ثم اتبعت ذلك بمجموعات اخرى منذ ١٦ يونيه حتى ٢٧ ديسمبر ١٩١٨ وقد تنوعت هذه المجموعات فشلت خمس فئات تبدأ بقيمة مليم واحد حتى ٥ مليمات ومجموعة اخرى ضمت ست فئات تبدأ من قرشـ ٢٠ قرشا ، كما تعددت الوان هذه الطوابع ما بين بني احمر وازرق (٦) .

وفي ١٥ يونيه ١٩١٨ اصدر الجنرال موني تعلميات بشأن تنظيم عملية بيع الطوابع البريدية ومع أن هذه

---

(١) F. O . 371 / 4207 / 157875 - 2 Septemper 1919 .

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ، الجزء الخامس ص ٢٠٨ .

(٣) جريدة لسان العرب : ٢٦٤ ــ ٢١ حزيران ١٩٢٢ .

(٤) O . T . A . (S) : O p Cit ., p. 39 - 95 .

(٥) حددت رسوم نقل الرسائل الى الدول الاجنبية بقرش على كل رسالة وزنها ٢٠ غراما . أمـــا الرسائل المحلية فقد حددت لكل نوع منها رسما خاصا فالرسائل العادية داخل فلسطين يدفع عليها خمسة مليمات اذا كان وزنها ٢٠غراما . أما اذا زاد عن ذلك فيدفع ثلاثة مليمات عن كل غرام فوق المقـــرر .

(٦) A Brief Record of the Advance of the Egytian Expeditionary Force - July 1917 October 1918 . p . 93 .

التعليمات استندت في معظمها على قانون الطوابع العثماني لعام ١٩٠٦ الا ان القصد من ذلك كان تقدير ثمن الطوابع على أساس القرش المصرى بعد ان تم ادخال العملة المصرية ومنع التداول بالعملة الورقية التركية . وبموجب هذه التعليمات تحدد السعر الرسمي لكل ١٠٠ قرش تركي ٧٨٫٧٥ قرش مصرى عند استبدال او عند تحديد قيمة الطوابع على الاوراق الرسمية حسب قانون الطوابع العثماني (١) .

وتوسعت الخدمات البريدية فلم تعد تقتصر على نقل الرسائل ، بل امتدت لتشمل خدمات جديدة مثل الحوالات المالية ونقل الطرود اوالرزم بقصد الاغراض التجارية الصادرة من فلسطين او الواردة اليها بواسطة مكاتب البريد . وقد حققت هذه الخدمات موردا كبيرا من ايرادات مكاتب البريد لان التجار اقبلو على ارسال بضائعهم على شكل طرود بريدية لانها أكثر ضمانا من نقل البضائع بالسكك الحديدية التي كانت مسؤوليه النقل فيها تقع على التاجر وليس على عاتق ادارة السكك الحديدية (٢) . واصدرت الادارة العسكرية تعليمات لتنظيم عملية نقل الطرود البريدية منذ ٦ يوليو ١٩١٨ فجاء في هذه التعليمات ضرورة تقديم معلومات وافية عن التاجر المصدر ومعلومات اخرى عن البضاعة واسم التاجر المرسلة له . وجاء في تعليمات اخرى بعدم لف الطرود البريدية باوراق مطبوع عليها اية مطبوعات حتى لا يستفيد الاعداء (الاتراك) من ذلك (٣) .

وبعد اتمام العمليات العسكرية في شمال فلسطين توسعت الخدمات البريدية فبلغ عدد مكاتب البريد حوالي ١٥ مكتبا (٤) . وحققت هذه المكاتب ايرادا في موازنة عام ١٩١٩ وصل الى ٣٠٫٣٠ جنيها مصريا ؛ أي بنسبة ٤ بالمئة من الموازنة العامة وكان نصف هذه الايرادات من بيع الطوابع البريدية والباقي من رسوم الطرود البريدية وخدمات الحوالات البريدية (٥) .

اما خدمات التلغراف والتليفون فقد تأخرت قليلا عن الخدمات البريدية فقد اعلنت الادارة العسكرية عن استعدادها لارسال البرقيات الى الخارج منذ ١٥ ديسمبر ١٩١٨ (٦) . ولهذا الغرض صدرت تعليمات بشأن تنظيم ارسال البرقيات عن طريق تقديم تأمين يغطي تكاليف ارسال البرقية لدى الحاكم العسكرى ، على ان يرد الحاكم العسكرى ما تبقى من ذلك بعد خصم التكاليف (٧) . وحققت خدمات التلغراف والتليفون موردا بسيطا في موازنة عام ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ فبلغت حوالي ١٩٫٩٥٠ جنيها بنسبة ٢٫٧ من الموازنة العامة (٨) .

ومن الجدير بالذكر ان البرقيات المرسلة كانت تحرر باللغة الانجليزية اوالفرنسية او الايطالية ولم تستخدم اللغة العربية في ذلك الا في الوقت المتاخر (٩) .

اما خدمات التليفون فقد شملت عدة مدن وتم تركيب حوالي ٣٠٠ خط تليفوني في عدد من المــدن الفلسطينية (١٠) .

---

(١) (1) O . E . T . A . (S) : Cit ., p. 118 .

(٢) (2) O. E . T . A . (S) Op . Cit ., p . 36 - 38 .

(٣) (3) O . E . T . A . (S) : Op . Cit ., p . 124 .

(٤) (4) A Brief Record of the Advance of the Egyptizn Expeditionary Force ; Op. Cit p. 93 .

(٥) (5) F. O . 371 / 4143 / 138121 - 1919 .

(٦) الكوكب : ١٢٦ ــ ٧ يناير ١٩١٩ .

(٧) (7) O. E . T . A . (S) : O . 5.

(٨) (8) F.O . 371/ 4143/138121 - 1919 .

(٩) الكوكب : ١٤١ ــ ١٣ مايو ١٩١٩ .

(١٠) (10) F. O. 371 / 4143 / 138121 - 1919 .

الفصل العاشر

الخدمات الاجتماعية

الخدمات الصحية :

التعليمات بشأن تنظيم الشؤون الصحية مع بداية الاحتلال ... تنظيم الخدمات الصحية بعد اكتمال الاحتلال البريطاني لفلسطين وتأسيس مكاتب للصحة ..الانجازات التيقامت بها الادارة العسكرية في المجال الصحي ... مكافحة الملاريا ... تأسيس المستشفيات... تقديم الخدمات الصحية العامة .

خدمات الاغاثة :

عودة المهاجرين والمبعدين ... مراكز توزيع الاعانات في المدن الرئيسية ... المساعدات النقدية والعينية ... دور الجمعيات الخيرية مثل جمعية اعانة سوريا وفلسطين ... جمعية الصليب الاحمر .

التعليم والصحافة :

حالة التعليم مع بداية الاحتلال ... محاولة اصلاح التعليم في البلاد ... تقرير مدير المدارس الابتدائية بشأن اصلاح التعليم ... افتتاح المدارس الحكومية والسماح بافتتاح المدارس الاهلية ... تعيين مدير للمعارف وأهم أعماله تأسيس كلية للمعلمين وأخرى للمعلمات ... موازنة التعليم وما يفهم منها ... مدى مساهمة الجمعيات المحلية في التعليم ... أهم الملاحظات على التعليم في فلسطين خلال الحكم العسكرى ..... عودة بعض الصحف الفلسطينية الى الظهور ... أهم المواضيع التي طرقتها .

المجالس البلدية :

ابقاء عدد المجالس البلدية واعادة تشكيلها دون اجراء الانتخابات ... تشكيل المجالس القروية ... تعاون الادارة العسكرية والمجالس البلدية في تقديم الخدمات للمواطنين ... ايرادات ومصروفات البلديات ... قرارات المجلس البلدى في نابلس.

الخدمات الصحية :

كان لا بد للادارة العسكرية من بذل العناية الكبيرة بالصحة العامة ، وفي وقت اشتغلت فيه الحرب وتعطلت المرافق العامة وساءت الحالة الاقتصادية وهدمت أبنية المستشفيات وأخذ الاطباء للعمل في القوات المسلحة .

قبل البدء في تنظيم الخدمات الصحية في فلسطين كان نائب مدير الادارة العسكرية أو الحاكم العسكرى في القدس يصدران من حين لاخر بعض التعليمات أو الانظمة بشأن ضبط الامور الصحية في المناطق المحتلة من فلسطين ، من ذلك التعليمات التي أصدرها الجنرال باركر في ١٢ ديسمبر ١٩١٧ بشأن الاطعمة الفاسدة وحظر بيعها حرصا على صحة المواطنين .

وأصدر باركر تعليمات أخرى حذر فيها من بيع الخمور والكحول الا بموجب ترخيص واذن رسمي من نائب مدير الادارة العسكرية ومن بيع الخمور لم هم دون السابعة عشرة ، كما حددت ساعات معينة لبيعها (١) .

بدأت الادارة العسكرية بتنظيم الخدمات الصحية منذ البدء في تنفيذ خطتها الرامية الى اعادة

---

(١) (1) O.E.T.A. (S): Op. Cit., p. 92-128.

او تأسيس الدوائر والمؤسسات في المناطق المحتلة من فلسطين ، ففي المجال الصحي تم افتتاح المستشفيات والمستوصفات ومكاتب الصحة في العديد من المدن الفلسطينية : بيت لحم ، رام الله ، رملة ، اللد ، يافا ، مجدل ، غزة ، القدس ، الخليل . وبهذا وجد في جميع الاقضية مكاتب للصحة باستثناء بئر السبع التي خصص لها مستشفى متنقل تحت اشراف جمعية الصليب الاحمر الامريكية (١) ، وقد زودت هذه المكاتب بالاطباء والمأمورين وزود العاملون بها بتعليمات اصدرها الجنرال موني ١٦ مايو ١٩١٨ لتطبق في المناطق المحتلة او المناطق المنتظر احتلالها وقد جاءت على النحو الاتي :

تعليمات بشأن المواليد والوفيات :

الزمت هذه التعليمات المسؤولين بضرورة تسجيل كل حالة ولادة في مكتب الصحة خلال ١٥ يوما وتقع هذه المسؤولية على الوالدين ، القابلةالامام ، مختارالقرية او الحي . كما يجب ابلاغ كل حاله وفاة خلال ٢٤ ساعة اذا كانت الوفاة في المدينة او القرية ، وخلال ٤٨ ساعة اذا حدثت الوفاة في مناطق بعيدة وهذه مسؤولية رب الاسرة او المستشفى الذى توفي فيها الشخص ويتعرض المخالفون لعقوبة السجن او الغرامة .

" التطعيم : نصت اللائحة على ضرورة تطعيم المواليد خلال ثلاثة اشهر وان ذلك من مسؤوليه الاب او الجد ويصرف بذلك شهادة مجانية لاثبات تطعيم الطفل .

" الامراض المعدية : حددت التعليمات المتعلقة بالامراض المعدية مثل الجدرى،الكوليرا ، الحمى وغيرها ، وحملت الموظف المختص او الشخص المصاب او رب العائلة مسؤوليه الابلاغ الفورى عند وقوع اصابة بمثل هذه الامراض المعدية .

" نصت التعليمات كذلك على ضرورة الحصول على اذن بدفن الميت فلايتم الدفن الا بعد ثلاث ساعات من الوفاة ، وقبل مرور مدة لا تزيد عن ٤٨ ساعة الا في حالات استثنائية .

ممارسة الطب : لايمارس الطبيب عمله الا بعد الحصول على اذن رسمي بذلك وبعد استيفاء الرسوم المقررة ، وحددت التعليمات كذلك الرسوم التي يتقاضاها اطباء الطب الشرعي .

تعليمات اخرى بشأن واجبات الاهالى في المحافظة على نظافة بيوتهم في الداخل والخارج (٢) .

حظيت الخدمات الصحية بجانب كبير من الموازنةالتي اعدت في مارس حتى يونيه ١٩١٨ بحوالى ١٨٥ر١١ جنيها أى بنسبة ٧ر١٧ بالمئة من الموازنة العامة . وهي بهذه النسبة تفوق ماتـقدمته الادارة العسكرية البريطانية الى غيرها من المؤسسات والدوائر الاخرى مثل التعليم او الزراعة (٣) ، ولعل السبب في ذلك هو ان هذه المخصصات قد وضعت لمعالجة الامور الصحية السيئة الى خلفتها الحرب والامراض المعدية خاصة (٤).

اما في الموازنة لعام ١٩١٩ فقد انخفضت المخصصات الى ١٢ بالمئة من الموازنة العامة فبلغت المخصصات للشؤون الصحية حوالى ٠٠٠ر٩٠ جنيه ووزعت الى ثلاثة بنود رئيسية وهي اجراءات مكافحة الملاريا وتوفير المستشفيات ، وتوفير خدمات الصحة العامة (٥) .

---

(1) **The Palestine News: No 19-11 July 1918.** (١)

(2) **O.E.T.A. (S): Op. Cit., p. 127-130.** (٢)

(3) **F.O. 371/4143/35569 - 12 February 1919.** (٣)

(4) ***O.E.T.A. (S): Op. Cit., P. 33-34.*** (٤)

(5) **F.O. 371/4143/138121 - 1919.** (٥)

ولقد كانت مشكلة مكافحة الملاريا من المشاكل الرئيسية امام الادارة العسكرية ، لان الملاريا كانت من الامراض المتوطنة في بعض المناطق من فلسطين فاتخذت لذلك اجراءات سريعة كصب الزيت على الاماكن التي تنتشر فيها الملاريا خاصة بالقرب من نهر العوجة ، اوبصب الزيت في الابار والاحواض في المدن والحواضر . وخطت الادارة العسكرية خطوة اخرى في مكافحة الملاريا فأخذت في الكشف الدوري على البيوت والمحلات ، والعمل على اغلاق الاحواض غير المستعملةحتى لا تكون مكانا مناسبا لتكاثر البعوض . وقد شملت هذه الخطوة من اجراءات الكشف حوالى ١٩ مدينة من المدن الفلسطينية تم فيها اغلاق حوالي ٧٧٥٥ بئرا وحوضا او مجرى للمياه . كما تم تزييت حوالى ١٥١٫٦٤٨ بئرا وحوضا حتى تكون صالحة للاستعمال ، ومن ناحية اخرى استخدمت السلطة العسكرية وسائل اعلامية لتوعية الاهالي للاهتمام بالشؤون الصحية عن طريق المحاضرات او الاعلانات في الصحف ، وكذلك في المناطق الريفية فقد بدأت فيها حملة لمقاومة الملاريا ، غير أن هذه الحملة جاءت متأخرة عما تم تنفيده في المدن والحواضر ، لان الحملة في الريفجاءت اوائل عام ١٩١٩ وقد كلفت السلطة العسكرية العديد من الموظفين للقيام بحملات توعيه من خلال زيارتهم المتكررة الى الريف وعملت ايضا بنفس الاجراءات التي اتخدت في الحواضر فاستخدمت الزيت في مقاومة الملاريا بصبه في الابار والاحواض المائية (١) . وعملت من ناحية اخرى على تجفيف المستنقعات وتصريف المياه المتجمعة (٢) .

اما المجال الثاني التى ساهمت فيه الادارة العسكرية ، الى جانب الجمعيات الطبية التي وفدت من الخارج ، فكان افتتاح المستشفيات والمستوصفات في البلاد ، من ذلك جمعية اعانه سورية وفلسطين التي تشكلت برئاسة المطران ماكنس من الارساليات التبشيرية الانجليزية والامريكية (٣) . وجمعية الصليب الاحمر الامريكية التي وصلت الى البلاد في ١٩ ديسمبر ١٩١٧ .

لقد عملت هذه الجمعيات مع الاداره العسكرية في الاشراف على المستشفيات والمستوصفات وتوفير اللوازم الطبية في العديد من المراكز في البلاد . كما انها ساهمت من ناحية اخرى في تقديم المعدات والتجهيزات اللازمة لاعادة افتتاح المؤسسات الطبية في البلاد (٤) ، مثل مستشفى العيون الانجليزى فاعيد افتتاحه في ٢٦ فبراير ١٩١٩ (٥) ، اوتأسيس مستشفيات جديدة مثل المستشفى الخيرى في حيفا الذى اسسته جمعية اعانة سوريه وفلسطين (٦) وافتتاح مستشفي روتشيلد في القدس (٧) .

الجانب الاخر الذى انجزته الادارة العسكرية هو توفير الخدمات المرتبطة بالامور الصحية كتوفير المياه بوسائل صحية ، كالانابيب التي اوصلت المياه الى القدس والخليل ، وكذلك الاهتمام بامور النظافة وان

---

(1) Palestine Department of Health: A Review of the Control of Malaria in Palestine 1918-1941. P. 16-18. (١)

(2) F.O. 371/4143/138121 - 1919. (٢)

(٣) الكوكب : ١٢٥ — ٣١ ديسمبر ١٩١٨ .

(4) The Palestine News: No 19-11 July 1918. (٤)

(٥) الكوكب : ١٣٥ — ١٩ مارس ١٩١٩ .

(٦) الكوكب : ١٢٥ — ٣١ ديسمبر ١٩١٩ .

(7) F.O. 371/3412/187152 - 12 November 1918. (٧)

كانت قد تركت ذلك للمجالس البلدية فيما بعد (١) ، وقد ازدادت أعباء الادارة العسكرية البريطانية في تقديم هذه الخدمات ، بعد أن غادرت الجمعيات الطبية التي عملت الى جانب الادارة العسكرية ٠ كما صرفت جانبا من خدماتها الصحية الى ضبط الامور الصحية بالنسبة للحجاج المسيحيين القادمين الى البلاد بعد أن أخذت أعدادهم تصل بازديـــاد (٢) ٠

وأصدرت الادارة العسكرية في هذا الشأن أيضا تعليمات بشأن دفن جثث الموتى بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩١٩ ٠ ويبدو أن هذه الانظمة جاءت حلا لما خلفته الحرب ، وذلك بعد انتهاء الحرب ورغبة الاهالي في نقل جثث موتاهم الى دفنها في الاماكن التي يرغبون دفنها فيها بعد أن سبق ودفنت في أماكن بعيدة ٠ ومن هنا جاءت هذه التعليمات بقصد تنظيم هذا الامر حسب الاعتبارات الصحية حتى لا تكون هذه الجثث في أثناء نقلها مصدرا لنقل الامراض ، لذا نصت هذه التعليمات على ضرورة تقديم طلب بذلك الى مصلحة الصحة العمومية يوضح فيه موضع الدفن الحالي والموقع الذى ستدفن فيه الجثة وأن تتم عملية النقل بعد استيفاء الشروط التي حددت لذلك منها عدم نقل الجثة الا في تابوت محكم أو تكون الجثة محنطة اذا كانت ستنقل الى منطقة خارج " بلاد العدو المحتلة جنوبا " ٠ ونصت نفس التعليمات على تنظيم المدافن وتحديد موقعها خارج المدينة وتحديد المسافات بين المقابر وعمقها ٠ وفي هذا المجال أيضا أصدر الجنرال بولز تعليمات أخرى لتوسيع أحكام القانون الصادر في ١٦ مايو ١٩١٨ فاعدت قسائم خاصة يكلف المخاتير تعبئتها بالمعلومات التفصيلية عن حالات الولادة أو الوفاة وتقدم الى مكاتب الصحة في الحـــال (٣) ٠

خدمـــات الاغاثـــة :

مع نهاية العمليات العسكرية في شمال فلسطين ، ومع نهاية الحرب العالمية الاولى ، أخذ أبناء البلاد في العودة الى مدنهم سواء من شمال فلسطين أو دمشق وغيرها من المدن السورية ٠ والتقارير الاسبوعية التي كان يقدمها الجنرال كلايتون الى المسؤولين البريطانيين تسجل أعداد العائدين الى مدنهم ومراكزهم ، وكان يتحكم في عدد العائدين توفر المواصلات أو عدمها فقد كان يصل خلال الاسبوع حوالي ١ر٠٠٠ عائد (٤) ، وأحيانا أخرى كان العدد يصل الى ١٠٠ شخص (٥) ٠ وخلال فترة لا تتعدى الشهور سجلت الاعداد الاتية من العائدين حسب التوزيـــع الاتـــي :

المنطقة	عدد السكان قبل الحرب	عدد المغادرين خلال الحرب	العائدون
القدس	٦٠ر٠٠٠ — ٧٠ر٠٠٠	١٠ر٠٠٠ — ١٥ر٠٠٠	٢٠٠٠ — ٣٠٠٠
يافا	٥٦ر٠٠٠	٥٣ر٠٠٠	٤٠ر٠٠٠
حيفا	٣٩ر٠٠٠	٥ر٠٠٠	——
نابلس	٧٥ر٠٠٠	٠ر٥٠٠	٣ر٥٠٠
بئر السبع	٢٥ر٠٠٠	٢٥ر٠٠٠	——

---

(١) (1) The Palestine News: No. 19 -11 July 1919.

(٢) (2) F.O. 371/4143/138121 - 1919.

(٣) سجلات المجلس البلدى ـ سجلات غير موقعة ١٩١٨ ٠

(٤) (4) F.O. 371/3412/706137 - 13 December 1918.

(٥) (5) F.O. 371/3412/198013 - 29 November 1918.

وقد تتطلب عودة هؤلاء المهاجرين تقديم مساعدات فورية لهم ولا سيما المواد الغذائية وتوفير السكن باقامة المخيمات ، وعمل الى جانب الادارة العسكرية العديد من الجمعيات الخيرية التي وفدت من الخارج ، وأقامت عدة مراكز لتوزيع الاعانات مثل الحبوب خلال الفترة ما بين فبراير ١٩١٨ – مايو ١٩١٩ وهي :

القدس : اتخذت الاديرة والجمعيات مراكز لتوزيع الحبوب أو المساعدات المالية وقد استفاد من ذلك حوالي ١٠ر٠٠٠ من المحتاجين في هذه المدينة .

يافا : المركز الوحيد في هذه المدنية كان في الملجأ الصغير وقامت بأعباء تقديم المساعدات في هذه المدينة جمعية اعانة سورية وفلسطين لفترة ثم أغلقت .

حيفا : أقيم في هذه المدينة مراكز لتوزيع الاعانات واستفاد منها حوالي ٢٠٠٠ شخص وكان المركز الاول في جمعية انعاش حيفا والمركز الثاني جمعية انعاش اليهود .

نابلس :قدمت الاعانات لابناء القرى وليس لابناء المدينة .

الجليل : أشرفت على توزيع الاعانات في هذه المنطقة البعثة الصهيونية .

بئر السبع : قام المجلس البلدى بعملية توزيع الحبوب من قمح وشعير اذ لم توجد في هذه المنطقة جمعيات للقيام بعملية التوزيع (١) .

وكانت السلطة العسكرية قد رأت قبل البدء في توزيع مساعداتها من المواد الغذائية تقسيم الاهالي الى ثلاث فئات : الفقراء ، متوسطي الحال ، غير المحتاجين ، فصارت تباع الحبوب بسعرها الاصلي للقادرين أو غير المحتاجين أما متوسطو الحال فتباع لهم الحبوب بنصف السعر والفقراء توزع عليهم الحبوب مجانا (٢) .

ويبدو أن المساعدات التي قدمتها الجمعيات كانت مثارا للتساؤل من قبل أبناء الطوائف أو الطوائف التي تعمل الجمعية على توفير خدماتها لها . من ذلك ما تعرضت له جمعية اعانة سورية وفلسطين وعلى رأسها المطران ماكنس فقد تعرض لعدة تساؤلات دفعت به الى نشر بيان عن نشاط الجمعية أمام الطوائف المسيحية في القدس ، ولقد تعرض للنقد ، لان الجمعية كانت تعمل على توزيع خدماتها على أبناء البلاد كافة بغض النظر عن مذاهبهم وقد طالبت هذه الفئة المعترضة بأن تقصر الجمعية خدماتها على المسيحيين وأجاب المطران على هذا النقد بأنه يتعارض مع المبدأ الذى أعلنته الجمعية وهو العمل على تقديم المساعدات للجميع وليس للمسيحيين فقط .

وكذلك تعرض المطران لنقد ملخصه أنه يفضل بعض الطوائف على طوائف أخرى في قيمة المساعدة . ولكنه نفى هذا الاتهام بأن بعض الطوائف تصل اليها مبالغ خاصة من الخارج .

ويلاحظ أن نشاط الجمعية كان مقصورا على تقديم بعض المساعدات العينية كالاطعمة والادوية والاغطية وغيرها (٣) .

ومن أعمال جمعية سورية وفلسطين تقديم المساعدات الى أبناء الطوائف المسيحية خارج مدينة القدس أيضا فأسست ميتمين ومستشفى ومشاغل للخياطة لتوفير الملابس للفقراء (٤) .

ويعكس نشاط الجمعيات اليهودية صورة أخرى ، لوجود خلافات حول توزيع المساعدات ، من ذلك نشاط

---

(١) (1) F.O. 371/4187/164179 . 1918.

(٢) جريدة فلسطين – ٣ – ٢٥ نيسان ١٩١٨ .

(٣) (3) The Palestine News: No. 18. 4 July 1918.

(٤) الكوكب : ١٢٥ – ٣١ ديسمبر ١٩١٨ .

جمعية اغاثة اليهود الروس . وكان لهذه الخلافات انعكاس خارج فلسطين أدى الى توقف الجمعيات الاجنبية في تقديم مساعداتها الى الطوائف اليهودية الى أن تتم تصفية هذه الخلافات . وقد عملت البعثة الصهيونية التي قدمت الى فلسطين في ابريل ١٩١٨ على ازالة هذه الخلافات (١) .

ومن الجمعيات التي قدمت خدمات الى الطوائف اليهودية جمعية اغاثة اليهود في فلسطين وهي لم تتعرض لخلافات داخلية فوصلت اليها المساعدات الخارجية بدون انقطاع خلافا لما حدث بالنسبة لجمعية اغاثة اليهود الروس . وعملت هذه الجمعيات على توزيع هذه المساعدات ، ثم العمل على استغلال المساعدات المالية في تأسيس بعض المصالح كمشاغل الخياطة لتوفير العمل لابناء الطائفة اليهودية (٢) .

ومهما يكن من أمر فان غياب الجمعيات " الخيرية " بعد عودتها الى بلادها ، مثل جمعية الصليب الاحمر الامريكية وجمعية اعانة سورية وفلسطين ، وضع الادارة العسكرية أمام أعباء جديدة ، سواء في العمل على متابعة تقديم مساعداتها ، في وقت بدت فيه تقديرات المحاصيل قليلة وفي وقت أصبح فيه من الضروري اجراء المزيد من الترميمات والاصلاحات في بعض المدن أو الجهات التي كانت ميدانا للقتال أو لاجل الاشراف على العديد من المؤسسات التي أقامتها هذه الجمعيات . وهي حسبما نشرته جريدة فلسطين في ١٥ أغسطس ١٩١٨ كانت على النحو الاتي :

ان انجازات جمعية اعانة سورية وفلسطين شملت تأسيس مدارس للاطفال اليتامى من الذكور والاناث ضمت حوالي ٥٣٠ طالبا وطالبة ويشرف على تربيتهم ١٠ معلمين . كما أسست الجمعية مشاغل للخياطة تضم حوالي ٦٠٠ عاملة وملجأ للاناث ومطابخ لتوزيع الحساء ومستشفى وصيدلية في دار القنصلية الروسية ثم عينت أماكن لتوزيع الملابس والمواد الغذائية .

أما خدمات لجنة الصليب الاحمر الامريكية فكانت تجهيز المستشفى الروسي وأحياء مدرسة الايتام السورية وانشاء مشاغل للخياطة تضم ٣٠٠ عاملة (٣) .

وكذلك جمعية أدينبرغ الطبية التبشيرية : The Edinburgh Medical Missionary Society. التي قدمت خدماتها الطبية في القاهرة ودمشق (٤

ومن هنا عملت الادارة العسكرية على تخصيص ٩ بالمئة من موازنتها العامة لتغطية المصروفات المنتظرة لهذه المؤسسات . فقد صرف على الايتام حوالي ١٦ بالمئة من مخصصات الاغاثة التي وصلت الى ٦٤٫٧٠٠ جنيه (٥) . ومن ناحية أخرى عملت على تشجيع قيام الجمعيات المحلية لتأخذ دورها في توفير الخدمات والمساعدات ، من ذلك جمعية الاسعاف في القدس التي كانت تضم كل جمعية خيرية هدفها تقديم الخدمات والمساعدات للمحتاجين من جميع الطوائف . وأول المشاريع التي عملت هذه الجمعية على تنفيذها ايجاد عمل للعاملات اللواتي تعطلن عن العمل بعد خروج الجمعيات الاجنبية (٦) ، وعملت على الاستفادة من المساعدات المالية التي كانت تصل من الخارج لصالح القوات البريطانية من ذلك ما قدمه أمريكي حدد بأن تصرف

---

(١) F.O. 371/4201/171646 - 16 January 1920.

(٢) F.O. 371/4207/54265 - 21 March 1919.

(٣) جريدة فلسطين : ١٩ — ١٥ آب ١٩١٨ .

(٤) F.O. 371/33871/16632 - 25 June 1918.

(٥) F.O. 371/4143/138121. 1919.

(٦) الكوكب : ١١٥ — ٢٦ أغسطس ١٩١٩ .

تصرف مساعدته لصالح القوات البريطانية (١) •

التعليم :

مضت الشهور التي تلت الاحتلال البريطاني للقسم الجنوبي من فلسطين اواخر ١٩١٧ وحتى تعيين ضابط بريطاني ليكون مشرفا على التعليم في اواخر ابريل ١٩١٨ وهو الميجر A. Williams (٢) • والبلاد بدون مدارس (٣) بسبب الظروف التي خلفتها الحرب وعن خلال الفترة التي تسلم فيها الميجر A. Williams منصبه للاشراف على التعليم في المناطق المحتلة من فلسطين ، كان يشرف ايضا على الشؤون الزراعية (٤) مما يدل على ان الادارة العسكرية البريطانية لم تول التعليم ما يستحقه من عناية ، فقد بلغ ما خصصته للتعليم في موازنة الشهور الاربعة مارس — يونيه ١٩١٨ حوالي ١٦٠٠ر١ جنيه فقط (٥) وهي نسبة منخفضة حتى بالنسبة للمصالح او الشؤون الاخرى التي قدمتها الادارة العسكرية مثل الصحة او القضاء وغير ذلك ومن هنا اقتصرت هذه المخصصات الضئيلة للتعليم على الاستمرار ببعض المدارس التي انشأها الاتراك قبل الحرب (٦)

وقد عكس تقرير مدير المدارس الابتدائية في القدس حالة التعليم خلال هذه الفترة وطالب بضرورة اجراء الاصلاحات الاتية للنهوض بالتعليم •

— فتح مدرسة لتدريب المعلمين ، واخرى لتدريب المعلمات لسد النقص في معلمي المدارس الحكوميـة •

— ايفاد عدد من الطلاب النابهين في بعثات دراسية الى مصر لاستكمال تعليمهم •

— التوسيع في فتح مدارس رياض الاطفال •

— التوسع في عدد المدارس في القرى •

— اصلاح مباني المدارس والعمل على جلب الكتب المدرسية في وقتها (٧) •

وبعد ان احتلت الاقسام الشمالية من فلسطين في اواخر سبتمبر ١٩١٨ اخذت الادارة العسكرية باعادة افتتاح المدارس والعمل على افتتاح مدارس جديدة او اضافة فصول اخرى بقصد رفع سنوات الدراسة او التوسع في عدد الصفوف في المدارس • واستمرت الادارة العسكرية في الاعتماد على لجان المعارف في توفير الايرادات والعمل علـى اعادة افتتاح المدارس وتنظيم ادارتها • ومن هنا قام الحاكم العسكرى بتشكيل لجنة للمعارف في يافا برئاسة قاضي المدينة • وقد رفعت هذه اللجنة تقريرا بذلك الى الادارة العسكرية بقصد افتتاح مكتبين ابتدائيين للذكور ومكتب للاناث ، ورياض للاطفال في مدينة يافا ، ومكتبـين ابتدائيين للاطفال وروضتيـن للاطفال في الرملة واللد • وان يجرى انتخاب المواد والمعلمين للتدريس في هذه المدارس التي فتحت ابوابها في اواخر سبتمبر ١٩١٨ • وكذلك تم افتتاح المدرستين الابتدائيتين

---

(١) (1) F.O. 371/3401/47194 - 14 March 1918.

(٢) (2) The Palestine News: No. 13-30 May 1918.

(٣) اميل الغورى : مرجع سبق ذكره ص ٣٣ — ٣٥ •

(٤) (4) The Palestine News: No 13-30 May 1918.

(٥) (5) F.O. 371/4143/35569 - 12 February 1919.

(٦) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين : مرجع سبق ذكره ص ٢٠٠ — ٢٠٧ •

(٧) الكوكب : ١٠٦ — ١٣ أغسطس ١٩١٨ •

والمدرسة الرشدية في الخليل (١) وفي حيفا افتتحت المدرسة الاسلامية (٢) وكذلك في نابلس افتتحت مدرستان للبنين والبنات (٣) .

كما سمحت السلطة العسكرية بتأسيس المدارس الاهلية منها مدرسة النجاح النابلسية الاهلية (جامعة النجاح الوطنية الان) . وقد جاء تأسيس هذه المدرسة مبكرا في اكتوبر ١٩١٨ أى بعد شهر واحد من الاحتلال البريطاني فقد راودت هذه الفكرة فضلاء نابلس منذ اواخر العهد التركي ، غير ان المتصوف التركي (فتحي بـك) لم ينفذ هذه الرغبة في ذلك الوقت (٤) . وبلغ عدد التلاميذ عند افتتاح هذه المدرسة حوالي ١٠٠ طالب (٥) .وتضاعف هذا العدد خلال الاشهر الاولى من افتتاح هذه المدرسة مما دفع عمدة هذه المدرسة الى افتتاح فرع للمدرسة في عرابة لاستيعاب الطلاب في هذه المنطقة نظرا لكثرتهم . وقد تم افتتاح هذا الفرع اوائل مارس ١٩١٩ (٦) .

سبق للسلطة العسكرية البريطانية ان سمحت باعادة افتتاح المدارس الاهلية في القدس ومنها روضة المعارف التى عملت مع بداية الاحتلال على تطوير الدراسة فيها فاصبحت اربعة اقسام : روضة اطفال لمدة سنة وقسم احتياط لمدة سنتين والقسم الابتدائي اربعة سنوات والاعدادى ٣ سنوات كما وضعت برنامجا جديدا لمواد التدريس في كل مرحلة من هذه المراحل الاربع (٧) .

وخطت الادارة العسكرية خطوة اخرى في طريق التعليم من خلال الاجراءات التي قامت بها منذ اكتوبر ١٩١٨ اذ عينت موظفا بريطانيا ليكون مديرا للمعارف هو الميجر تادمن Tadman (٨) ، فبدأ عمله باستطلاع الرأى حول افضل السبل لاصلاح التعليم في البلاد ، فقابل لهذه الغاية خليل السكاكيني احد كبار رجال التعليم في فلسطين الذى اورد في مذكرته تفاصيل المقابلات التي تمت بينه وبين تادمن تم خلالها عرض وجهات النظر . فقد اشار السكاكيني في معرض حديثه عن اسس تطوير التعليم الى ان المدارس التي تحتاج اليها مثل المدارس في اوربا : رياض اطفال فمدارس ابتدائية فمدارس ثانوية بشرط ان تكون مدارس حقيقية .. وان تختار لها المعلمين والمعلمات الاكفاء المقتدرين .. وان يكون التعليم مجردا عن كل تأثير ديني او جنسي او سياسي (٩) .

كما عرض على تادمن ضرورة تأسيس هيئة للمعارف من اهل البلاد ممن تتوفر فيهم الخبرة يكون لها صلاحية واسعة في هذا المحال (١٠) .

---

(١) الكوكب : ١١٢ ـ أكتوبر ١٩١٨ .
(٢) جريدة فلسطين : ٤٠ ـ ٩ كانون الثاني ١٩١٩ .
(٣) جريدة فلسطين : ٣٨ ـ ١٩ كانون الاول ١٩١٨ .
(٤) الكوكب : ١٥٣ ـ ١٢ أغسطس ١٩١٩ .
(٥) جريدة فلسطين : ٣٢ ـ ١٤ تشرين الثاني ١٩١٨ .
(٦) الكوكب : ١٣٤ ـ ٤ مارس ١٩١٩ .
(٧) جريدة فلسطين : ١٩ ـ ٢٥ آب ١٩١٨ .
(٨) (9) Tibawi: Arab Education in Mandatory Palestine p. 23-25.
(٩) خليل السكاكيني : مرجع سبق ذكره ص ١٥٩ ـ ١٦٨ .

واخذ تادمن يعمل لتأسيس وافتتاح مدارس للبنين والبنات في القدس وحدد الرابع من يناير ١٩١٩ موعدا لافتتاحها ليقبل الطلاب والطالبات فيها بعد دفع الرسوم المقررة وهي خمسون قرشا مصريا عن كل ثلاثة اشهر ، كما اعلن عن افتتاح كليه للمعلمين في القدس لتخريج معلمين للمدارس الابتدائية وحدد عدد الطلاب فيها بـ ٣٦ طالبا على ان يكون نصفهم من ابناء لواء القدس والنصف الاخر من ابناء نابلس وعكا (١) باعتبار ان لواء القدس أكثر الالويه سكانا ، ووضعت شروط لدخول هذه الكلية فكان على الطالب ان يجتاز امتحانات شفهية وتحريريه وان يترواح عمر الطالب بين ١٥ ، ٢٠ سنة (٢) .

ويبد أن الاقبال على هذه المدرسة من خارج القدس لم يكن كما كان متوقعا ، والسبب في ذلك أن الكلية لم تكن داخلية كما أن المخصصات التي كانت تصرف للطلاب الوافدين الى هذه الكلية قليلة اذ خصص ٢٠٠ قرشا فقط للطالب الواحد وهذا لا يمكن الطلاب من تأمين مسكنهم أو متطلبات معيشتهم . ومن هنا انشأت الادارة قسما داخليا لتلاميذ الكلية القادمين من خارج المدينة كما أنها زادت من مخصصات التلاميذ الذين لا يرغبون في السكن الخارجي الى ٣٠٠ قرش وخصصت ١٥٠ قرشا للطلاب من أبناء القدس . وحتى تضمن الادارة العسكريـة تأدية هؤلاء الطلاب وظيفتهم كمعلمين في المدارس بعد اتمام دراستهم عقدت معهم عقودا للخدمة في التعليم بعـد تخرجهـم (٣) .

ويبدو ان اخذ الكلية بالنظام الداخلي لتلاميذها من خارج القدس كان نظاما ناجحا ، لذا اقترح مديرها (خليل السكاكيني) الذى تسلم ادارتها في سنتها الثانية التى بدأت اواخر اكتوبر ١٩١٩ اقترح ضرورة تطبيق النظام الداخلي على جميع الطلاب بما في ذلك الطلاب من ابناء لواء القدس لان هذا النظام يوفر للطلاب الجو الدارسي اللازم لتحصيلهم العلمي .

واصدر طلاب هذه الكلية مجلة سموها " الجوزاء " وشكلوا فيما بينهم جمعية لحل مشاكلهم ذاتيا (٤)

وافتتحت الادارة العسكرية كلية اخرى لتخريج المعلمات في القدس في يناير ١٩١٩ . ووضعت شروطا لدخول الطالبات منها اتمام السنة الاعدادية غير ان الشرط الذى وضع امام الطالبات من خارج القدس وهي ضرورة تأمين مسكن لهن كان سببا في عدم اقبال الطالبات من خارج القدس على هذه الكلية (٥) .

وعينت الادارة العسكرية مفتشا عاما ، للمعارف من اهالي البلاد يعمل الى جانب مدير المعارف وكان من واجباته القيام بجولات تفتيشية على المدارس في فلسطين واعداد التقارير بقصد النهوض بالتعليم في فلسطيـن ((٦) .

كما كان الى جانب المفتش العام من المفتشين الذين تحددت مهمتهم حسب ما جاء في كلمة مدير المعارف للمدرسين : " لا تحسبوا ان وظيفة المفتش هي ان ينقد اعمالكم ويبحث عن اغلاطكم . لكن وظيفته هي ان يساعدكم فاستشيروه ، شوقوه ان يلقي دروسا على التلاميذ امامكم على سبيل المثال وابسطوا له صعوباتكم " (٧) .

(١) الكوكب : ١٢٨ — ٢١ ينـايـر ١٩١٩ .

(٢) الكوكب : ١٣٢ — ١٨ فبـرايـر ١٩١٩ .

(٣) الكوكب : ١٣٥ — ١١ مـارس ١٩١٩ .

(٤) خليل السكاكينـي : مرجع سبق ذكره ص ١٨٩ — ١٩١

(٥) الكوكب : ١٣٣ — ٢٥ فبـرايـر ١٩١٩ .

(٦) خليل السكاكينـي : مرجع سبق ذكره ص ١٥٩ — ١٦٨

(٧) الكوكب : ١٦٠ — ١٧ أكتوبـر ١٩١٩

وفي الموازنة العامة ١٩١٩–١٩٢٠ خصص مبلغ ٠٠٠ر٤٦ جنيه مصرى أى بنسبة ٢ر٦ بالمئة من الموازنة العامة وهي قليلة بالنسبة لمخصصات الخدمات الاخرى كالصحة او الاشغال العامة ، وقد صرف الجانب الاكبر على الرواتب التي بلغت ٨١٨ر٢٦ جنيها أى بنسبة ٥٨بالمئة وصرف الباقى على الكتب واللوازم المدرسية والاثاث وغير ذلك . اما ايرادات التعليم فكانت ٠٠٠ر٩ جنيه وهي الرسوم المدرسية وأثمان بيع الكتب (١) .

وكان بيع الكتب للطلاب مع ما يلزمهم من اداوات وملابس مما يرهقهم وذويهم ، فأسست جمعيات خيرية محلية لتقديم المساعدات لطلاب المدارس ، مثل جمعية زهرة الاحسان في نابلس التي تشكلت بجهود عدد من معلمي المدارس الحكومية بقصد حث أعيان البلاد على ضرورة تقديم المساعدات المالية للطلاب الفقراء (٢) .

كما تشكل في نابلس النادى العربي في نوفمبر ١٩١٨ (٣) وكان يضم لجنتين الاولى لاحياء التمثيل العربي واللجنة الثانية لجنة خيرية لحث اعيان البلاد على تقديم المساعدات الى مستحقيها من الفقراء خاصة طلاب المدارس (٤)

وامتد نشاط هذه الجمعيات الى فتح المدارس فقد افتتحت جمعية النادى الادبي في بيت لحم مدرسة ليلية مجانية ضمت حوالي ١٠٠ طالب قامت بفضل المساعدات التي قدمها أعيان المدينـــة (٥) .

وفي يافا افتتحت الشبيبة اليافية مدرسة ليلية ، كما عملت جمعية البر والاحسان في هذه المدينة على افتتاح مدرستها المعروفة باسم مدرسة دار العلوم الاسلامية الوطنية (٦) علما بأن الدراسة فيها ليست مجانية (٧) ، وفي القدس أقامت جمعية نهضة الفتاة العربية روضة للاطفال لقاء أجر زهيد (٨) .

وكانت حصيلة الخطوات التي سارت عليها الادارة العسكرية في مجال التعليم حسب احصائية (١٩١٩ – ١٩٢٠) ١٧١ مدرسة حكومية تضم ٦٦٢ر١٠ طالبا وطالبة ويقوم بالتعليم فيها ٤٠٨من معلمين ومعلمات (٩) . هذا في وقت بلغ فيه عدد من هم في سن التعليم وليس لهم أماكن في المدارس حوالي ٠٠٠ر١٠٠ طالب ، أى ان المدارس كانت لا تضم سوى ٦ر١٠ بالمئة (١٠) .

ويمكن تقيم هذه الخطوات من خلال المطالب التي رفعها بعض أبناء البلاد بالاشتراك مع الجمعيات حول ضرورة تأليف لجنة من أبناء البلاد تشترك مع مدير المعارف في الاشراف على امور التعليم على ان

(١) F.O. 371/4143/139121 - 1919.
(٢) الكوكب : ١٣٠ – ٤ فبراير ١٩١٩ .
(٣) الكوكب : ١٢٢ – ١٠ ديسمبر ١٩١٨ .
(٤) الكوكب : ١٢٧ – ١٤ يناير ١٩١٩ .
(٥) الكوكب : ١٣٣ – ٢٥ فبراير ١٩١٩ .
(٦) الكوكب : ١٤١ – ١٣ مايو ١٩١٩ .
(٧) الكوكب : ١٦١ – ١٤ أكتوبر ١٩١٩ .
(٨) الكوكب : ١٥٦ – ٢ سبتمبر ١٩١٩ .
(٩) Tibawi: Arab Education in Mandatory Palestine p.270.
(١٠) F.O. 371/4143/138121 - 1919.

ينتخب الاهالي هذه اللجنة (١) .

كما ان الجمعيات في القدس مثل المنتدى الادبي والنادى العربي والاخاء والعفاف رفعت تقريرا آخر الى مدير المعارف عن اوضاع التعليم في مدارس القدس ولا سيما مدارس البنات فأشارت الى اهمال تدريس اللغة العربية والعلوم الدينية . كما ان الرسوم المدرسية ، كانت سببا او عائقا امام الطلاب الفقراء (٢) .

وفي تقرير آخر الى مدير المعارف طالبت الجمعيات بتوفير الاماكن المدرسية لبعض المدارس في القدس حتى تكون فرص التعليم واحدة امام جميع الطلاب (٣) .

ويبدو ان الادارة العسكرية لم تستجب لمطالب الاهالي بشأن تشكيل لجنة للمعارف مما دفع بالجمعيات ـ الجمعية الاسلامية المسيحية ـ الى الالحاح بتأليف " لجنة للمعارف تضم خيرة ابناء البلاد واصحاب الكفاءة والاختصاص منهم ، لتضع مناهج التعليم ، مراعية حاجة البلاد ورغبات الاهالي وروح العصر ، مع حمل المدارس الوطنية والاجنبية على السير طبقا لهذه المناهج .. كما تعمل على اختيار الاساتذة من اهل الكفاءة .. واختيار كتب التدريس والتفتيش على المدارس والاهتمام بانماء واردات المعارف (٤) .

أما بالنسبة لمدارس الطائفتين اليهودية والمسيحية ، فلم تتدخل الادارة العسكرية في شؤون التعليم لدى هذه الطوائف فقد أشرفت المنظمة الصهيونية على التعليم العبرى اشرافا مباشرا فساهمت خلال المدة ما بين ١٩١٨ ـ ١٩١٩ بحوالي ٦٥٫٨٤٤ جنيها أى بنسبة ٨٨٫٧ بالمئة من مجموع التكاليف بالنسبة للتعليم العبرى (٥) ومن ناحية اخرى سمحت الادارة العسكرية باستقدام المعلمين اليهود الى بعض مدارسهم في القدس (٦) . وقد ساهم التعليم العبرى في توفير التعليم للطوائف اليهودية فوجد للطوائف اليهودية حوالي ١١٠ مدرسة تضم ١١٫٢٢٠ طالبا وطالبة يقوم بالتعليم فيها ٥٨٤ معلما ومعلمة (٧) .

فاذا قارنا ذلك بما قدمته الادارة العسكرية للمدارس الاسلامية ، نجد أن المدارس اليهودية ساهمت بنسبة تزيد عما قدمته الادارة العسكرية للتعليم في المدارس الاسلامية . ففي عام ١٩١٩ كان عدد أبناء البلاد ممن هم في سن التعليم ١٠٠٫٠٠٠ طالب ساهمت الطوائف اليهودية باستيعاب ١١٫٢٢٠ طالبا وطالبة أى بنسبة ١١٫٢ بالمئة في حين ساهمت الادارة بحوالي ١٠٫٦ بالمئة .

واذا أخذنا نسبة عدد المعلمين الى عدد المدارس نجد ان النسبة ٢ : ٥ بمعنى ان متوسط عدد المعلمين في مدرسة من المدارس الاسلامية معلمان ، في حين ان متوسط عدد المعلمين في المدارس اليهودية خمسة معلمين

أما اذا أخذنا نسبة عدد الطلاب الى المدارس نجد أن كل ٦٢ طالبا في المدارس الاسلامية تضمهم مدرسة واحدة في حين أن كل ١٠٢ من الطلاب في المدارس اليهودية تضمهم مدرسة واحدة ، مما يدل على أن المدارس اليهودية امتلأت بالطلاب .

---

(١) الكوكب : ١٣٠ ـ ٤ فبراير ١٩١٩ .
(٢) الكوكب : ١٣٤ ـ ٤ مارس ١٩١٩ .
(٣) الكوكب : ١٤٣ ـ ٢٧ مايو ١٩١٩ .
(٤) الكوكب : ١٥٦ ـ ٢ سبتمبر ١٩١٩ .
(٥) Roderic Matthews and Matta Akrawi: Education in Arab Countries P. 263.
(٦) F.O. 371/3387/36439 - 13 February 1918.
(٧) Noah Nardi Op. Cit., p. 20 - 21.

اما الطوائف المسيحية فقد بلغ عدد مدارسها في عام ١٩١٩ حوالي ٦٤ مدرسة تضم ٦٩٤٧ طالبا وطالبة يقوم بالتعليم فيها ٢٩٩ معلما ومعلمة (١) ٠

وبالمقارنة نجد ان المدارس المسيحية قد ساهمت بنسبة ٦٫٩ بالمئة من المجموع العام فهي بهذا كانت اقل مساهمة من المدارس اليهودية والمدارس الاسلامية ٠

وبمقارنة عدد الطلاب الى عدد المدارس نجد ان كل ١٠٨ طلاب تضمهم مدرسة واحدة وبهذه النسبة تكون المدارس المسيحية أكثر ازدحاما بالطلاب من المدارس الاسلامية او اليهودية ٠ اما اذا اخذنا معدل عدد المعلمين بالنسبة الى عدد المدارس نجد ان النسبةحوالي ٤ بالمئة بمعنى ان كل مدرسة من المدرس المسيحية كان فيها ٤ معلمين وبهذه النسبة تكون المدارس المسيحية في مركز وسط بين المدارس الاسلامية واليهودية من هذه الناحية اذ المدارس الاسلامية كانت نسبتها ٢ بالمئة والمدارس اليهودية ٥ بالمئة ٠

وفي نهاية الحديث عن التعليم نذكر ان مدارس الادارة العسكرية والطوائف اليهودية والمسيحية قد ساهمت باستيعاب حوالى ٢٨٫٨٢٩ طالبا من مجموع ١٠٠٫٠٠٠ طالب كانوا في سن التعليم حسب احصائية ١٩١٩ أى أن ٢٨٫٨ بالمئة فقط من أبناء البلاد على مختلف مذاهبهم قد دخلوا المدارس في حين حرم الباقون من التعليم ٠

واستكمالا لحديثنا عن التعليم وما يتصل به من امور الثقافة نصف حالة الصحافة في ذلك العهد ٠

توقفت الصحافة العربية في فلسطين خلال الحرب عن الصدور ، باستثناء جريدة القدس الشريف ، التي كان تصدرها السلطة العثمانية في السنوات الاولى من الحرب باللغتين العربية والتركية متضمنة الاوامر الحكومية ، كما اصدرت السلطة نشرة أخبارية عن مجريات الحرب (٢) ، وعندما انتهى العهد العثماني توقف صدور هاتين الصحيفتين ٠

بقى الامر كذلك الى ان ظهرت في القدس اول صحيفة عربية في ظل الاحتلال البريطاني لفلسطين بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩١٩ هي " سورية الجنوبية " لصاحبها عارف العارف ، وكان اتجاه هذه الصحيفة وطنيا فقد طالبت بالوحدة السورية والاستقلال التام وحملت على الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وعلى اثر اعلان تصريح بلفور رسميا في فلسطين فبراير ١٩٢٠ حملت هذه الصحيفة على التصريح وكانت وراء المظاهرات التي شهدتها البلاد احتجاجا على تصريح بلفور (٣) ٠

وعادت بعض الصحف العربية في فلسطين الى الظهور بعد توقف استمر في سنوات الحرب منها صحيفة " الاخبار " التي كانت تصدر في يافا وهي جريدة سياسية أدبية صاحبها بندلي غرابي من ابناء الطائفة الارثوذكسية وقد دافعت هذه الصحيفة عن الاستيطان اليهودى في فلسطين خلال سنوات ما قبل الحرب (٤) ٠

وعادت جريدة الكرمل الى الصدور اول فبراير ١٩٢٠ لتتابع رسالتها في مقاومة الحركة الصهيونية كما كانت من قبل (٥) ٠

---

(١) Noah Nardi: Op. Cit., p. 32.

(٢) انظر الفصل الرابع ، وقد بحثنا فيه المجتمع العربي الفلسطيني خلال الحرب وأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ٠

(٣) عيسى السفرى : مرجع سبق ذكره ص ٣٦ — ٣٨ ٠

(٤) الكوكب : ١٥٨ — ٢٣ سبتمبر ١٩٥٩ ٠

(٥) نشرت جريدة الكوكب بأن جريدة الكرمل ستعود للظهور أول فبراير ١٩٢٠ انظر : الكوكب ١٧٨ — ٢١٠ فبراير ١٩١٩ ٠

وسمحت الادارة العسكرية بصدور بعض المجلات الادبية الجديدة كمجلة " بيت لحم " وهي مجلة اهتمت بالكتابة عن الاخلاق والعادات والاثار في فلسطين (١) وعادت الى الظهور مجلة أدبية بعد توقفها بسبب الحرب هي مجلة " النفائس العصرية " (٢) التي ظهرت في القدس سبتمبر ١٩١٩ (٣) .

وبعد وقوع أجزاء من فلسطين تحت الاحتلال البريطاني بدأت تطبع في القاهرة صحيفة نشرتها القيادة العسكرية البريطانية بثلاث لغات : الانجليزية والعربية والعبرية (٤) ، وكانت القيادة البريطانية تشرف على التحرير من مركزها في بير سالم ـ بالقرب من القدس ـ وعرفت النسخة العربية باسم جريدة " فلسطين " التى كانت تنشر رسائل اخبارية في كافة المدن الفلسطينية كما درجت هذه الصحيفة على اصدار ملحق خاص بها يضم جميع التعليمات والقوانين التي يصدرها الجنرال موني (٥) ، لتنظيم الدوائر والمؤسسات في فلسطين من ذلك تعليماته بشأن تنظيم القضاء ، وقوات الامن والخدمات الصحية .

كما اتخذت الادارة العسكرية البريطانية من هذه الجريدة أداة اتصال مع أبناء البلاد ، وحثهم على تنفيذ تعلمياتها وانظمتها . وامام احجام الاهالي عن دفع الضرائب ، بسبب الظروف الاقتصادية التي خلفتها الحرب ، نشرت الادارة العسكرية مقالا في جريدة " فلسطين " لترغيب الاهالي في فلسطين الى دفع الضرائب وفي نفس الوقت عرضت الجريدة انجازات واعمال الادارة العسكرية في فلسطين خلال الاشهر الاولى من الاحتلال . وعرضت كذلك الانجازات والخدمات التى ستعمل الادارة على انجازها خلال الفترة التالية ومسؤولية الاهالي في تامين هذه المصروفات من خلال مساهمتهم بدفع الضرائب المقررة عليهم (٦) .

اما في عهد حكومة الانتداب البريطاني فقد تعددت الصحف فعادت بعض الصحف الى الظهور بعد احتجاب دام طوال سنوات الحرب كما ظهرت صحف جديدة في فلسطين .

ومن الصحف التي عادت الى الظهور جريدة " فلسطين " (٧) (يافا) ١٩٢١ ومن الصحف الجديدة " لسان العرب " (القدس) ١٩٢١ . " الزهرة " (حيفا) ١٩٢١ " اليرموك " (حيفا) ١٩٢٤ ، " الاتحاد العربي " (طولكرم ١٩٢٥ ، " الصراط المستقيم " " يافا ") ١٩٢٥ .

---

(١) الكوكب : ١٥٤ ــ ١٩ أغسطس ١٩١٩ .

(٢) الكوكب : ١٥٨ ــ ٢٣ سبتمبر ١٩١٩ .

(٣) بحثنا كثيرا عن هذه الصحف في القدس والقاهرة فلم نجد منها شيئا .

(٤) اصدرت القيادة البريطانية العدد الاول من جريدة فلسطين باللغة الانجليزية في ٧ مارس . أما النسبة باللغة العربية فأصدرتها في ١١ ابريل ١٩١٨ ، وقد اطلعت على هذه الجريدة باللغتين العربية والانجليزية .

(٥) يعقوب يهوشع : مرجع سبق ذكره ص ١٤٢ ــ ١٥٦ .

(٦) **The Palestine News: No. 26 - 29 August 1918.**

(٧) جريدة فلسطين : من الصحف الغربية التي صدرت في عام ١٩١١ في مدينة يافا وتوقفت عن الصدور في ٩ كانون الثاني ١٩١٤ وعادت هذه الصحيفة الى الظهور بعد انتهاء الحرب العالمية في ١٩ آذار ١٩٢١ وكان صاحبها ومديرها المسؤول عيسى العيسى .
انظر يعقوب يهوشع : مرجع سبق ذكره ص ١٠٤ ــ ١٢٥ .

المجالـــــس البلديـــــة :

أبقت الادارة العسكرية البريطانية المجالس البلدية كما عليه خلال الحكم التركي وكان عددها ٢٢ مجلسا بلديا ،لكن الادارة العسكرية عملت على زيادةعددالمجالس القروية ويلاحظ أن عضوية المجالس البلدية كانت تتحدد حسب عدد السكان في المدينة ،فمن المجالس ماكان أعضاؤها جميعا من المسلمين بينما اشترك أعضاء مسيحيون ويهود في مجالـس أخـــرى (١) •

ولم تقدم السلطة العسكرية البريطانية على اجراء انتخابات بلدية الا في عام ١٩٢٧ (٢) ، وقام الحاكم العسكري في القدس منذبداية الاحتلال Borton بتعيين اعضاء جدد للمجلس البلدى في المدينة لان المجلس في تلك الفترة كان لا يضم سوى عضو واحد ، لذا قام الحاكم العسكرى بتعيين خمسة أعضاء (٣) جدد من بينهم عضوان من اليهود بعد ان كان لهم عضو واحد في المجلس السابق (٤) بقى رئيس البلدية السابق على رأس هذه المجلس وهو حسين سليم الحسيني (٥) ، وفي يافا أيضا أبقى الحاكم العسكرى على رئيس البلدية عاصم السعيد ، وعمل على تشكيل المجلس البلدى بالاستعانة بالجمعيات المحلية فتم تعيين تسعة أعضاء لمجلس البلدية فكان لكل من المسلمين واليهود ثلاثة أعضاء (٦) •

وفي الناصرة اعتمدت السلطة العسكرية في بداية الامر على لجنة من الاهالي لتصريف شؤون المدينة غير ان السلطة ما لبثت ان عدلت عن ذلك وتم تكليف مجلس الادارة والمجلس البلدى بتصريف امور المدينـــة (٧) وبهذا استمرالمجلس البلدى في الناصرة في ممارسة عمله كغيره من المجالس الاخرى (٨) ،مثل عكا حيث بقي رئيسها توفيق حقي وفي الرملة بقي مصطفى الخيرى على رئاسة المجلس البلدى (٩) وفي مدينةنابلس كلفـت السلطة العسكرية الرئيس عمر زعيتر بالبقاء في منصبه وابلغته بانها ستعمل على توسيع صلاحيات المجلس البلدى عن طريق ضم صلاحيات مجلس الادارة الى مهام وصلاحيات المجلس البلدى ليكون هذا المجلس مرجعا استشاريا للحاكم العسكرى • وأضافت السلطة العسكرية بالفعل أعضاء جدد الى المجلس البلدى ولكن بدون العمل على توسيع صلاحيات هذا المجلس مما دفع الاعضاء الجدد الذين أضيفوا الى المجلس الى الاستقالة وبقي المجلس على صورته السابقة (١٠) •

ويبدو ان هذه المجالس لم تتمكن من ممارسة أعمالها وخدماتها بالشكل الصحيح ، لذا أخذت السلطة العسكرية بالتعاون مع هذه المجالس في تقديم الخدمات الضرورية خاصة لمواجهة الاوضاع التي خلفتها الحرب ، وهكذا تعاونت السلطة العسكرية مع المجالس البلدية في بداية الامر للتغلب على هذه الاوضاع ثم

(١) (1) F.O. 371/4143/138121 - 1919.
(٢) كامل خلة : مرجع سبق ذكره ص ٤٧ •
(٣) (3) O.E.T.A. (S): OP. Cit., p. 92.
(٤) الشهادات السياسية أمام اللجنة الملكية في فلسين ص ١٦٨ — ١٦٩ •
(٥) (5) O.E.T.A. (S): OP. Cit.,p. 92.
(٦) جريدة فلسطين : عدد ٤٤ — ٦ شباط (فبراير) ١٩١٩ •
(٧) جريدة فلسطين : ٢٧ — ٣ تشرين الاول (آكتوبر) ١٩١٨ •
(٨) (8) F.O. 371/3412/164092 - 28 December 1918.
(٩) كامل خلة : مرجع سبق ذكره ص ٤٧ •
(١٠) احسان النمر : تاريخ جبل نابلس والبلقاء — الجزء الثالث ٣٣ — ٣٥ •

اخذت هذه المجالس تسير في اعمالها وتصريف شؤونها بمرور الوقت (١) .

ويمكن من خلال المعلومات المتوفرة عن المجلس البلدى في نابلس الوقوف على اجراءات السلطة العسكرية منذ بداية الاحتلال ومن الممكن تعميم ذلك على المجالس البلدية في سائر انحاء البلاد فمنذ بداية الاحتلال أخذت السلطة العسكرية في نابلس تعمل مع المجلس البلدى على ضبط الامن في المدينة وذلك بعد انسحاب قوة البوليس والجندرمة التركية من المدينة فعينت لذلك حوالي ٨٠ شخصا لحراسة الاسواق والازقة داخل المدينة ، ومن ناحية اخرى عملت الادارة العسكرية والمجلس البلدى على توزيع المواد الغذائية اللازمة للاهالي خاصة الحبوب والكاز والارز ، وتشكلت لهذه الغاية لجنة من ثلاثة أعضاء اختارهم المجلس البلدى لاجل توزيع هذه المواد على الاهالى بالتساوى ، ومن ناحية اخرى طالب المجلس البلدى من الحكم العسكري ضرورة توفير الفحم بعد أن بدأت اسعاره ترتفع في المدينة بسبب نقل الموجود من كميات الفحم من المدينة نابلس الى مدن أخرى جريا وراء ارتفاع اسعاره وخصوصا في القدس ويافا . ولما كانت مخصصات الكاز التي حددتها السلطة العسكرية غير كافية نرى أن المجلس يرفع الامر الى السلطة العسكرية ويطلب زيادة المخصصات لمدينة نابلس وملحقاتها من ١٠٠٠ صندوق شهريا الى ٢٠٠٠ صندوق .
اما الارتباكات المالية وانعكاساتها في المدينة الناتجة عن اعلان الحاكمية العسكرية ان الاوارق النقدية العثمانية قد الغيت ، فقد اتخذت السلطة العسكرية والمجلس البلدى قرارا بدفع التعويضات للمتضررين (٢) .

ولما تخلف عن الحروب تراكم القمامة ، عملت السلطة العسكرية والمجلس البلدى على ازالة هذه المخلفات . كما وزعت المنشورات والاعلانات في المدينة بقصد مراعاة الامور الصحية ، حرصا على عدم انتشار الامراض المعدية وخاصة لدى اصحاب الافران (٣) ، ومن الجدير بالذكر ان تكاليف هذه التنظيفات كانت مثارا للجدل بين المجلس البلدى والحكم العسكرى لان الحكم العسكرى رأى ان يلتزم المجلس البلدى بتسديد هذه التكاليف في حين رأى المجلس البلدى عكس ذلك .

كما عملت السلطة العسكرية منذ بداية الاحتلال على ضبط صندوق البلدية ومن هنا كانت الامور المالية تحت اشراف السلطة العسكرية وهذا بالتالي يفسر كثرة الاوراق التي يصدرها المجلس البلدى في نابلس لدائرة الحكم العسكرى لانه كان على هذا المجلس الرجوع للادارة العسكرية عند صرف أى مبلغ ، كما ان الادارة العسكرية كانت تعمل على المراسلة خاصة لاقتطاع ثمن ما يمكن ان توفره السلطة العسكرية للمدينة مثل الكاز والفحم ، وبقي الامر كذلك الى ان تم اعداد موازنة موقتة لمدة اربعة شهور فقط على ان تبدأ من اوائل نوفمبر ١٩١٨ – أوائل مارس ١٩١٩ .

ومن الجدير بالذكر انه خلال الفترة التي شرع فيها باعداد الموازنة لهذه الفترة القصيرة ، اخذ المجلس البلدى في نابلس بالعمل على تسوية ومعالجة كل ما يهمه من الامور المالية مع الحاكمية العسكرية . وهذا واضح من خلال المراسلات بين المجلس البلدى والحكم العسكرى فتمت معالجة بنود الموازنة المقترح اعدادها خاصة بعد ان تقرر اضافة ويركو المسقفات بنسبة ١٠٪ حتى تعمل الادارة العسكرية على تسجيل ذلك رسميا في الموازنة ، كما كان على المجلس ان يرسل من حين لاخر أسماء الموظفين الجدد الذين تعينهم في البلدية ، حتى تسجلهم السلطة وتأخذهم في الحسبان في الموازنة فلقد تم تعيين امين صندوق للبلدية وكذلك باشكاتب وعدد من المأمورين لجباية الرسوم ، وبحكم هذا الاشراف ايضا كان على المجلس ان يرجع

(١) F.O. 371/4143/138121 - 1919.
(٢) سجلات المجلس البلدى – نابلس – دوسية الاوراق الصادرة لدائرة الحاكم العسكرى ١٩١٨ – ١٩٢٠ .
(٣) الكوكب : ١٢٤ – ٢٤ ديسمبر ١٩١٨ .

الى الحكم العسكرى للبحث في المواضيع التي تهم الموظفين مثل زيادة الرواتب لمواجهة ارتفاع الاسعار والارتباكات الاقتصادية في المدينة ٠

وبحكم هذا الاشراف ايضا كان على المجلس الرجوع الى الحاكمية العسكرية عند صرف مبلغ حسب بنود الموازنة التي أعدت لهذه الفترة القصيرة ويلاحظ في هذه الموازنة ان اهم ايرادات المجلس جاء من الرسوم التي تفرضها البلدية على المواد المشتعلة والعربات والذبائح والجلود والمصابن ورخص الابنية والمكاييل والموازين وفرضت نسبة اقل على ذلك البنود مثل ايجارات المحلات والدكاكين والاسواق والقهاوى والساحات العامة والغرامات المالية ٠ اما بنود مصروفات هذه الموازنة فكانت الرواتب ابتداء من الرئيس وحتى اصغر موظف في المجلس ٠ واهم ما يلاحظ في هذه الموازنة ان الايردات قد زادت عن المصروفات فتوفر رصيد لموازنة السنة التالية وهي موازنة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، وبلغ الرصيد المتوفر حوالي ٧٠٠ جنيه وهذا يشير الى ان الادارة العسكرية لم تتكلف أية مصروفات اضافية لتغطي بها عجز هذه الموازنة بل على العكس توفر رصيد في موازنة البلدية لعام ١٩١٩ التي اعدت الادارة العسكرية لها موازنات لجميع البلديات في ادارة " بلاد العدو المحتلة جنوبا " وجاءت هذه الموازنات منفصلة عن الموازنة العامة التي اعدت للبلاد على النحو الاتـي :

(١) سجلات المجلس البلدى ـ نابلس : دوسيه الاوراق الصادرة لدائرة الحكم العسكرى ١٩١٨ ـ ١٩٢٠

ايــــرادات البـــلديـــات فــي " ادارة بــلاد العــدو المحتلـــة "

١٩١٩ – ١٩٢٠ (مقـــدرة بالجنيهـــات المصريـــــة) (١)

البيـــان	القدس	رام اللـه	بيت جـالا	بيت لحـم	يافـا	رملـة	اللـد	غـزة	خان يونس	مجـدل	فالوجه	الخليل
ضرائب ورسوم بلدية	٢٧ر١٩٦	٠ر٨٠٠	٠ر٣١٤	١ر١٢١	١٢ر٣٠٨	١ر٢٩٠	٣ر٤٢٠	٢ر٦٠٦	٠ر٣٢٠	١ر٠٥٤	٠ر١٩٠	٢ر٣١٥
ايرادات من العقارات	٢ر٣٥٠	٠ر٠٦٥	٠ر٠٧٧	٠ر٢٦٦	٢ر٤٦٥	٠ر٥٦٨	٠ر٠١٢	٠ر١٣٠	٠ر٤١٠	٠ر٤٩٠	—	٠ر٣٢٥
عـد الضـرائـب مســـــتردات												٠ر١٧٠
مجموع الايرادات	٢٩ر٥٤٦	٠ر٨٦٥	٠ر٣٩١	١ر٣٨٧	١٤ر٧٧٣	١ر٨٥٨	٣ر٤٣٢	٣ر٧٣٦	٠ر٧٣٠	١ر٥٤٤	٠ر١٩٠	٢ر٨١٠
قروض ومنح من الادارة العســـكريـــة	٠ر٥٦٠	٠ر٢١٠		٠ر٣٥٥								٠ر٤٨٠
قروض من البنـــوك											٠ر١٥٠	
ديون مستردة على السلف	٠ر١٩١											
مجموع الايرادات	٣٠ر٢٩٧	١ر٠٧٥	٠ر٣٩١	١ر٧٤٢	١٤ر٧٧٣	١ر٨٥٨	٣ر٤٣٢	٣ر٧٣٦	٠ر٧٣٠	١ر٥٤٤	٠ر٣٤٠	٣ر٢٩٠
رصيد من السنة الماضية	١ر٢٠٦	٠ر٣٠٠	٠ر٠٣٢	٠ر٢٠٠	٢ر١٦٧	٠ر٤١٨	٠ر٨٠٢	٠ر٨٢٦	٠ر٣٤٧	١ر٠٣٦	—	٠ر٦١٨
المجموع الكلـــي	٣١ر٥٠٣	١ر٣٧٥	٠ر٤٢٣	١ر٩٤٢	١٦ر٩٤٠	٢ر٢٧٦	٤ر٢٣٤	٤ر٥٦٢	١ر٠٧٧	٢ر٥٨٠	٠ر٣٤٠	٣ر٩٠٨

(1) F.O. 371/4143/138121 - 1919 .

تابع ايرادات البلديات في " ادارة بلاد العدو المحتلة "
١٩١٩ – ١٩٢٠ (مقدرة بالجنيهات المصرية) (١)

البيان	بئر السبع	نابلس	طولكرم	جنين	طبرية	صفد	الناصرة	حيفا	عكا	شفا عمر	المجموع
ضرائب ورسوم بلدية	٠ر٤١٥	٤ر٦٤٦	٢ر٣٨٢	٠ر٦٢١	٠ر٦٢٥	٠ر٧٦٠	٠ر٣٧٠	٦ر١٩٥	١ر٢٩٣	٠ر٣٣٣	٧٠ر٥٧٤
ايرادات من العقارات	٠ر٥٠٢	١ر٢٦٥	٠ر٦١٥	٠ر٧٣٢	٢ر١٤٨	٠ر٥٣٥	٠ر٣٠٠	١ر٦٦٠	٠ر٥٦٥	٠ر٠٨٥	١٦ر٥٦٥
عـد الضرائب مستردات			٠ر٦٣٠					١ر٢٩٥	٠ر٠٠٥		٢ر١٠٠
مجموع الايرادات	٠ر٩١٧	٥ر٩١١	٣ر٦٢٧	١ر٣٥٣	٢ر٧٧٣	١ر٢٩٥	٠ر٦٧٠	٩ر١٥٠	١ر٨٦٣	٠ر٤١٨	٨٩ر٢٣٩
قروض ومنح من الادارة العسكرية						٠ر١٨٥	٠ر٧١٠				٢ر٥٠٠
قروض من البنوك								٧ر٥٠٠			٧ر٥٠٠
ديون مستردة على السلف			٠ر٠٨٠								٠ر٤٢١
مجموع الايرادات	٠ر٩١٧	٥ر٩١١	٣ر٧٠٧	١ر٣٥٣	٢ر٧٧٣	١ر٤٨٠	١ر٣٨٠	١٦ر٦٥٠	١ر٨٦٣	٠ر٤١٨	٩٩ر٦٦٠
رصيد من السنة الماضية	٠ر٢٧٠	٠ر٤٣٠	٠ر٠٣١	٠ر٣٤١	—	—	—	—	—	—	٩ر٠٢٤
المجموع الكلي	١ر١٨٧	٦ر٣٤١	٣ر٧٣٨	١ر٦٩٤	٢ر٧٧٣	١ر٤٨٠	١ر٣٨٠	١٦ر٦٥٠	١ر٨٦٣	٠ر٤١٨	١٠٨ر٦٨٤

(1). F.O. 371/4143/138121 - 1919 .

مصروفات البلديات في ادارة " بلاد العدو المحتلة جنوبا "
١٩١٩ – ١٩٢٠ (مقدرة بالجنيهات المصرية) (١)

بيان	القدس	رام الله	بيت جالا	بيت لحم	يافا	رملة	اللد	غزة	خان يونس	مجدل	فالوجه	الخليل
مصروفات الادارة وجميع الرسوم	١ر٩١٦	٠ر١٨٦	٠ر١٧٥	٠ر٣٣٣	١ر٣٢٦	٠ر٣٣٧	٠ر٣٤٩	٠ر٦٥٦	٠ر٢٥٠	٠ر٣٣٧	—	٠ر٧١٠
خدمات عامة	٢٨ر٠٢٠	١ر١٨٩	٠ر٢٢٤	١ر٥٤٩	١١ر٤٦٣	١ر٩٠١	٢ر٧٠٢	٢ر٠٥١	٠ر٢٤٠	١ر٣٧٢	٠ر٢٦٠	٣ر١٧٣
مصروفات طارئة	٠ر٣٠٠	—	٠ر٠١٥	٠ر٠٦٠	٠ر١٧٥	٠ر٠٣٠	٠ر٠٥٠	٠ر٠٤٠	٠ر٠٣٠	٠ر٠٤٠	٠ر٠٢٠	٠ر٠٢٥
مجموع المصروفات	٣٠ر٢٣٦	١ر٣٧٥	٠ر٤١٤	١ر٩٤٢	١٢ر٩٦٤	٢ر٢٦٨	٣ر١٠١	٣ر٧٤٧	٠ر٥٢٠	١ر٦٣٩	٠ر٢٨٠	٣ر٩٠٨
ديون أو دفع تأمينات	١ر٢٦٧				٠ر٤١٠			٠ر٢٦٠		٠ر١٥٠		
مجموع المصروفات	٣١ر٥٠٣	١ر٣٧٥	٠ر٤١٤	١ر٩٤٢	١٣ر٣٧٤	٢ر٢٦٨	٣ر١٠١	٤ر٠٠٧	٠ر٥٢٠	١ر٧٨٩	٠ر٢٨٠	٣ر٩٠٨
فائض (بما فيه صيد حسابات لسنة سابقة)	—	—	٠ر٠٠٩	—	٣ر٥٦٦	٠ر٠٠٨	١ر١٣٣	٠ر٥٥٥	٠ر٥٥٧	٠ر٧٩١	٠ر٦٠٠	—
المجموع الكلي	٣١ر٥٠٣	١ر٣٧٥	٠ر٤٢٣	١ر٩٤٢	١٦ر٩٤٠	٢ر٢٧٦	٤ر٢٣٤	٤ر٥٦٢	١ر٠٧٧	٢ر٥٨٠	٠ر٣٤٠	٣ر٩٠٨

(1) F.O. 371/4143/138121 - 1919 .

تابع مصروفات البلديات في ادارة " بلاد العدو المحتلة جنوبا "

١٩١٩ ــ ١٩٢٠ (مقدرة بالجنيهات المصرية) (١)

بيان	بئر السبع	نابلس	طولكرم	جنين	طبريا	صفد	الناصرة	حيفا	عكا	شفا عمر	المجموع
مصروفات الادارة وجميع الرسوم	٠ر٣٧٥	١ر٦١٧	٠ر٦٧٩	٠ر١٤٤	٠ر٥٧٨	٠ر٤٨٤	٠ر٣٢٠	٠ر٨٩٢	٠ر٥٤٠	٠ر٠٢٦	١٢ر٢٢٠
خدمات عامة	٠ر٨١٢	٤ر٥٥٠	٢ر٧٣٨	١ر١٠١	١ر٨٤٦	٠ر٨٣٦	١ر٠٦٠	٦ر٣٣٢	١ر٢٤٩	٠ر٣٤٩	٧٥ر٩١٧
مصروفات طارئة	—	٠ر٠٤٥	٠ر٠٣٠	٠ر٠٥٠	٠ر١١٠	٠ر٠١٠	—	٠ر٠٦٠	٠ر٠٣٠	٠ر٠٠٥	١ر١٢٥
مجموع المصروفات	١ر١٨٧	٦ر٢١٢	٣ر٤٤٧	١ر٢٩٥	٢ر٥٣٤	١ر٣٣٠	١ر٣٨٠	٧ر٢٨٤	١ر٨١٩	٠ر٣٨٠	٨٩ر٢٦٢
ديون أو دفع تأمينات		٠ر٠٨٠			٠ر١٥٦	٠ر١٥٠		٩ر٣٣٦			١١ر٨٣٩
مجموع المصروفات	١ر١٨٧	٦ر٢٩٢	٣ر٤٤٧	١ر٢٩٥	٢ر٦٩٠	١ر٤٨٠	١ر٣٨٠	١٦ر٦٥٠	١ر٨١٩	٠ر٣٨٠	١٠١ر١٠١
بما فيه صيد حسابات لسنة سابقة	—	٠ر٠٤٩	٠ر٢٩١	٠ر٣٩٩	٠ر٠٨٣	—	—	—	٠ر٠٤٤	٠ر٠٣٨	٧ر٥٨٣
المجموع الكلي	١ر١٨٧	٦ر٣٤١	٣ر٧٣٨	١ر٦٩٤	٢ر٧٧٣	١ر٤٨٠	١ر٣٨٠	١٦ر٦٥٠	١ر٨٦٣	٠ر٤١٨	١٠٨ر٦٨٤

(1) F.O. 371/4143/138121 - 1919 .

ويتضح من هذه الموازنة ان الجانب الرئيسي من ايرادات البلديات ناتج عن رسوم البلدية ، وحسب هذه الموازنة بلغت ايرادات البلديات جميعها من الرسوم حوالي ٧٤ر٧٠ جنيه أي بنسبة ٧٩ بالمئة وهذا يعكس مدى مساهمة المواطنين في ايرادات البلدية الملزمة بتقديم خدمات مقابل ذلك ، وان باقي الايرادات بالنسبة للبلديات ناتج عن ايجار العقارات ، وهو بنسبة ١٨ر بالمئة والباقي من القروض سواء من الادارة العسكرية او البنوك .

واذا نظرنا الى موازنة كل بلدية على حده ، من هذه الناحية نجد ان بلدية القدس تأتي في المرتبة الاولى اذ تبلغ ايرادات هذه البلدية من الرسوم ١٩٦ر٢٧ جنيه أي بنسبة ٤ر٣٠ بالمئة وهذا راجع في الدرجة الاولى الى عدد السكان في المدينة بحكم مساهمتهم جميعا في مثل هذه الرسوم على اختلاف انواعها . ويليها بلدية يافا التي ساهمت ١٢٫٣٠٨ جنيه أي نسبة ٧ر١٣ بالمئة ، وقد يرجع هذا التفوق في ايرادات الرسوم الى مدى الحركة التجارية خصوصا في الاسواق المحلية في مدينة كمدينة يافا على اعتبار انها الى جانب ذلك ميناء البلاد الرئيسي .

ويلاحظ في هذه الموازنة ايضا ان البلدية الوحيدة التي حصلت على القروض من البنوك هي بلدية حيفا . وان القروض التي ادخلت الى موازنة هذه البلدية شكلت جانبا كبيرا من موازنتها لان ايرادات هذه البلدية بلغت ١٦٫٦٥٠ غطت القروض منها ٥٠٠ر٧ جنيه أي ان القروض ساهمت بنسبة ٤٥ بالمئة والباقي ١٥٠ر٩ جنيه من ايرادتها المحلية مثل الرسوم والعقارات . وهذا يعني ان هذه البلدية قد اعتمدت كثيرا على مصادر غير محلية . ويبدو ان هذه البلدية كانت تعاني عجزا في موازنتها حتى ان الادارة العسكرية فرضت ضريبة جديدة على الاملاك للتغلب على هذا النقص (١) .

ومن الامور البارزة في الايرادات ان بعض البلديات كان لديها ارصدة من موازنة السنة السابقة . وتبلغ هذه الارصدة المتوفرة حوالي ٢٤٠ر٩ جنيها أي ان هذه الارصدة ساهمت بنسبة ٣ر٨ بالمئة في تغطية ايرادات معظم البلديات ، وتأتي بلدية يافا في المرتبة الاولى ماذ بلغ رصيدها ١٦٧ر٢ جنيها أي ان ٢٤ بالمئة من مجموع ارصدة البلديات . كما يشكل هذا المبلغ ٧ر١٢ بالمئة من مجموع ايرادات هذه البلدية التي بلغت ٩٤٠ر١٦ جنيها .

ويلاحظ ان معظم البلديات زادت مصروفاتها بنسبة بسيطة عن ايراداتها ، والبعض من هذه البلديات زادت ايراداتها عن مصروفاتها ، ويلاحظ ان هذه المصروفات انصبت على الخدمات العامة التي صوف عليها حوالي ٩١٧ر٧٥ جنيها أي بنسبة ٧٥ بالئة من مصروفات البلديات ، وهذا امر له اهميته لان معظم هذه المصروفات انصب على خدمات المواطنين ، وقد تمت تغطية العجز البسيط في موازنات هذه البلديات من بعض القروض او من ارصدة السنة السابقة . فلو اخذنا بعض البلديات على حد ه ، نجد ان تقرير ايرادات بلدية القدس كان ٢٩٧ر٣٠ جنيها في حين ان المصروفات وصلت الى ٥٠٣ر٣١ جنيه وقد تم تغطية العجز من الارصدة السابقة وبينما قدرت بلدية الفالوجة ايرادتها ٣٤٠ جنيها وصلت مصروفاتها الى ٢٨٠ جنيها مما حققت فائضا بحوالي ٦٠ جنيها .

اما بعد ذلك ، فقد اخذت المجالس البلدية بتصريف شؤونها وتقديم خدماتها المدنية الى الاهالي من ذلك ان المجلس البلدي في نابلس وفر الانارة للمدنية بعد ان تضررت خلال الحرب وذلك منذ اواسط ديسمبر ١٩١٨ بعد ان وفر المجلس البلدي كميات الكاز المطلوبة للانارة وزيادة مخصصات الانارة لتغطية مصروفات الانارة بعد زيادة عدد المصابيح وزيادة عدد العاملين (الشعالين) المشرفين على الانارة ، ازاء العطل الذي كان يصيب مصابيح الانارة وبسبب عدم توفر العمال لاصلاح هذه المصابيح اقر المجلس البلدي احالة خدمات الانارة الى ملتزم بموجب اتفاق خاص معـه .

ومن الامور التي اهتمت بها المجالس شؤون النظافة وازاء اهمال العاملين في هذه الشؤون اوكل الامر الى الملتزم بعد الاتفاق معه في هذا الشأن .

---

(١) جريدة فلسطين : عـدد ٤٣ ـ ٣٠ كانون الثاني ١٩١٩ .

وبحث المجلس العديد من المخالفات وفرض الغرامات على المخالفين ، كتخلف بعض المواطنين عن دفع ما في ذمتهم لصندوق البلدية او المخالفين تعلميات دائرة الصحة .

وتابع المجلس البلدى انجاز الخدمات الضرورية للاهالي ، والعمل على تنفيذ بعض المشروعات الحيوية من ذلك مشروع القايق (الجسر) على نهر الاردن من جهة غور الفارعة الكائنة بأراضي نابلس ، خدمة الحركة التجارية بين مدينة نابلس ومدينة السلط وقد تم انشاء هذا الجسر بعد احالته على احد المقاولين في مدينة يافا ، ومن المشروعات الاخرى التي اهتم بها المجلس انشاء مسلخ جديد استنفذ جانبا كبيرا من موازنة البلدية ، كما بحث المجلس مشروع امكانية الاستفادة من ميا ة وادى الباذان — على بعد ١٥ كم من مدينة نابلس — في توليد الكهرباء للمدنية وتوفير المياه للمدينة والقرى المجاورة غير ان هذا المشروع لم ينفذ .

ومن الامور التي أقرها المجلس البلدى زيادة ايرادات البلدية عن طريق فرض رسوم على الفنادق في المدن بمقدار ٢٠ — ٥ قرش . وفرض رسوما جديدة على اصحاب الحرف والصناعات والتي صنفت الى اربعة اصناف : يدفع الصنف الاول مثل الصيدليات والمصابن ١٠٠ قرش شهريا والصنف الثاني ويضم البقالات والافران فقد فرض عليها ٥٠ قرشا شهريا والصنف الثالث مثل الحلاقين ٢٥ قرشا شهريا والصنف الاخير ١٠ قروش شهريا . وفرض المجلس رسوما على السيارات كما كان معمولا بالنسبة للعربات .

واستمر المجلس البلدى في تنفيذ اعماله وشؤونه من ذلك احالة اقلام الدخولية (الرسوم) على طالبيها من الملتزمين بطريق المزايدة العلنية ، وكان الدلال يقوم اولا باعلان ذلك امام المواطنين ثم يقوم " بالتشويقات " اللازمة لهذه العملية ، ويوم المزايدة العلنية يتم " البيع الاول " حسب العروض المقدمة وحسب ما يراه المجلس البلدى مراعيا المصلحة العامة في ذلك ، وبعد انتهاء عملية " البيع الاول " تعطى مهلة اخرى للمزايدة فاذا لم يتقدم احد تحال الاقلام المعلن عنها على الطالب الاول أى الملتزم لتتم عملية البيع الاخير او القطعي ، وبموجب هذه الاحالة يقوم الملتزم بدفع المبلغ المقرر الى البلدية على أقساط ، وعلى أثر ذلك يقوم بجمع الرسوم المقررة وذلك حسب القلم الذى احيل الى الملتزم وقد نظمت الاقلام على خمسة :

— الزيت والسيرج والجفت .
— الحبوب والدقيق وبعض الخضر .
— الزبيب والعنب والبطيخ والبرقوق والليمون .
— السمن والزبدة .
— الاسماك .

ومن الجدير بالذكر انه اذا لم تتم عملية المزايدة بسبب عدم توفر الملتزمين لهذه الاقلام جميعها تقوم البلدية بجباية هذه الرسوم بوساطة موظفيها وهذا معروف بنظام الامانة بدلا من الالتزام .

وعمل المجلس البلدى من ناحية أخرى على ضبط أسعار الحاجيات مثل أسعار اللحوم لان بعض القصابين كانوا يبيعون اللحوم في منطقة غير مدينة نابلس فأدى ذلك الى ارتفاع اسعار اللحوم من حين الاخر ، ولهذا عملت البلدية على تحديد اسعار اللحوم خلال مدة محددة يلتزم خلالها جميع القصابين بهذه الاسعار فاذا ما انتهت المدة المقررة يقوم المجلس ببحث الامر فاما ان تثبت الاسعار او يعمل المجلس على زيادتها او تخفيفها .

ومن ناحية اخرى عمل المجلس البلدى على ضبط المكاييل والموازين التي تستخدم في المدينة وذلك عن طريق استخدام ختم خاص لذلك عليه كلمة " بلدية " . وقد فرضت رسوم على انجاز هذه العملية . فاذا كانت

(١) سجلات المجلس البلدى — نابلس . دفتر ضبط قرارات المجلس البلدى ١٩١٨ — ١٩٢٠ .

المعاينة للمرة الاولى يفرض على كل قطعة قرشين
بارة فقط ، وقد أعطت مهلة لاصحاب الامر حتى يتمكنو
بهذه العملية لان المخالفين لذلك يغرمون .

ومن الامور التي عمل المجلس البلدى على ضبطها هي مسا ـ
من المدن الاخرى من ذلك أجرة الراكب بين نابلس ـ القدس ٥٠ قرشا . ام
الاجرة ٣٠٠ قرش (١) .

(١) سجلات المجلس البلدى : دفتر ضبط قرارات المجلس البلدى : ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ .

الفصل الحادى عشر

البعثة الصهيونية

وصول البعثة الصهيونية الى فلسطين ... والمهام التي أوكلت للبعثة الصهيونية ... أعمال البعثة الصهيونية بشأن تنظيم المجتمع اليهودى... توزيع الاعانات والمساعدات مساعدة اليهود على العودة الى فلسطين ... نص الخلافات بين الطوائف اليهودية الاشراف على المدارس اليهودية ... تهدئة مخاوف أبناء فلسطين من خلال اجتماعات عقدت في القدس ويافا ... نتائج هذه الاجتماعات ... الوفد العربي الى فلسطين لقاء وايزمان فيصل .

البحث في تطوير البلاد اقتصاديا من خلال تقرير وضعنه البعثة ... المواضيع التي عالجها هذا التقرير ... تطوير المستوطنات ... زرع مستوطنات جديدة ..... الاهتمام بالمواصلات ... موقف الادارة العسكرية من البعثة .

اثمرت الاتصالات بين حاييم وايزمان زعيم المنظمة الصهيونية في بريطانيا والحكومة البريطانية صدور تصريح بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ الذى تعهدت فيه الحكومة البريطانية ، بلسان وزير خارجيتها ، بذل معاونتها لتحقيق انشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وقد بدأت المنظمة على الفور اجرائتها للتمهيد لتنفيذ هذا التصريح ، وكان من الطبيعي ان تعمل المنظمة على التعرف على الاحوال في فلسطين ، فلم تمض بضعة اشهر على صدور التصريح حتى طلبت المنظمة الصهيونية من الحكومة البريطانية التصريح لها بايفاد وفد يمثلها الى فلسطين لتحقيق هذه الغاية .

استجابت الحكومة البريطانية للطلب الصهيوني الذى تقدم به الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان اواخر عام ١٩١٧ ، وقد برر وايزمان طلبه هذا بأن البعثة الصهيونية "ستكون بمثابة جهاز استشارى للسلطات البريطانية في فلسطين في كافة الامور المتعلقة باليهود او التى تؤثر على تأسيس الوطن القومي للشعب اليهودى طبقا لتصريح حكومة جلالته " (١) .

حقيقة ان الحكومة البريطانية ابدت اول الامر تحفظا امام هذا الطلب ، استنادا الى تقارير السلطات العسكرية في مصر وفلسطين بأن " الوضع العسكرى لا يسمح لاى شخص بالتوجه الى فلسطين ، الا انها من ناحية اخرى مهدت لقدوم البعثة الصهيونية الى المنطقة العربية فطلبت من كلايتون ان ينشر بالصحف العبارة الاتية '

" عندما يسمح الوضع العسكرى فان لجنة مكونة من مندوبين عن المنظمة الصهيونية ستتوجه الى فلسطين لمساعدة السلطات العسكرية في معالجة المشاكل التي لها صلة بالمستوطنات اليهودية في فلسطين وسوف تكرس اهتمامها لمسألة معونة السكان جميعا في المنطقة المحتلة " (٢) .

ضمت البعثة الصهيونية حاييم وايزمان رئيسا وثمانية اعضاء ينتمون الى جنسيات متعددة : من البريطانيين والفرنسيين والايطاليين ، كما التحق بها ضابطان بريطانيان لتسهيل اعمال البعثة مع السلطة العسكرية في فلسطين (٣) ، ثم زاد عدد اعضاء هذه البعثة حتى بلغ في ابريل ١٩٢٠ حوالي ١٠٠ عضو (٤) .

وصلت البعثة الصهيونية الى مصر في مارس ١٩١٨ فاستقبلها اليهود والمنظمات والجمعيات اليهودية استقبالا شعبيا واستقبلتها السلطة العسكرية البريطانية استقبالا رسميا وخلال اقامة البعثة في مصر دبرت السلطة العسكرية لقاءات لها مع زعماء السوريين المقيمين في مصر ، وخرجت البعثة من هذه اللقاءات بفكرة امكانيــــة التعاون بين العرب والصهيونيـــة (٥) .

وصلت البعثة الصهيونية الى يافا في ٤ ابريل ١٩١٨ . وانتقلت الى القدس في ١٠ ابريل ١٩١٨ حيث رحبت بها السلطة العسكرية البريطانية رسميا ، ووفرت لها التسهيلات اللازمة في تنقلاتها لانجاز مهمتها وكان وصولها مثارا للفرح بين الطوائف اليهودية في القدس (٦) .

كان من اهداف البعثة الصهيونية تهدئة مخاوف عرب فلسطين من اغراض البعثة الرامية الى اعداد فلسطين لليهود . وتحقيقا لذلك هيأت السلطة العسكرية البريطانية الفرصة المناسبة لرئيس واعضاء البعثة

(١) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، الجزء الثاني ص ٢٨ .
(٢) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ص ٣٣٩ — ٣٤٦ .
(٣) وليم بيل : تقرير رقم ٢٠ — ٢٥ مارس ١٩١٨ .
(٤) F.O. 371/5119/E 3237 - 21 April 1920.
(٥) وليم بيل : تقرير رقم ٢٢ — ٨ ابريل ١٩١٨ .
(٦) عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية ص ٢٨ .

الصهيونية لشرح مقاصدهم لابناء البلاد من خلال لقاءات كان اولها الاجتماع الذى عقد في القدس في ٢٧ ابريل ١٩١٨ وحاول وايزمان ... ، بعد ان قدمه ستورز Storrs الى الحاضرين ، وتوضيح مقاصد الصهيونية واغراضها للحاضرين من زعماء القدس العرب • فقال ان القصد من جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود هو ان يتاح لليهود الرجوع الى فلسطين لاحياء تراثهم القديم تحقيقا لخلق عالم جديد ينطوى تحته جميع أبناء البلاد بدون تمييز ولتحقيق ذلك أشار الى مقدرة البلاد في الاســتيعاب •
وركز وايزمان في حديثه على ان الصهيونية لا تستهدف الاستئثار بالسلطة العليا في البلاد ، بل أن الامر سيكون تحت اشراف دولة ديمقراطية الى حين يتمكن ابناء البلاد من الاعتماد على انفسهم • ولا بعاد الشك حول الارتباط الصهيوني البريطاني بشأن فلسطين لم يحدد وايزمان اسم هذه الدولة ، لكنه عارض ان يقوم في البلاد حكم دولى ، واشاد وايزمان بكفاح العرب في سبيل تحقيق اهدافهم في الحرية والاستقلال • لكنه كان حريصا على تحديد صورة الدولة المزمع اقامتها كثمرة لنضال الشعوب العربية فحددها بزوايا ثلاث هي مكة ، بغداد ، دمشق ،وبهذا التحديد استبعد فلسطين من المنطقة المقترح اقامة الدولة العربية عليها ، وطالب وايزمان بان تتاح للصهيونية فرصة لنموها نموا قوميا وان تستثمر الارض التي اهملت منذ زمن بعيد •• وان بـرنامجـه هـذا لـن يفلـح الا اذا انطلقـت مـن القدس رسـالة تعبـر عـن حسـن النيـة لاجـل تهـدئة المخـاوف والشكـوك ••• " (١) •

بهذه النقاط اذ وايزمان المطالب الصهيونية حسب ما حددت في تصريح بلفور ، ولكن باسلوب جديد احسن ت ديمه الى الحاضرين فقد استبعد ما كان يقلق ابناء البلاد من ابعاد تصريح بلفور في اقامة دولة يهودية في البلاد بايضاحة ان اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين لا تعني الا احياء التراث اليهودى القديم في فلسطين •

ولهذا جاء الحديث الذى ادلى به مفتي القدس في معرض رده على خطاب وايزمان مؤكدا ثقته التامة بتصريحات وايزمان التي ازالت الكثير من الاعتقادات الخاطئة حول مقاصد الصهيونية وابدى تطلعة الى التعاون مع الصهيونيين لتطوير فلسطين بالصورة التي عرضها وايزمان Weizmann

وقد عكست التقارير البريطانية الانطباعات الاولية لهذه الزيارة الصهيونية لفلسطين فأشار تقرير اورمبسي جـــور Ormsby-Gore أحد الضباط البريطانيين المرافقين للبعثة الى " ان العلاقات بين العرب واليهود تظهر تغيرا واضحا نحو الافضل " •

ومع ان التقارير البريطانية كانت متفائلة اكثر مما ينبغي بنتائج البعثة الصهيونية الى فلسطين ، الا ان وايزمان نفسه لم يكن كذلك اذ رفع رسالة الى برانداير Brandeis أحد كبار زعماء الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة يشكو له البطء في تنفيذ تصريح بلفور ، وواضح ان وايزمان كان يتطلع الى زيارة التدخل في اعمال الادارة العسكرية ليدفعها نحو البدء في تنفيذ التصريح (٢) •

وفي الاجتماع الثاني الذى نظم للبعثة الصهيونية في ٨ مايو ١٩١٨ في مدينة يافا كرر رئيس البعثة ماعرضه في القدس او مصر ،لكن بطريقة اكثر وضوحا ولعل ذلك يرجع الى الموقف الذى اتضح له في القدس ، مما حمله على ان يكون اكثر " جرأة " في الحديث عن الاغراض الصهيونية وقد جاء الرد من قبل قاضي يافا اكثر وضوحا من الرد الذى تلقاه وايزمان في القدس : فقال : " ان فلسطين والقدس خاصة هي كعبة ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم وسبعمائة مليون مسيحي واربعة عشرة مليون اسرائيلي " • وان " اهالي يافا من مسلمين ومسيحيين

(١) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ص ٣٥٥ — ٣٥٨ •
(٢) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ص ٣٥٨ — ٣٦٠ •

من احسن الامم امتزاجا مع غيرهم وان عنصرى الاسلام والنصارى سيعاملان مواطنيهما الاسرائيليين احسن معاملة مادامت الامة الاسرائيلية قائمة بحقوق هاتين الامتين مطبقة هذه التصريحات (تصريحات وايزمان) علـى اعمالهـا (١) ٠

ومن هنا جاء رد قاضي يافا على تصريحات وايزمان اكثر وضوحا في تحديد موقف ابناء البلاد من تصريح بلفور والنشاط الصهيوني المتمثل في البعثة الصهيونية ٠

ويبدو ان السلطات البريطانية ارادت ان تظهر بمظهر الحياد بين العرب واليهود ، كما رغبت في تهدئة مشاعر العرب ازاء بعض تصريحات البعثة الصهيونية ، وفي الوقت نفسه رأت ان لا بأس من ان تتخذ السلطات البريطانية من الوفد العربي اداة للتبشير بمستقبل فلسطين تحت الوصاية البريطانية فرأت السلطات البريطانية ارسال وفد عربي الى فلسطين ضم عددا من الزعماء السوريين الموجودين في القاهرة ٠

ضم الوفد العربي ثلاثة من الزعماء السوريين بالقاهرة هم رفيق العظم وسليمان ناصيف ومختار الصلح (٢) ، وقد غادر الوفد القاهرة مع بداية مايو ١٩١٨ الى فلسطين حيث اجتمع بالزعماء المسلمين والمسيحيين في القدس واستمع الى وجهات نظرهم ومطالبهم وقد فهمت السلطات البريطانية من هذه اللقاءات رضاء العرب عن البريطانيين لكنهم يعارضون الصهيونية ٠

حاول اعضاء الوفد الخروج عن الخطة المرسومة لهم فأخذوا بمطالبة كلايتون بضرورة اصدار خطة لتوضيح مستقبل فلسطين السياسي والاعلان عن ذلك امام ابناء البلاد من عرب ويهود ، لان الاعلان عن ذلك سيعمل على تحديد موقف كل طرف في البلاد ، وان ذلك سيضع حدا للكلام الشائع بشأن تحويل فلسطين الى دولة يهودية وسيعمل من ناحية اخرى على ازالة المخاوف العربية لكن كلايتون رفض طلبهم بحجة ان الاعلان عن ذلك سوء ثر على الوضع السياسي .والعسكرى في المنطقة ٠

واصل الوفد العربي جولاته في فلسطين فوصل الى يافا في ٢٧ مايو ١٩١٨ ، واستقبل الوفد استقبالا حافلا شعورا من اهل المنطقة بان الوفد بعثة رسمية جاءت بقصد رعاية المصالح الفلسطينية ، كما فعلت البعثة الصهيونية ، واوضح اعضاء الوفد العربي في الاجتماعات التي عقدوها في يافا ما سبق ان اعلنوه في القدس وكما عرض اهالي القدس مطالبهم عرض ابناء يافا مطالبهم وهي تذمرهم من تفضيل اليهود في الشوءون التجارية كما تذمروا من خطاب وايزمان الذى اوضح فيه ان من يعارض الصهيونية يعارض بريطانيا ، وبحث الوفد العربي هذه المطالب مع الحاكم العسكرى في يافا ومع وايزمان ٠ وقد اجاب الحاكم العسكرى بانه سيعمل على اتاحة المجال امام الجميع للاتجار مع مصر ٠ اما وايزمان فقد اشار على اعضاء الوفد بضرورة كبح جماح الاهالي ورد اعضاء الوفد على هذه الملاحظة بان على اليهود ان يتخذوا مواقف استفزازية للفريق الاخر (٣) ٠

ومن هنا يمكن القول بان اعضاء الوفد العربي لم ينجحوا في اداء المهمة التي كلفوا بها وهي العمل على تهدئة مشاعر ابناء البلاد بعد زيارة البعثة الصهيونية لفلسطين ، بل ان البعثة الصهيونية كانت سببا الى جانب اسباب أخرى في انطلاق ابناء البلاد الى تشكيل الجمعيات الاسلامية المسيحية لدرء الخطـر الصهيـونـي (٤) ٠

---

(١) كامل خله : مرجع سبق ذكره ص ١١٤ — ١١٥ ٠

(٢) (2) F.O. 371/3391/92609 - 24 May 1918.

(٣) وليم بيل : تقرير رقم ٩ — مايو ١٩١٨ ٠

(٤) انظر الفصل الثاني عشر الخاص بالحركة الوطنية الفلسطينية ٠

عملت البعثة الصهيونية على التقرب الى زعماء العرب لاقناعهم بأن مشروع الوطن القومي لن يؤدى الى الاضرار بمصالح العرب بل ان تعاون اليهود والعرب سيحقق كل الخير لمصالح جميع ابناء البلاد من عرب ويهود ، وفي مقدمة هؤلاء الزعماء كان الامير فيصل بن الحسين بن علي امير مكة ، فقام رئيس البعثة الصهيونية في اثناء وجودة في فلسطين بزيارة الامير فيصل اعتقادا من رئيس البعثة بان مركز الثقل بين العرب لا يمكن في فلسطين بل في الحجاز (١) الذى انبعثت منه الثورة العربية الكبرى وخرجت منه القوات العربية بقيادة فيصل لتشترك مع القوات البريطانية في تحرير فلسطين وسائر بلاد الشام من الحكم التركي .

وتحمست السلطات البريطانية لفكرة التقاء وايزمان وفيصل فلعل في هذا اللقاء ما يسهل للحكومة البريطانية موقفها ازاء الوعود المناقضة للطرفين .

وجرى اللقاء بين الرجلين في احد المعسكرات البريطانية في العقبة بتاريخ ٤ يونيه ١٩١٨ . وتحدث في هذا اللقاء الكولونيل جويس Joyce ، الضابط السياسي البريطاني في العقبة الذى حضر الاجتماع وقام بالترجمة بين وايزمان وفيصل بقوله : " بعد ان قدم وايزمان نفسه بصفته موفدا من الحكومة البريطانية للوقوف على المصالح اليهودية في فلسطين عبر عن رغبته بضرورة التعاون بين العرب واليهود . وقد اجابه فيصل بعدم استطاعته التحدث في الامور السياسية لان هذه من صلاحية والده واخذ وايزمان يزين للامير فيصل المطالب الصهيونية بقوله : " ان الصهونيين لا يهدفون الى اقامة حكومة يهودية بل يرغبون في العمل اذا كان ذلك ممكنا تحت ارشاد بريطاني من اجل استيطان وتطوير البلاد بدون تعد على مصالح الاهالي " .

ومع هذا فقد انتهى اللقاء بتبادل كلمات الود على ان تتم لقاءات اخرى بينهما . في رسالة بعث بها جويس في " يونيه ١٩١٨ الى كلايتون اوضح فيها انطباعة عن اللقاء بقوله : " ان المقابلة لا قيمة لها من الوجهة الرسمية نظرا لانه لا يمكن التوقع من فيصل ان يصدر أى تصريح علني ، لان هذا من عمل ملك مكة فقط وان كان كلايتون في ١٢ يونيه ١٩١٨ كان اكثر تفاؤلا حيث قال : " ولن ينجم عن مقابلة شخصية كتلك التي جرت الا الخير (٢) .

لم يحقق هذا اللقاء بين فيصل ووايزمان الرغبة الصهيونية البريطانية وان كان قد استغل على اساس حدوث اللقاء نفسه في محاولة لخلق محادثات لاجل التفاهم العربي اليهودى وقد جرى ذلك بالفعل في لقاء فيصل وايزمان الثاني الذى عقد في لندن في ٣ يناير ١٩١٩ والذى انتهى بمعاهدة صداقة عربية يهودية على حسب وصف اليهود لها ، واستغلت تماما من قبل الصهيونية مع افتتاح مؤتمر الصلح في باريس .

وكان من اعمال البعثة الصهيونية في فلسطين العمل على اعادة تنظيم المجتمع اليهودى بعد اضطراب اوضاعه بسبب احداث الحرب ومع ان وقع الحرب على المجتمع اليهودى في فلسطين كان اقل من غيره (٣) من المجتمعات بفضل المساعدات المالية التي كانت تصل الى الطوائف اليهودية من ابناء جلدتها في الخارج خلال سنوات الحرب بمساعدة قناصل الولايات المتحدة في الاستانه والقدس (٤) ، الا ان خلافات

---

(١) أحمد طربين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الحركة الصهيونية ص ٧٢ — ٧٥ .
(٢) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ص ٣٦٢ — ٣٦٦ .
(٣) انظر الفصل الثاني وقد بحثنا فيه موقف السلطة العثمانية من الحركة الصهيونية في أوائل الحرب
(٤) (4) Robert John, Sami Hadwi: The Palestine Diary 1914 - 1945 p.102.

كثيرة قامت بين الطوائف اليهودية خاصة . السفارديم Sepharadim والشكنازيم Ashkenism (١) بسبب عملية توزيع المساعدات المالية • وبسبب الخلاف حول كيفية استغلال هذه المساعدات • وتعرضت التقارير التي كان يرفعها الجنرال كلايتون في القدس الى المسؤولين البريطانيين الى هذه الخلافات ، فجاء في تقرير ٩ مارس ١٩١٨ مدى تذمر طائفة الشكنازيم من طائفة السفارديم بسبب مشاركتهما في المساعدات التي كانت تصل اليهم من الخارج فقد اعتبرت ان توزيع هذه المساعدات كان خاليا من الانصاف وظهرت من التقارير البريطانية ايضا نظرة صهيونية بشأن توزيع هذه المساعدات فقد اقترح بعض ابناء الطوائف اليهودية تغيير الطريقة التي توزع بها المساعدات • فبدلا من توزيع الاموال نقدا يجب اولا توظيفها ثم الاستفادة من فوائدها • ويقترح هؤلاء ان يتم اولا تشكيل لجنة مركزية تتسلم المساعدات من الخارج لتعمل على تشغيلها في الاعمال الزراعية والصناعية حتى يمكن الاستفادة من مردودها (٢) •

وهذا الاقتراح يدل على مدى الاطماع اليهودية في فلسطين • لان العمل بهذا الاقتراح يحرر اليهود اولا من عقدة نفسية وهي انهم يعيشون على المساعدات الخارجية ، كما ان هذه المشروعات تتح للبعض منهم مجال العمل في الاراضي التي ستعمل على استقرارهم في البلاد •

توصلت عدة محاولات محلية قام بها زعماء الطوائف اليهودية في فلسطين لفض الخلافات بين هذه الطوائف (٣) الى تحقيق بعض النجاح بتشكيل جمعية للاشراف على توزيع الاعانات الخارجية • لكن هذا الاجراء لم ينل قبولا من جميع الطوائف اليهودية ، ومن هنا كان على البعثة الصهيونية معالجة هذا الامر كخطوة اولى لازالة الخلافات بين الطوائف اليهودية والعمل على اعادة تنظيم المجتمع اليهودى في فلسطين (٤) •

وبوصول البعثة الصهيونية عقدت في القدس مؤتمرا في ١٣ مايو ١٩١٨ لجميع ممثلي الطوائف اليهودية ضم حوالي ٣٥ مندوبا (٥) انتهى بقرار يقضي باجراء انتخابات لتشكيل جمعية تأسيسية لتوحيد جميع الطوائف اليهودية في فلسطين بالرغم من احتجاج بعض الطوائف على ذلك (٦) ، وتحت رعاية البعثة الصهيونية ايضا

---

(١) طائفة السفارديم : ترجع هذه الطائفة في نسلها الى العائلات المحلية القديمة في البلاد والى العائلات اليهودية التي قدمت الى فلسطين من اسبانيا بعد أن طردت في عهد فرديناند وايزبيلا عام ١٤٩٢ وشكلت هذه الطائفة معظم السكان اليهود في مدن بلاد الشام ، ويعتبرون أنفسهم الملاك الشرعيين للارض لذا كانوا يلزمون طائفة الشكنازيم على دفع ضريبة محلية مقابل اقامتهم في الاراضي المقدسة •
" طائفة الشكنازيم : وهم اليهود الذين قدموا من شرق ووسط اوروبا والمانيا ، روسيا ، بولنده ، رومانيا ـ بدوافع دينية وقد جاء اعتراف الدولة العثمانية بهده الطائفة متأخرا بالنسبة لطائفة السفارديم ومع أن أفراد هذه الطائفة قد زادوا عددا فيما بعد الا أن نفوذ هذه الطائفة كان ضعيفا ولعل ذلك يرجع الى اختلاف لغاتهم •
انظر بهجت صبرى : لواء القدس تحت الحكم العثماني ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٣ •

(٢) (2) F.O. 371/3391/44236 - 9 March 1918.

(٣) (3) F.O. 371/3391/44236 - 9 March 1918.

(٤) (4) F.O. 371/3391/56762 - 28 March 1918.

(٥) محمد عبد الرؤوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، القسم الثاني ص١٩٦ ـ ٢٣٤

(٦) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، الجزء الثاني ص ١٣٩ ـ ١٤٠ •

عقد اجتماع آخر في يافا في يونيه ١٩١٨ ضم يهود يافا والقدس لوضع الترتيبات لدعوة الجمعية التأسيسية للانعقاد بعد ان تم انتخاب اعضائها لبحث الخلافات بين الطوائف اليهودية تحقيقا لتوحيد هذه الطوائف ليكونوا جميعا تحت اشراف البعثة الصهيونية (١) .

ولعل مؤتمر يافا الذى عقده اليهود خلال الفترة ما بين ١٨ ـ ٢٢ ديسمبر ١٩١٨ جاء دليلا على تحقيق اشراف البعثة الصهيونية على الطوائف اليهودية المتوقع عقده في باريس ، وكانت توصيات هذا المؤتمر بان تصبح فلسطين بمثابة كومنولث يهودى وان ينال ذلك مصادقة عالمية في مؤتمر الصلح وان تختار الدول الكبرى بريطانيا وصية على فلسطين وان يعهد اليها بحكم البلاد لمسا عدة الشعب اليهودى في بناء الكومنولث Commonwealth اليهودى ، وان يؤسس للعرب وزارة خاصة بهم (٢) .

وعملت البعثةالصهيونية ،في الوقت نفسهعلى تسهيل ،عملية قدوم اليهودمن الخارج الىفلسطينفبعد أنكانت هذه العملية تتم بشكل محدد ومقتصر على العاملين في المجال التربوى (٣) اصبحت تضم العاملين في الخدمات الطبية (٤) مع ان البعثة الصهيونية رغبت في فتح الباب على مصرعيه تسهيلا لقدوم اليهود الى فلسطين والحرب لم تنته بعد (٥) .

ولقد كان موقف الادارة العسكرية في تحديد عدد القادمين اليهود الى فلسطين سببا لاعتراض الحركة الصهيونية في لندن (٦) واحتج اليهود في امريكا على اجراءات السلطة العسكرية بقولهم : " لقد كان من المستحيل الحصول على اذن من السلطات العسكرية لارسال اى شخص من الولايات المتحدة الى فلسطين " .

وكان جواب الحكومة البريطانية مخففا للاحتجاجات الصهيونية التي تقدم بها برانديز الى السفارة البريطانية في واشنطن اكتوبر ١٩١٨ فقد خاطبتهم بالاسلوب الذى يتمشى مع الاطماع الصهيونية : " انه لمصلحة الصهيونية ان تعد الان الشباب الصهيوني اعدادا شاملا خدمة للاستيطان ، وهذا يتطلب تدريب الشباب على الاعمال الزراعية واعداد " المستوطن الصادق " ليكون الجميع على اهبة الاستعداد للانتقال الى فلسطين فور ما تسمح الظروف بذلك (٧) ، ويبدو ان الضغط على الحكومة البريطانية من الحركة الصهيونية كان كبيرا لانها سمحت لبعض اليهود في الولايات المتحدة بالقدوم الى فلسطين بصفتهم من العاملين في مجال الخدمات التربوية والطبية (٨) .

وعملت البعثة الصهيونية ايضا على تنظيم عودة اليهود من المناطق العربية (٩) المجاورة بعد ان لجأوا اليها خلال الحرب العالمية (١٠) ، فقد عاد من تلك المناطق خلال ١٧ أكتوبر ـ ٢٧ أكتوبر ١٩١٨

---

(١) جفريز : المرجع السابق ، الجزء الثاني ص ٣١ .

(٢) (2) F.O. 371/4229/83544 - 31 January 1919.

(٣) (3) F.O. 371/3421/211645 - January 1918.

(٤) (4) F.O. 371/3421/213827 - 30 December 1918.

(٥) (5) F.O. 371/3415/210189 - December 1918.

(٦) (6) F.O. 371/3415/21089 - December 1918.

(٧) (7) F.O. 371/3415/186824 - 23 October 1918.

(٨) (8) F.O. 371/3415/207004 - 16 December 1918.

(٩) (9) F.O. 371/3412/211645 - 24 December 1918.

(١٠) (10) F.O. 371/3412/163475 - 26 September 1918.

حوالي ٢٫٠٠٠ يهودى (١) ٠

وأشرفت البعثة الصهيونية بعد وصولها الى فلسطين على مدارس الطوائف اليهودية (٢) ، وعملت على تأسيس مدارس جديدة كالمدرسة المهنية للبنات في القدس (٣) ، وساهمت بنصف مصروفات التعليم لعـــام ١٩١٧ – ١٩١٨ ، وتدرج اشراف البعثة الصهيونية على التعليم العبرى فساهمت في موازنة التعليم لعـــام ١٩١٨ – ١٩١٩ بحوالي ٧٥٫٠٠٠ جنيه من مجموع الموازنة العامة للتعليم المقدرة بحوالي ١١٠٫٠٠٠ جنيه (٤) أى بنسبة ٦٨ بالمئة من مجموع مصروفات المدارس البالغ عددها ٩٤ مدرسة يهودية ضمت ١٠٫١٧٢ طالبـــا وطالبـــة (٥) ٠

وبقدوم البعثة الصهيونية الى فلسطين حققت حلما قديما للصهيونية هو تأسيس الجامعة العبرية (٦) فوضع حجر الاساس لها على جبل سكوبس في ٢٤ يوليو ١٩١٨ بحضور حشد كبير من اليهود وبحضور عـــدد من الزعماء المسلمين والمسيحيين (٧) ، والقيت في هذه المناسبة الخطب التي يمكن القول عنها بأنها خطـــة صهيونية بريطانية لابراز صورة غير حقيقية عن الوضع في البلاد من خلال الاحتفال الذى حضره بعض أبناء البـلاد على اختلاف مذاهبهم كما أن تأسيس الجامعة العبرية كان خطوة بعيدة المدى على طريق تحقيق الاطمـــاع الصهيونيـــة في فلســطين ٠

عملت البعثة الصهيونية على تنظيم الخدمات الطبية بين الطوائف اليهودية في فلسطين بعد أن وفرت العدد الكافي من العاملين في الخدمات الطبية باستقدامهم من خارج البلاد (٨) ٠ ومن هنا تمكنت البعثـــة الصهيونية من ممارسة خدماتها الطبية خارج اشراف دائرة الصحة العمومية (٩) ، كما سمح للبعثة الصهيونيـــة بافتتاح مكتب صهيوني في يافا ليحل محل المكتب الصهيوني الذى أسسه أرثر روبين عام ١٩٠٧ ، وافتتـاح مكتب صهيوني آخـر في القـــدس (١٠) ٠

وجهت البعثة الصهيونية جانبا كبيرا من نشاطها لدراسة امكانية البلاد الاقتصادية وانتهت باعداد تقرير رفع الى المنظمة الصهيونية في لندن بتاريخ ٣٠ اكتوبر ١٩١٩ ٠ وقد كشف التقرير عن جوانب متعددة من امكانيات البلاد الاقتصادية ، فاشار الى أن الزراعة في فلسطين أبعد ما تكون عن الزراعة الشاملة فهي " زراعة بدائية " وانتاجها قليل بسبب ضعف التربة ويمكن التغلب على ذلك بتوسيع الرقعة الزراعية في البلاد خاصة في المناطـق الساحلية كمرج ابن عامر والاستفادة من المناطق الجبلية بتحريشها لتكون مصدرا رئيسيا لسد حاجة البلاد مـــن الاخشاب ، وطالب التقرير بضرورة توفير المصادر المائية بضم منابع نهر الليطاني ومنابع نهر الاردن الى المناطـق

(١) (1) F.O. 371/3412/183843 - 4 November 1918.

(٢) (2) F.O. 371/3412/111622 - 22 June 1918.

(٣) (3) F.O. 371/3391/121884 - 10 July 1918.

(٤) (4) Noah Nardi: OP. Cit., p. 263.

(٥) (5) Roderic Matthews and Matta Akrawi: Op.Cit.,p.263.

(٦) حاييم وايزمان : مرجع سبق ذكره ص ٨٢ ٠

(٧) (7) F.O. 371/3391/70010 - 19 April 1918.

(٨) (8) F.O. 371/3415/186866 - November 1918.

(٩) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة – الجزء الثاني ص ١٣٩ – ١٤٠ ٠

(١٠) ابراهيم أبو لغد : تهويد فلسطين – ترجمة أسعد رزق ص ٦٤ – ٦٦ ٠

التي ستشكل فلسطين المستقبل والتي حددها التقرير على النحو الاتي :

شمالا : نهر الليطاني وصيدا حتى مرتفعات جبل الشيخ ، شرقا : من مرتفعات جبل الشيخ وعلى امتداد الجبال الموازية لنهر الاردن وعلى بعد ٢٥ ميلا من النهر ، جنوبا : من العقبة حتى رفح .

تحدث التقرير كذلك عن المستوطنات اليهودية ، فوصفها بأنها الوحيدة التي حققت الزراعة المتطورة في حين أن الزراعة في الجهات الاخرى -ويقصد بذلك المناطق العربية- مهملة الى حد ما ، ومهما يكن من أمر فان اللجنة التي قامت باعداد هذا التقرير واجهت صعوبة عند تعرضها لموضوع المستوطنات بسبب الاندفاع الصهيوني في اقامة المستوطنات بشكل متعدد وفي وقت قصير ، ثم الاتجاه نحو اعتماد المستوطنات على ذاتها ، والتخفيف من الاعتماد على المساعدات الخارجية ، ثم معالجة المتطلبات الهامة والسريعة التي كانت المستوطنات اليهودية بحاجة اليها بعد انتهاء الحرب ، واقترح أعضاء اللجنة مخرجا لذلك بالنظر الى قضية المستوطنات من زاويتين : العمل على توسيع المستوطنات الموجودة لاستقبال موجات الهجرات اليهودية المنتظرة فيعمل الجميع من أبناء المستوطنات في تعبيد الطرق وأعمال البناء لاعداد مساكنهم الجديدة بشكل جماعي على أن يتم نقل المستوطنين الجدد بعد انجاز المستوطنات الجديدة وفي هذا امكانية الاستيعاب السريع (١) لموجات الهجرات اليهودية المتوقعة بدون الانتظار الى حين اعداد المستوطنات الجديدة .

أما الزاوية الثانية فهي اعداد مستوطنات جديدة ، وهذا يتطلب اعدادا أوسع لاعتماده على تطوير الزراعة من جوانب متعددة منها زراعة الغابات التي ستكون مصدرا رئيسيا للاخشاب في البلاد لاستخدامها في الوقود أو أعمال البناء مع مراعاة نوع الاشجار التي تحقق قيمة اقتصادية أكثر من غيرها . ثم العمل على تجفيف المستنقعات ، الامر الذى يتطلب أولا اجراء مسح شامل لتحديد أماكن المستنقعات في البلاد ومعرفة أسباب ذلك .

وأشار التقرير كذلك الى ضرورة شق الطرق البرية لتربط أولا بين المستوطنات اليهودية في فلسطين ، ثم العمل على ربط هذه المستوطنات بالطرق البرية الرئيسية في البلاد وبخطوط السكك الحديدية .

وانتقد التقرير تعدد الموانىء الفلسطينية وطالب بضرورة تشييد ميناء رئيسي واحد في حيفا لملاءمة الموقع الجغرافي لذلك ، وأن يكون ميناء يافا ثانويا لخدمة المراكب الصغيرة ، وطالب أيضا باجراء الاصلاحيات السريعة في موانىء البلاد ، لان بناء الميناء الجديد يحتاج الى وقت طويل قد يؤثر على الحركة التجارية في البلاد .

وطالب التقرير عند تعرضه لاوضاع السكك الحديدية في فلسطين بضرورة توحيد الاشراف الادارى على هذه الخطوط نظرا لان ملكية بعض الخطوط تعود لشركة فرنسية (خط يافا — القدس) وخطوط أخرى للدولة العثمانية وطالب بضرورة استخدام المقاس العالمي في جميع خطوط السكك الحديدية الموجودة وباستخدام نفس المقاس في الخطوط الجديدة التي من المنتظر تشييدها .

واقترح التقرير اقامة جسر آخر على قناة السويس لان الجسر الذى يربط بين الخطوط المصرية وفلسطين هو جسر متحرك اقيم أثناء الحرب فهو بهذا لا يخدم الاغراض التجارية بين مصر وفلسطين .

واقترح التقرير اقامة محطات لتوليد الكهرباء على نهر الاردن شمال طبرية للاستفادة من هذه الطاقة في تطوير البلاد بما في ذلك المستوطنات ، كما أشار الى امكانية الاستفادة من المكانة الدينية والتاريخية للبلاد بالعمل على تشجيع السياحة ، وأولى الخطوات لذلك تشييد عدد من الفنادق في المدن الرئيسية (٢) .

(١) (1) Charles Metcalel, Ralph Freeman: Interim Royort on Engineering Works., London, October 1919.

(٢) (2) Idem.

فالتقرير بهذه الصورة يشكل خطة شاملة لتحقيق الاطماع الصهيونية في فلسطين ، وتنفيذا لما نص عليه تصريح بلفور بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لان هذا التقرير لم يتعرض فقط الى بيان مصادر وامكانيات البلاد الاقتصادية بل قدم عدة اقتراحات للاستفادة من هذه الامكانيات ، بل أن التقرير رسم صورة لحدود فلسطين السياسية استنادا على اعتبارات اقتصادية بهدف توفير المصادر المائية لتطوير الزراعة في البلاد خدمة لاقامة العديد من المستوطنات الزراعية ، وبقي هذا التقرير مدار بحث ودراسة داخل المنظمة الصهيونية في لندن الى أن أخذ في تنفيذه بعد تقرير مستقبل فلسطين السياسي في مؤتمر سان ريمو ٢٥ ابريل ١٩٢٠ .

لم يتحدد موقف الادارة العسكرية البريطانية من البعثة الصهيونية بسبب الاعمال التي قامت بها البعثة بدون الرجوع الى الادارة العسكرية ـ كما سبق شرحه ـ بل أن الامر توسع الى مجالات أخرى كانت مصدرا للاحتكاك المستمر بين الادارة العسكرية والبعثة ، من ذلك اصرار البعثة على جعل اللغة العبرية لغة رسمية في البلاد ، وتدخل البعثة في دفع مبالغ من المال الى الكتيبة الصهيونية العاملة لدى السلطات العسكرية البريطانية ، لان هذا التدخل كان مصدرا دائما لتسرب المعلومات الرسمية من السلطة العسكرية الى البعثة الصهيونية ، كما احتجت البعثة الصهيونية على اجراءات الادارة العسكرية عندما طرحت مشروعا لتقديم القروض للمزارعين (١) في البلاد بفائدة ٦% بالمئة بالتعاون مع البنك انجلو أجبشيان Anglo-Eguptian وذلك لوجود بنك يهودي هو البنك الانجلو فلسطيني يقدم القروض لكن بفوائد أكبر مما يؤدي الى أحجام المزارعين ـ خاصة العرب ـ عن الاقتراض من البنك الانجلو ـ فلسطيني وكذلك احتجت البعثة الصهيونية على اجراءات الادارة العسكرية عند نشوب الاضطرابات في القدس ٤ ابريل ١٩٢٠ واتهمت الادارة بتقصيرها في حماية اليهود (٢) .

تجمعت هذه الاعتبارات لتكون شواهد على أعمال البعثة الصهيونية تضمنها التقرير الذى قدمه الجنرال بولز الى حكومته أعقاب افتتاح مؤتمر سان ريمو ـ موضحا فيه الاوضاع العامة في البلاد وبعد أن أوضح أعمال البعثة الصهيونية في فلسطين كتب يقول : " لسوف يتبين مما سبق ذكره أن سلطتي أنا وسلطة كل دائرة في دوائر ادارتي موضع ادعاء وافتراء من قبل البعثة الصهيونية وأرى جازما أن هذه الحالة لا يمكن أن تستمر بدون الحاق ضرر بالغ بالامن العام وبولاء ادارتي .

ومن العبث القول للعناصر الاسلامية والمسيحية من السكان أن تصريحنا الذى يقضي بالمحافظة على الوضع الذى الفينا عليه البلاد غداة دخولنا القدس قد روعي لان الحقائق تشهد بعكس ذلك ... ادخال اللغة العبرية كلغة رسمية واقامة هيئة تشريعية يهودية وكل هذه " الحكومة " التي اقامتها البعثة الصهيونية في أرجاء البلاد الامر الذى تعلمه هذه العناصر جيدا وامتيازات السفر الخاصة التي منحت لاعضاء هذه البعثة . ولقد اقنعت كل هذه الامور العناصر غير اليهودية اقناعا راسخا مطلقا بتحيزنا ... ومن الناحية الاخرى فان البعثة الصهيونية تتهمني وضباطي بمعاداة الصهيونية ، ان الوضع لا يطاق وينبغي انصافا لضباطي ولي أن يواجه مواجهة منصفة ."

ونتيجة لذلك أوصى الجنرال بولز حكومته "بالغاء البعثة الصهيونية في فلسطين لصالح السلم والتطور ولصالح الصهاينة أنفسهم " (٣) .

وهكذا أعطى التقرير الذى قدمه بولز فكرة واضحة عن نشاط البعثة الصهيونية في وقت لم يتضح فيه

---

(١) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة : الجزء الثاني ص ١٣٩ ـ ١٤٢ .

(٢) انظر الفصل الثاني عشر الخاص بالحركة الوطنية الفلسطينية .

(٣) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، الجزء الثاني ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

مستقبل البلاد السياسي رغم تحذير السلطة العسكرية البريطانية في فلسطين من مغبة هذه السياسة ، وعلى الرغم من ان السلطات العسكرية البريطانية قدمت مختلف التسهيلات للبعثة في تنقلاتها فان الجفاء الذى ابدته هذه السلطات تجاه نشاط البعثة لا يقارن بالكرم الذى ابدته الحكومة البريطانية نفسها .

ويقول جفريز في بيان موقف الحكومة البريطانية من مذكرة الجنرال بولز التي توضح موقف الادارة العسكرية من البعثة الصهيونية : " وان كنت أميل الى الاعتقاد بانها (مذكرة بولز) قد ذهبت الى هناك (مؤتمر سان ريمو) وانه كان لها اثر في جعل المستر لويد جورج يقرر التخلص من الادارة العسكرية في اسرع وقت ممكن . وليس غريبا ان كلمات الجنرال هي الشئ الذى دفع المستر لويد جورج حقا الىَ ان يبدى ملاحظته للدكتور وايزمان بقوله ان المطلوب في فلسطين هو رجال يهتمون حقا ببناء الوطن القومي اليهودى (١) .

ويبدو ان الصهيونيين ــ بعد صدور صك الانتداب ــ نظروا الى بقاء الحكم العسكرى في فلسطين ــ بالرغم مما حققته البعثة الصهيونية من اعمال لتنفيذ تصريح بلفور ــ على انه سيكون عقبة في وضع الخطط الشاملة والسريعة لتنفيذ تصريح بلفور بأنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لذا طالبوا الحكومة البريطانية بانهاء الحكم العسكرى . وقد استجابت الحكومة البريطانية لذلك لم يعد ثمة عراقيل لاتمام الصفقة بعد قرارات مؤتمر سان ريمو التي ضمنت صك الانتداب وتنفيذ تصريح بلفور ، لهذا اصدر لويد جورج قرارا بتعيين هربرت صموئيل الصهيوني المعروف اول مندوب سام لبريطانية في فلسطين . وقد تسلم منصبه اول يوليو ١٩٢٠ ، ليحل محل الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين ، ولم يخف زعماء الصهيونية دورهم هذا : فقد اعلن وايزمان في حديث له في الولايات المتحدة في السنة التالية (١٩٢١) قائلا : " كنت انا المسؤول بالدرجة الاولى عن تعيين السير هربرت صموئيل على فلسطين .. " (٢) ، ولم يكن صموئيل بعيدا عن الصورة فقد كلفته الحكومة البريطانية بالقيام بزيارة الى فلسطين ، وضع على اثرها تصورا عاما للمنطقة العربية ، أوضح فيه مستقبل فلسطين السياسي ، كما اقر ذلك في مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠ ، فاذا كان صموئيل قد كلف بوضع التخطيط السياسي لفلسطين فقد كلف بعد ذلك بقليل لتنفيذ هذا المخطط عندما حشد في ادارته اكبر عدد من الصهاينة للشروع في تنفيذ تصريح بلفور بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

---

(١) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، الجزء الثاني ص ٢٠٠ .

(٢) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، الجزء الثاني ص ٢١٣ .

الفصل الثاني عشر

===================

بداية الحركة الوطنية الفلسطينية

الاوضاع العامة التي سبقت أو لازمت صدور تصريح بلفور ومدى تأثيرها على حجم ومدى ردود الفعل في فلسطين ... ردود فعل عرب فلسطين حسب التقارير البريطانية ... كيف عالجت الحكومة البريطانية الاثار التي خلفها تصريح بلفور ... تهدئة الخواطر العربية للتأثير على تهدئة الوضع في فلسطين ... ايفاد بعثة صهيونية للعمل على تهدئة الوضع ... البدء في تشكيل الجمعيات الاسلامية المسحية ... الاثار التي خلفتها البعثة الصهيونية ... الوفد العربي الى فلسطين لتهدئة خواطر أبناء البلاد بعد الاثار السيئة التي خلفتها البعثة الصهيونية ... الجمعية العمومية الفلسطينية المؤتمر الفلسطيني الاول ... الحزب العربي الموالي لبريطانيا ... لجنة كنج كرين المؤتمر السورى الاول المظاهرات التي تشبت في البلاد عام ١٩٢٠ ... حوادث الهجوم على المستوطنات الصهيونية ... أحداث ٤ ابريل ١٩٢٠ ... لجنة التحقيق برئاسة بالين وتقريرها عن أسباب الاحداث الاخيرة ... موقف الادارة العسكرية الاحتجاجات التي عمت البلاد على أثر اعلان قرارات مؤتمر سان ريمو ... ملاحظات عامة على الحركة الوطنية الفلسطينية .

كانت محصلة الخضوات بين بريطانيا والحركة الصهيونية في نطاق الربط بين المصالح البريطانية والاطماع الصهيونية في فلسطين ، ان اصدرت الحكومة البريطانية تصريح بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ الذى نص على وعد من الحكومة البريطانية ببذل أقصى جهودها في المساعدة على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ولترجمة هذا الموقف البريطاني المعلن الى واقع سمحت الحكومة البريطانية لبعثة صهيونية بالقدوم الى فلسطين على نحو ما رأينا لتكون الى جانب الادارة العسكرية البريطانية ، للعمل معا لاجل تنفيذ ما جاء فى هذا التصريح ، ولماكانت هذه الخطوات تستهدف أرض فلسطين لذا اتخذ الشعب العربي في فلسطين موقفا في مقاومة هذه الاطماع • ومن هنا فان الحديث عن الحركة الوطنية الفلسطينية سيكون من خلال ردود الفعل التي أظهرها هذا الشعب تجاه تصريح بلفور وتجاه البعثة الصهيونية التي وصلت خلال هذه الفترة •

وقبل الوقوف على مدى وحجم ردود الفعل التي أعلنها الشعب الفلسطيني تجاه تصريح بلفور ، نتعرض بالحديث عن الاوضاع العامة التي سبقت او لازمت صدور هذا التصريح ، لان هذه الظروف انعكست على موقف عرب فلسطين من التصريح •

وفي مقدمة هذه الظروف ، الطريقة المبتورة التي أعلن فيها تصريح بلفور • فقد تسربت أخبار هذا التصريح الى فلسطين قبل ان تعلنه الادارة العسكرية بشكل رسمي في ١٨ فبراير ١٩٢٠ بواسطة عده طرق ، من ذلك ان جريدة المقطم نشرت نص هذا التصريح في ١٠ نوفمبر ١٩١٧ — أى بعد صدور ذلك بعده أيام • وقد عرفت هذه الجريدة باتصالها بالدوائر الانجليزية (١) ، كما ان بعض الفلسطينيين الذين عادوا الى فلسطين مع القوات البريطانية حملوا معهم نسخا من تصريح بلفور وبرقية الاحتجاج التى ارسلها زعماء السوريين في مصر (٢) •

وهكذا رأى العرب ان أمالهم تتبدد ، سواء من جهة الاتحاديين القابضين على السلطة في الدولة العثمانية او من جهة الحكومة البريطانية التي بدأت ، متحالفة مع القوى الصهيونية ، تخطط لوضع البلاد تحت السيطرة البريطانية وتمهد لتحقيق مطامع الصهيونية فيها •

ولكن العرب وخاصة في ظروف الحرب الراهنة كانت تعوزهم الاجهزة اللازمة من احزاب وجمعيات سياسية لتجميع صفوفهم والتعبير عن رأيهم •

هذه الظروف حددت حجم ومدى رد الفعل في فلسطين تجاه تصريح بلفور خلال الفترة الوجيزة التي تلت احتلال القوات البريطانية للقسم الجنوبي من فلسطين •

اما التقارير البريطانية التي رفعها الكولونيل ديدس Deeds ضابط في المخابرات السياسية البريطانية في قيادة اللنبي الى المندوب السامي في مصر بعد فترة وجيزة من دخول اللنبي مدينة القدس ، فصورت رد الفعل الاول بأن هذا التصريح " قد أحدث قدرا غير ضئيل من المخاوف بين العناصر التي بلغني انها تحاول مقابلتي (٣) •

كما ان تقارير الجنرال كلايتون التي رفعها الى المندوب السامي في مصر وان كانت تشير الى عدم حدوث تغير في الاوضاع السياسية ، الا ان العديد من هذه التقارير اشارت الى القلق الذى انتاب أبناء البلاد خاصة المسلمين منهم فيما يتعلق بالتسويات النهائية بعد الحرب (٤) •

---

(١) كامل حلمه : مرجع سبق ذكره ص ١١٠ •

(٢) وليم ييل : تقرير رقم ٢٦٥ نوفمبر ١٩١٧ •

(٣) عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ص ١٠٣ — ١٠٥ •

(4) F.O. 371/3391/19008 — 29 January 1918.

كان على الحكومة البريطانية ان تعالج الاثار التي ترتبت على نشر تصريح بلفور وتسرب اخباره الى المنطقة العربية ، فاوفدت هوجارت Hogarth في يناير ١٩١٨ لمقابلة الشريف حسين في جدة بصفته ممثلا للحركة العربية لتهدئة خواطره ، والوقوف على وجهة نظرة ،خاصةوان العمليات العسكرية البريطانية لم تكن انتهت بعد (١) .

كما عملت على تهدئة خواطر زعماء السوريين في مصر الذين علموا بهذا التصريح فور اعلانه ، وقدموا على اثر ذلك برقية احتجاج الى الخارجية البريطانية . وتمكنت السلطة العسكرية من تهدئة خواطرهم (٢) .

فاذا تمكنت الحكومة البريطانية بتحركها هذا من تهدئة الخواطر العربية في الحجاز ومصر ، أى خارج فلسطين الا انها واجهت موقفا أشد صعوبة في الداخل ، لان عرب فلسطين كانوا ينطلقون من الواقع الماثل امامهم وهو الوجود الصهيوني في العديد من المستوطنات المنتشرة في البلاد (٣) .

ومن هنا حاولت السلطة العسكرية اخفاء هذا التصريح عن ابناء فلسطين ،لكنه كان يتسرب بوسيلة او باخرى بين ابناء البلاد . ومن هنا اشارت التقارير التي رفعها الجنرال كلايتون الى المندوب السامي في مصر الى تزايد المخاوف والقلق بين ابناء البلاد (٤) .

في هذه الظروف بدأت الصهيونية تتحرك . وقد رأينا في الفصل السابق نشاط البعثة الصهيونية في فلسطين وموقف السلطات العسكرية منه ومحاولة رئيسه التقرب من بعض زعماء العرب لتهدئة مخاوفهم .

وقد جاءت هذه الزيارة بنتائج عكسية لان قدوم هذه البعثة وما قامت به من اعمال (٥) قد حرك المشاعر الوطنية في عرب فلسطين للبدء في تنظيم سياسي داخلي . وقد تمثل ذلك في تشكيل الجمعيات الاسلامية المسيحية التي اخذت على عاتقها ترجمة المشاعر الوطنية في البلاد الى مواقف محددة تجاه الصهيونية وحدها . ولعل التركيز على مواجهة الصهيونية دون بريطانيا يرجع الى المفاهيم التي كانت سائدة في تلك الفترة خاصة بين القادة والمسؤولين الفلسطينين ، والى خلفية الصراع الطويل بين الصهيونية وعرب فلسطين الذى بدأ قبل ذلك ، عندما بدأت المستوطنات اليهودية تظهر في البلاد خلال فترة الحكم العثماني (٦)

ولا يفهم من هذا أن العرب وقفوا من بريطانيا موقفا وديا ، في الواقع أن زعماء العرب كانوا يعتبرون بريطانيا حليفتهم في الحرب ، ويعلقون عليها آمالا كبيرة في تحقيق انشاء دولتهم المستقلة بعد الحرب ولكن تصريح بلفور الذى أخذ يتسرب بين العرب نشر قلقا كبيرا بينهم .

ومن أوائل الجمعيات التي ظهرت في المنطقة الجنوبية من فلسطين ، جمعية القدس وهي جمعية اسلامية مسيحية ، ويبدو أنها تشكلت من مجموع الجمعيات التي تكونت في مدينة القدس في أعقاب الحرب بقصد تصريف شؤون المدينة متعاونة مع السلطات العسكرية . وعلى أثر تسرب أنباء تصريح بلفور صارت هذه

(١) انظر الفصل الثالث الذى بحثنا فيه فلسطين في وعود بريطانيا .
(٢) وليم بيل : تقرير رقم ٩ — ٢٤ ديسمبر ١٩١٧ .
(٣) وليم بيل : تقرير رقم ٥ — ٢٦ نوفمبر ١٩١٧ .
(٤) F.O. 371/3391/37361 — 23 February 1918.
(٥) انظر الفصل الحادى عشر الذى بحثنا فيه البعثة الصهيونية في فلسطين .
(٦) عادل حسن غنيم : مرجع سبق ذكره ١٧ — ١٨ .

المدينة متعاونة مع السلطات العسكرية . وعلى اثر تسرب انباء تصريح بلفور دلت هذه الجمعية وأمثالها في الاهتمام بالشؤون الوطنية .

تشكلت اللجنة الادارية لجمعية القدس من أعضاء اللجنة الادارية للجمعية الاسلامية الخيرية وبعضوية خمسة أعضاء لكل من جمعية الاخاء الارثوذكسي وجمعية اللاتين بالاضافة الى ٧٠ عضوا من مختاري القرى التابعة للقدس . وكان من حق أهالي القدس وملحقاتها من مسلمين ومسيحيين الانخراط في سلك جمعية القدس ، انقسمت اللجنة الادارية لهذه الجمعية الى أربع لجان :

- اللجنة الزراعية والصناعية : مهمتها توفير الاموال اللازمة للمشروعات الزراعية والصناعية في البلاد وتقديم القروض للمزارعين .
- اللجنة العلمية والادبية : لاحياء العلوم والاهتمام بالمدارس .
- اللجنة الاقتصادية : للعمل على توسيع نطاق التجارة وترويج البضائع الوطنية .
- اللجنة العمومية : للبحث في المسائل السياسية والعمرانية .

ونص نظام هذه الجمعية على أن تجتمع اللجنة الادارية شهريا للبحث في أوجه نشاط اللجان المتخصصة . ونص النظام على تحديد ايرادات الجمعية بالاشتراكات الشهرية للاعضاء ومن تبرعات ابناء البلاد وريع الاعمال التجارية (١) .

وبهذا كانت جمعية القدس أول جمعية عربية اهتمت بالمسائل الوطنية الى جانب اهتمامها بالشؤون الاخرى من اقتصادية وتعليمية ، وقد امتد هذا الاتجاه في تأسيس الجمعيات الى العديد من المدن الفلسطينية فأنشئت في بعض المدن الاخرى جمعيات اسلامية مسيحية كما انشئت في مدن اخرى جمعيات اسلامية صرفه (٢) .

وهكذا حرص عرب فلسطين على تشكيل الجمعيات الوطنية بصرف النظر عن دياناتهم ومذاهبهم ، لاظهار الوحدة الوطنية أمام المحاولات الاستعمارية التي تركزت على بث الدعاية الطائفية والدينية تحقيقا لاهدافها .

ومما يلفت النظر في الحرص على الوحدة الوطنية ان العرب تطلعوا الى جميع هذه الجمعيات في مختلف مدن فلسطين في جمعية عمومية واحدة تنطوى تحتها هذه الجمعيات المتعددة ، ومركزها في القدس وأخذت هذه الجمعية صفة رسمية ١٩١٩ وقد نص قانونها العام على ما يأتي :-

ان لجميع أقضية فلسطين التي لا يوجد فيها جمعيات الحق في تأليف جمعيات ترتبط بالجمعية الكبرى ، اذا رأى الاهالي في القضاء ذلك مناسبا ، وحددت أعمال جمعيات الاقضية في العمل في حدود أقضيتها ، ونص القانون أيضا على أن الجمعية العمومية تتشكل من أربعة أعضاء من جمعية القدس وعضوين من كل جمعية من الجمعيات الفلسطينية .

أما غاية الجمعية العمومية الفلسطينية فهي : " النظر في شؤون عموم فلسطين ، وقراراتها تسرى على كل قضاء في فلسطين بشرط أن يشترك مرخصا (مندوبا) كل قضاء في الرأى حتى ولو جاء القرار مخالفا رأيهما ، وكل قضاء لم يحضر مرخصاه تلك الجلسة وتقرر شيء في حق ذلك القضاء تقوم - الجمعية العمومية بابلاغ ذلك الى الجمعية التي لم يحضر مرخصاها الجلسة وفي هذه الحالة لها الحق في قبول ذلك أو رفضه " .

---

(١) جريدة فلسطين : ٤٥ - ١٤ شباط ، ١٩١٩ .
(٢) عادل حسن غنيم : مرجع سبق ذكره ص ٣١ - ٣٢ .

اما جلسات الجمعية العمومية فتعقد لمدة اسبوع كل ثلاثة اشهر ، او عند الضرورة على ان يكون بدعوة من جمعية القدس وتبحث في هذه الجلسات بالاضافة الى الامور التي تحددت لكل لجنة من لجانها المتعددة ، في قرارات جمعيات الاقضية التي تكون عرضة للتعديل من قبل الجمعية العمومية ، ونص قانون الجمعية كذلك على حق جمعيات الاقضية في عقد جلسة للجمعية العمومية وان يكون ذلك خاضعا لموافقة اللجنة الادارية للجمعية العمومية على عقد الجلسة غير الاعتيادية وتكون قرارات الجمعية باكثرية اعضائها (١) ٠

وهكذا يمكن لجمعيات الاقضية التحلل من سلطة الجمعية العمومية بالقدس ، ويمكن اعتبار هذه الجمعية العمومية برلمان لاهالي فلسطين ، وان كانت له فروع في الاقضية ، وكان هذا النظام اول تعبير جماعي لعرب فلسطين مسلمين ومسيحيين ٠

ابتهج ابناء البلاد لهذه الخطوة التي تخدم قضيتهم الوطنية (١) فجرت عملية اختيار المندوبين للجمعية العمومية في القدس (٢) ٠ واخذ مندوبو الجمعيات يتوافدون على القدس بناء على الدعوة التي وجهتها الجمعية العمومية في القدس اوائل يناير ١٩١٩ بقصد عقد موءتمر للبحث في المطالب الفلسطينية في موءتمر السلام والاعراب عن مخاوف العرب الفلسطنيين من الصهيونية ، ومن احتمال السيطرة اليهودية وقد بلغ عددهم ٢٧مندوبا في حين تغيب البعض ولعل ذلك يرجع الى اختلافات محلية حول اختيار المندوبين لهذا الموءتمر (٣) ٠

ويصف احد الباحثين الفلسطينين هوءلاء المندوبين الذين حضروا الى القدس بانهم ثلاثة فرقاء :

"فريق مخلص وطني لا يراعي في وطنيته شيئا ، وفريق وطني ولكنه جبان ضعيف الرأى سهل القيادة يراعي فيما يطلب ما يمكن لا ما يجب ، وفريق مأجور او اجنبي النزعة يراعي فيما يطلب اما مصلحة الانجليز او مصلحة الفرنسيين او مصحلة الصهيونيين " ٠ (٤) ٠

عقد الموءتمر اولى جلساته في ٢٧ يناير ١٩١٩ وكان على الموءتمر في بداية الامر اختيار رئيس لهذه الدورة ، فأنتخب عارف الدجاني ونائبه راغب ابو السعود وسكرتيره عزة دروزة ثم أقر الموءتمر قانون الجمعية العمومية الداخلي ، كما اقر قبل الخوض في بحث جدول اعماله ارسال برقيه احتجاج الى موءتمر الصلح جاء فيها

"ان مندوبي جميع بلدان سورية الجنوبية العاقدين موءتمرهم في القدس قرروا ان يرفعوا احتجاجهم الشديد على ما سمعوه من جعل بلادهم وطنا قوميا لليهود ومنحهم حق الهجرة والاستعمار وانهم سيرفعون الى الموءتمر العالى تقاريرهم الموءيدة بالبراهين اقلية اليهود القليلة جدا مالا ونفوسا واملاكا وهم يرفضون ان يبت مصير بلادهم الا طبق رغباتهم " (٥) ٠

وبرز خلال مناقشة اعضاء الموءتمر لجدول اعمالهم الصراع بين الكتلة الموالية لبريطانيا والكتلة الموالية للوحدة العربية وان كانت هذه الكتل قد التقت في نقطة واحدة وهي معاداة الصهيونية ، الا ان الكتلة الموالية لبريطانيا كانت – في الواقع – تخدم الصهيونية بطريقة غير مباشرة بموقفها هذا ومن خلال تاييدهم فكرة فصل فلسطين عن سورية الام ، وهذا ما كانت تسعى اليه بريطانينا والصهيونية معا للانفراد بهذا الجزء

---

(١) الكوكب : ١٣١ – ١١ فبراير ١٩١٩ ٠
(٢) جريدة فلسطين : ٤٥ – ١٣ شباط ١٩١٩ ٠
(٣) عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ص ١٣١ ٠
(٤) خليل السكاكيني : مرجع سبق ذكره ص ١٦٤ –
(٥) الكوكب : ١٤٠ – ٦ مايو ١٩١٩ ٠

الطبيعي من سورية لتنفيذ مخططاتهما المسبقة نحو فلسطين ويبدو ان انصار الكتلة الموالية للوحدة العربية هي التي تفوقت وهذا واضح في قرارات المؤتمر السياسية وهي :

" اننا نعتبر فلسطين جزءا من سورية العربية اذ لم يحدث قط ان انفصلت عنها في أى وقت من الاوقات ونحن مرتبطون بها بروابط قومية ودينية ولغوية وطبيعية واقتصادية وجغرافية .

" ان التصريح الذى ادلى به المسيو بيكو وزير خارجية فرنسا وقال فيه ان لفرنسا حقوقا في بلدنا مبنية على رغائب ومطامع السكان ليس له اساس ونحن نرفض جميع التصريحات التي ادلى بها في الخطاب الذى القاه في ٢٩ ديسمبر ١٩١٨ لان تمنياتنا ومطامحنا تنحصر في الوحدة العربية والاستقلال التام .

" بناء على ما تقدم ، اننا نعرب عن رغبتنا بان لا تنفصل سوريا الجنوبية (فلسطين) عن حكومة سورية العربية المستقلة وان تكون متحررة من جميع انواع النفوذ والحماية الاجنبيتين .

" وفقا للمبدأ الذى وضعه الرئيس ويلسون وأقرته الدول الكبرى نعتبر كل وعد صدر او معاهدة عقدت فيما يتعلق ببلادنا ومستقبلها لاغيين وباطلين ونحن رفضهما .

" ان حكومة هذه البلاد ستطلب العون من صديقتها بريطانيا العظمى اذا دعت الحاجة الى احداث تحسين او تطوير في البلاد شريطة ان لا ينتقص ذلك من استقلالها او يؤثر في الوحدة العربية بأى شكل من الاشكال كما انها ستبقى على علاقات طيبة مع الدول الحليفة (١) .

ولا شك في ان هذه القرارات التي اتخذها المؤتمر الفلسطيني الاول الذى عقد في القدس خلال الفترة ٢٧ يناير — ٩ فبراير ١٩١٩ تدل على ان انصار الوحدة العربية وعدم الانفصال عن سورية الام قد برزوا على انصار الكتلة الثانية وهم الموالون لبريطانيا ، فالقرارات الاربعة الاولى تخدم انصار الكتلة الاولى في حين ان القرار الاخير كان لخدمة انصار الكتلة الموالية لبريطانيا فقد جاء في هذا القرار امكانية الاستعانة " ببريطانيا الصديقة " في مجال تطوير البلاد .

ومن هنا يمكن القول بان الحركة الوطنية الفلسطينية الناشئة كانت منذ ظهورها مرتبطة بالحركة العربية العامة . وهذا واضح من قرارات المؤتمر فقد قرر ارسال وفد الى سورية للاعراب عن مشاعر ابناء سورية الجنوبية (فلسطين) نحو سورية . ويبدو ان هذا الوفد لم يسافر لان بريطانيا عارضت في ذلك (١) ، وهذا امر طبيعي من بريطانيا ، والتي وان كانت ترضى عما كان يجرى داخليا في فلسطين الا انها كانت ترفض ان يمتد ذلك الى سورية لان الفكرة التي كانت تعمل بموجبها هي تعميق الاتجاه نحو فصل فلسطين عن سورية الام فاذا كان هذا المؤتمر قد نجح في تجسيم المطالب الوطنية في فلسطين ضمن نطاق الحركة العربية وضرورة البقاء في الركب الذى تسير فيه سورية الام فان هذا المؤتمر لم يتمكن من انتخاب لجنة تنفيذية ولعل ذلك يرجع الى طبيعة تكوين الجمعية العمومية التي ضمت مندوبين عن الجمعيات الاسلامية المسيحية في الاقضية ومندوبين عن الحزب الموالي لبريطانيا ، بعد ان حل اعضاء هذا الحزب انفسهم ، واصبحوا يعملون في نطاق الجمعية العمومية بالخلفية التي كانت وراء وجودهم فقد ظهر هذا الحزب العربي الموالي لبريطانيا في حيفا خلال شهر نوفمبر ١٩١٨ وقد تأسس على يد عدد من الفلسطينيين منهم امين عبد الهادى ونجيب نصار وعبد الله مخلص ورشيد نصار ، وكان على رأس هذا الحزب نجيب نصار ، الذى اخذ يعمل لتأسيس فروع اخرى

---

(١) عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ص ١٢٢ — ١٢٨ —

(٢) محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها ، الجزء الاول ص ٣٧ — ٣٩ .

للحزب وتمكن من ذلك في بعض المدن مثل الناصرة ، صفد ، طبرية ، غير انه لم ينجح في مدن اخرى مثل عكا ، كانت غاية الحزب المعلنة هي " اكتساب ثقة الحكومة (البريطانية) وربط قلوب الناس بها وتحويل اهتمامات الناس نحو مسائل اجتماعية وثقافية بحته وصرف اهتمامهم عن مسائل الوطن والحرية والاستقلال .

لكن هذا الحزب لم ينجح في ذلك ، لذا حاول ان يسلك طريقا اخر وهو الالتفاف حول الجمعية الاسلامية المسيحية الفلسطينية ، بقصد السيطرة على هذه الجمعية وتوجيهها حسب الاغراض التي يسعى اليها وهي صرفها عن البحث في الشؤون السياسية او المسائل الوطنية (١) .

لكن هذا الاسلوب ايضا لم يمكن اعضاء الحزب من تحقيق هدفهم اذ جاءت قرارات المؤتمر الذى عقدته الجمعية الاسلامية المسيحية الفلسطينية (الجمعية العمومية الفلسطينية) توضح هذه النتيجة على نحو ما رأيت .

ووصلا للحديث عن الحركة الوطنية الفلسطينية ، نقول انه على اثر انعقاد مؤتمر الصلح في باريس (٢) يناير ١٩١٩ وما تبع ذلك من ايفاد لجنة كنج كرين الى المنطقة العربية ، نشطت الجمعيات الاسلامية المسيحية وغيرها من القوى للتعبير عن مطالبها امام هذه اللجنة التي وصلت الى يافا في ١٠ يونيه ثم الى القدس في ١٣ يونية ١٩١٩ (٣) وكانت اللجنة مؤلفة من الدكتور هنرى كنج والمستر شارل كرين وثلاثة مستشارين من الامريكيين ، بعد ان امتنعت حكومتا بريطانيا وفرنسا عن تعيين مندوبيهما في اللجنة ، وبدأت اللجنة (الدولية) اعمالها بعد ثلاثة ايام من وصولها الى القدس بعد ان اعدت برنامجا زمنيا للقيام بجولاتها في لواء القدس اجتمعت خلالها باعضاء الجمعية الاسلامية المسيحية ووفود اخرى من المنتدى الادبي والنادى العربي والاخاء والعفاف التي كانت تمثل طائفة كبيرة من الشباب المستنيرين من مسلمين ومسيحيين . كذلك استقبلت وفودا عن الطوائف المسيحية مثل وفد طائفة الروم الارثوذكس وطائفة البروتستانت بالاضافة الى ممثلين عن الطوائف اليهودية . وقد قام اعضاء اللجنة بمناقشة جميع الاطراف التى اجتمعوا معها للوقوف على وجهات نظرهم . وقد ظهر ان نحو ٩٠ بالمئة من ابناء لواء القدس كانوا على مطالب واحدة ، في حين ان الباقي من ابناء هذا اللواء قد طالبوا بمطالب لا تبعد كثيرا عن فحوى وجوهر ومطالب ابناء لواء القدس ، وكانت الجمعيات في القدس قد عرضت على اعضاء الوفد خطابا جاء فيه صورة مفصلة عن مساعده الامة العربية للحلفاء في اثناء الحرب بالثورة على الاتراك .

ويلخص الخطاب في المطالب الاتية :

" استقلال سورية التي تمتد من جبال طوروس شمالا الى رفح جنوبا استقلالا تاما .

" عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين عن القسم الشمالي لانهما وطن واحد ، تجمع بينهما روابط اللغة والتاريخ والعلم والاخلاق والعادات والتقاليد .

" احتجاج العرب على الفكرة الصهيونية التي تعتبر فلسطين وطنا قوميا لليهود ورفض هجرة اليهود الى بلادهم .

اما البحث في الوصاية والنظر في مصير البلاد فيحال الى المؤتمر العربي السورى المنتظر عقده في دمشق (٤) .

---

(١) عادل حسن غنيم : مرجع سبق ذكره ص ٣٥ — ٤٨ .
(٢) انظر الفصل الثالث عشر الخاص بالتسوية .
(٣) الكوكب : ١٤٧ — ٢٤ يونيه ١٩١٩ .
(٤) الكوكب : ١٤٧ — ٢٤ يونيه ١٩١٩ .

وطاف أعضاء اللجنة في المدن الرئيسية الاخرى من فلسطين حيث اجتمعوا بالوفود من أبناء المدن والقرى ، فقد وصل الوفد في ٢١ يونيه الى رام الله وقابل وفودا من حوالي ٤٠ قرية من قرى رام الله ومن نابلس وقابل وفودا من ٩٢ قرية من قرى جبل نابلس وحدث هذا أيضا في بيت لحم وجنين والناصرة (١) ، وحيفا وعكا ، وقد وقف أعضاء اللجنة من خلال هذه الجولات على مطالب أبناء البلاد ، والتي لا تخرج عن المطالب التي تقدم بها أبناء لواء القدس وهي طلب الاستقلال التام وعدم تجزئة سوريا ، منع الهجرة الصهيونية مع احالة أمر الوصاية الى المؤتمر العربي في دمشق وعرفت هذه المطالب بالمطالب الثلاثة التي كانت مطلب الغالبية العظمى من أبناء البلاد (٢) .

بعد هذه الخطوة كان على أبناء فلسطين المشاركة في المؤتمر السورى الاول الذى افتتح في دمشق في ٢ يوليو ١٩١٩ وتألف من اعداد متساوية من المندوبين يمثلون جميع أجزاء سورية التي كانت لا تزال مقسمة الى مناطق محتلة : جنوبية ، شرقية ، غربية حسب التقسيمات الادارية التي عملت بها الادارة العسكرية تحت قيادة الجنرال اللنبي وقد حددت طريقة انتخاب أعضاء هذا المؤتمر على أساس أن لكل ٥٠٠ شخص أن ينتخبوا مندوبا ، وهؤلاء ينتخبون عن كل ١٢٥٠٠ شخص مندوبا يمثلهم (٣) وجرت الانتخابات على هذا الترتيب لكن مندوبي لبنان وفلسطين لم يتم انتخابهم بهذه الطريقة لان السلطات الفرنسية أو البريطانية في هذه المناطق عارضت اجراء انتخابات نيابية . لذى جرى انتخابهم بواسطة النوادى والجمعيات (٤) .

وقد مثل أبناء فلسطين في هذا المؤتمر ٢٣ مندوبا من مجموع ٧٣ مندوبا حضروا جلسة الافتتاح (٥) بينما لم يكن في المؤتمر أى ممثل عن المنطقة المحتلة غربا (لبنان) لان السلطات الفرنسية منعتهم من ذلك . وكان على هذا المؤتمر مهمتان هما : تمثيل الامة السورية أمام اللجنة وعرض أمانيها ورغائبها لتقديمها الى مؤتمر السلام وسن قانون أساسي يكون دستورا للامة في المستقبل (٦) .

وبعد مناقشة المطالب العربية المقترح تقديمها لتكون أمام لجنة كنج كرين تم التوصل في هذا المؤتمر الى القرارات الاتية التي رفعت الى هذه اللجنة في ٣ يوليه ١٩١٩ وهي :

١ـ المطالبة بالاستقلال السياسي التام لسورية ضمن الحدود الاتية : شمالا جبال طوروس جنوبا : رفح وشرقا نهر الفرات والخابور وغربا : البحر الابيض المتوسط .

٢ـ أن تكون حكومة البلاد السورية " حكومة ملكية ديموقراطية مدينة دستورية " تدار عن طريق

(١) الكوكب : ١٤٨ ـ ٨ يوليه ١٩١٩ .
(٢) الكوكب : ١٤٨ ـ ٨ يوليه ١٩١٩ .
(٣) الكوكب : ١٤٨ ـ ٨ يوليه ١٩١٩ .
(٤) ناجي علوش : المقاومة العربية في فلسطين ص ٣٧ ـ ٤٢ .
(٥) مثل ابناء فلسطين في المؤتمر السورى الاول كل من :
القدس : سعيد الحسيني ، راغب النشاشيبي ، يعقوب فراج .
نابلس : امين التميمي ، ابراهيم عبد الهادى ، عزت دروزه ، عادل زعيتر .
طولكرم : سعيد الكرمي وسليم عبد الرحمن . عكا : ابراهيم العكي ، عبد الفتاح السعدى .
حيفا : ابراهيم الخليل ، معين الماضي ، رشيد الحاج ابراهيم ، عز الماضي ، قبطة المدور .
الناصره : جبران كزما ، حسين العبيد . صفد : صلاح الدين الحاج يوسف ، نايف صبح نايف سرحان .
طبريا : قدرى الحافظ ، يوسف العاقل . انظر الكوكب : ١٤٩ ـ ١٥ يوليه ١٩١٩ .
(٦) الكوكب : ١٤٩ ـ ١٥ يونيه ١٩١٩ .

اللامركزية وتحفظ فيها حقوق الاقليات ، وأن يكون فيصل ملكا عليها .

٣ـ الاحتجاج على المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم بشأن الانتداب .

٤ـ في حالة رفض ما جاء في البند الثالث يمكن قبول المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة وان لا تزيد فترة انتدابها على ٢٠ سنة .

٥ـ اذا لم يتم ما جاء في البند الرابع يمكن الاستعانة بالمساعدة البريطانية .

٦ـ رفض الادعاءات الفرنسية في أى جزء من البلاد السورية .

أما بشأن فلسطين ذاتها فقد اتفق على المطالب الاتية :

٧ـ رفض المطالب الصهيونية التي تهدف الى اقامة وطن قومي لليهود في الجزء الجنوبي من سورية ، كذلك رفض الهجرة الصهيونية الى أى جزء من البلاد أما اليهود من سكان البلاد الاصليين فلهم " ما لنا وعليهم ما علينا " .

٨ـ عدم فصل أى جزء من سورية سواء الجزء الجنوبي من سورية أو المنطقة الساحلية الغربية .

٩ـ الاستقلال التام لاراضي الرافدين المحررة وأن لا تقوم أى حواجز بين البلدين .

١٠ـ ان المبادئ الاساسية التي وضعها الرئيس ويلسون بشأن الغاء المعاهدات السرية تدفعنا الى أن نحتج على أية اتفاقات سرية (سايكس بيكو) أو كل وعد يهدف الى دعم المطالب الصهيونية في الجزء الجنوبي من سورية (بلفور) ولهذا نطالب بالغاء المعاهدات والاتفاقات السرية (١) .

تابعت الحركة الوطنية الفلسطينية مسيرتها بعد أن أوضحت تماما مطالبها أمام لجنة كنج كرين سواء في القرارات التي اتخذت في القدس أو دمشق غير أن مسيرة الحركة بعد هذه الاحداث امتدت لتشمل الى جانب شملها مقاومة الصهيونية مناوءة بريطانيا بعد أن بدأت الثقة فيها تهتز ، نتيجة مواقف بريطانيا أمام النشاط الصهيوني المتزايد في الهجرة والوجود في البلاد . وقد صور هذه الحالة عرائض الاحتجاج التي رفعتها الجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس والجمعية الاسلامية المسيحية في يافا ، وتعرضت العريضة الاولى التي رفعت أواخر اكتوبر ١٩١٩ الى موقف الدول الحليفة من وعودها التي كان ينظر اليها على أنها ستعمل على توضيح مصير المنطقة العربية بشكل عام الا أن الواقع كان بعيدا عن ذلك ، فان العديد من التصريحات من قبل المسئولين تشير الى " تجزئة البلاد وتمكين الصهيونيين في القسم الجنوبي " .

ونتيجة لهذا الموقف " أصبح الاهالي في شك من وعود الحلفاء .... واستولى اليأس على قلوبهم وباتوا يذكرون ماضيهم (العهد التركي) بكل خير " (٢) .

أما المذكرة التي رفعتها الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا ٨ نوفمبر ١٩١٩ فقد جاءت ضمن هذه الدائرة ، ولكن باسلوب أو لهجة أخف من المذكرة السابقة . ولعل السبب في ذلك هو نظرة أبناء قضاء يافا نظرة محدودة بحكم وجود علاقة اقتصادية مع بريطانيا تمتد زمنيا لعدة سنوات " ان رغائب ومصالح قضاء يافا لا تمتزج مع حكومة غير الحكومة البريطانية نظرا الى حركة صادراتنا مدة ٨٠ سنة مع بريطانيا " .

وقد انعكست هذه العلاقة الاقتصادية مع بريطانيا على موقف الجمعية ، لانها أقنعت أبناء القضاء للتصرف ضمن هذا الاطار . واستجاب أبناء القضاء لذلك ، على أساس العمل لاجل ايقاف الهجرة الصهيونية الى فلسطين . وتتابع مذكرة الجمعية حديثها فتوضح أن موقف بريطانيا يخالف ذلك فتقول " أخذ الصهيونيون

---

(١) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، الجزء الثاني ص١٠٦ — ١٠٨ .

(٢) عبد الوهاب الكيالي : وثائق المقاومة الفلسطينية ص ١١ — ١٣ .

يهاجرون الى فلسطين ٠٠ ونراهم اليوم في بلادنا حاطين على تسهيلات ومساعدات كلية نأسف لحرماننا منها

ومن هنا لفتت المذكرة نظر الحكومة البريطانية الى الابعاد الخطيرة المهددة لهذه المنطقة من وراء الاقتراحات التي طرحت بشأن مستقبل فلسطين ، فقد اقترحت بعض الصحف البريطانية (التايمز) فصل فلسطين عن سورية وجعلها تحت اشراف انكلترا ، فان لهذا الاقتراح ابعادا خطيرة لانه يؤدي الى اعطاء فلسطين لليهود ، وان سلخها عن سورية يؤدي الى تفوق عدد اليهود في فلسطين وان المنطقة ستكون تحت اشراف دولتين اجنبيتين فرنسا وانجلترا ، الاولى غير مرتبطة بالصهيونية والاخرى مرتبطة معها عاملة على انشاء وطن قومي لليهود بها ٠ (١) ٠

تضافرت بعد ذلك عدة عوامل ، أدت الى تزايد الحركة المناوئة للبريطانيين من ذلك الاجراءات والخطوات التي أخذت الادارة العسكرية تنفيذها للتمهيد لاعلان نتائج مؤتمر الصلح ، ولاجل الوقوف على ردود الفعل المتوقعة بقصد العمل على امتصاص هذه الردود أولا بأول،وضمن هذا يمكن أن نفسر الزيارة التي قام بها الجنرال بولز Bols لمدينة نابلس في ٧ يناير ١٩٢٠ واعلانه بأن " مؤتمر الصلح سيبت قريبا بفصل فلسطين عن سورية وانه سيمنح اليهود حق الهجرة اليها " ٠ ثم في نشر خبر قدوم هربرت صموئيل الى فلسطين " ليعاون الحكومة المحتلة في كيفية ادارتها وتنظيم ماليتها " ٠

ونتيجة لهذه الاجراءات قدمت الجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس مذكرة احتجاج الى مؤتمر الصلح ثم في عقد مؤتمر في نابلس في ٢٦ يناير ١٩٢٠ الذى تقرر فيه " مقاطعة اليهود مقاطعة تامة والحيلولة دون اسكانهم أو دخولهم الى منطقة نابلس " (٢) ٠

ولكن هذا لا يعني أن هذه الجمعية لم تكن تعمل الا في نطاق محلي وضمن حدودها الادارية ، لان هذه الجمعية تقدمت بعريضة احتجاج أخرى الى السلطة العسكرية التي عملت على تسليم أراضي في منطقة يافا الى الصهيونيين وقد جاء في هذه المذكرة التي رفعت في ١٥ فبراير ١٩٢٠ " علمنا أن الحكومة المحتلة رفعت أيدى الوطنيين من أهالي يافا عن أراضيهم الواقعة جنوبي يافا ٠٠٠ وسلمتها الى اليهود الصهيونيين المستعمرين لقرية عيون قارة ٠٠٠ فعليه جئنا نحتج على هذا العمل المجحف بحقوق الوطنيين ٠٠٠ ونطلب اعادة تلك الاراضي الى اصحابها ٠٠٠ " (٣) ٠

ان هذا الاتجاه الذى سارت فيه الحركة الوطنية الفلسطينية في تركيز مناوءتها نحو بريطانيا لم يحل دون استمرار الخط الذى سارت فيه هذه الحركة نحو مقاومة الصهيونية فقد تعرضت احدى المستوطنات اليهودية في شمال الجليل الاعلى ــ المطلة ــ لهجمات العرب المقيمين هناك ، مما أدى الى هروب المستوطنين اليهود من هذه المستوطنة الى المستوطنات اليهودية المجاورة ، وعلى أثر اعلان الادارة العسكرية عن تصريح بلفور ١٨ فبراير ١٩٢٠ ، عمت البلاد مظاهرات معادية للصهيونية وللسياسة البريطانية التي كانت وراء هذا التصريح ٠ فقد شهدت مدينة القدس مظاهرة اشترك فيها حوالي ٤٠ ألف من أبناء المدينة وكذلك شهدت مدن : يافا ، بيت لحم ، بيت جالا مظاهرات محلية أما مدن أخرى فاكتفت بالاحتجاج على هذا التصريح (٤) ٠ وبهذا تكون البلاد قد شهدت أول مظاهرات احتجاج وهجوم على بعض المستوطنات اليهودية

---

(١) عبد الوهاب الكيالي : وثائق المقاومة الفلسطينية ص ١١ ــ ١٣ ٠
(٢) كامل خله : مرجع سبق ذكره ص ١٤٣ ــ ١٤٤ ٠
(٣) عبد الوهاب الكيالي : وثائق المقاومة الفلسطينية ص ١٤ ٠
(٤) اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ص ١١٠ ــ ١١٧ ٠

ضد السياسة البريطانية وضد الصهيونية وكانت هذه بداية الحركة الوطنية الفلسطينية .

وتكررت حوادث الاعتداء على مستوطنة المطلة فقد قامت جماعة من " البدو " في ٥ مارس بالهجوم على المستوطنة بالرغم من وجود بعض الحراس حولها . واسفر الهجوم عن مقتل ثمانية من المستوطنين وجرح خمسة اما المهاجمون من العرب فقد قدر عدد للقتلى منهم ٢٠ - ٣٠ قتيلا ، وقد صورت القنصلية البريطانية العامة في بيروت التي نقلت هذا الخبر الامر على انه لا يعدو ان يكون من عمل مجموعة من " اللصوص " (١) .

وقد اتضح موقف عرب فلسطين من الصهيونية في احداث ٤ ابريل ١٩٢٠ التي صعدت الموقف بين العرب واليهود . وقد بدأت هذه الاحداث بمناسبة الاحتفال بموسم النبي موسى (٢) ، وان الروايات اجتمعت على ذلك الا ان الروايات حول بداية الاصطدام (٣) ، من ناحية اخرى تعددت وتناقضت .

وذكر احد الباحثين الفلسطينين ان اهل القدس هرعوا كعادتهم لاستقبال موكب اهل الخليل الذين يؤمون القدس للاشتراك في احتفال مقام النبي موسى ، وقد استقبل ابناء القدس هذا الموكب استقبالا شعبيا كما القى بعض الشباب المتحمسين خطبا حماسية كانت لها تأثير شديد على المتظاهرين .. ويتابع الباحث حديثه فيقول : " وصادف مرور بعض اليهود بين الشعب الصاخب ، فهاجت الافكار واحتدمت نيران الفتنة بين الطرفين (٤) .

فاذا اوضحت هذه الرواية بان بداية الصدام وقعت بتصادف مرور بعض اليهود امام الجماهير التي سيطر عليها الحماس والوطنية ، فان بعض المصادر الاجنبية تعلل الحادث بان بعض اليهود لوثوا احد الاعلام الاسلامية (٥) .

اما المصادر الصهيونية فترجع الحادث الى موقف الادارة العسكرية التي لم تتخذ احتياطات كافية في مثل هذه المناسبة (٦) .

ومهما يكن من امر فان الاضطربات التي حدثت في القدس لم تخرج عن كونها تعبيرا عن استياء العرب من مطامع الصهيونية وتأييد السلطات البريطاينة لها ، وكان الاحتفال بموسم النبي موسى فرصة لابناء البلاد للتعبير عن مشاعرهم خاصة بعد ان اجتمع العدد الاكبر منهم في هذه المدينة المقدسة وبعد ان سبق ومنعت السلطة العسكرية القيام باية مظاهرات منذ ١١ مارس ١٩٢٠ أى بعد المظاهرات التي حدثت في القدس ويافا في ٢٧ فبراير ١٩٣٠ (٧) .

---

(١) (1) F.O. 371/5118/3453 — 10 March 1920.

(٢) جرى تقليد الاحتفال بهذا الموسم منذ ايام صلاح الدين الايوبي حيث كانت الظروف تقضي باجتماع المسلمين في مدينة القدس اظهارا لقوتهم ووحدة كلمتهم امام اعدائهم وكان ان امر صلاح الدين بان يقوم هذا الحشد من المسلمين في موكب لزيارة مقام النبي موسى بالقرب من اريحا ومنذ ذلك التاريخ بقي هذا التقليد قائما فاخذ هذا الموسم شكل عيد رسمي عند المسلمين . (انظر الكوكب : ١٤٢ - ٢٠ مايو ١٩١٩) .

(٣) (3) F.O. 371/5119/E 6109 — 1920.

(٤) عيسى السفرى : مرجع سبق ذكره ص ٤٧ - ٤٩ .

(٥) (5) France Newton: op. cit., P. 133 — 136.

(٦) (6) F.O. 371/5117/E 3350 — 16 April 1920.

(٧) عبدالوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ص ١٤٧ - ١٤٨ .

لكن اضطرابات ٤ ابريل ١٩٢٠ كانت اكثر حدة وتحديا وهذا واضح من الاجراءات التي اتخذتها الادارة العسكرية في مقاومة هذه الاضطربات فقد تولى امر اخماد هذه الاضطربات القوات العسكرية وليس قوات الامن المحلية فلقد حاصرت قوات الجيش البريطاني مدينة القدس على عدة دوائر فاولا منعت الدخول او الخروج من والى المدينة القديمة كما انها اغلقت جميع الطرق والمعابر المؤدية الى مدينة القدس مثل طريق الخليل ، نابلس ، يافا ، اريحا كما عممت السلطة العسكرية على جميع الحكام العسكريين في المدن الفلسطينية ضرورة الاستعداد والاحتياط لاية اضطرابات قد تمتد من القدس الى مدن اخرى ، خاصة بعد ان تسرب البعض من ابناء المدنية بقصد تنفيذ هذا الغرض او القدوم الى القدس للمشاركة في هذه الاضطرابات ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان الطائرات البريطانية قامت بالتحليق فوق مدينة القدس ، والمناطق المجاورة بقصد ارهاب الاهالي ، ومنعهم من القدوم الى القدس ، كما حلقت هذه الطائرات فوق الطرق الرئيسية المؤدية الى مدنية القدس مثل طرق الخليل ، نابلس ، يافا ، اريحا ، كما اعلنت السلطات منع التجول تنفيذا للاحكام العرفية وحذرت الناس من التجول بعد الساعة السادسة مساء ، وامتدت الاضطرابات خمسة ايام متوالية الامر الذى جعلها اكثر خطورة من اضطرابات فبراير ١٩٢٠ ، كما تخلل اضطرابات القدس الاخيرة (٤ ابريل ١٩٢٠) حوادث قتل اصابت كلا الطرفين من العرب واليهود . وحسب الاحصاءات الرسمية التي رفعها الجنرال بولز Bols كان عدد القتلى تسعة اشخاص خمسة من اليهود واربعة من العرب ، كما اصيب ٢٢ شخصا بجروح خطيرة منهم ١٨ يهوديا ومسلم واحد وثلاثة من المسيحيين وكذلك اصيب ٢٢٠ بجروح طفيفة منهم ٧ جنود و ١٩٣ يهوديا و ٢٠ من المسلمين (١) .

نجحت السلطة العسكرية في اخماد الاضطرابات بعد ان زجت بالعديد من زعماء البلاد وقادتها في السجون ثم قدمتهم للمحاكمة (٢) ومع هذا حذر الجنرال بولز في تقريره الى القيادة العامة في مصر بتاريخ ١٤ ابريل ١٩٢٠ من احتمال تجدد الاضطرابات بين اليهود والعرب لان العرب الان في حالة من القلق والهياج المحتمل انفجارهما في اية لحظة (٣) ، كما ان اعادة مفتى القدس (كامل الحسيني) الوسام الذى منحته اياه الحكومة البريطانية كان يعني احتجاجا على الحكومة البريطانية بسبب موقفها الاخير من الاحداث التي جرت في المدينة (٤) كما ان ابناء مدينة القدس رفعوا مذكرة احتجاج على اقتحام بيت مفتي القدس وطالبوا فيها السلطة العسكرية بضرورة طرد البعثة الصهيونية من البلاد وتسريح الكتيبة اليهودية (٥) خلال خمسة ايام والا فان اضطرابات ستنشب في البلاد (٦) .

واقترحت الحكومة البريطانية تشكيل لجنة للتحقيق في اسباب الاضطرابات الاخيرة برئاسة الميجر جنرال Palin وعضوية [Barnett and Wild] ولاظهار نزاهة هذه

(1) F.O. 371/5119/E 3017 — 14 April 1920.
(2) F.O. 371/5117/E 3017 — 18 April 1920.
(3) F.O. 371/5119/E 5237 — 14 April 1920.
(٤) عيسى السفرى : مرجع سبق ذكره ص ٤٧.
(5) F.O. 371/5117/E 3158 — 12 April 1920.
(6) F.O. 371/5118/E 3580 — 16 April 1920.

اللجنة رفضت الحكومة البريطانية طلب البعثة الصهيونية ان يكون لها ممثلون في هذه اللجنة (١) كما رفضت ممثل آخر عن " ادارة بلاد العدو المحتلة جنوبا " (٢) .

وبعد ان انهت هذه اللجنة مهمتها في التحقيق والبحث عن اسباب الاضطرابات وضعت تقريرا مبدئيا رفعته الى وزارة الحرب ، اشارت فيه بشكل موجز الى مجريات الاضطرابات التي حدثت في المدينة دون الاشارة الى السبب الحقيقي او الاشارة الى كيفية نشوب هذه الاضطرابات .ولكن اللجنة ذكرت في هذا التقرير انها كانت ولا تزال تبحث عن الاسباب امام معطيات اساسية وضعتها امامها لتحديد السبب الرئيسي الذى ادى الى الانفجار والنقاط مجال الدارسة والبحث هي :

" التأخير في التوقيع على معاهدة الصلح مع تركيا .

" تأخر الحكومة البريطانية في اعلان سياستها نحو فلسطين .

" سوء فهم المطالب والاهداف الصهيونية .

" اثارة المسلمين والمسيحيين بسبب التعديات والاعمال الصهيونية .

" المحاباة الواضحة تجاه اليهود من قبل الادارة في موضوع الاذونات التجارية مع مصر .

" المحاباة من الادارة العسكرية تجاه المسلمين .

" الدعاية الخارجية ضد الصهيونية (٣) .

والواضح تماما من هذا التقرير المبدأئي وجهات النظر العربية واليهودية التي وقفت عليها لجنة التحقيق لقصد البحث والدراسة وقد انتهت لجنة التحقيق الى ارأسباب الاضطرابات حسب تقريرها النهائي الذى لم ينشر الا فميا بعد (١٩٤٧) فقد اعترض على نشرة هربرت صموئيل،بعد ان عين على رأس الادارة المدنية،وقد علل ذلك بالخوف من حدوث اضطرابات في البلاد اما اسباب الاضطرابات كما جاء في تقرير اللجنة النهائي فهي :

" خيبة امل العرب لعدم تنفيذ الوعود باستقلالهم تلك الوعود التي يدعون بانها منحت لهم في اثناء الحرب .

" اعتقاد العرب بان وعد بلفور يتضمن انكارا لحقهم في تقرير مصيرهم وخوفهم من ان انشاء الوطن القومي يعني الزيادة الهائلة في الهجرة الصهيونية التى ستؤدى الى اخضاعهم لسيطرة اليهود الاقتصادية والسياسية .

" ازدياد حدة الشعور بسبب الدعاية التي تبث في خارج فلسطين مصحوبة باعلان الامير فيصل ملكا على سورية التي اعيدت لها وحدتها وبنمو فكرة الاتحاد الاسلامي من ناحية وبسبب نشاط اللجنة الصهيونية مؤيدة بموارد ونفوذاليهود في انحاء العالم من الناحية الاخرى (٤) .

استغلت البعثة الصهيوية هذه الاضطرابات في تقوية مركزها وازدياد تدخلها في اعمال الادارة العسكرية البريطانية فمنذ البداية وهي تركز علي ابراز الادارة العسكرية بانها تخاذلت في مقاومة هذه الاضطرابات ولا شك

---

(١) F.O. 371/5117/E 3405 — 17 April 1920.

(٢) F.O. 371/5119/E 5002 — 19 May 1920.

(٣) F.O. 371/5119/E 6107 — 9 June 1920.

(٤) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، المجموعة الاولى ١٩١٥ —١٩٤٦ ص ١٢٣ .

في ان قصدها من ذلك هو ان يمارس اليهود عملية الدفاع عن انفسهم وتدعيم تسلحهم العسكرى . وقد جاء هذا المعنى والهدف في الرسالة التي بعث بها اثنان من زعماء اليهود في القدس هما المستر اوسشكين Ussis Shkin والمستر يلين Yellin الى الجنرال بولز بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٢٠ ـ والرسالة تحمل طابع التهديد للجنرال بولز بسبب موقفه من الاضطرابات الاخيرة فقد جاء في هذه الرسالة : " ان التعهدات التي توصلنا اليها الامس لم تتحقق ... وان الاضطرابات واعمال العنف استمرت بطابع اكثر عنفا مما كانت عليه بالامس ... وان البوليس لم يعمل على حماية اليهود فقط ، بل شارك في الاضطرابات ... وعليه تعلن باسم اليهود انه اذا لم يتم تأمين حياتنا خلال ساعتين فأننا نجد أنفسنا مضطرين لان ندرك اننا لا نستطيع ان نترك مصيرنا في ايدى الاخرين (١) .

وصورت رسالة اخرى بعثت بها المنظمة الصهيونية الى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٦ ابريل ١٩٢٠ نفس المضمون حيث جاء فيها اتهام واضح للادارة العسكرية وتقصيرها في القيام بواجبها لمقاومة هذه الاضطرابات سواء باتخاذ الاحتياطات للحيلولة دون وقوعها او بالاساليب التي اتخذت لاجل مقاومتها فتقول هذه الرسالة :

" لقد حذر الدكتور ايدر (عيدر) Eder احد اعضاء البعثة الصهيونية حذر الجنرال بولز من حدوث الاضطرابات كما اشار الى عدم ثقته بالبوليس العربي ، ومع هذا التحذير لم تتخذ الادارة العسكرية الاجراءات اللازمة لذلك .

وجاء في هذه المذكرة التي بعثت بها المنظمة الصهيونية في لندن الى الخارجية البريطانية بانها تلقت معلومات اكيدة بان الادارة العسكرية قبلت المذكرة التي تقدم بها ابناء القدس من العرب احتجاجا على الهجوم الذى وقع على بيت مفتى القدس وقد طالبت هذه المذكرة العربية بثلاثة مطالب هي : طرد البعثة الصهيونية وطرد الزعماء الصهيونيين وتسريح الكتيبة اليهو دية على ان يتم تنفيذ ذلك خلال خمسة ايام والا فانهم يستعدون لاستئناف الاضطرابات للاعتداء على اليهود .

وبناء على هذه المعلومات فان المنظمة الصهيونية ترى ان الادارة العسكرية في فلسطين قد اهملت تماما اتخاذ الاجراءات اللازمة للحيلولة دون وقوع الاضطرابات وعليه فان المنظمة الصهيونية ترى ضرورة ان تقوم الادارة العسكرية بتقديم اعتذار رسمي عن ذلك (٢) .

اما الجنرال بولز فقد اوضح لحكومته الاجراءات التي اتخذتها الادارة العسكرية منذ بداية الاضطرابات ونوه بتدخل القوات العسكرية لاخمادها لدرجة ان استخدمت الطائرات لارهاب الاهالى (٣) ، كما اوضح في مذكرة اخرى موقفه الرسمي امام المذكرات الصهيونية فقال :

" وما استطيع توزيع اللوم على أى قسم من السكان او على افراد منه بينما قضيتهم ما زالت تحت نظر القضاء . لكن استطيع ان اقرر بشكل قاطع انه عندما اشتد الامر فان اللجنة الصهيونية قد رفضت تقبل اوامر الادارة بل اتخذت من البداية موقفا عدائيا خطيرا : "

ويتابع السير بولز حديثه معرفا بطبيعة وتصرفات اليهود فيقول :

" وهم اناس يتعذر التعامل معهم وفي بيت المقدس حيث هم اكثرية لايقنعهم ولا يرضيهم الحماية

---

(1) F.O. 371/5119/E 5237 — 5 April 1920.

(2) F.O. 371/5117/E 2360 — 16 April 1920.

(3) F.O. 371/5119/E 5237 — 14 April 1920.

العسكرية فانهم يطلبون ان يأخذوا ازمة الامور بايديهم وفي سائر الاماكن حيث هم اقلية يضجون ضجيجا في طلب الحماية العسكرية .

وأشار الى اجراءات الادارة العسكرية وموقف اللجنة الصهيونية من ذلك فقال : " لقد قامت هذه الادارة بتنفيذ رغبات صاحب الجلالة وقد نجحت في ذلك بفضل التمسك بتنفيذ القوانين العسكرية المنظمة لتصوفات المحتل العسكري في " بلاد العدو " لكن هذا لم يقنع الصهيونين الذين لا يفتأون يعطلون على دفع الادارة العسكرية لاتباع سياسة متميزة نحوهم قبل اعلان الانتداب " .

وبناء على ذلك فقد اعلن بولز موقفه قائلا : انني اوصى لمصلحة السلام والتقدم ولمصلحة الصهيونين انفسهم بان تسحب البعثة الصهيونية من فلسطين " (١) .

اما الحكومة البريطانية فقد ردت على تقرير بولز بابعاده عن الحكم (٢) وهكذا اظهرت منذ البداية تحيزها الواضح لليهود مما يفسر بانه جاء استجابة لضغط الدوائر الصهيونية في انجلترا .

لم تكن اضطرابات ٤ ابريل آخر ماواجهته الادارة العسكرية البريطانية قبل ان تستبدل بادارة مدنية فقد حدثت اضطرابات محلية بين القبائل العربية والحرس البريطاني على امتداد الحدود الفاصلة بين فلسطين وسورية واسباب ذلك ترجع الى ان السلطات البريطانية القت القبض على الامير محمود الزناتي احد امراء عشائر الغور بتاريخ ٢١ ابريل ١٩٢٠ فهاجت لذلك القبائل العربية وأخرجت الامير من السجن وترتب على ذلك اتساع الاشتباكات بين القبائل العربية والجيش البريطاني في منطقة بيسان وسمخ (٣) كما تعرضت المستوطنات اليهودية في هذه المنطقة الواقعة في الجليل الاعلى لهجمات القبائل العربية خاصة مستعمرة المطلة ومستعمرة تل حي ونتيجة لهذه الهجمات قتل سته من المستوطنين وجرح خمسة آخرون (٤) وفر الباقون الى مستعمرة كفار جلعادى (٥) وذلك حسب ما جاء في مذكرة المنظمة الصهيونية الى وزارة الخارجية بتاريخ ١١ مايو ١٩٢٠ بقصد حث السلطات البريطانية على العمل لحماية المستوطنات اليهودية (٦) .

ومع ان الخارجية البريطانية قد خففت من صورة هذه الاحداث الا انها لم تنف ما وقع حيث وصفت ما حدث بانه مصادمات بسيطة بين العرب ومستوطنة المطلة (٧) ، وشهدت البلاد بعد ذلك موجة من الاحتجاجات عقب اعلان الجنرال بولز لقرارات مؤتمر سان ريمو امام زعماء القدس بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩٢٠ حيث نصت قرارات هذا المؤتمر على فرض الانتداب البريطاني على فلسطين مع ادماج نص تصريح بلفور في صك الانتداب كما جرت محاولة من قبل الجمعيات الاسلامية المسيحية لعقد مؤتمر فلسطيني لكن السلطات العسكرية البريطانية منعت هذه المحاوله مما دفع بالجمعيات الاسلامية والمسيحية في البلاد لتكليف المؤتمر السوري بدمشق بايفاد وفد الى اوربا للعمل على رفض الهجرة اليهودية ورفض فكرة الوطن القومي لليهودى (٨)

(١) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، الجزء الثاني ص ١٩٨ – ٢٠٠ .
(٢) صالح مسعود ابو بصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ص ٨٩ – ٩١ .
(٣) صالح مسعود ابو بصير : المرجع السابق ص ٨٩ – ٩٠ .
(٤) F.O. 371/5117/E 1485 — 11 May 1920.
(٥) Aharon Cohen: Israel and the Arab World. p. 179.
(٦) F.O. 371/5117/E 1485 — 11 May 1920.
(٧) F.O. 271/5117/E 2551 — 1920.
(٨) عادل حسن غنيم : مرجع سبق ذكره ص ٦١ – ٦٢ .

وبقيت البلاد في حالة اضطراب وترقب لما تتمخض عنه المساعي الدولية وقد انعكست هذه الحالة في التقرير الذى رفعته الادارة العسكرية البريطانية الى الخارجية البريطانية بتاريخ ٣١ مايو ١٩٢٠ اذ أظهر مدى تخوف السلطات البريطانية من تجدد الاضطرابات بعد بضعة اشهر (١) •

وعلى هذا النحو كانت بداية الحركة الوطنية الفلسطينية، وقد رأينا انها كانت في الواقع جزء من الحركة العربية العامة وخاصة في سورية عقب الحرب العالمية الاولى، على انها كانت تتميز بانها كانت تكافح خصمين رئيسيين : الصهيونية والسيطرة البريطانية على ان العرب في الواقع ميزوا بين فريقين من اليهود : اليهود الذين عاشوا في فلسطين منذ زمن طويل وكانت علاقتهم بالعرب طيبة واليهود الصهيونيين الذين اتوا الى البلاد لتحويلها الى وطن لهم ، واذا كان بعض المراقبين يلاحظ ان عرب فلسطين كانوا اقل عداء للبريطانيين فمرجع ذلك الى ان لهم تاريخا طويلا سابقا من الاطماع الصهيونية وكانت بعض الدوائر العربية لا تزال تثق في بريطانيا وصدق نواياها •

اما تاريخ الحركة الوطنية بعد ذلك أى بعد ان ظهرت السياسة البريطانية على حقيقتها ، فقد اخذت على عاتقها الكفاح ضد المطامع الصهيونية والانتداب البريطاني معا •

---

(1) F.O. 371/5117/E 5585/85/44 — 31 May 1920.

الفصل الثالث عشر

التسوية من الادارة العسكرية الى الانتداب

الاستعداد لعقد موءتمر السلام في باريس ... الوفد العربي برئاسة الامير فيصل .... الظروف التي أحاطت بالامير فيصل عند وصوله الى لندن ... لقاء وايزمان بفيصل في لندن ... التحركات البريطانية والفرنسية قبل عقد موءتمر السلام ... افتتاح موءتمر السلام وعرض فيصل للمطالب العربية ... الاحتجاجات التي رفعها أبناء عرب فلسطين لموءتمر السلام ... الخلافات داخل الموءتمر ... لجنة الاستفتاء الاميريكية ... اللجنة الامريكية ... النشاط الصهيوني البريطاني بشأن اعداد صيغة الانتداب الامير فيصل في لندن ... الاتفاق البريطاني الفرنسي بشأن تعديلات على اتفاقية سايكس بيكو ... مذكرات الامير فيصل الاحتجاجية ... الامير فيصل في باريس للتفاهم مع فرنسا ... الاتفاق بين فيصل وكليمنصو ... الوضع العام في سوريا ... الموءتمر السوري العام مارس ١٩٢٠ ... قرارات موءتمر سان ريمو ... خطوات بريطانيا التمهيدية بشأن الانتداب على فلسطين .

على اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى واعلان الهدنة بين الدول في ١١ نوفمبر ١٩١٨ معلنة انتصار دول الحلفاء على دول الوسط ، أخذت الدول الحليفة تسعى لتسوية المسائل التي ترتبت على الحرب ، استنادا الى الاتفاقيات والعهود التي ابرمت خلال الحرب بين دول الحلفاء ، واستنادا الى ما بذلته بريطانيا من وعود مع العرب والصهيونية . ولهذا الغرض تقرر عقد مؤتمر في باريس، ويظهر من الخطوات الاولى التي اتخذت لعقد هذا المؤتمر مدى التواطؤ البريطاني الصهيوني ، ومدى تجاهل بريطانيا للقضية العربية ، فمع اقتراب افتتاح المؤتمر أبلغ بلفور وايزمان شخصيا انه حين تعرض القضايا المتعلقة بفلسطين أمام دول الحلفاء لاعطاء قرار فيها ستسمع وجهة نظر الصهيونيين " ، وعلى اثر ذلك تحركت الدوائر الصهيونية تستعد لمؤتمر السلم في باريس فافتتحت مكتبا لها في باريس ليكون على اتصال مع مكتب لندن (١) .

أما موقف الحكومة البريطانية من القضية العربية فواضح من ترددها في توجيه دعوة للعرب لحضور هذا المؤتمر ، لانها كانت تخشى المعارضة الفرنسية في المؤتمر ،لكنها تغلبت على ترددها بعد ان تسلمت تقارير من المسؤولين البريطانيين في مصر وفلسطين . وبناء على طلب الملك حسين بصفته ملكا على الحجاز (٢) .

وفي الوقت الذى أبدت فيه الحكومة البريطانية رغبتها في سماع وجهة النظر الصهيونية في مؤتمر السلم في باريس منعت السلطة العسكرية البريطانية عرب فلسطن من ايفاد ممثل عنهم الى المؤتمر، في حين انتدب الملك حسين ابنه فيصل ممثلا عنه في مؤتمر السلم (٣) .

واخذت الدوائر البريطانية والفرنسية تستعد لعقد مؤتمر السلم في باريس ، ولهذه الغاية عقد اجتماع بين لويدجورج وكليمنصو في لندن ديسمبر ١٩١٨ انتهى بالموافقة على اجراء تعديل على اتفاقية سايكس بيكو ، تنازل كليمنصو بموجبه عن منطقة الموصل التي كانت مخصصة لفرنسا الى بريطانيا لتضم الى سائر أجزاء العراق تحت الانتداب البريطاني ، وقبل بالاشراف البريطاني على فلسطين بدلا من الادارة الدولية وذلك مقابل دعم بريطانيا لمطالب فرنسا في سورية ولبنان عند انعقاد مؤتمر السلم (٤) .

ومع ان هذا التفاهم لم يتخذ شكل صفة رسمية الا انه اثر على سير المفاوضات في مؤتمر السلم في اتخاذ الاتفاقيات السرية التي ابرمت خلال الحرب اساسا للتسويات السياسية في المنطقة العربية في وقت حاولت فيه الولايات المتحدة الامريكية استبعاد تلك الاتفاقيات كأساس للتسوية (٥) .

تحركت بريطانيا — بعد وصول فيصل الى باريس — للحصول على موافقة العرب على تصريح بلفور ، وان تكون بريطانيا هي الدولة المنتدبة على فلسطين ، ولما كانت هذه المطالب تتعارض مع تعهدات بريطانيا نحو العرب في تحقيق استقلالهم ، لذا حاول الامير فيصل عدم البت في طلب بريطانيا قبل انعقاد مؤتمر السلم ، لكن الحكومة البريطانية بعد ان تفاهمت مع فرنسا حول فلسطين وبعد ان اصبح وعد بلفور موضع التنفيذ أخذت بريطانيا تلح على الامير فيصل بتقديم مذكرة الى مؤتمر السلم تتضمن هذه المطالب (٦) . وقد

---

(١) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ١٩٠٨ — ١٩١٨ ص ٣٧٠ — ٣٧٥ .
(٢) سليمان موسى : لورنس العرب ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .
(٣) أحمد طربين : محاضرات في التنازع الدولي حول أقطار آسيا العربية حتى تسوية الصلح ص ٢ .
(٤) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٣٨٥ — ٣٩٣ .
(٥) فرانك مانويل : مرجع سبق ذكره ص ١٢١ — ١٢٣ .
(٦) عادل غنيم : مرجع سبق ذكره ص ٣٨ .

استجاب الامير فيصل لذلك فقدم مذكرته الى المؤتمر مع بداية افتتاحه أول يناير ١٩١٩ جاء فيها :

" ان الاغلبية من سكان فلسطين هم من العرب ، وان اليهود يرتبطون بالعرب وليس هناك تعارض بين شخصية العنصرين ومع ذلك فان العرب لا يستطيعون المخاطرة بتولي مسؤولية حفظ التوازن في حالة الصدام بين الاجناس والطوائف الدينية ولذلك فان العرب يفضلون وصاية على بلادهم طالما ان ادارة محلية نيابية ستعمل على النهوض باحوال البلاد " (١) .

لاشك في ان بريطانيا بهذه المذكرة التي قدمها الامير فيصل الى مؤتمر السلم حققت ماكانت تنشدة من قبول زعماء العرب الموالين لها بوصاية بريطانيا او انتدبها على فلسطين . ومن خلال هذه الوصاية تشرع في تنفيذ الوعد الذى قطعته لليهود بمساعدتهم على انشاء وطن قومي لهم في فلسطين . وبذلك كانت تعتقد بريطانيا انها كسبت تأييد العرب واليهود جميعا لوجودها في فلسطين .

وعلى ضوء هذه المذكرة دفعت الحكومة البريطانية بزعماء الصهيونيين الى ضرورة التفاهم مع الامير فيصل بقصد التقريب بين الحركة الصهيونية والحركة العربية ، خاصة وان اللقاء الاخير الذى تم بين فيصل ووايزمان في العقبة في ٤ يونيه ١٩١٨ (٢) انتهى بتبادل كلمات الود والتمنى بلقاءات اخرى ، ومهما يكن الامر فقد انتهى اللقاء الاخير الذى تم في لندن بين فيصل ووايزمان الى عقد اتفاق بينهما في ٣ يناير ١٩١٩ ، وقد نوه الطرفان ــ فيصل باعتباره ممثلا للمملكة العربية الحجازية ووايزمان باعتباره ممثلا للمنظمة الصهيونية ــ " بالقرابة الجنسية والصلات القديمة بين العرب والشعب اليهودى " واعلنا عزمهما على " اتخاذ أقصى ما يمكن من التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين " وقررا لذلك :ــ

١ ــ تبادل انشاء وكالات عربية ويهودية في الدولة العربية وفلسطين .

٢ ــ تكوين لجنة لتعيين الحدود بين الدولة العربية وفلسطين .

٣ ــ مراعاة تضمين الدستور المقترح لادارة فلسطين بتصريح بلفور (٢ نوفمبر ١٩١٧) .

٤ ــ تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على مدى واسع وبأقصى سرعة ، لاستقرار المهاجرين في الارض عن طريق الاسكان الواسع والزراعة الكثيفية مع العمل على حفظ حقوق الفلاحين والعاملين من العرب ومساعدتهم في السير نحو التقدم الاقتصادى .

٥ ــ ممارسة الحريات والعبارات الدينية للطوائف المختلفة دون تفرقة او تمييز وتكون ممارسة الحقوق " المدنية والسياسية " بصرف النظر عن الاختلاف الديني .

٦ ــ ان الاماكن الاسلامية المقدسة يجب ان توضع تحت اشراف المسلمين .

٧ ــ ترسل المنظمة الصهيونية لجنة من الخبراء لتقوم بدراسة الامكانيات الاقتصادية في البلاد ، وتوضع هذه اللجنة تحت تصرف الدولة العربية بقصد دراسة امكانياتها الاقتصادية .

٨ ــ تتعهد المنظمة الصهيونية ببذل أقصى مساعيها لمساعدة الدولة العربية بالوسائل المختلفة لاستثمار الموارد الطبيعية والامكانيات الاقتصادية في البلاد .

٩ ــ يتعهد الطرفان بتأييد هذا الاتفاق في مؤتمر الصلح .

١٠ ــ تكون الحكومة البريطانية حكما في أى نزاع ينشأ بين الطرفين حول تفسير هذه الاتفاقية ويلى ذلك عبارة كتبها فيصل بخط يده ونصها :

---

(١) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٣٨٠ ــ ٣٨٥ .

(٢) انظر الفصل الحادى عشر .

" يجب علي ان أوافق على المواد المذكورة اعلاه بشرطان يحصل العرب على استقلالهم كما طلبت بمذكرتي المؤرخة في ٤ يناير ١٩١٩ والمرسلة الى وزارة خارجية حكومة بريطانيا العظمى ، لكن اذا وقع تعديل او تحويل فيجب ان لا أكون عندها مقيدا بأى كلمة وردت في هذه الاتفاقية التي يجب اعتبارها ملغاة لا شأن ولا قيمة قانونية لها ويجب ان لا أكون مسؤولا بأية طريقة مهما كانت " (١) ٠

ووقع فيصل وحده على هذا التحفظ ٠

وواضح من هذه الاتفاقية ما يأتـي :

١ـ قبول فيصل بفصل فلسطين عن سورية بعد ان كانت تعد القسم الجنوبي منهـا ٠

٢ـ قبول فيصل بتصريح بلفور وبالتعاون مع المنظمة الصهيونية في سبيل التقدم الاقتصادى للدولة العربية المزمع انشاؤها بعد الحرب ٠

٣ـ مراعاة حرية العبادة لكل الطوائف مع اشراف المسلمين على الاماكن المقدسة ٠

٤ـ أما النص الخاص " بالحقوق المدنية والسياسية " فجاء غامضا ٠

أما التحفظ الذى كتبه فيصل فمع وضوحه ـ فقد اعتبره وايزمان غير ملزم له ولا لليهود ـ وقيل نقلا عن عوني عبد الهادى ـ رئيس مكتب الوفد الحجازى في مؤتمر الصلح ـ ان هذه الاتفاقية لم تكن الا مسودة رفضها فيصل (٢) ٠

وعلى أى حال فان فيصلا كان يمثل ملك الحجاز ولم يكن يملك حتى التحدث باسم الفلسطينيين ٠ وأما تحفظه فقد اعتبره اليهود غير ملزم لهم لانه لا يحمل سوى توقيعه ٠

على أن المنظمة الصهيونية اعتبرت هذه الاتفاقية ، ولا تزال تعتبرها ، احدى الوثائق الاساسية لشرعيه المطالب اليهودية ٠

أما أمام مؤتمر الصلح فقد طلب فيصل " باستقلال البلاد العربية على ان ينظر في تأليف ادارة خاصة في فلسطين نظرا لاختلاف الاديان فيها " (٣) ٠

الواقع ان موقف فيصل كان مشوبا بالغموض والتردد ، فقد نشر في احدى الصحف الباريسية مارس ١٩١٩ انه يعارض انشاء وطن قومي (٤) ، وعلى أثر ذلك طلب زعماء الصهيونيين من الامير فيصل توضيحا عن موقفه تجاه الصهيونية ، وجاء التوضيح على شكل رسالة (٥) وجهها الامير فيصل الى فليكس فـرانـكفورتـر Felix Frankfurter أحد زعماء اليهود الامريكان في ٣ مارس ١٩١٩ وقد خدمت هذه الرسالة الصهيونية من ناحيتين :

تأكيد التفاهم بين العرب واليهود " اننا نشعر ان العرب واليهود هم أبناء عم في الجنس ، وانهم تحملوا أضطهادات متشابهة من الدول القوية ٠٠٠ ونحن العرب خاصة وخاصة المتعلمين ننظر برغبة شديدة الى النهضة الصهيونية " ٠

---

(١) وزارة الارشاد القومي : ملف وثائق فلسطين ـ الجزء الاول ص ٢٥١ ـ ٢٥٢٠

(٢) عيسى السفرى : مرجع سبق ذكره ص ١٤ ـ ١٩٠

(٣) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٣٩٣ ـ ٣٩٦

(٤) الكوكب : ١٣٧ ـ ١٨ ابريل ١٩١٩٠

(٥) يقول أحد المرافقين للامير فيصل ان لورنس ـ المستشار السياسي للامير ـ قدم كتابا باللغة الانجليزية وقع عليها الامير دون ان يعرف مضمونه ، انظر عيسى السفرى : مرجع سبق ذكره ص ١٣٠

والناحية الثانية موافقة الامير فيصل على مطالب الصهيونية التي عرضت في مؤتمر السلم وفحواها السعى لتحقيق تصريح بلفور" وقد اطلع وفدنا في باريس الان على الاقتراحات التي قدمتموها أمس الى مؤتمر السلام ونحن نعتبر ان هذه الاقتراحات معتدلة ولائقة وسنعمل جهدنا وما في وسعنا لمساعدة اليهود (١) .

ويبدو ان فيصل وجانبا كبيرا من العرب في ذلك الوقت لم يكونوا يدركون حقيقة الاهداف الصهيونية وما ترمى اليه على المدى البعيد من انشاء دولة اسرائيل .

اتيح للوفد الصهيوني التحدث في مؤتمر الصلح في ٢٣ نوفمبر ١٩١٩ وعرض خمسة من زعماء الصهيونيين مطالبهم أمام المؤتمر وكان سوكولوف أول المتحدثين ثم تلاه وايزمان (٢) وأهم المطالب :

ــ الاعتراف بحق اليهود التاريخي في فلسطين .

ــ تثبيت حدود معينة لفلسطين ويقصد ذلك ضم جنوب لبنان وجبل الشيخ والعقبة وشرقي الاردن اليها .

ــ اقامة منطقة انتداب في فلسطين تحت ادارة بريطانية .

ــ العمل على تحقيق تصريح بلفور .

ــ تعزيز الاستيطان اليهودى الى فلسطين وتأسيس مجلس يمثل اليهود في فلسطين (٣) .

كان على أعضاء مؤتمر الصلح اتخاذ القرارات بعد أن استمعوا الى كلمات الوفدين العربي والصهيوني وبعد ان أخذت عرائض احتجاج تصل الى المؤتمر من أبناء عرب فلسطين من ذلك مذكرة أبناء لواء طولكرم المؤرخة في ٢ مارس ١٩١٩ (٤) جاء فيها ــ : ــ

" انه تواتر جعل فلسطين وطنا قوميا ليهود وانهم سيهاجرون اليها ويستعمرونها ... فاننا نرفع احتجاجنا على مزاعم الصهيونية وها هي حجتنا " :

واستندت العريضة على الحقائق الاتيـة :ــ

ــ ان دعوى اليهود التاريخية بشأن فلسطين دعوى باطلة لانها ليست منبتهم الاصلي وان حكمهم فيها لم يدم الا وقتا قصيرا .

ــ ان اليهود يدعون حقا وطنيا لهم في فلسطين بناء على انهم استعمروها مدة في العهد السابق فان كان كلما دخلت أمة بلادا يحق لها الان استردادها والتوطن فيها فيحق لكل امة او دولة ان تطلب البلاد التي استعمرتها في أى عهد من العهود التاريخية .

ان علاقة العرب المسلمين والمسيحيين بهذه البلاد أقوى من علاقة اليهود بها حيث يرتبط بهذه البلاد ٣٠٠ مليون مسلم و ٥٠٠ مليون مسيحي .

ــ لايجوز هضم حقوق الاكثرية العربية في البلاد وجعل الاقلية القليلة من اليهود تعمل على اقامة وطن قومي في البلاد .

ــ كما لا يجوز الاستمرار في السماح لليهود بالهجرة الى البلاد في وقت يعمل فيه هؤلاء المهاجرون على الاعتماد على انفسهم في كل نواحي الحياة دون ان يتركوا لغيرهم مجالا لاية مدخله .

---

(١) عيسى السفرى : مرجع سبق ذكره ص ١٣ .

(٢) حاييم وايزمان : مرجع سبق ذكره ص ٦٩ ــ ٧٣ .

(٣) الان تايلور : مدخل الى اسرائيل ص ٤٩ ــ ٥٣ .

(٤) جاءت المكذرة باللغة العربية .

ـ أن عرب فلسطين جميعهم ينفرون كل النفور من هجرة اليهود وتسلطهم وانهم لا يسلمون بوجه من الوجوه بأن تسلب منهم بلادهم ، وان ذلك سيكون مصدراً للمشاكل والاضطرابات مما لا يتلائم مع الفكرة الاساسية التى دفعت بدول الحلفاء الى خوض الحرب تأمينا للراحة وتوطيد السلام .

ـ ان فلسطين جزء طبيعي من سورية لم تنفصل عنها في أى دور من أدوارها، ففصلها عنها لاجل خلق وطن قومي لاناس غرباء عنها شئ لا يوافق الحق والعدل من جهة ويسبب أضرارا عظيمة مادية وادبية عميقة بالسكان من جهة اخرى (١) .

ومن هذه المذكرات مذكرة الجمعية الاسلامية المسيحية في فلسطين التي أكدت حقوق العرب في فلسطين ورفضت ادعاءات اليهود المبنية على أسس تاريخية واهية ، ورفضت الهجرة اليهودية مبينة ان اليهود منهم والاجانب لا يتجاوزون مائة ألف من مليون من العرب المسلمين والمسيحيين ، وهذه الاقلية اليهودية لا تملك من الاراضى الزراعية سوى ٣٥٠ كيلو مترا مربعا من مجموع ٢٥ ألف كيلو متر مربع ،واعلنت عزمها على مقاومة المطامع الصهيونية حتى النهاية (٢) .

اجتمع مجلس الكبار الاربعة بتاريخ ٢٠ مارس ١٩١٩ في بيت لويد جورج في باريس لبحث تسويات المنطقة العربية ، كان هذا الاجتماع حاسما ظهرت خلاله خلافات واضحة بين الموقف الامريكي من جهة وبين الموقف البريطاني والفرنسي من جهة أخرى اذ رفض الرئيس الامريكي ويلسو Wilson الاعتراف بأى اتفاق سرى ، وبينما فرنسا كانت لاتزال تحلم بسيطرتها الكاملة على سورية الطبيعية رأت بريطانيا تحديد مناطق النفوذ الفرنسية .

ويبدو ان اقتراح الرئيس ويلسون ايفاد لجنة للاستفتاء الى سورية للوقوف على رغبة العرب في تقرير مصيرهم ما كان الا مخرجا للتوفيق بين المطالب الفرنسية والبريطانية وبين مبدأ المصير الذى أعلنه الرئيس الامريكي ويلسون (٣) .

ولكن الرئيس ويلسون كان يقصد من ارسال لجنة الاستفتاء الوقوف على آراء العرب في سورية فقط . فهب الوزير الفرنسي معترضا على ذلك فاقترح الكبار الاربعة توسيع مهمة اللجنة لتشمل فلسطين الى جانب سورية ، وحددت صلاحيات اللجنة الدولية وفق التصريح الفرنسي الانجليزى (٤) الذى صدر من مركز القيادة العامة لقوات الحملة المصرية في ٧ نوفمبر ١٩١٨ والذى جاء فيه : ان السبب الذى من أجله حاربت فرنسا وانكلترا في الشرق .. انما هو لتحرير الشعوب التى رزحت اجيالا طوالا تحت مظالم الترك تحريرا تاما نهائيا واقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الاهالي الوطنيين لها اختيارا حرا (٥) .

وكان من الواضح ان هذا التصريح يتنافى والمواثيق السرية التى عقدت في اثناء الحرب . ولهذا لم تعين حكومتا فرنسا وانجلترا مندوبيهما في اللجنة الدولية فاقتصرت اللجنة على المندوبين اللذين عينتهما حكومة الولايات المتحدة الامريكية وهما الدكتور هنرى كنج والمستر شارل كرين وعدد من المستشارين وسكرتير واحد ، وبوصول البعثة الى يافا في ١٠ يونيو ١٩١٩ أوضحت للاهالي الغاية التي ترمي اليها وهي " الوقوف

---

(١) (1) F.O. 371/4153/41476 — 2 March 1919.
(٢) وزارة الارشاد القومي : ملف وثائق فلسطين ، الجزء الاول ص ٢٥٣ — ٢٥٤
(٣) فرانك مانويل : مرجع سبق ذكره ص ١٢١ — ١٢٣
(٤) فرانك مانويل : مرجع سبق ذكره ص ١٢٤ — ١٢٦
(٥) جورج انطونيوس : مرجع سبق ذكره ص ٥٨٩ — ٥٩١.

جهد المستطاع على أحوال السكان والطبقات وعلاقاتهم ليكون الرئيس ويلسون والشعب الامريكي على بينة من الحقائق ، حتى يرسم السياسة التي تتعلق بمشاكل الشرق الادنى سواء أكان ذلك في مؤتمر الصلح أو عصبة الامم " (١) ، المزمع انشاؤها . وطافت اللجنة الامريكية في فلسطين ووقفت على حقيقة الامر وعلى موقف أبناء البلاد من الاحداث السياسية ، وانتقلت اللجنة الى سورية لذات الغرض ، وتسلمت مذكرة بمطالب العرب كما حددت في المؤتمر السوري الاول في دمشق (٢) .

عادت اللجنة الى باريس في ٢١ يوليو ١٩١٩ لترفع تقريرها الذى أعد بناء على دارسة ١٨٦٣ عريضة بالاضافة الى المقابلات المتعددة مع أبناء البلاد (٣) ولكن تقرير هذه اللجنة لم ير النور بسبب انسحاب الوفد الامريكي من المؤتمر بناء على قرار الكونجرس بالعودة الى سياسة العزلة ، وبهذا تركت أمريكا الميدان لفرنسا وبريطانيا تعملان وفق مصالحهما (٤) .

بقي تقرير اللجنة سريا حتى عام ١٩٢٢ نشر بعدها في الصحف الامريكية عندما لم يعد لهذا التقرير أهمية بعد أن تم تقسيم المنطقة العربية بين فرنسا وبريطانيا حسب قرارات مؤتمر سان ريمو ٢٥ ابريل ١٩٢٠ ، وجاء في تقرير اللجنة :ـ

" بأن الشعور العدائي نحو الصهيونية ليس قاصرا على فلسطين فحسب بل يشمل سكان سورية بوجه عام ... وأن الوعد بانشاء وطن قومي للشعب اليهودى لا يعني جعل فلسطين بلادا يهودية ، غير أنه لا يمكن اقامة حكومة يهودية بدون هضم الحقوق الدينية والمدنية للجماعات غير اليهودية ... وأن غير اليهود من فلسطين وهم تسعة أعشار السكان كلهم تقريبا يرفضون البرنامج الصهيوني رفضا باتا " (٥) .

وأوصت اللجنة بوضع سورية بما فيها فلسطين ولبنان تحت انتداب دولة واحدة . وأن تتولى حكومة الولايات المتحدة الامريكية هذه المهمة تمشيا مع رغبة أكثرية السكان . فاذا اعتذرت تقوم بريطانيا بذلك ، وأوصت بأن يكون الامير فيصل ملكا على الدولة السورية (٦) ، وأن يجرى تعديل على البرنامج الصهيوني مثل تحديد الهجرة اليهودية الى فلسطين والعدول نهائيا عن الخطة الرامية لجعل فلسطين حكومة يهودية . ولا مانع من ضم فلسطين الى سورية المتحدة (٧) . ويبدو أن الصراحة التي اتسم بها تقرير اللجنة كانت السبب في اقدام حكومة الولايات المتحدة الامريكية على اخفاء التقرير وعدم طرحه على مؤتمر الصلح .

تابع المؤتمرون في باريس جلساتهم ، وكان من نتيجة ذلك التوقيع على معاهدة الصلح وميثاق عصبة الامم وعلى نظام الانتداب . وحسب المادة ٢٢ من ميثاق العصبة جاء تعريف شامل بنظام الانتداب وهو : " رسالة تمدينية مقدسة تستهدف ترقية الشعوب الخاضعة له ، وتشرف عصبة الامم على أعمال الدولة المنتدبة وتراقبها . ولكن مراقبتها هذه لا تتعدى عمليا حد الاطلاع على التقارير السنوية وابداء الرأى فيها .. وأن الدولة المنتدبة تختار من بين الدول الكبرى والانتداب على ثلاثة أشكال منها في البلاد العربية الشكل الاكثر

---

(١) عيسى السفرى : مرجع سبق ذكره ص ٤١ — ٤٢
(٢) انظر الفصل الخاص ببداية الحركة الوطنية الفلسطينية .
(٣) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، الجزء الثاني ص ١٠٨ — ١١٠.
(٤) فرانك مانويل : مرجع سبق ذكره ص ١٤٠ — ١٤٢.
(٥) عيسى السفرى : مرجع سبق ذكره ص ٤١ — ٤٣.
(٦) دورين انغرامر : اوراق فلسطينية ١٩١٧ — ١٩٢٢ ص ٦٨ — ٧٥.
(٧) عمر أبو النصر : مرجع سبق ذكره ص ٥٣ — ٥٦.

تسامحا ، فيعترف مبدئيا باستقلال البلدان العربية وتحدد صلاحية الدولة المنتدبة عليها بحق ابداء النصح وتقديم المساعدة حتى تبلغ هذه البلدان نضجها السياسي الكافي " (١) .

وقبل تطبيق نظام الانتداب على المنطقة العربية كما أقر في مؤتمر سان ريمو ٢٥ ابريل ١٩٢٠ كانت السلطات البريطانية قد قطعت مرحلة طويلة في سلسلة اتصالاتها مع المنظمة الصهيونية لاعداد وثيقة الانتداب على فلسطين . فقد كانت المطالب الصهيونية بأن تثبت تصريح بلفور نصا في وثيقة الانتداب ، وأن يكون المبدأ الذى تقوم عليه وثيقة الانتداب اقامة وطن قومي يهودى من فلسطين (٢) . ثم جرت اتصالات أخرى بين الطرفين أواسط يوليه ١٩١٩ ، عرضت المنظمة الصهيونية خلالها عدة اقتراحات أهمها :-

- تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع فلسطين تحت ادارة سياسة وظروف اقتصادية من شأنها أن تؤدى الى قيام وطن قومي لليهود في فلسطين .
- ان هدف الانتداب النهائي هو خلق دولة مستقلة ذات سيادة في فلسطين .
- تعمل الدولة المنتدبة على تأسيس مجلس يهودى دائم في فلسطين ويكون من مهام هذا المجلس تقديم الارشادات لحكومة الانتداب في النواحي الادارية والتعليمية والاقتصادية (وسمي هذا المجلس فيما بعد بالوكالة اليهودية وكان لها أثر قوى في توجيه حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين)
- أن تعمل الدولة المنتدبة على زيادة هجرة اليهود والعمل على استيطانهم واستقرارهم في البلاد .
- يمكن تشكيل قوة من الشرطة لحفظ الامن والنظام ولا يسمح بتشكيل أية قوة عسكرية سواء جوية أو بحرية في فلسطين .
- قبول اللغة العبرية لغة رسمية الى جانب اللغة الانجليزية والعربية ويسجل ذلك على الطوابع والعمله في فلسطين .
- تقوم الدولة المنتدبة باتخاذ الخطوات اللازمة خلال ١٢ شهرا من التصديق على وثيقة الانتداب بتنفيذ قانون جديد للاثار أعد من قبل المنظمة عن قانون الاثار العثماني .
- تحال أية خلافات حول وثيقة الانتداب الى محكمة العدل الدولية التي ستشكل من قبل العصبة (٣) .

ووصلا للموضوع نقول أن الحكومة البريطانية استدعت الامير فيصل الى لندن وعرضت عليه بنود الاتفاق العسكرى البريطاني الفرنسي جاء فيه :-

- انسحاب الجيوش البريطانية من سورية وكيليكية أول نوفمبر ١٩١٩ لتحل محلها الجيوش الفرنسية في غربي الخط المعتبر في معاهدة سايكس بيكو ، وتستبدل حاميات دمشق وحمص وحماة وحلب بجنود عربية .
- يبقى الجنود البريطانية في العراق وفلسطين طبقا لما توصل اليه لويد جورج وكليمنصو في ديسمبر ١٩١٨ .
- تبحث مسائل الحدود بين فلسطين وسورية بين الحكومتين البريطانية والفرنسية فيما بعد (٤) .

وكانت هذه الاتفاقية بداية لتقسيم سورية الى مناطق انتداب فرنسية وبريطانية وخلق فلسطين كوحدة (٥)

---

(١) أحمد طوبين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الحركة الصهيونية حتى ١٩٣٦ ص ٦٠ – ٦٣ .

(٢) الان تايلور : مدخل الى اسرائيل ، ص ٥١ – ٥٣ .

(3) F.O. 371/4231/121884 - 15 July 1919 .

(٤) سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى ، وثائق وأسانيد ص ١٣٦ – ١٤١ .

(٥) خيريه قاسميه : الحكومة العربية في دمشق ص ١١٨ – ١٣٥ .

احتج الامير فيصل على ذلك بمذكرة قدمها الى لويد جورج في ٢١ ديسمبر ١٩١٩ ، لان هذه الاجراءات مجحفة بحقوق العرب وان اتفاقية سايكس بيكو التى اتخذت اساسا لهذا الاتفاق العسكرى هي اتفاقية باطلة لعدم علم العرب بها .

ولكن الحكومتين الفرنسية والبريطانية مضتا في توثيق التفاهم ، فكلفتا القائد العام للجيوش المتحالفة بالشروع بتنفيذ هذا الاتفاق ، رغم ان الثقة الكاملة لم تكن متبادلة بين الفرنسيين والبريطانيين ، ولكن الامير فيصل رفض ذلك وتقدم بمذكرة اخرى للحكومة البريطانية أشار فيها الى ضرورة عودة الجيوش العربية الى المناطق الساحلية كما كانت عليه أوائل الاحتلال ، أو ابقاء الوضع كما هو الى حين تقرير مستقبل البلاد السياسي .

وجاء الرد من الحكومة البريطانية على مذكرات الامير فيصل موضحا " ان تلك الوثيقة المذكورة لا تمثل بأى وجه من الوجوه اتفاقا نهائيا بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية بل تشتمل مقترحات قدمتها الحكومة البريطانية بشأن الاحتلال العسكرى الى أن يقرر مؤتمر السلام مستقبلها نهائيا (١) .

غادر الامير فيصل والوفد المرافق له لندن الى باريس ، بناء على طلب الحكومة البريطانية ، للتفاهم مع فرنسا في هذا الموضوع . وبوصول الامير فيصل الى باريس تقدم في ٢٥ أكتوبر برسالة الى كليمنصو اعترض فيها الى ماتم التوصل اليه بين فرنسا وبريطانيا وحذر من خطورة هذه الاجراءات وتهديدها لامن البلاد (٢) .

وكانت هذه الرسالة فاتحة رسائل تبودلت بين الامير فيصل وكليمنصو وقد عكس فيصل نتائج اتصالاته مع كليمنصو في رسالة بعث بها الى لويد جورج في ٦ نوفمبر ١٩١٩ أشار فيها الى الصعوبات التي كانت لا تزال تعترض طريق التفاهم مع فرنسا (٣) ، ويبدو ان بريطانيا تدخلت لتحريك المفاوضات بين الامير فيصل وكليمنصو

لانها انتهت باتفاق مؤقت يقضي بانسحاب القوات العربية من البقاع مع بقاء قوات من الدرك للمحافظة على الامن في هذه المنطقة ودون ان تقوم القوات الفرنسية باحتلال هذه المنطقة او مناطق اخرى .

ويبدو ان هذا الاتفاق ما كان الا اجراء مؤقتا ، لان الامير فيصل توصل الى اتفاق آخر في ٦ يناير ١٩٢٠ اعترفت بموجبه فرنسا بدولة سورية مستقلة يقرها مؤتمر الصلح وذلك مقابل تعهد هذه الدولة بأن يكون لفرنسا حق الاولوية في تقديم الخبراء والمستشارين لتنظيم الادارتين المدنية والعسكرية في البلاد ، وان لا تدخل القوات الفرنسية سورية الا بناء على طلب من الدولة السورية وتعترف باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي وادارة محلية في جبل الدروز (٤) .

ودفع تطور الاوضاع في دمشق الامير فيصل الى العودة اليها ـ وسط اشاعات انتشرت في دمشق حول بنود الاتفاق المؤقت بين فيصل وكليمنصو ـ وذلك لتهدئة الاوضاع وشرح حقيقة موقفه . الا انه لم يتمكن من ذلك أمام مشاعر أبناء البلاد التي تمخضت عن عقد المؤتمر السورى العام في ٨ مارس ١٩٢٠ ممثلا الامة السورية في مناطقها الثلاث (سورية ، لبنان ، فلسطين) .

---

(١) سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى ، وثائق وأسانيد ص ١٤٢ — ١٤٣ ، ص ١٤٦ — ١٦٠ .
(٢) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٨١ — ١٨٢ .
(٣) حافظ وهبة : مرجع سبق ذكره ص ١٨٣ — ١٨٥ .
(٤) حبرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ص ١٣٩ — ١٤٤ .

وقـد اتخـذ هـذا الـمؤتمـر القرارات الاتيـة :ـ

ـ استقلال البلاد السورية بحدودها الطبيعية بما في ذلك لبنان وفلسطين دولة ذات سيادة ، على ان تتكون منها دولة ذات سيادة نظامها ملكي دستوري وعلى رأسها الامير فيصل .

ـ رفض مزاعم الصهيونيين في انشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

ـ أقر الزعماء العراقيون قرارا مماثلا أعلنو استقلال العراق وتنصيب الامير عبد الله ملكا عليه (١) .

وبدأت الخطوات الاولى لتنفيذ قرارات المؤتمر السورى كاعلان فيصل ملكا على سورية وعبد الله ملكا على العراق . وأن كان هذا القرار الاخير لم ينفذ مما كان له وقع لدى الدول الاستعمارية المتحالفة في أطماعها تجاه هذه المنطقة ، فقد اتخذت خطوات سريعة لعقد اجتماع مبكر للمجلس الاعلى للحلفاء في وقت أخذت الاضطرابات في فلسطين تأخذ طابعا أكثر حدة بعد أحداث ٤ ابريل ١٩٢٠ (٢) .

وفي ظل هذه الظروف اجتمع مجلس الحلفاء الاعلى بدون حضور الولايات المتحدة في سان ريمو في ٢٥ ابريل ١٩٢٠ لبحث التسوية مع تركيا وتقرير مستقبل المنطقة العربية وقد اتخذ قراراته الخطيرة رغم المذكرات التى أرسلها العرب محذرين فيها من خطورة التغاضي عن قرارات المؤتمر السورى لان ذلك سيؤدى الى عمليات حربية يكون على رأسها فيصل استجابة للرأى العام وأهم قرارات مؤتمر سان ريمو ما يأتي :ـ

ـ وضع العراق تحت الانتداب البريطاني .

ـ وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع تنفيذ تصريح بلفور .

ـ وضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي كدولتين منفصلتين .

وقد وصف الرئيس ويلسون هذه القرارات بأنها " عجة مقرفة " للشرق الاوسط (٣) .

وبهذه القرارات التي تمخض عنها مؤتمر سان ريمو اتضحت الصورة السياسية التي رسمها (الحلفاء) للمنطقة العربية ، بما في ذلك فلسطين التي أصبحت بموجب هذه القرارات تحت الانتداب البريطاني ، مع النص الخطير على تنفيذ تصريح بلفور . ولم يكن هذا القرار الخاص بوضع فلسطين قرارا جديدا علي بريطانيا لان حقيقة الامر تشير الى ان بريطانيا كانت على علم بأنها ستتولى امر الانتداب على فلسطين .وهذه الحقيقة واضحة من السياسة الموالية للصهيونية . فقد تحالفت الاطماع والمصالح البريطانية الصهيونية نحو فلسطين ، لذا كانت خطواتها تسير في خط واحد . وهذا واضح أيضا من مشاركة الصهيونية في اعداد وثيقة الانتداب التي أجرت عليها عدة تعديلات ، الى ان صيغت بالشكل الذى ترضاه (٤) ، وايفادها البعثة الصهيونية الى فلسطين للاعداد لتنفيذ تصريح بلفور (٥) . ثم ايفاد هربرت صموئيل وهو يهودى صهيوني وعضو في الحكومة البريطانية الى فلسطين مارس ١٩٢٠ في مهمة سياسية ، وان كانت الحكومة البريطانية قد أخفت ذلك باعلانها ان الغرض من مهمة صموئيل هو تقديم النصح والارشاد للسلطة العسكرية البريطانية بشأن الادارة المالية .

واعد هربرت صموئيل خلال زيارته لفلسطين التي استمرت مدة شهرين عدة تقارير ، كان لها تأثير كبير في تحديد الصورة السياسية للمنطقة العربية كماأفرزتها قرارات مؤتمر سان ريمو ٢٥ ابريل ١٩٢٠ ، وأهم

(١) حافظ وهبة : مرجع سبق ذكره ص ١٨٥ ـ ١٨٨ .

(٢) انظر الفصل الخاص ببداية الحركة الوطنية الفلسطينية .

(٣) دورين انغرامز : مرجع سبق ذكره ص ٨٨ ـ ٩٣ .

(٤) (4) F.O. 371/4231/121884 — 15 July 1919.

(٥) (5) F.O. 371/4229/83544 — 31 January 1919.

تقارير صموئيل كان التقرير الذى صور فيه رأيه بشأن مستقبل المنطقة العربية كلها وخلاصته اقتراح بانشاء اتحاد عربي يشكل من خمس وحدات سياسية هي :ـ

- سورية العربية : وعاصمتها دمشق ويكون فيصل ملكا عليها وهي دولة مستقلة .
- لبنان تحكمها فرنسا وفق نظام الانتداب .
- فلسطين : تحكمها بريطانيا وفق نظام الانتداب وأن يتضمن صك الانتداب نصوصا خاصة بانشاء الوطن القومي لليهود ولا يعترف لفيصل بأية سيادة على فلسطين .
- الحجاز : تحت سيادة الملك حسين وهي وحدة مستقلة ، أما الامارات العربية الاخرى في الجزيرة العربية فيمكن أن تدخل في اتحاد مع مملكة الحجاز أو تبقى خارجها .
- العراق : يكون العراق تحت ادارة بريطانيا ، واذا رغب العراقيون فلهم ان يختاروا أميرا عربيا ، اما البصرة فمن الممكن ان تكون دولة عربية تحت حكم بريطاني ، ويمكن ان تكون الدولة السادسة في الاتحاد العربي المقترح (١) .

اما بشان فلسطين فقد قدم صموئيل الى حكومته بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٢٠ تقريرا عن الاوضاع الاقتصادية والادارية في فلسطين خدمة للاغراض الصهيونية لانه أشار الى امكانية مساهمة المنظمة الصهيونية في انجاز العديد من المشروعات الاقتصادية في فلسطين ، فقد أشار صموئيل في تقريره الى تكدس الادارة العسكرية بالموظفين في جانب ونقصهم في جوانب أخرى من ذلك خلو منصب المستشار المالي وعدم وجود مسؤول للاشراف على شؤون التعليم ، وامام الاعداد الكبيرة من الموظفين البريطانيين العاملين في الادارة العسكرية اقترح تخفيض عددهم بمرور الوقت لا تاحة الفرصة أمام ابناء البلاد لتولى هذه المناصب ، كما انتقد وجود مستشار العدلية على رأس جهاز القضاء لعدم خبرته ودرايته بالقوانين المحلية وعدم معرفته اللغة العربية .

ودرس صموئيل الموازنة المعدة لعام ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ ، واقترح تعديل بعض بنودها كتخفيض بعض المصروفات تغطية لمصروفات أكثر اهمية كالطرق والخدمات البريدية والاشغال العامة . واقترح زيادة الضرائب لتوفير أكبر قدر من الايرادات التي استثنى منها كل ما يتعلق بصندوق الدين العمومي العثماني ومايخص شركة الريجى التي طالب بضرورة تصفيتها ، كما طالب بانهاء جميع العقود او الامتيازات التي كانت قد منحت لعدة شركات لانجاز بعض الاعمال في الموانئ او مجالات اخرى في البلاد .

ووصف التقرير الوضع الاقتصادى بأنه دون المستوى بسبب ندرة المصانع وصعوبة المواصلات وسوء حالة الموانئ وعدم اتضاح صورة ملكية الاراضي في البلاد . ولهذا طالب بادخال العديد من العاملين والمؤهلين في المجالات الصناعية والفنية وضرورة الحصول على القروض اللازمة لتغطية المصروفات الانمائية في البلاد .وعرض اقتراحا بشأن ملكية الاراضي لان وجودها بهذا الشكل يعطل الزراعة . وينطوى هذا الاقتراح على الاخذ باستثمار الاراضي لمدة ثلاث سنوات كحل مؤقت لاستغلالها ، الى حين يتم تسوية الامر ، وطالب التقرير بضرورة الاهتمام بالسكك الحديدية والعمل على اصلاح قاطراتها عن طريق توفير مصروفات هذه الاصلاحات من القروض التي يرصد لها من ايرادات هذه السكك وفي نفس الوقت رأى ضرورة توحيد الاشراف الادارى على هذه السكك .

كما طالب بضروة اصلاح الموانئ التجارية في البلاد وخاصة ميناء حيفا لان الشروع في تشييد ميناء جديد أصبح أمرا ضروريا لخدمة البلاد والتاخير في انجاز ذلك سيؤدى الى تأخير العمل في ظل الانتداب

---

(١) حسن صبرى الخولي : مرجع سبق ذكره ، المجلد الثاني ، وثيقة رقم ١١ ووثيقة رقم ١٢ ص ١٣ ـ ٢٠ .

واقترح استغلال المصادر المائية لتوليد الطاقة الكهربائية بالاستفادة من خبرة المهندس الروسي روتنبرج Rutenberge الذى كان يعمل لصالح البعثة الصهيونية كما عالج التقرير موضوع القروض الزراعية التي كانت الادارة العسكرية البريطانية ترغب في تقديمها للمزارعين في البلاد ، ومدى مساهمة المنظمة الصهيونية من خلال موءسساتها المالية في هذا الشأن (١)٠

وهكذا ظهرت نزعة هربرت صموئيل الصهيونية في وقت مبكر وقبل أن يتولى مهمته كاول مندوب سام بريطاني في فلسطين اذ اقترح بأن المنظمة الصهيونية لعلى استعداد لتأمين مصروفات العديد من هذه الانجازات والاعمال الاقتصادية ويستدل من التقرير الثاني الذى قدمه صموئيل انه وضع في الدرجة الاولى لخدمة اغراض سياسية وهي اعطاء تقييم شامل لاوضاع البلاد للاستفادة من ذلك في تقرير مستقبل فلسطين السياسي ٠

فاذاكانت الحكومة البريطانية قد أوكلت مهمة التخطيط السياسي للمنطقة العربية ، بما في ذلك الوضع السياسي لفلسطين ، الى هربرت صموئيل الصهيوني العريق ٠ فانها أيضا أوكلت الى صموئيل نفسه مهمة تنفيذ هذه السياسة فقد أصدر لويد جورج اواخر مايو ١٩٢٠ قرارا بتعيين هربرت صموئيل أول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين وقد تسلم منصبه اول يوليو ١٩٢٠ (١) ٠

وبهذه انتهت الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين لتحل محلها ادارة مدنية أخذت على عاتقها مهمة تنفيذ تصريح بلفور بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين قبل ان توافق عصبة الامم رسميا على صك الانتداب البريطاني لفلسطين الذى أقر في ٢٥ يوليو ١٩٢٢ ٠

---

(١) F.O. 371/5139/E 3594/131/44 — 19 April 1920. (1)

(٢) كامل خلة مرجع سبق ذكره ص ٤٩٠

خاتمة

بعد هذا العرض الشامل لاوضاع فلسطين خلال الحرب العالمية وحتى نهاية الادارة العسكرية البريطانية أى خلال الفترة بين عامي ١٩١٤ – ١٩٢٠ لابد من تثبيت الملاحظات الاتية :–

* ان خلق فلسطين كوحدة سياسية وجغرافية تحقيقا للاغراض البريطانية الصهيونية قد مر بثلاث مراحل ، شغلت الفترة موضع البحث ١٩١٤ – ١٩٢٠ مرحلتين من هذه المراحل هي :

* مرحلة التخطيط : تطلعت بريطانيا الى فلسطين تحقيقا لاطماعها بعد ان احتلت مصر ١٨٨٢ ، فحققت بذلك حماية الجانب الغربي من قناة السويس بقصد تأمين مواصلاتها الى الهند ، وكان عليها تأمين الجانب الشرقي لقناة السويس تحقيقا لذات الغرض ، فكانت أحداث الحرب العالمية الاولى فرصتها المناسبة لذلك .

وفي خط مواز للمصالح البريطانية كانت الاطماع الصهيونية تتجه ايضا نحو فلسطين بعد أن حدد مؤتمر بال ١٨٩٧ بشكل رسمي أن تكون فلسطين هدفا لتحقيق الاطماع الصهيونية لانشاء وطن قومي لهم ، ونظرت الحركة الصهيونية لاحداث الحرب العالمية فرصتها لتحقيق هذا الغرض ، ولذا اخذت بريطانيا ، بعد أن وقفت على وجهة النظر العربية من خلال مراسلات الحسين مكماهون ، وبعد أن – وقفت على وجهة النظر الفرنسية من خلال اتفاقية سايكس بيكو ، أخذت تعمل لربط المصالح البريطانية والاطماع الصهيونية في فلسطين التي انتهت بلقاء بريطاني صهيوني في تصريح بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧ الذى تعهدت فيه الحكومة البريطانية ببذل معاونتها للتمهيد لتنفيذ هذا التصريح .

* مرحلة الاعداد لتنفيذ تصريح بلفور : على اثر صدور تصريح بلفور اخذت الدوائرالصهيونية تطالب الحكومة البريطانية بالتصريح لها بايفاد وفد يمثلها الى فلسطين ، للتعرف على الاحوال في فلسطين . وقد استجابت الحكومة البريطانية لهذا الطلب وقدمت البعثة الصهيونية التي أخذت تتدخل بشكل مباشر في اعمال الادارة العسكرية البريطانية بقصد الاسراع في الشروع لتنفيذ تصريح بلفور قبل اقراره وتضمينه صك الانتداب ١٩٢٠ .

* مرحلة التنفيذ : نظرت الحركة الصهيونية الى الحكم العسكرى في فلسطين على انه عقبة في سبيل تنفيذ تصريح بلفور . وقد استجابت الحكومة البريطانية للرغبة الصهيونية في انهاء الادارة العسكرية واستبدالها بادارة

مدنية . أخذت على عاتقها مهمة تنفيذ تصريح بلفور بانشاء وطن قومـــي لليهود في فلســــطين .

* ومن تتبع المراحل الثلاث يتضح مدى التواطوء البريطاني في تحقيق الاطمـاع الصهيونية في فلسطين . فقد عملت بريطانيا على ايجاد ثغرات في وعودهـا مع العرب خدمت الاغراض الصهيونية في فلسطين والاطماع الفرنسية في سورية ثم اعتماد هذه الوعود لتكون مرجعا في التسويات السياسية في المنطقـــة العربية ، كما يظهر التواطوء البريطاني في الاتصالات التي اجرتها الحكومـة البريطانية مع الحركة الصهيونية في اعداد صيغة الانتداب ، لان الامر لم يقف عند فرض الانتداب البريطاني على فلسطين كغيرها من المناطق العربية التي فرض عليها انتداب بريطاني أو فرنسي ، بل أن الامر تعدى ذلك فقد نجحـت بريطانيا في تضمين صك انتدابها على فلسطين تصريح بلفور كما شهدت بذلك قرارات موءتمر ســان ريمـو ابريــــل ١٩٢٠ .

* تعدى الخطر الصهيوني حدود فلسطين ، كما ثبت من خلال الحروب التي شهدتها المنطقة العربية في الفترة الاخيرة ، في وقت تصدع فيه الموقـــف العربي . وهذا مما يزيد من خطورة الاطماع الصهيونية في المنطقة العربيـــة لذا فان أية محاولات سياسية للحد من هذه الاطماع في المنطقة العربية عليها أن تأخذ في الحسبان أبعاد الغزو الصهيوني الاقتصادى للمنطقة العربية .

المصـــادر والمراجـــع

أولا :

الوثائـــق

١ ـ وثائـق غـير منشـورة :

أ ـ باللغـــة الــتركيـــة :

محفوظات أرشيف رئاسة الوزراء الاسرائيلية بالقدس المتعلقة بالوثائق التركية حيث أن هذا الارشيف يضم عدة مجموعات من الوثائق المتعلقة بتاريخ فلسطين خلال الحكم العثماني ، منها المجموعة المتعلقة بالمؤسسات الحكومية العثمانية في فلسطين ٠ وان كانت هذه المجموعة قليلة نسبيا بسبب الاتراك قد نقلوا أو اتلفوا العديدمن السجلات أثناء انسحابهم من البـلاد ، وضمن هذه المجموعة من الوثائق التركية عدة سجلات منها سجلات النفوس وسجلات مجلـس الادارة في القدس ومجلس عموم اللواء وسجلات كاتب العدل في يافا وبقايا ارشيف متصرف القدس خلال الفترة ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨ ، وقد اتيح لي الاطلاع على جلسات مجلس ادارة عمـوم لواء القدس لعام ١٣٣٠ رومي (١٩١٤) حيث وقفت من خلال هذه السجلات على اجراءات مجلس اللواء العمومي خلال الاشهر الاولى من اعلان الحرب العالمية الاولى ، وقد غطت هـذه الاجراءات عدة جوانب منها في مجالات التعليم والتجارة والزراعة والصناعة والمالية والصحة ٠

ب ـ باللغة الانجلـيزية :

محفوظات وزارة الخارجية البريطانية في لندن المتعلقة بفلسطين خلال الفترة ١٩١٧ ـ ١٩٢٠ وهي المجموعة تحت رقم وهي تغطي فترة تأسيس الادارة العسـكرية البريطانية في فلسطين وأهم الاعمال التي قامت بها هذه الادارة ٠

جـ ـ باللغـــة العربيـــة :

" سجلات المحكمة الشرعية في القدس : ترجع أهمية هذه السجلات البالغ عددها ٤١٦ سجلا من ١٣ شوال ٩٣٦ هـ (١٥٢٩) حتى ١٥ ذى القعدة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦) الى أن هذه السجلات قد استوعبت الاحداث اليومية والمعاملات الرسمية خاصة في الناحية القضائية بحكم صلاحيات القاضي الشرعي الواسعة ، وأغلب هذه السجلات باللغة العربية الى جانب عدد من السجلات التي تضم الفرمانات التركية وان كانت هذه السجلات غنية بالمعلومات التي تغطي

تاريخ فلسطين تحت الحكم العثماني الا أن هذه المعلومات بدأت تنكمش بحكم أخذ الدولة العثمانية بالقضاء المدني الذى أثر على صلاحيات القاضي الشرعي وبالتاليأثر على المعلومات التي كانت تشملها هذه السجلات ، ومع هذا فقد اعتمدت على هذه السجلات بشأن المحاكم الشرعية في لواء لقدس خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى ٠

" سجلات المجلس البلدى في نابلس : يصعب حصر عدد هذه السجلات نظرا لسوء الحال الذى توجد عليه هذه السجلات فهي مبعثرة في مخازن البلدية منها سجلات ترجع الى العهد العثماني وأخرى ترجع الى فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين ٠

فمن السجلات التي اعتمدت عليها والتي لا يمكن تميزها عن غيرها بما تشتمل عليه من معلومات لان هذه السجلات غير مرقمة وأهم الدفاتر التي رجعت اليها في دراستي ٠

" الدفتر الخاص باجراء انتخابات مجلس المبعوثان في لواء نابلس لعام ١٩١٤ وتصور المعلومات الواردة في هذا الدفتر طريقة اجراء الانتخابات البرلمانية في لواء نابلس بشكل دقيق ابتداء من اعداد " الدفاتر الاساسية حتى انتخاب أعضاء مجلس المبعوثان حيث يتضح من هذا الدفتر عملية الانتخاب خطوة بخطوة ٠

" دفتر ضبط قرارات المجلس البلدى في نابلس خلال الفترة ١٩١٨ — ١٩٢٠ وهي تدور حول انجازات الخدمات المدنية للاهالي خلال فترة الحكم العسكرى البريطاني لفلسطين ١٩١٧ — ١٩٢٠ ٠

" دفاتر ضبط الشوءون المالية خلال فترة البحث حيث يتضح من هذه الدفاتر موازنة البلدية وأهم واردات ومصروفات المجلس البلدى كما أن هذه الدفاتر توضح عملية الشوءون المالية خلال فترة الحكم العسكرى البريطاني لفلسطين ٠

" دوسية الاوراق الصادرة لدائرة الحاكم العسكرى في نابلس ، وتبدأ هذه الاوراق منذ بداية الاحتلال البريطاني لمدينة نابلس وكانت أول الاوراق الصادرة من المجلس البلدى الى الحاكم العسكرى في ١٢ نوفمبر ١٩١٨ وتغطي هذه الاوراق الفترة ما بين ١٩١٨ — ١٩٢٠ ٠

" سجلات دائرة الطابو في نابلس : ترجع أهمية هذه السجلات الى انها تعطي فكرة عن سير عمليات بيع وشراء الاراضي لكن السجلات الموجودة في هذه الدوائر لا تقتصر على سجلات الاراضي بل تتعدد السجلات في دائرة الطابو حيث يمكن العثور على سجلات تعالج أمور خارج اختصاص هذه الدوائر مثل السجلات الخاصة بالتعليم والمدارس ويبدو أن هذا يرجع الى ظروف الحرب حيث عملت الحكومة العثمانية على تكديس السجلات في أماكن محددة في المدن الداخلية من فلسطين مثل مدينة نابلس ٠

٢ ـ وثائق منـــشورة :

الـدستور : وهي مجموعة التنظيمات العثمانية قام بترجمتها نوفل افندى نعمه الله نوفل في مجلدين ، بيروت ،المطبعة الادبية ١٣٠١ هـ

سالنامة ولايت بيروت : دفعة اولى ١٣١١ و ١٣١٢ هـ ٠

جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المجموعة الاولى ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ القاهرة ١٩٥٧ ٠

حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين ٠ المجلد الثاني ، القاهرة دار المعارف ١٩٧٣ ٠

عبد الوهاب الكيالي : وثائق المقاومة العربية الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ ، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجمعية صندوق فلسطين ١٩٦٨ ٠

ثـانيـا : الـمراجـع الـعربيـة :

ابراهيم او لغد : تهويد فلسطين ،ترجمة اسعد رزق ،سلسلة كتب فلسطينية ٣٧ ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث ، بيروت شباط ١٩٧٢ .

احسان النمر : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ،الجزء الثاني ، نابلس مطبعة النصر التجارية ١٩٦١ ٠

تاريخ حبل نابلس والبلقاء ، الجزء الثالث نابلس مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية ١٩٧٥ ٠

احمد طربين : فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ١٨٩٧ ـ ١٩٢٢ ،معهد الدراسات العربية العاليه ،جامعة الدول العربية ، القاهرة مطابع النشر للجامعات المصرية ١٩٧٠ ٠

محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الحركة الصهيونية حتى نشوب الثورة العربية الكبرى ٠ معهد الدراسات العربية العاليه، جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٨ ٠

احمد قدرى : مذكرات عن الثورة العربية الكبرى ، دمشق ٠ مطبعة ابن زيدون ١٩٥٦ ٠

اديب قعوار : المرأة اليهودية في فلسطين المحتلة ،سلسلة دراسات فلسطينية ٢٩ ،منظمة التحرير الفلسطينية ،مركز الابحاث ، بيروت نيسان ١٩٦٨ .

ارنست رامزور : تركيا الفتاة والثورة ١٩٠٨ ـترجمة صالح احمد العلي ، مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٠ .

اسد رستم : بيان الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد على باشا ، المجلد الاول ، بيروت .

اسعد منصور : تاريخ الناصرة من اقدم ازمانها الى ايامنا الحاضرة الناصرة ، مطبعة الهلال ١٩٢٣ .

آلان تايلور : كيف قامت اسرائيل ، ترجمة على محمد على ، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

مدخل الى اسرائيل ، تعريب شكرى نديم ، بيروت مكتبة الحياة ١٩٦٩ .

الهيئة العربية العليا : قضية فلسطين العربية ، القاهرة مطبعة السعادة .

اميل الغورى : فلسطين عبر ستين عاما ، بيروت ،دار النهار للنشر١٩٧٢ .

اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ،الطبعة الثالثة القدس ١٩٧٦ .

امين ابو الشعر : مذكرات الملك عبد الله ، الطبعة الرابعة ، عمـان المطبعة الهاشمية ١٩٦٥ .

امين سعيد : اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين بيروت .دار الكتاب العربي .

انيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ، الجزء الاول ،القسم الاول، بيروت دار الطبيعة ١٩٦٦ .

بلدانية فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ــ ١٩٦٧ ، سلسلة كتب فلسطينية ٩منظمة التحرير الفلسطينية ،مركز الابحاث بيروت ١٩٦٨ .

فلسطين والقومية العربية ، سلسلة كتب فلسطينية ٣ ،منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث بيروت ١٩٦٦ .

برنامج كلية روضة المعارف الوطنية ، القدس ، مطبعة دار الايتام الاسلامية ١٩٢٨ .

تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ١٩٣٧ ، القدس مطبعة حكومة فلسطين ومطبعة دير الروم .

توفيق على برو : العرب والترك في العهد الدستورى العثماني ١٩٠٨ –١٩١٤ ، معهد الدراسات العربية العاليه ، القاهرة ١٩٦٠ ٠

ثورة العرب ، مقدماتها اسبابها ، نتائجها : احد اعضاء الجمعيات العربية القاهرة مطبعة المقطم ١٩١٦ ٠

جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، ترجمة خليل الحاج الجزء الاول ، القاهرة المطبعة الثقافية ١٩٧١ فلسطين اليكم الحقيقة ،ترجمة احمد خليل الحاج ، الجزء الثاني، القاهرة،المطبعةالثقافية ١٩٧٢ ٠

جلال يحيي : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، الاسكندرية منشأة المعارف ١٩٦٥ ٠

جمال باشا (الصغير) : كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب ، تعريب فؤاد ميداني بيروت ، ١٩٣٢ ٠

جميل البحرى : تاريخ حيفا ، حيفا المكتبة الوطنية ١٩٢٢ ٠

جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، الطبعة الاولي بيروت ،دار العلم للملايين ١٩٦٢ ٠

حاييم وايزمان : التجربة والخطأ ، ترجمة وديع البستاني ، القاهرة مطبعة الحكيم ١٩٦٤ ٠

حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، الطبعة الرابعة ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ ٠

حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين ، المجلد الاول القاهرة ،دار المعارف ١٩٧٣ ٠

حنا صلاح : فلسطين تجديد حياتهانيويورك ، المطبعة السورية التجارية الامريكية ، ١٩١٩ ٠

خليل ابو رجيلي : الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة ، سلسلة دراسات فلسطينية الى منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث ،بيروت ايار ١٩٧٠ ٠ الحمضيات في فلسطين المحتلة ٠ سلسلة دراسات فلسطينية ٩١، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث بيروت ، ١٩٧٢ ٠

خليل السكاكيني : كذا انا يا دنيا القدس ، المطبعة التجارية ١٩٥٥ ٠

خليل طوطح وبولس شحادة : تاريخ القدس ودليلها ، القدس ، مطبعة مرآة الشرق ،١٩٢٠ ٠

خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ — ١٩١٨ ، سلسلة دراسات فلسطينية ٤١ ،منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث بيروت ، مايو ١٩٧٣ .

الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ — ١٩٢٠ القاهرة ،دار المعارف ١٩٧١ .

دعبيس المر : كتاب احكام الاراضي المتبعة في البلاد العربية المنفصلة عن السلطة العثمانية ، القدس ، مطبعة بيت المقدس ١٩٢٣ .

دورين انغرامز : اوراق فلسطينية ١٩١٧ — ١٩٢٢ ،بيروت دار النهار للنشر

دراسات في الثورة العربية الكبرى ،الطبعةالاولى ،عمان الشركة الاردنية العالمية للنشر والتوزيع .

ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، الطبعة الثالثة ،بيروت دار العلم للملايين ١٩٦٥ .

يوم ميسلون : بيروت مكتبة الكشاف ومطبعتها ١٩٤٨ .

سعيد حمادة : النظام الاقتصادى في فلسطين ،بيروت ،المطبعةالامريكية١٩٣٩

سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى وثائق واسانيد ،عمان مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية ١٩٦٦ .

شكرى نديم : حرب فلسطين ١٩١٤ — ١٩١٨ مطابع بيلوس الحديثة ١٩٦٥ .

صالح مسعودابو بصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ،الطبعة الثانية ،بيروت دار الفتح للطباعة والنشر ١٩٦٩ .

عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٧ — ١٩٣٦ ،القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ .

عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ، الجزء الاول ،مطبعة المعارف ١٩٦١

المسيحية في القدس ،مطبعة دير الروم الارثوذكس ١٩٥١ .

تاريخ غزة ،القدس، مطبعة دار الايتام الاسلامية ١٩٤٣ .

القضاء بين البدو ، القدس ، مطبعة بيت المقدس ، ١٩٣٣ .

تاريخ بئر السبع وقبائلها ، القدس ١٩٣٤ .

عبد العزيز عوض: الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ — ١٩١٤ القاهرة دار المعارف ١٩٦٩ .

عبد القادر يوسف : مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية القاهرة ، مركز كتب الشرق الاوسط ١٩٦٢ .

عبد الكريم عرابية : سورية في القرن التاسع عشر ١٨٤٠ – ١٨٧٦ ، معهد الدراسات العربية العاليه ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، دار الجيل للطباعة ١٩٦١ .

عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٠ .

عز الدين فوده : قضية القدس في محيط العلاقات الدولية ، سلسلة دراسات فلسطينية ٢٢ ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٩ .

عزيز بك : الاستخبارات والجاسوسية في سورية ولبنان وفلسطين خلال الحرب العالمية الاولى ، تعريف فؤاد ميداني ، بيروت ، مطبعة صادر ١٩٣٧ .

عمر ابو النصر : جهاد فلسطين ، يافا ١٩٢٦ .

عمر صالح البرغوثي وخليل طوطح : تاريخ فلسطين ، القدس ، مطبعة بيت المقدس ١٩٣٣ .

عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا مكتبة فلسطين الجديدة ١٩٣٧ .

فايز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية ، دمشق ، مطبعة ابن زيدون ١٩٣٩

فايز الكردى : عكا بين الماضي والحاضر ، عكا ، دار البشير ١٩٧٢ .

فرانك مانويل : بين امريكا وفلسطين ، تعريب يوسف حنا ، منشورات دائرة الثقافة والفنون في وزارة الثقافة والاعلام الاردنية ، عمان ، مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية ١٩٦٧ .

كامل خله : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ – ١٩٣٩ ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧٤ .

لورنس : اعمدة الحكمة السبعة . ترجمة سليم النعيمي ، الجزء الاول بغداد دار دجلة للطباعة والنشر ١٩٤٧ .

الثورة في الصحراء ، أى في الثورة العربية ١٩١٦ – ١٩١٨ ، ترجمة رشيد كرم ، القاهرة ، شركة فن الطباعة ١٩٤٩ .

مجلة الاحكام العدلية : تنسيب نجيب هواويني ، الطبعة الخامسة بيروت ، مطبعة شعاركو ١٩٦٨ .

محمد القلقيلي : هنا وهناك ، القاهرة ١٩١٥ .

محمد بهجت ورفيق التميمي : ولاية بيروت ، القسم الجنوبي ، بيروت مطبعة الاقبال ١٣٣٥ هـ .

محمد عبد الرؤوف سليم تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ ـ ١٩١٨ ،القسم الاول القاهرة ،مطبعة الجبلاوى ١٩٧٤ ،معهد الدراسات العربية . جامعة الدول العربية .

محمد عبد الرؤوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ ـ ١٩١٨ ،القسم الثاني ،القاهرة ،مطبعة الجبلاوى ١٩٧٤ معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية .

محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة الطبعة الثانية ،بيروت ،المكتبة العصرية ١٩٧١ .

القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ،الجزء الاول ،بيروت المكتبة العصرية .

محمدفتحي المعطي : الشهادات السياسية امام اللجنة الملكية في فلسطين ،مطبعة الشعب ١٩٣٧ .

محمد كرد على : خطط الشام ، الجزء الرابع ، دمشق ، مطبعة الترقي ١٩٢٦ .

خطط الشام ، الجزء الخامس ، دمشق ،مطبعة الترقي ١٩٢٧ .

خطط الشام ، الجزء السادس ، دمشق ،مطبعة المفيد ١٩٢٨ .

محمد يونس الحسيني : التطور الاجتماعي والاقتصادى في فلسطين العربية ،القدس ، مطبعة بيت المقدس .

محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية في الشرق الاسلامي ،القاهرة دار الاتحاد العربي للطباعة ١٩٧٢ .

تصريح بلفور ،القاهرة ،دارالفكرالعربي مطبعة احمدعلى ١٩٧٠

مذكرات احمد جمال باشا : تعريب على احمد شكرى ـ بغداد ، مطبعة دار البصرى ١٩٦٣ .

مشكلة فلسطين : نشرات المكتب العربي في القدس ، النشرةالثانية ،القدس ، مطبعة بيت المقدس .

مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، الجزء الاول ،القسم الثاني ،بيروت ،دار الطليعة ١٩٦٦ .

بلدنا فلسطين ،الجزء الرابع ،القسم الثاني ،بيروت دار الطليعة ١٩٧٢ .

بلادنا فلسطين ،الجزء الثالث ، القسم الثاني ، بيروت دار الطليعة ١٩٧١ .

بلادنا فلسطين :الجزء الثاني القسم الثاني ، بيروت ،دار الطليعة ١٩٧٤ .

بلادنا فلسطين ،الجزء الثامن ، القسم الثاني ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٤ ٠
بلادنا فلسطين ،الجزء السابع ، القسم الثاني ، بيروت ، دار الطليعة ١٩٧٤ ٠
بلادنا فلسطين ،الجزء السادس ، القسم الثاني ، بيروت دار الطليعة ١٩٧٤ ٠

موءتمر الشهداء : عصبة من الكتاب الاحرار ، بيروت ، مطبعة جريدة اليوم ٠

موءسسة الدراسات الفلسطينية : القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني بيروت ١٩٧٣ ٠

ناجي علوش : المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ٠سلسلة كتب فلسطينية ٦ منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث ،بيروت مايو ١٩٦٧ ٠

ناصر الدين الاسد : محمد روحي الخالدى ، رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ،القاهرة ١٩٧٠ ٠

نبيل بدران : التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني الجزء الاول ، سلسلة دراسات فلسطينية ٦٧ ،منظمة التحرير الفلسطينية ،مركز الابحاث ، بيروت آب ١٩٦٩ ٠

هنرى مورغنتو : مذكرات سفير امريكا في الاستانة ،تعريب فوءاد صروف القاهرة مطبعة المقطم ١٩٢٣ ٠

وليم فهمي : الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية القاهرة ١٩٧١ ٠

يعقوب يهوشع : تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني ١٩١٨ القدس ، مطبعة دار المعارف ، ١٩٧٤ ٠

يوسف صايغ : الاقتصاد الاسرائيلي ـ معهد الدراسات العربية العاليه ، جامعة الدول العربية القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ ٠

يوسف هيكل : القضية الفلسطينية ، يافا ، مطبعة الفجر ١٩٣٧ ٠

ثالثا : رسائل جامعية غير منشورة :

ابراهيم الجندى : سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادى في فلسطين ١٩٢٢ – ١٩٣٩ رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الاسكندرية ١٩٧٥ ٠

اكرم الراميني : نابلس في القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، عمان ، الجامعة الاردنية ١٩٧٧ ٠

عبد العزيز عوض: متصرفية القدس ،رسالة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٠ ٠

رابعا : الموسوعات :

موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ،الاهرام ،القاهرة ، ١٩٧٥ ٠

خامسا : الدوريات :

أ ـ الصحف :

الكوكب : (القاهرة صحيفة سياسية ادبية اسبوعية بادارة محمود القيلقي وهي من الصحف الموالية للسلطات البريطانية التي اعتمدت عليها بقصد الدعاية البريطانية خلال الحرب واعتمدت عليها في اعداد متفرقة منذ ١٩١٦ – ١٩١٩ ٠

الكرمل : (حيفا) صحيفة سياسية اصدرها نجيب نصار ،كان لها دور بارز في كشف اسرار الصهيونية ،واعتمدت على اعداد منها خلال سنوات ١٩١٢ – ١٩١٤ ٠

فلسطين : (يافا) من الصحف الفلسطينية البارزة صدرت في يافا ١٩١١ كان صاحبها ومديرها المسئول عيسى العيسى ،تقفت خلال الحرب واعتمدت على اعداد منها خلال الفترة ١٩١٢–١٩١٤

جريدة فلسطين : (القاهرة) اصدرتها السلطة العسكرية البريطانية في القاهرة بثلاث لغات عربية انجليزية، عبرية،بقصدالدعايةالبريطانية بين العرب والعمل على تزين الاحتلال البريطاني والادارة

العسكرية البريطانية في فلسطين واعتمدت على اعداد متفرقة من هذه الصحيفة منذ بداية صدورها ١٩١٨ حتى ١٩٢٠ ·

المقطم : (القاهرة)وهي من الصحف الموالية للسلطة العسكرية البريطانية اعتمدت على اعداد متفرقة منها ١٩١٤ — ١٩١٧ ·

المؤيد : (القاهرة) صحيفة سياسية تجارية اصدرها على يوسف ·

لسان العرب : (القدس) اصدرها ابراهيم النجار في عام ١٩٢١ ·

ب ــ المجلات :

شئون فلسطينية : دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشئونها المختلفة تصدر ست مرات في السنة تصدر عن مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، رجعت الى اعداد متفرقة من هذه المجلة خلال ١٩٧٠ — ١٩٧٣ ·

الابحاث : (بيروت) اصدرتها الجامعة الامريكية في بيروت اربع مرات سنويا ، رجعت لعدة اعداد منها ·

المنار : (القاهرة) مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشئون الاجتماع والعمران اصدرها محمد رشيد رضا ·

المقتطف : (القاهرة) مجلة علمية صناعية زراعية ،رجعت لعدة اعداد منها ·

الهلال : (القاهرة) دار المعلمين (عمان) ،الكلية العربية (القدس)

سادسا : المراجع الاجنبية

Aaronsohn, Alexander — With Turks in Palestine, London, Constable and Company Ltd. 1971.

Abcarius, M. — Palestine through the Fog of Propaganda, London, Hutchinson and Company (N.D).

Abu-Lughod, Ibrahim — The Transformation of Palestine, Evanston, USA Northwest University Press, 1971.

Abu-Manneh, B. — The Rise of the Sonjak of Jerusalem in the Late 19th Century, Haifa University.

Annual Statistical Return of the O.E.T.A. South Customs for the year ending 31st March 1920.

Ashbee, C. — A Palestine Notebook 1918-1923, London, William Hennemann Ltd. 1923.

Avisture, Shmuel. — "The Influence of Western Technology on the Economy of Palestine during the Nineteenth Century." Studies on Palestine during the Ottoman period, Jerusalem, the Hebrew University, 1975.

Barghuthi, Omar — "Local Self-Government, Past and Present." The Annals of American Academy of Political and Social Science. Vol. 164, November, Philadelphia, 1932.

Barkson, I. — "Jewish Education in Palestine" The annals of American Academy Political and Social Science, Vol. 164, November, Philadelphia, 1932.

Ben-Arieh, Yehoshua. — "The Population of the Large Towns in Palestine during the First Eighty Years of the Nineteenth Century According to Western Sources," Studies on Palestine during Ottoman Period Jerusalem, The Hebrew University. 1975.

Bentwich, Norman — England in Palestine, London, Kegan Paul, Trench, Trubner and Company Ltd, 1932.

Bonne, Alfred — State and Economics in the Middle East, second edition, London, Routledge and Kegan Paul, 1960.

Bovis, Eugene — The Jerusalem Question, 1917-1968, California, USA Stanford University, 1917.

British Government — A Brief Record of the Advance of the Egyptian Expeditionary Force under the Command of General Sir Edmund Allenby, July 1916-October 1918, Cairo, Government Press, 1919.

Carpenter, F. — The Holy Land and Syria, New York (N.D.)

Nardi, Noah — Education in Palestine, Washington, 1946.

Nattan, Robert — Palestine: Problem and Promise, Washington, Public Affairs Press 1946.

Natting, Amttony — The Arabs, A Narrative History from Mohammad to Present, Hollis and Carter, London, 1945.

Newton, Frances — Fifty Years in Palestine, London Colsharbour Press Ltd. 1948.

Occupied Enemy Territory Administration: Standing Orders and General Instructions for the Information of Officers. Issued by Headquarters Occupied Enemy Territory Administration, Jerusalem 1918.

Palestine Department of Health: A review of the Control of Malaria in Palestine 1918-1941, Jerusalem.

Parkes, James — Whose Land? A History of the Peoples of Palestine, New York, Taplinger Publishing Company 1971.

Porath, Yehosua — The Political Awakening of the Palestinian Arabs and their Leadership towards the End of the Ottoman Period, Jerusalem 1970.

Ruppin, Arthur — Memories, Diaries, Letters, London, Weidenfeld and Nicolson, 1971.

Sabella, Z. — Education in Palestine and British Policies, 1971.

Sochar, Howard — The Emergence of the Middle East 1914-1924, First Edition, New York, Alfred Knopt. 1969.

Sanjian, Avedis — The Armenian Communities in Syria under Ottoman Dominion, Massachusetts, Harvard Press 1965.

Starron, George — Russian Interests in Palestine 1882-1914, Institute for Baltic Studies Thessalonial 1963.

Stein, Leonard — The Balfour Declaration, New York Simon and Schuster 1959.

Storrs, Ronal — Orientations, London 1937.

The Jewish Wine Industry in Palestine, Commerical Bulletin, 1924.

Tibawi, A. L. — British Interests in Palestine, 1800-1961, London, Oxford University Press 1961. Arab Education in Mandatory Palestine London, Luzan and Company LTD. 1956.

Tolkowsky, S. — The Gateway of Palestine, A History of Jaffa, London, George Routledge and Sons, 1924.

Cattan, Aharon — Israel and the Arab World, London, W.H. Allen, 1970.

Conder, Reignier — Tent Work in Palestine, London, 1976.

Doukhan, Moses — Laws of Palestine, 1918-1925. Vol. I, Tel Aviv 1933.

Erskine, Stuart — Palestine of the Arabs, London, George, Harrap and Company, 1935.

Esco Foundation for Palestine, Vol. I, Yale University Press, 1947. A Study of Jewish, Arab and British Politicies.

Finn, H. — Palestine Peasantry, London, 1923.

Finn, James — Stirring Times, Vol. I (N.D.).

Forder, Archibald — Daily life in Palestine, London and New York, Marshall Brothers LTD, 1912.

Friedman, Isaiah — The Question of Palestine, 1914-1918, London, Routledge and Kegan Paul, 1973.

Government of Palestine — First Census of Industries taken in 1928 by the Trade Section of the Department of Customs, Excise and Trade, Jerusalem, 1928.

Grant — The People of Palestine (N.D.).

Harai, R. — Report of the Economic and Commerical Situation of Palestine to 31st March 1921. Jerusalem, Greek Convent Press, 1922.

Hopwood, Derek — The Russian Presence in Syria and Palestine, 1843-1914, Oxford, Clarendon Press, 1969.

John, Robert — The Palestine Diary, 1914-1945, New York, New World Press, 1970.

Klieman, Aaron — Foundations of British Policy in the Arab World, London, the Johns Hopkins Press, 1970.

Laqueur, Walter — A History of Zionism, London. Weidenseeld and Nicolson, 1972.

Learsi, Rufus — Fulfillment: The Epic Story of Zionism, New York, The World Publishing, 1951.

Londau, Jacob — "The Educational Impact of Western Culture on Traditional Society in Nineteenth Century Palestine," Studies on Palestine during Ottoman Period, Jerusalem, The Hebrew University, 1975.

Luke, Charles — The Hand Book of Palestine and Trans-Jordan, second edition, London, Macmillan and Company Ltd., 1930.

Maoz, Moshe — Ottoman Reform in Syria and Palestine, Oxford, Clarendon Press, 1968.

Matthews, Roderic — Education in Arab Countries of the Near East, Washington, George Banta Publishing Company 1949.

Melchett, L. — Reports of the Experts, Submitted to the Joint Palestine Survey Commission, Boston, 1928.

Moore, Norton — The Arab-Israeli Conflict, Vol. Peading Princeton University Press, USA (N.D.).

Volney, F. — Travels through Syria and Egypt Vol. I (N.D.).

Volcani, Elazari — "Jewish Colonization Palestine" The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 164 November, Philadelphia 1932.

Watson, C. — The City of Jerusalem (N.D.).

Wavell, Earl — The Palestine Compaigns, 14 printing, London, Constable and Company LTD.

Wilson — Peasant life in the Holy land.

Wortabat, G. — Syria and Syrians, (N.D.).

Yale, William — The Near East, a Modern History, University of Michigan Press 1958.

سابعا : صحف ومجلات

The Palestine News — The Army Newspaper in Occupied Enemy Territory. published weekly at Cairo, 1918-1919.

The Annals American Academy of Political and Social Science, Philadelphia 1932. Vol. 164, November 1932.

ثامنا : الموسوعات

Encyclopedia of Zionism and Israel, Vol I.

كتب ومؤلفات تحت الطبع

==================

الطبيعة الديمغرافية للشعب الفلسطيني

الموسوعة الاسرائيلية

الاوضاع القانونية لملكية الاراضي في
الضفة الغربية المحتلة

دراسات في تأثير الاحتلال الاسرائيلي
على المجتمع العربي الفلسطيني

نظرة على حركة غوش ايمونيم

